



منطق الطير

لقريد الدين العطار النيسابوري

ترجمة وتقديم

دكتور بدیع محمد جمعة

الطبعة الرابعة



منطق الطير

عَلَّمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْفَّنَا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْفَضْلُ الْبَهِيمُ
سورة نمل آية ١٥

تصنيف

شيخ فریدالدین عطار نیشابوری

بتصحیح و مقدمہ و تعلیقات حاشی

دکتر محمد جواد مشکور

استاد دانشگاه

چاپ سوم

بانتخاب نظر و اضافات

هذه صورة الصفحة الأولى لنسخة كتاب «منطق الطير»
باللغة الفارسية بعد تهذيبها، وعلفها عن طهران

مَنْطِقُ الطَّيْرِ

لفريد الدين العطار النيسابوري

ترجمة وتقديم

دكتور بديع محمد رجمعة

الطبعة الرابعة



مكتبة المشرق العامة للكتاب

٢٠٠٦

رئيس مجلس الإدارة

د. ناصر الاتصاري

مدير إدارة التراث

ورئيس التحرير

سعيد عبد الفتاح

مدير التحرير

أميمة علي أحمد



- الكتاب : «منطق الطير»
- المؤلف : فريد الدين العطار النيسابوري
- ترجمة وتقديم : دكتور بديع محمد جمعة
- الطبعة الأولى : ١٩٧٥ م (دار التراث)
- الطبعة الثانية : ١٩٨٠ م (قرار الأندلس - بيروت)
- الطبعة الثالثة : ١٩٩٧ م (المكتب المصري)
- الطبعة الرابعة : ٢٠٠٦ م
- خطوط : أوس السنوسي
- الإخراج الفني والغلاف : أميمة علي أحمد

منطق الطير / تأليف : ...، (ترجمة) بديع محمد جمعة - القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.

١٦٤ ص : ١٧ × ٢٤ سم - (تراث)

تدك ٧ - ١٠٧ - ١١٩ - ٩٧٧

١ - الأدب الفارسي

(أ) جمعة ، بديع محمد (مترجم)

(ب) العنوان :

رقم الإيداع بدار الكتب ٧١٩٢ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977 - 419 - 107 - 2

ديوي ٨٩١، ٥٥

تقديم

أعلام التصوف الفارسي ثلاثة ، هم على التوالي سنائي الغزنوي وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي . وقد حاز فريد الدين العطار هذه المنزلة الكبيرة بفضل ما قدمه للمكتبة الشرقية من مؤلفات ما زالت حتى اليوم تحظى بعظيم التقدير من جميع المهتمين بالتصوف الإسلامي داخل العالم الإسلامي ، ولدى جميع المستشرقين الذين أولوا التصوف الإسلامي جل اهتمامهم وعظيم همهم .

وإذا كانت جميع كتب فريد الدين العطار تحظى - حتى اليوم - بعظيم التقدير ، فأعظمها جميعاً وأوسعها شهرة منظومته الخالدة (منطق الطير) والتي تشهد بإبداع صاحبها في النظم ، وتعد دليلاً عظيماً على تفرق الفرس في نظم القصة الشعرية منذ قرون عديدة ، كما أن المنظومة فوق كل ذلك واحدة من شوامخ الفكر الصوفي الإسلامي ، ولا غنى لأي مهتم بالتصوف الإسلامي عنها .

ونتيجة لما حظيت به هذه المنظومة الفريدة في فكرها وحبكة قصتها ، أقدم عدد كبير من المستشرقين على دراستها ونقلها إلى لغاتهم ، فقد ترجمت إلى اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية ، وحظيت كذلك باهتمام مفكري الشرق ، فترجمت إلى اللغتين الهندية والتركية .

ونتيجة للصلات العميقة الجذور بين الأدبين العربي والفارسي ، وكذلك الصلات الوثيقة بين التصوف العربي والتصوف الفارسي ، أقدمت على ترجمة هذه المنظومة إلى اللغة العربية ، لتكون في متناول

القاريء العربي المهتم بالتصوف الإسلامي ، والذي لم تنح له الفرصة
لمعرفة اللغة الفارسية ، وليدرك متقنوناً أن الأدب الفارسي مليء بالكنوز
التي تستحق منهم اهتماماً كبيراً لا يقل عن اهتمامهم بالفكر الأوربي ،
ولعل هذا الاهتمام يحقق ما نصبو إليه من تكامل بين الثقافات الإسلامية
المختلفة ، أملاً في تدعيم أواصر الأخوة بين شعوب العالم الإسلامي ،
وبخاصة الشيعين العربي والإيراني .

وأخيراً أقدم عظيم شكري لكل من قدموا بي يد العون لإتمام هذه
الترجمة ، سواء تمثل هذا العون في مشورة أنحفوني بها ، أو في كتاب
أعانني على إنجاز الترجمة والدراسة حول المنظومة ، أو أي عون ساعدني
على إتمام هذا العمل الكبير الذي يسعدني أن أقدمه إلى المكتبة العربية والله
الوفق

بديع جمعة



بيروت في ١٨/٢/١٩٧٩

مركز بحوث العلوم الإسلامية

القِسْمُ الْأَوَّلُ
درائۃ حول العطارد
وَمَنْظُومَتُهُ "مَنْطِقُ الطَّائِفِ"



مرکز تحقیقات اسلامی علوم و معارف

الفصل الأول

التعريف بفريد الدين العطار

أولاً : اسمه ولقبه وكنيته وأسرته :

إن الغموض يكتنف سيرة العطار ويلقي ظلالاً على كل جانب من جوانب حياته ، ويمتد هذا الغموض إلى اسمه ولقبه وكنيته : اسمه باتفاق أغلب المؤرخين وكتاب التذكار هو « محمد » فقد ورد في (مصيبت نامه) ما ترجمته :

« واسمي محمد ، وقد أتممت هذا - أيها العزيز - على غرار ما فعل محمد »

أما لقبه : فباتفاق أغلب المؤرخين هو : فريد الدين ، ويقول الأستاذ نقيسي إن مؤلف كشف الظنون عند الحديث عن جوهر الذات وجواب نامه ذكر أن لقبه « زين الدين » وهذا خطأ ، فمن المرجح أنها كانت فريد الدين وحصل تحريف من الكاتب أو من الطباعة (١) . ٩١

كما يقول الأستاذ نقيسي إنه تخلص بهذا الاسم في اثنين وثمانين غزلية من مجموع الغزليات التي وصلتنا من إنتاجه والبالغ عددها أربع

(١) نقيسي : جستجو، ص : ١٠

وخسون وسبعائة غزلية^(١)

ركنيته - كما يقول عوفى - أبو حامد^(٢) ، ولأنه كان معاصراً للعطار
فإن قوله يرجح أقوال الآخرين الذين قالوا إن كنيته « أبو طالب »

ولكننا نجد فريد الدين كثيراً ما كان يذكر اسم علي أنه « العطار »
فقد قال في منطق الطير في ختم المظلومة :^(٣)

لقد نثرث يا عطار نافجة المسك المليئة بالأسرار ، على هذا العالم
في كل آتة .

وهذا الاسم الذي تخلص به العطار كثيراً ، قد لصق به منذ كان
يعمل صيدلياً ويملك دكاناً للعطارة .

أما والد العطار فاسمه إبراهيم وكنيته « أبو بكر » ، وكان يعمل
عطاراً هو الآخر ، وكان من مریدی الشيخ الصوفي قطب الدين حيدر في
قرية « كدكن » إحدى قرى نيسابور^(٤) .

وعلى الأرجح فإن والده عمر كثيراً ، ربما إلى أن ألف العطار
منظومته « أسرار نامه » وباحتمل أن يكون توفي عن ثمانين عاماً وذلك في
الفترة الواقعة بين عامي ٥٩٠ و ٦٠٥ هـ^(٥)

والدته : ويفهم من « أسرار نامه » - على حد تعبير فروزانفر - أن
أمه كانت على قيد الحياة يوم وفاة والده ، كما يستفاد من « خسرو نامه » أنها

(١) نفس المرجع السابق ص : ٦

(٢) فروزانفر : شرح أحوال ونقد . . . ص : ٢

(٣) منطق الطير نسخة باريس ١٨٥٧ م ص : ١٧٥

(٤) عزام : التصوف وفريد الدين العطار ص : ٥٢ القاهرة ١٩٤٥

(٥) فروزانفر : شرح أحوال . . . عطار نيشابوري ص : ٤

توفيت أثناء تأليف هذا الكتاب ، وأنها كانت من أهل المعسى^(١) ، وقد بكاهما المعطار في حادثة « خسرو وكل » ، فقد قال^(٢) :

« لم يكن لي أنس إلا بأمي ، وقد ذهبت ، كم أشدت أردي هذه
الصعيمة التي كانت خبيفة من مملكة الدين ، لقد كانت صعيمة
كالعنكوت ، ولكنها كانت لي حصاً ودرعاً » وكانت كما يقول رابعة
الثانية بل أنقى من رابعة ، بقيت تسعة وعشرين عاماً تلبس حنير الثياب
ونحشتها ، وكانت تقوم الليل دعاء وبكاء .

أجداده : أما عن أجداده فيذكر يروان حده وجد والده عن أنها
« مصطفى » ، « وشعبان » وذلك نقلاً عن كشف الظنون لحاجي خليفة^(٣) :

ولكن الأستاذ نمسي يعترض على هذين الاسمين ، مصطفى لم
يوجد ضمن تسلسل اسم المعطار في الكتب الموثوق في صحتها ، أو التي
ألفت في عصره .

كما أن اسم « شعبان » لم يسبق أن تسمى به أحد في إيران حتى
القرنين السادس والسابع الهجريين ، وفيما كان يعيش المعطار وأسرته ،
فهذه الأسماء التي على غرار الشهور العربية مثل محرم وربيع ورجب
وشعبان ورمضان قد راجت بعد ذلك في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن
التاسع في عرب آسيا وأميا لصعري ومصر ثم انتشرت هذه الأسماء بعد
ذلك في أماكن عدة^(٤) .

وأنا أوافق الأستاذ نمسي على اعتراضه هذا ، فلا نجد كتاباً آخر من

(١) حسن المرجع السابق ص ٥ .

(٢) حزام : التصوف وفريد الدين المعطار ص : ٤٨

(٣) يروان : تلويح الألف في إيران ج ٢ ص : ٦٤٣

(٤) نمسي : جستجو ، ص : ١٢

كتب التراجم يذكر اسم جد العطر علي أنه « مصطفى » أو اسم جد ولد
العطار علي أنه « شعنان » إلا حاجي حبيبة ، وهو لا يؤخذ برأيه ، لأن
المعروف في أغلب كتب التراجم أن جد العطار سمى اسحق ويكنى بأبي
يعقوب

وبعد ، فإن الاسم الحقيقي للعطار هو

« فريد الدين أبو حامد محمد بن أبي بكر مرهم بن أبي يعقوب
اسحق العطار »

أولاده :

أما عن أحبار من حللهم ، عطار من أساء فالشك يكتسب كل ما قيل
عنه فمن قائل إنه لم يحب مطلقاً ومن قائل إنه أحب ولداً واحداً .

وهناك قصة يرويها أحد كتاب التراجم ، وقد أوردها « روحاني »
في مقدمة ترجمته المعرفية لأبي مرهم^(١) :

« إن العطر كان له عشرة أبناء وقد وقعوا في أسر قطاع
الطريق . وهؤلاء اللصوص أخذوا يصرون أعماهم الواحد تلو
الأخر ، وانعطار في كل مرة يرفع عينيه إلى السماء وهو يتنسم ، وما أن
جاء دور ابنه العشر والآخر حتى قال ذلك الابن ما أقسى ذلك لأبي
الذي يتنسم وهو يرى أولاده يموتون تلك الليلة ، فبرد العطر فائلاً سي
العرير لا حول لنا ولا قوة أمام من يأمر بهذا . أي الله . ، وما أن سمع
اللصوص ذلك الخواب حتى أطلقوا سراح الولد العشر ، وألقوا بأنفسهم

(١) Rouhani, Le livre Divin P 24 Paris 1961 ويهمل الأساذ يهري لعل هذا

الكتاب مروي أصريادى ، وقد أورد هذه القصة في كتاب « بحيرة » ص ٢٣٥

طبع طهران ١٣٢٨ (انظر جستجو ، ص ١١٢)

على قدم أبيه يطلبون المعرفة وقد تابوا وأصبحوا من مردييه

ولكن هذه القصة يمكن اثبت في صحتها ، فلا نجد إشارة ما في كتبه إلى هذه الكارثة ، ودليل آخر على عدم صحتها أن المطار كان له ولد واحد اسمه صياء الدين يوسف ، وقد نصحه كثيراً في مهابة د بلبل معه ، ولكن إحجام المطار - وهو الكثير الغوب - عن ذكر زوجته وأولاده في كتبه الصحيحة النسب إليه ، يجعلنا نشك في أنه تزوج وأحب ، أراه عاش حياة أسرية مسخرة . وربما أن « فروبي امثربادي » ذكر هذه الحكاية للتدليل على أن المطار كان لا يهتم بأمور النساء ، ولا بأولاده كذلك وأنه احتفظها حلقاً ليثبت صحة ما يقول خاصة وأن هذه الحكاية لم يرد ذكرها في لباب الألب ولا في تذكرة الشعراء لدولتشه ، وهي قريباً العهد في تأليفها بمصر المطار .

كما لم يؤثر عن المطار أنه كان صاحب طريفة حتى يصبح هؤلاء اللصوص من مردييه . وهذه القصة لا تعدو أن تكون من باب الخرافات التي تحاك حول الشخصيات الشهيرة على أسس كرامات هم ، دون أن تستند إلى الواقع أو الحقيقة .

ثانياً : تاريخ ميلاده ومدة حياته

اختلف الدارسون قديماً وحديثاً في تحديد عام معين ولد فيه المطار ونتج عن هذا اختلافهم في تحديد مدة حياته ولكني يصل إلى رأي في هذه المسألة ، يجب أن نعرض طائفة من آراء كتاب التراجم ثم نحاول أن نستخلص منها ما نعتقد أنه التاريخ الصحيح لمولده . وهذا يساعدنا في معرفة مدة عمره إذا استطعنا أن نحدد كذلك تاريخ وفاته

(١) نبيي : جستجو ، ص ١٥

وأول كتاب أرح له هو « كتاب الآداب » المؤلف عام ٦١٧ هـ .
ولكنه لم يشر عن الإطلاق إلى تاريخ ولادته^(١) .

وكذلك « تاريخ كزيلة » المؤلف عام ٧٣٠ هـ لم يشر هو الآخر إلى
تاريخ ولادة العطار ولا مدة حياته^(٢) .

ثم يأتي بعد ذلك صفحات الأسر الحامي ، وفيه يقول : « وحضرة
الشيخ استشهد في ٦٢٧ هـ على يد الكفار وسنة المارك في ذلك الوقت -
كما يقولون - ١١٤ سنة^(٣) »

أي أن تاريخ ولادته هو عام ٥١٣ هـ ولكن مما يجعلنا نشك في
صحة هذه التواريخ أن جامي لم يستد الدليل على صحتها مكتصياً بقوله
« كما يقولون » وهذه العبارة تدفع الإنسان إلى الشك أكثر من اليقين ، كما
أنه لم يحدد من هؤلاء الذين يقولون هل هم العامة ؟ أو أنه أحدها
عن مصدر سبق موثوق به .

ثم يأتي دور « دولتشاه » فيقول : « ويمتاز العطار بأنه كان
معمراً . . ، فقيل إنه بلغ ائمة والأربع عشرة سنة ، وقد ولد في عصر
السلطان سحر في السادس من شعبان عام ٥١٣ هـ^(٤) .

وبلاحظ أن دولتشاه نفسه رغم أنه يحدد تاريخ ولادة العطار بالشهر
واليوم إلا أن قوله يدعو إلى انشك أيضاً في صحته فقوله « قيل
إنه . . . » لا تحم حلاً قاطعاً ، وربما أنه أراد أن يشك

(١) القروبي . بقلمة تذكرة الأدياء للعطار . ج ١ ص : ج ليرال ١٣٢١ هـ

(٢) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

(٣) جامي . صفحات الأسر . تعريب نوح الدين من زكريا الفشيدي . مخطوط بدار الكتب
انصهر تحت رقم ج ٩٧٩٥ ورقة : ٢٦٢

(٤) دولتشاه . تذكرة الشعراء . لبنان ١٩٠٠ م ص ١٨٧

صحة رأيه فحدد لنا شهراً معيناً ويوماً محدداً لهذه الولادة حتى يؤثر على
القارئ. مياخذ برأيه ولو كان دولشاه صادقاً فيما يقول لأحبرنا من أين
استقى هذا التاريخ .

وعد نقل صاحب « حريئة الأصفياء » عن صاحب « مختصر
الواصلين » عدة أبيات هذه برجمتها^(١)

- شيخ الدنيا والدين فريد الدين ، شمس ملك الصديق واليقين .
- عمره مائة وأربع عشرة سنة ، وذلك من لطف الله المتعال .
- واعتبر العقل تاريخ وفاة ذلك المسعود ، موافقاً للجملة « نلس الحية
والجنان » .

وجملة : « بلبل جنة وجنان » بحساب الحمل تعني ٦٢٧ هـ .
وعلى هذا فيكون مولده عام ٥١٢ هـ ومدة حياته ١١٤ سنة .

ونلاحظ أن هذا المرجع هو الآخر لم يذكر لنا المصدر الذي استقى
منه المؤلف هذه التواريخ .

ويذكر أمير عبي في كتبه « روح الإسلام » تاريخ ولادة العطار على
أنها عام ٥٤٥ هـ . ويعلق على هذا الأستاذ عزيم بقوله^(٢)
« وهذا غلط لا شك فيه . ومن الأدلة عليه أن الشاعر يتكلم في
منظومته « إلهي نام » عن السلطان مسحر كلامه عن الأحياء ومسجرات
سنة ٥٥٢ هـ فهو ولد الشاعر سنة ٥٤٥ هـ لكن كلامه هذا عن مسجر وهو دون
المباشرة من عمره » .

ولكن بمراجعتي لمنظومة العطار « إلهي نام » لم أجد إلا نصوصاً

(١) نفيهي . جستجو . ص ص

(٢) عوام . التصوف وفريد الدين العطار ص ٤٩

ثلاثة ذكر العطار فيها سحجر ولا تدل - كما قال عزام - على أنه يتحدث عن
سحجر حديث الأحياء ولذا فاعتراض الأستاذ عزام مردود ، خاصة وأنه لم
يذكر لنا هذه الأبيات التي يشير إليها حتى يؤكد بها كلامه هذا (١) .

لترك هؤلاء الكتاب السابيين ، وساقش آراء الباحثين في العصر
الحديث لعلنا نظهر منهم بما يصح الأمور في مصابها ولكننا نجد أن
التضارب يسيطر على كتاباتهم أيضاً وهذه طائفة من أقوال الباحثين في
العصر الحديث

ملاحظ أن جارسان دي تاسي في مقدمة ترجمته لمنطق لطير (٢) قد
اكتفى بنقل تاريخ ولادة العطار عن دولتشاه وهو عام ٥١٣ هـ دون أن
يرجح أو يفنده .

أما سيزي Pizzi فقد تابع جارسان ودولتشاه كذلك وحدد تاريخ
ولادته بعام ٥١٣ هـ وأصاب قاتلاً . وقد عاش عمراً طويلاً زاد على مائة
عام وعشرة (٣)

والأستاذ محمد بن عبد الوهاب الفوزي يقول في مقدمة بذكره
الأولياء ، نشر إيران عام ١٣٢١ هـ ، وذلك بعد ذكره ذلك التضارب
الذي وقع فيه المؤرخون قديماً وحديثاً حول تحديد سنة ولادته ومدة
عمره (٤)

« ولذا اختلف الناس في طول عمره ، فالقاصي نور الله ، ومحمد

(١) إني نعم للعطار بشر روحاني إيران ، تهران ١٣٢٩ هـ ص ١٢٤ - ١٢٥ - ١٨٦ .

١٨٨ ، ١٩٢ ، ٩٨

(٢) Mantx Uttair Garcin Paris 1962 P 2

(٣) Pizzi Storia de'la poesia persiana volume I Torino 1894 P 220

(٤) الفوزي : مقدمة بذكره الأولياء للعطار ص ١ ص : و

داراً شكوه في سفينة الأولياء ، وتقي كاشي ، ورض قسيحان يقولون إن
العطار بلغ ١١٤ عاماً ، ولكن من المحقق أنه عاش حتى بلغ السبعين
وبضع سنوات ، فهو يقول في ديوانه ما ترجمته :

« وإذا كان الموت قد أشرف على الوردية مائة مرة ، فمن عمرك قد
حاور السنين إلى ما بعد السبعين بضع سنين . »

ثم يقول . ولا يعلم أنه عاش أكثر من هذا الضدر^(١)

واقزويني يحدد عصر العطار استناداً إلى فترة جاءت في مقدمة تذكرة
الأولياء للعطار^(٢) ، وهذه ترجمتها :

« مثلت ذات يوم أمام مجلد الدين الخوارزمي ، ورأيت به باكباً ، فقلت
حيراً . قال ما أكثر العلماء الذين كانوا يشبهون لأبياء عليهم السلام في
هذه الأمة - فقد قال الرسول - علماء أمتي كأسياء نبي إسرائيل . ثم
يقول القزويني . « وفاة الشيخ مجد الدين كانت عام ٦٠٦ هـ أو
٦١٦ هـ ، فعلى وجه التقريب يعلم أن عصر العطار هو نفسه عصر الشيخ
مجد الدين »^(٣)

وهكذا نجد أن القزويني يهي كلامه دون أن يحدد عاماً معباً لمولد
العطار وإنما اكتفى بالشك في عام ٥١٣ هـ الذي ذكره دولتشاه^(٤) دون أن
يذكر الحجج والأسانيد التي تدعوه إلى هذا الشك .

أما المستشرق الإنجليزي براون فذكر أن مولد العطار كان سابقاً
على ٥٤٥ أو ٥٥٠ هـ^(٥) ولكن دون أن يذكر حججه وأسانيده التي تؤيد
رأيه

(١) القزويني : مقدمة تذكرة الأولياء ج ١ ص : و

(٢) تذكرة الأولياء للعطار ج ١ ص : ٦ إيران : ١٣٢٦ هـ

(٣) القزويني : تذكرة الأولياء للعطار ج ١ ص : ٦

(٤) نفس المرجع السابق ص . و

(٥) براون . تلخيص الأدب في إيران ج ٢ ترجمة الدكتور الشوادهي ص ٦٤٣ القاهرة ١٩٥٤ هـ

ويعلق الأستاذ نفسي على أن عمر العطار قد بلغ ١١٤ عاماً
فيقول : في رأيي إن هذا يكاد يكون محالاً أو في حكم الساذج الذي يفتله
العقل ويسوق على ذلك براميز عدة أهمها^(١) :

كلان العطر - كما يقول هو - من تلاميذ الشيخ نجم الدين كبرى ،
وقد ولد هذا الشيخ عام ٥٤٠ هـ ، وإذا كان العطار قد ولد حقيقة عام
٥١٣ هـ لكان أكبر من نجم الدين بحوالي سبعة وعشرين عاماً ، فهل
يعقل أن يلجأ العطار إلى من يصغره سناً بسبعة وعشرين عاماً ليكون له
مرشداً ، والعطار لم يكن ذا منزلة صغيرة . . . فقد اطع على رعايته
كتب وكان الناس يقصدونه حالين علمه ومعرفة .

ومستند آخر يسوقه نفسي ، فيقول : إن العطار لم يذكر في شعره
أنه بلغ أكثر من التسعين . . . ثم يورد آياتاً يخبرن فيها بأنه وصل إلى
حد ثلثين ، وأنه تعلّى السبعين بل وصل إلى حد التسعين ، فقد قال ما
ترجمته : -

- وهكذا وضع أمره إذ نهض ذلك لشيخ ذو التسعين عاماً ، وقد
عقد الزنار وهو على هذه الحال .

وعلى هذا فالأستاذ نفسي يحدد مدة عمر العطار بتسعين عاماً
بالإضافة إلى أنه يرجح أن وفاة العطار كانت عام ٦٢٧ هـ ، أي أن عام
ولادته - كما يرى - هو ٥٣٧ هـ .

ولكن هذا البيت الذي ساقه نفسي ليس دليلاً قاطعاً لأن لا يتحدث
فيه عن نفسه بل يتحدث فيه عن شيخ آخر . ويشاركني هذا الرأي
الأستاذ فروز انفر والأستاذ روحاني .

(١) هيبي جستجو . . من كج وما بعدها

والأستاذ فروزانفر يرى أن العطار ولد عام ٥٤٠ هـ وأنه عاش أكثر من السبعين ، ولكن أقل من الثمانين ، وهو يؤكد وجهة نظره بعدة قرائن ، هذه أهمها: (١)

١ - إن العطار لم يذكر في شعره أنه بلغ أكثر من السبعين إلا بضع سنين

٢ - إن العطار ذكر بعض المشايخ ذكره للأموات وهم : ركن الدين أكاف للتوفي عام ٥٤٩ هـ ، وأبو منصور مظفر بن أردشير عبادي المتوفي عام ٥٤٧ هـ ، وعبي الدين محمد بن يحيى الذي قتل فيوقعة الغز

٣ - إشارة العطار إلى حادثة قحط بنيسابور في بعض كتبه إشارة شخص لم يكن حاضراً لها وقد وقع بنيسابور أكثر من قحط عام ٥٣٢ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ هـ (٢)

ولكن بعد أن ذكرنا كل هذه الآراء التي قامها جمع كبير من أصحاب التراجم والباحثين ، أي التواريخ نراه صحيحاً لمولد العطار ؟

في رأيي أن أصح التواريخ لولادة العطار ما يقع بين علمي ٥٤٥ : ٥٥٠ هـ . وذلك لعدة أجلة :

أولاً : الرأي القائل بأنه ولد عام ٥١٣ هـ رأي خاطئ . فأول من رد هذا التاريخ دولتشاه وهو معروف بأغلاطه وأخطائه ثم تناقله المؤرخون من بعده ، كما أن هذا التاريخ مرفوض كذلك استناداً إلى الأدلة التي ذكرتها من قبل نقلاً عن الأستاذ نفيسي والأستاذ فروزانفر

(١) فروزانفر شرح أحوال وبنده ص ٦-١٦ طهران ١٣٣٩ ١٣٤١ هـ

(٢) راجع أخبار سوات القحط في كنف الكاس في التاريخ لاس الأئمة حرولت سنة ٥٣٢ هـ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ هـ

ثانياً إن المعطر لم يذكر أنه بلغ أكثر من السبعين إلا يصح
سين ، وأقواله بطبيعة الحال خير مصدر يعتمد عليه في تاريخ حياته ، فهو
يقول محدثاً نفسه ما ترجمته :^(١)

- إن كنت قد قصبت سبعين عاماً ، وليس هذا بعجيب ، ولكن
العجيب أن نفسي تزداد سوءاً في كل لحظة .

كما قال ما ترجمته :

- لقد جثم الموت أمام مدخل الوادي مائة مرة ، والآن تخطى عرك
السين ووصل إلى ما بعد السبعين بضع سنين .

وعلى هذا فلا يستطيع أن نقول إنه عاش أكثر من السبعين إلا يصح
سين ، وإذا كنا نفترض بأن وفاته كانت عام ٦٢٧ هـ^(٢) يعني هذا الغرض
يكون مولده ما بين عامي ٥٤٥ ، ٥٥٠ هـ .

ثالثاً : إن عوفي - وهو المعاصر للمعطر - اعتبر العطار من الشعراء
الذين عاشوا بعد عصر سنجر^(٣) ، ونحن نعرف أن سنجر توفي عام
٥٥٢ هـ فلو كان العطار قد ولد عام ٥١٢ هـ لكان قد عرف كشاعر قبل
وفاة سنجر ، وعلى هذا فهو لابد وأن يكون قد ولد في أواخر حكم
سنجر ، بين عامي ٥٤٥ ، ٥٥٠ هـ كما حددنا .

ولكن بعد كل هذا ، هل يعد هذا التاريخ الذي حددناه لمولد
المعطر قاصداً؟ بطبيعة الحال . لا ، ولكنه أكثر التواريخ قبولاً في رأيي ،
إلى أن يظهر الدليل القاطع بعد ذلك في أثر من آثاره المفقودة

(١) الأبيات التي يذكر فيها أنه موجوداً يبحث الأستاذ مهدي جسنجو ص ١٠٠ لا .

(٢) مرجع هذا التاريخ مبني على ما فيها بعد انتهاء الحديث بالتعجيل عن تاريخ وفاته

(٣) قروانغر شرح أحوال ونقد ص ٦٠

ثالثاً : دخوله في الطريق الصوفي

عرف مريد لدين اليسابوري بالعطار لأنه كان يعمل بالعطاره والطب ، ويقال إن العطار قد ورث العطرة عن أبيه الذي اكتسب منها ثروة طائلة حتى قيل إنه أصبح مالكاً لجميع حوانيب العطاره في نيسابور^(١) ولكن هن ظل شاعرنا طوال حياته عطاراً وطبيباً^(٢)

بالإجابة على هذا السؤال نجد أن الشائعات تتدخل ، ونحاول أن ننسح حوں هدد القصية هاله من الأقويل والأطويل

يقول عبد الرحمن الحامسي في كتابه نغمات الأس : « ذات يوم كان العطار في دكان عطوره فجاءه هناك فقير ، وقال له عدة مرات : أعطني شيئاً لله ، سم يابه بالفقير . فقال الفقير : أيها السيد كيف تموت ؟ فقال اعطار : كي ستموت أنت فقال الفقير : أيمكث أن تموت مثلي ؟ فقال العطار : نعم فوضع الفقير قدحه تحت رأسه وقال : الله ! وأسلم الروح فتغير حال العطار وتخلص من متجره توأ ، وجاء إلى هذا الطريق^(٣) »

ورواية دولتشاه مريد من هذه الرواية ، وإن كانت لها بعض الإضافات البسيطة . ويحتمها دولتشاه بقوله : « وذهب إلى صومعة الشيخ العارف ركن الدين الأكاف ، وطلب التوبة على يد هذا الشيخ ، وشغل بعد ذلك بمجاهدة نفسه والرياضة الروحية ، وظل في حقة الدراوش عدة سنين . . . »^(٤)

(١) Rouhani Le livre Divin Paris 1961 P 13

(٢) جنمى نغمات الأس تعريب النقشبندى مطبوعة بدار الكتب المصرية ح ٩٧٩٥ ورفه : ٣٦١

(٣) دولتشاه : تذكرة الشعراء ليدن ١٩٠٠ ص ١٨٨

ويفهم من روايتي جامي ودولتشاه أن تحول العطار إلى التصوف كان فجائياً ، وهذا الأمر يدعو إلى الشك والريبة ، وهناك أكثر من دليل على كذب هذه القصة .

أولاً ، كان العطر نفسه مولعاً بالصوفية منذ صغره ، فهو يقول في مقدمة تذكرة الأولياء ما ترجمته :^(١)

وباعث آخر - لتأليف الكتاب - هو أنني بلا سبب كنت أشعر منذ الطولية بمحبة زائدة تجاه هذه الطائفة تموج في قلبي ، كما كانت أفواهم تسعدني في كل أونة

أي أنه كان بالصوفية شعوقاً منذ الصغر ، وعلى هذا فإننا نستبعد أن يكون قد تحول تحولاً مفاجئاً إلى الطريق الصوفي

ثانياً يحبر العطار بأنه ألف « مصيبت نامه » ، « وإلهي نامه » في دكانته حيث قال ما ترجمته :

- مصيبت نامه وهي حسرة العالم ، وإلهي نامه وهي الأسرار المشهودة

- بدأتهما في الصيدلية وسرعان ما فرغت من كتبهما .

وعن هذا فالعطر كان صوفياً قبل أن يهجر دكانه ، وإحقاقاً الصوفية في هذين الكتلين لا يمكن أن يتفوه بها مريد جديد ، بل صادرة عن شيخ خبر الطريق وعرفه معرفة تامة .

ولكن ، إذ كان العطار صوفياً منذ صباه ، فلم هجر دكانه ؟

(١) العطار ، تذكرة الأولياء ج ١ ص ٥٠ إيران : ١٣٢١ هـ

لا بد وأن حالة الوجد علبت عليه وزاد عشقه الصوفي ، فأصبحت
العطارة حجاباً في طريقه ، وعلى عادة الصوفية ، تخلص من هذا
الحجاب ، ومن كل العلائق الدنيوية وتوجه إلى الخاتمة ، ليكون حاله
للعبادة وليحصل أكبر قدر من المعرفة الإلهية والحكمة الدوقية

ولكن ، ما مدى صحة ما قاله دولتشاه من أن لعطار بعد أن ترك
دكانه توجه إلى صومعة الشيخ ركن الدين الأكاف؟

للإجابة عن هذا لسؤال يحسن به أن نكلم عن شيوخ العطار .

رابعاً : شيخ العطار

اختلف الباحثون فيما بينهم حول الشيوخ الذين اتصل بهم العطار
أو تأثر بهم فمن قائل إنه كان أرسياً ، وآخر يقول أنه من أتباع نجم
الدين الكبري ، وثالث يرجح أنه من مريدي الشيخ ركن الدين الأكاف ،
ورابع يرى أنه من أنصار الشيخ محمد الدين البغدادي ، وخامس يستنتج
من مدائح العطار للشيوخ أنه كان من أنصار الشيخ أبي سعيد بن أبي
الخير . . .

وقبيل أن نصل إلى رأي قاطع في ذلك يحسن منا أن نذكر بعض هذه
الآراء تفصيلاً

يقول دولتشاه إن العطار بعد أن هجر دكانه توجه إلى صومعة ركن
الدين الأكاف ، وعاش فيها فترة يتعبد وذلك ، بالمجاهدة والرياضة
الروحية . . .^(١)

(١) دولتشاه - ص : ١٨٨

معنى ذلك أن العطار من مريدي هذا الشيخ ، وإذا كنا انتهيا إلى أن العطار ولد بين عامي ٥٤٥ هـ و ٥٥٠ هـ فلا يمكن أن يكون من مريدي هذا الشيخ لأن ركن الدين الأكاف توفي عام ٥٤٩ هـ^(١).

ويقول دولتشاه أيضاً ، إن العطار قد أصاب الطريق بنظرة وقعت عليه من الشيخ قطب الدين حيدر والعطار ما زال في دور الطفولة ، ولذا فإن العطار ألف كتابه « حيدر نامه » إهداء لهذا الشيخ^(٢).

ولكن هذا القول مردود كذلك ، لأن حيدر نامه من الكتب المشكوك في صحة نسبتها إلى الشيخ العطار ، كما أن فروزانفر يصيف إلى ذلك قوله : « إن هذه الرواية لا أساس لها من الصحة وقد انفرد بروايتها دولتشاه دون غيره »^(٣)

وعلى هذا فحس لا نستطيع أن نصدق هذا القول .

ويقول جامي : إن البعض يقولون إن العطار أويسي^(٤)

والأستاذ فروزانفر يشرح لنا المقصود بالأويسية ، فيقول :

وأويسي في تعبيرات الصوفية يقصد به الشخص الذي لا يأخذ بظاهر المشيخة ، وإنما من استمداد بروحانية الرسول المعظم أو أحد المشايخ ، ومن اكتسب الفيض وقد طهر باطنه وأضاء بنور المعرفة قلبه ،

(١) ابن الأثير حوادث : ٥٤٩ هـ

(٢) دولتشاه تذكرة الشعراء ص ١٩٢ لندن ١٩٠٠ م

(٣) فروزانفر : شرح أحوال . . . ص ٣٩

(٤) صحت الأنس : تعريف النفسيندي ورقة ٣٦١

وتم سيره وسلوكه بتأييد من روحانية ذلك الشيخ^(١)

ولكن لا نعلم أن أوبس العربي قد أسس مذهباً أو طريقة صوفية ، كما لم نخبرنا أحد معاصريه بأنه كان صوفياً بل كان راهداً ، ففي وقته لم يكن للصوفية وجود ، إذ أن الصوفية بدأت في الظهور في لعام الأخير من القرون الثاني وأوبس كان من رجال القرن الأول الهجري

ويقول فروزانفر إن مدح العطار بلشيخ أبي سعيد بن أبي الخضر كمدح المريـد لشيخه ، دليل آخر على أن العطار لم يكن أويسياً^(٢) .

ويقول حلمي كذلك وهو - أي العطار - مريد للشيخ محمد الدين البغدادي^(٣) ثم أورد ما حدث بينهما وأنته العطار في مقدمة تذكرة الأولياء .

حقيقة كانت هناك لقاءات بين عطار وغيره من متصوفة زمانه ، ومن هؤلاء الدين الضي هم الشيخ محمد الدين البغدادي المقنول عم ٦٠٦ هـ . أو ٦١٦ هـ " وهذه اللقاءات كان يحدث فيها تأثير وتأثر ، فلا أشك في أن العطار قد تأثر بهذا الشيخ ولكن ليس كل التأثر ، وأعتمد في هذا الرأي على ما جاء في كتابه تذكرة الأولياء ، لأننا لا نشك في صحة نسب هذا الكتاب إلى العطار ، ولأن الروايات التي ذكرت عن اتصال العطار بشيوخ آخرين لا تعتمد على سند قوي من مؤلفات العطار يمكن أن يفت إلى حوار هذا السند .

(١) فروزانفر : شرح أحوال . ص : ٣١

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٢

(٣) جامي : صحاح الأس ، تحريـب النـشـنـدي . ورقة رقم ٣٦١

(٤) براون : تلويح الأدب في إيران ج ٢ ترجمة الدكتور الشواربي ص : ٦٢٩ .

ويقول الأستاذ فيسي^(١) - اعتماداً على قول الشيخ سليمان بن إبراهيم صاحب كتاب بتاييع المودة - إن العطار كان من أنصار الشيخ نجم الدين كبرى . ويستدل على ذلك بما قاله العطار في كتاب مظهر الصفات ص ٢٩٥ : كنت عند شيعي وسدي الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره ، فحدثني هذا الحديث فغلب عليه الوجد والحال لقوي فكبت معه فحمرت الدنيا في أعيننا ، وقلعنا حب الدين عن قلوبنا .

كما قال في نفس الكتاب ص : ١٣٧ : كنت ذات ليلة عند شيعي وسدي الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره ، فحدثني هذا الحديث فغلبت عليه الروح والحال اقوي ويكبت فحمرت الدنيا في أعيننا .

معنى هذا أن العطار كان مريداً للشيخ نجم الدين الكبرى ، ولكن إذا عرفنا أن الشيخ سليمان اعتمد في ذلك على كتاب مدسوس على العطار ولم يستند أحد مطلقاً إلى العطار قبل عام ١٢٩١ هـ^(٢) - سنة تأليف بتاييع المودة - وهذا الكتاب هو مظهر الصفات ، ويرجح أنه نفس الكتاب المعروف باسم « مظهر المعجيب » الذي ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه لعطار آخر . وعن هذا فاعتبار العطار من مريدي الشيخ نجم الدين كبرى قول مردود لا يوجد ما يؤيده من الأسانيد القوية .

ويقول الأستاذ فروز مهر إن لعطار قد تأثر بالشيخ أبي سعيد ابن أبي الخير المتوفى عام ٤٤٠ هـ . والدليل على ذلك أنه أكثر من مديحه فقد ذكره في تسع حكايات بمصيب ناله وفي خمس حكايات بالهي ناله وفي ثلاث حكايات بمسقط الطير ، وفي حكاية واحدة بأسرر ناله . وكل هذه الحكايات تعظم أبا سعيد غاية التعظيم^(٣) .

(١) فيسي . جستجو ص ١٠٤

(٢) فروز مهر . شرح أحوال ص ٣٢ وما بعدها

وهذا ليس بعريب لأن طبيعة الشاعر تنزع دائماً إلى الشعر والشعراء
مما بالك إذا كان أبو سعيد وانعطار يتعمقان في أكثر من صلة ، أولها صلة
الشعر ، وثانيها صلة التصوف ولعمري كما أن لعطار بشير في بعض
أبياته إلى أن ما وصل إليه من علم ومعرفة مستمد من روحانيات الشيخ
أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير^(١) :

- إنني أدرك أن كل حظ أجده في هذا الزمان من أنفاس أبي
سعيد .

- كما أنني أحصى في كل خطه ، نصيب وافر من سبل مذهبه .

ولكنني أصيب إلى هؤلاء كلهم شبحاً آخر ما زال أثره قوياً حتى
الآن في تفهمنا لديننا الإسلامي ، هذا الشيخ صاحب التأثير في المطار هو
أبو حامد الغزالي ، والأدلة على ذلك كثيرة :

أولاً . كان أبو حامد العراقي شافعيّاً ، وقد تابعه العطار في ذلك

ثانياً . أول من أعلن الحرب على الفللفة كان الإمام الغزالي وقد
تابعه العطار في هذه الحرب (وسأشير إلى ذلك تفصيلاً فيما بعد)

ثالثاً : العطار متأثر في بعض قصصه بالعراقي وخير دليل على ذلك
قصة منطلق الطير نفسها فقد أخذ أصولها عن « رسالة الطير للعراقي »
وسأشرح ذلك عند الحديث عن منطلق الطير بين الحق والباطل ،

وكذلك أحد العطار أصول قصة الشيخ صنعان عن الفصل اعلم
من تحفة الملوك للعراقي (وسأشير إلى ذلك أيضاً عند الحديث عن قصة
الشيخ صنعان) .

(١) المجمع السائر مثلاً عن ديوان العطار ص ٢٥٠

رابعاً : لقد قام الخراي بالتدريس فترة بسبأبور^(١) ولا بد وأنه ترك
أثراً عظيمة بها ، فكان لها أثرها في تفكير العطار بعد ذلك

وبناء على كل ما تقدم فإنني أميل إلى أن العطار قد تأثر بأكثر من
شيخ ، وأنه لم يكن يتبع طريقة معينة من الطرق الصوفية التي كانت
سائدة في عصره ، وإنما أخذ من كل طريقة ما كان يروق له منها

خامساً : ثقافته

أول ما يتطرق إلى ذهن من ثقافته العطار هو ما ينصل بحلصه ،
واقصد بذلك من الطب والتطبيب ، وعمده في هذا المجال في بداية حياته
غير دليل على أنه كان عالماً بأصول الطب المعروفة في عصره ، وهو يشير
إلى ذلك في منظومته مصيبت^(٢) فانه يقول ما ترجمته

كان بالصيدلية كل يوم حمساته شحخص يظلمون مي أب أحسن
نصهم .

ويقول بعض المؤرخين^(٣) إن أستاذه في هذا الفن هو عبد الدين
البيدادي الطبيب الخصاص للسلطان محمد حواري مشه^(٤)

ولكنني اعتقد أن معلم لعطار الأول لمن الطب ولده فقد كان
عطاراً هو الآخر ، فحدث العطار عنه مهنته

ومالطفر إلى مؤلفاته لعديدة يستطيع أن يستنتج أنه كان على علم
كبير بأصول الفقه الإسلامي ، كما كان يقرأ حافظاً ولحديث مطلقاً ،

(١) القروبي : مقدمة تذكرة الأولياء للعطار ص . هـ

(٢) فروزانفر . شرح أحوال . . ص ٣٨ يستشهد إلى قول فروزانفر

ولعلم الكلام دارساً فكثيراً ما يتحدث عن مسائل فقهية في كتاباته أو يستمد فكرة من معاني القرآن والحديث .

وكان العلم النافع في عقيدته هو الفقه والتفسير والحديث وما عدا ذلك لا فائدة منه للإنسان ، ولا يصل به إلى حد النجاة^(١)

وقصص العطار الخاصة بأحبار السلاطين والملوك أمثال محمود
المرنوي وسنجر وخوارز مشاء والاسكندر توصلح لنا أن العطار كان على
علم كبير بالتاريخ .

والعطار بجانب ذلك كان شغوفاً بقراءة سير السائقين من المسيح
والأنبياء ، وكتابه « تذكرة الأولياء » خير دليل على ذلك . وقد قرأ كتباً كثيرة
حتى يجمع مادة هذا الكتاب حتى وصل مجموع ما قرأه من كتب السير
والتراجم أربعين كتاباً^(٢) والعطار ، رغم إعلانه الحرب الشعواء على
الفلاسفة والفلسفة ، كان على علم بالفلسفة وعلم الكلام ، وخير دليل
عن ذلك تناوله فكرة وحدة الوجود ووحدة الشهود في كتابه منطق الطير .
كما أنه تأثر بالفلسفة في مسأله تفاوت الجسم والروح ، وكذلك بخصوص
حركة الجوهر وسير أجزاء العالم محسوب الكم إلى المطلق والثواب والنعقاب
الأخروي^(٣) .

والعطار كأي شاعر - اطلع على الإنتاج الأدبي لسابق عليه وكذلك
كان على علم بالأوران والقوافي والموسيقى ، وكل ما يساعده على الجودة
وحسن الصنعة في نظمه

وقصة الشيخ صعيان تخبرنا أن العطار كان على علم تام بالديانات

(١) نورانفر شرح أحوال ص ٤٩

(٢) دولتشاه تذكرة الشعراء ص ١٨٧

(٣) نورانفر شرح أحوال ص ٤٣

السيادية السافرة ، وعلى معرفة بأصولها ورسومها .

أصف لي فنون ثقافته سعة إدراكه لقوانين علم الجيوم ، وبعض أقواله تتضمن حلاً لبعض مظاهر الطبيعة وأسرارها ، وحير دليل على ذلك تلك الحكاية التي وردت بمنطق الطير نسخة باريس ص ١٤٤ وتضمن أروام الأبيات من (٣٦١٦) إلى (٣٦٢٦) .

بعد هذه النظرة إلى ثقافة لعطار يمكن أن نقول إنه كان على إمام كبير بأغلب فنون الثقافة في عصره ، شاعر عظيم ومفكر كبير كالعطار سم يكن يرضى أن يترك ما من فنون ثقافة في عصره دون أن يطلع عليه ويأخذ بنصيب منه .

سادساً : نظرتة إلى الفلسفة والفلاسفة

تلح العطار الحملة الشعواء التي بدأها أبو حامد العراقي ضد الفلسفة محاول الإقلال من شأنها ومن شأن المشتغلين بها ، وذلك لأن الفلسفة تتصل بالعقل والعطار ينفر من العقل ويجعله قصراً أمام إدراك الأسرار الإيمية ولذا فإن العطار يجعل الفلسفة هي الأخرى ماصرة أمام عالم الروحانيات ، بل إنه يفصل الكمر عن الفلسفة ، فقد قال في آخر منظومته منطق الطير^(١) ، ما ترجمته :

- وكيف تعرف عالم الروحانيين من بين حكمة اليونانيين ؟

- ولن تكون رجلاً في حكمة للدين إن لم تفارق هذه الحكمة .

- وكل من يحمل هذا الاسم (أي فيلسوف) في طريق العشو ،

(١) منطق الطير : نسخة باريس ١٨٥٧ ص ١٧٨

فلن يكون حبراً في مجال الدين بالعشق .

- وسحق المعرفة ، كم أفضل لها كاف الكسر على ماء الفلسفة
ولكن ، ماد وقف العطار هذا الموقف من المصنعة والملازمة بقول الأسناد
فروزانفر ، ربما أن السبب الأصلي الكامن وراء ذمه الحكمة والفلسفة
يرجع إلى أن أكثر المعلمين والمتعلمين هذا العصر في تلك الأيام ، كانوا قد
أصبهم بالحمود على أقوال ومصنفات أبي نصر الفارابي وأبي علي بن
سينا ، وحمدوا على الآراء المثقولة عن حكماء اليونان ، وأن النظرة الحرة ،
الطليقة كانت تعوزهم بعكس الأدب والفقه ، فقد
كان الأدباء والمفهاء يستندون في 'قواهم' إلى القرآن الكريم وأحدث وكل
ما يتعلق بالدين^(١)

وبطبيعة الحال تابع العطار مفكري عصره في ذلك ودعا إلى الاعتماد
على القرآن وأحدث وهجر الفلسفة وحكمه اليونانيين ، فقال أيضاً ما
ترجمته^(٢)

- ويكفي رجل الدين حكمة لسيرة (المحمدية) ، هشر الشراب
على مرقق اليونانيين من طريق الدين^(٣)

وإذا كان موقف العطار هكذا من الفلسفة ، فلا بد وأن يكون له
نفس الموقف من علم الكلام فهو يقول^(٤) :

- ولكن إن يقطع علم الخذل الطريق ، فهو هكذا كثيراً ما يقطعه
على العارفين .

على الرغم من أن العطار كان يحارب الفلسفة والفلاسفة ، وكذلك

(١) فردرمانر شرح أحوال ص ٤٨٠

(٢) مطلق الطبرستان بريس ١٨٥٧ م - ص ١٧٨

(٣) نفس المرجع نفس الصفحة

علم الكلام ، إلا أنه بلا شك قد تأثر بمسحهم في الكلام ، وقد أشرب إلى ذلك من قبل^(١).

كما أن طبيعة التصوف لا تتفق مع طبيعة الفلسفة وعلم الكلام ، فالتصوف يعتمد على القلب أما الفلسفة وعلم الكلام فيعتمدان على العقل ، ولعل مدموم لدى الصوفية وعلى هذا فليس عرياً أن يهاجم العطار الفلسفة وعلم الكلام رغم تأثره بمسحهم في انعزض والاستدلال .

سابعاً : مذهبه

احتتم الباحثون قديماً وحديثاً حول تحديد مذهب العطار ، فبعضهم يقول إنه من أنصار المذهب السني ، والبعض الآخر يدعي أنه شيعي متعصب ، والبعض يجمع بين الرأيين ، فيقول إنه شيعي ، ولكنه كان يظهر أنه سني حتى لا يتعرض لعنت أهل السنة وإبدائهم

ولكي يعرف الحقيقة يجب أن نعرض لحملة من الآراء ثم نبحث عنها بعد ذلك مستنديين إلى أقوال العطار وظروف حياته

يقول « حارسان دي ناسي » في مقدمة ترجمته العربية لمطو الطير .

كان العطار سنياً لا شيعياً وهو يناصر الخلفاء لثلاثة الأول في مقدمة مطبوته - منطق الطير - وإن أفكر العطار السنية تبعد كثيراً عن الفرس عن قراءة مؤلفاته^(٢)

ويقول الأستاذ نفيسي : إن العطار سني شافعي^(٣)

(١) رجع ص : ٢٦ من هذا البحث

(٢) Garcin Manue Attair P 5 Paris 1862

(٣) نفيسي جستجو ص ١٥٩

ويقول الدكتور عرام : إن العطار سني متشدد^(١)

ويقول الأستاذ فروزانفر : إن ظاهر آثار العطار توحى بأنه سني المذهب ، فهو يمدح الخلفاء الثلاثة الأول ، كما يمدح الشافعي وأبا حنيفة^(٢) . . .

هذه آراء الباحثين الذين يرون أن العطار كان سني المذهب وعلينا أن نعرض بعدها لمحنة من آراء الباحثين الذين يرون أنه كان شيعي المذهب .

اعتبر القاضي نور الله الششنري العطار شيعياً خالصاً ، وقد أول كل مدائحه لصحابة الرسول عليه السلام ليثبت أنه شيعي^(٣) .

ويقول المستشرق الرومي « بارتلس » مما لا شك فيه أنه - أي العطار - قد قاسى كثيراً من أحل عهده الشيعية المتعالي فيها ، ولذلك حكم عليه بالقتل إلا أنه تعلق بأذيال الفرار ، وبذلك فقد كل ثروته حتى أصبح في شحوخته شديد الفقر ، ومات في منفى ، وأعطى الظن أن موته كان في مكة^(٤) . . .

لا شك أن الأعلام تكثر بهذه العبارة ، فلم يحدثنا أحد أن موته كان بمكة ، فالكل يعترف بأنه مات في نيسابور ، وفبره بها حتى الآن ، والظاهر أن بارتلس اعتمد في ذلك على « لسان الغيب » و« مظهر العجائب » المندوسين عن العطار ، وعلى هذا فاقوال بارتلس بحجتها التوفيق تماماً .

(١) عرام : التصوف وفريد الدين العطار ص : ١٢٢

(٢) فروزانفر : شرح أحوال . . . ص : ٥٣

(٣) نفس المرحم السابق ونفس الصفحة

(٤) Bertels: Otchei Iston Persidskoy literaturi ١٩٢٨ م ص ٥٧

ويتابع حان ريبكا - المستشرق الألماني - أقوال لارنلس فيقول ^(١)

« بالرغم من أنه - أي العطار - تربي تربية متأثرة بالتشيع ، فإن مؤلفات معاصريه تدل على أنه كان سنياً ، ولعل ذلك منه بقية لأنه في النهاية يقر بالتشيع ، وهذا ما عرصه للاضطهاد من أهل السنة حتى أنهم هبوا دله وهددوه بالقتل ، وإن كان هذا لا يبدو صحيحاً والأرجح أن سب حقد أهل السنة عليه يرجع إلى حلاته المبكرة عن علماء السنة ، وذلك لتهالكهم على حب الدنيا وعلى ريائهم ونفاقهم ولكرههم للتزك . . . »

ويوضح لنا بروان - المستشرق الإنجليزي - الأساس الذي سبى عليه بعض المؤرخين كلامهم عن اضطهاد العطار وفراره إلى مكة خوفاً من القتل فيقول ^(٢) :

إن العطار سب إليه كتاب « مظهر العجايب » وهو عبارة عن منظومة في مدح علي بن أبي طالب . . . ويبدو أن نشر العطار هذه المنظومة كان سبباً في إداعته روح لسطر والنصب لدى أحد الفقهاء السنيين من أهل سمرقند ، فأمر بإحراق نسختها وأنهم صاحبها بالإلحاد وأنه حقيق بالموت والإعدام ، ثم أمعن في الكيد له فاتهمه بالكفر لدى براق التركماني وحرموا العامة عن هدم منزله والإغارة على أمعته ، واضطر العطار بعد ذلك إلى أن يرحل ويلجأ إلى مكة . . .

ويعنى ، الأستاذ جولبرلي المترجم التركي لمنطق الطير - على هذه الحكاية وأمثالها فيقول :

Rypka Iranische literature - geschichte Leipzig: 1959(١)

(٢) بروان : تاريخ الأدب في إيران ج ٢ ص ٦١٥

« ويؤخذ من هذا كله أنه في القرن التاسع الهجري أو بعد هذا القرن وجد عطار آخر أو كتبت كتب باسم العطار ، كتبها شيعي باطني ، وإن كتب مظهر المعانيب ولسان الغيب وشرنامة وما يشبهها قد كتبت باسم العطار لترقم بالتنشيع المعالي فيه وقد تكون هذه الكتب من تصنيف هذا العطار الآخر »^(١) .

وفي رأي أن العطار كان سنياً ولم يكن شيعياً ، فكل كتبه ومنظوماته تثبت ذلك ، فما ألف منظومة إلا وأثبت فيها مدح الخلفاء الراشدين جميعاً ، ولم يفضل واحداً منهم على الآخرين ، أما إذا كانت منظومة من منظوماته قد وصلتنا وقد حلت من ملح الخلفاء الثلاثة السابقين فلا شك أن بعض علاة الشيعة قد مدوا أيديهم هذه المنظومة ورفعوا منها ملح أبي بكر وعمر وعثمان .

كما أن العطار يعلن حرباً شعواء على التعصب والتعصبين في مقدمة « منطق الطير » حتى أنه اعتبر التعصب جاهلاً فهو يقول^(٢) :

يا من وقعت أسير التعصب وطللت أبدأ أسير البغض والحب ، إن كنت تفخر بالعقل واللب فكيف وقعت أسير التعصب ؟ فيا جاهلاً لا رغبة في الخلافة إذ كيف تنأى الرعية لدى أبي بكر وعمر . . ؟

ولكن إذا سلمنا بأن العطار كان مني المذهب فأبي مذهب من مذهب السنة كان يتبع ؟

• يكاد أغلب المؤرخين في العصر الحديث يجمعون على أنه كان شافعيًا^(٣) خاصة وأن الصوفية في ذلك العصر - في الغالب - كانوا يفضلون

(١) جوبنارلي : الترجمة التركية لمنطق الطير ص : ٥ استنبول : ١٩٩٩ م

(٢) منطق الطير نسخة باريس ١٨٥٧ ص : ١٨ - ١٩ ، ٢٠ - ٢١

(٣) نصيب : جستجو . . ص ١٥٦

المذهب الشافعي على غيره^(١)

ولكني أعتقد أن العطار لم يكن متعصباً في شافعيته - إذ كان حقيقة شافعيّاً - والأدلة على ذلك كثيرة .

أولاً . لقد ذكر أن حبيبة وترجم له ومدحه في كتابه تذكرة الأولياء كما ذكر الشافعي .

ثانياً . إن الشيخ السبكي صاحب طبقات الشافعية الكسرى لم يذكر اسم العطار بين الشافعية الذين ذكرهم .

ثالثاً . إن العطار خص أحمد بن حنبل بحكاية من حكايات منطق الطير^(٢) ولم يخص الشافعي بحكاية مثلها .

رابعاً . إن لصوفي طبيعته يحاول أن يكون فوق المذهب ، وإن كان في بعض المسائل الفرعية يرجع فتوى أحد هؤلاء المشايخ لأربعة على الآخرين ، ولكنه لا يتقيد بالبيعة لواحد معين^(٣) .

خامساً . إن ذم العطار لتعصبه ينطبق على التعصب بين السنة والشيعة أو بين الفرق السنية بعضها والعصمى الآخر ، خاصة وأن هذا العصر كثرت فيه المشاحنات بين الشافعية والحنفية^(٤) .

ثامناً : بعض النكات في حياته

من المعروف عن الأدباء عامة والشعراء خاصة في القرون الوسطى

(١) دحيح الله صفا تاريخ أدبيات إيران ج ٢ ص ١٤٢ طهران ١٣٢٩ م ش

(٢) مطهر الطير نسخة باريس ١٨٥٧ م ص : ١٠٤

(٣) فروزانفر . شرح أمخوان . ص ٥٨

(٤) ابن الأثير ج ٩ ص : ٥٩

أنهم كانوا ينتقلون بين قصور الملوك والأمراء مادحين من يدفع أكثر ،
جاعلين المستهم أبواق دعاية هؤلاء الملوك والأمراء فلم تكن هناك صحافة
ولا إذاعة فكان الشعراء هم الذين يقومون بمهمة وسائل الإعلام في عصرنا
الحديث ، وبالطبع كان الشاعر يفي نفسه في مدوحه ، يقول ما لا يعتقد
ويمح من لا يستحق أملاً في المبات والمطايا .

فهل كان مريد الدين العطار على شاكلة هؤلاء ؟

لم يؤثر عنه أنه فعل ذلك فقد كان مريد الدين على ثراء في بداية
حياته ، فذلك الشخص الذي يأتيه كل يوم خمسمائة مريض فيحري
الكشف لظهي عيهم ويبيع الدواء هم ، لا بد وأن يكون ثرياً ، وليس في
حاجة لأن يستجدي أي مدوح .

كما لم يؤثر عن العطار أنه أهدى كتاباً من كتبه إلى أحد أو حتم
منظومة من منظوماته بمدح ملك أو أمير ، كما فعل سائس الشعراء
لصوي ، فقد حتم « سير العباد إلى المعاد » بمدح « أبي المقاهر سيف
الدين محمد بن منصور » قاضي سرخس^(١)

والدليل على أنه لم يمدح أحداً في حياته موجود في كتاب منظو الطير
حيث قال ما ترجمته^(٢) :

- شكر الله ، فلم ألق إلى قصر ، ولم كن دليلاً لكن حقير .

- ولم أطعم غبى ظالم مطلقاً ، ولم أحنم كتاباً يذكر أحدهم مطلقاً .
ولكن من مثل العطار على هذه الحال من الثراء والنفى ؟

أظن أن حاله تبدلت بعد أن هجر الصيدلية ، وأمه وصل إلى حالة

(١) سنائي سير العباد إلى المعاد ص ٧٩ وما بعدها طهران ١٣١٦ هـ ش

(٢) منظو الطير نسخة باريس ١٨٥٧ ، ص : ١٧٩

قرية من الفقر ، فكان طعامه الخبز الحاف يبلله بدموع عبده ، حيث قال^(١)

- وعندما أقيم مائدة من حبر حش ، فإنني أبلله بدموع عيني

كما يبدو من شعره أيضاً أنه كان يمس العرلة ولا يترك في الحلق ،
حتى أنه شبه نفسه في الديوان بمالك الخزين^(٢)

- يقولون لي : ماله قد أثر العرلة ، لا ؟ إني أصدق الله في هذه لعرلة .

- ولا صديق لي بين الخلق ، وإن كنت أفعل ذلك فهذا لأنني في الطبع
كمالك الخزين .



وشيء آخر رده الباحثون كثيراً ، وانقسموا في الرأي إزاءه ، هذا
الأمر هو لقاء حلال الدين الرومي بالعطار ، فهل التثنية حقيقة ؟

قال براون : « وصل الوالد - بهاء الدين ولد - حتى اجتاح مدينة
بسابور في سنة ٦٠٨ هـ = ١٢١٢ م وزار هناك الشيخ « فريد الدين
العطار » ويقال إن هذا الشيخ أخذ الطفل « حلال الدين » بين ذراعيه
ويشره بمستقبل عظيم ثم باركه وأعطاه سحرة من منظومته « إلهي
نعمه » ... »^(٣)

ويقول البعض إن هجرة بهاء ولد كانت عام ٦١٦ هـ أو
٦١٧ هـ^(٤) ولكن جامي كان قد ذكر أن الكتاب الذي قدمه لعطار لمولانا
هو « أصرار بامه » لا « إلهي بامه » كما ذكر براون .

(١) نفس السحرة ونفس الصفحة

(٢) الفروسي مقدمة تذكرة لأوباه (مطلع الديوان) ص ١٣٢١ هـ

(٣) براون تاريخ الأدب في إيران ج ٢ ص ٦٥٤ ترجمة الدكتور اشواربي

(٤) هورانسفر : شرح أحوال ... ص ٦٩

(٥) جامي : صفحات الأنس : تعريب النقشبندی ورقة رقم ٣٦١٠

وليس هذا بغريب ، فمن عادة الصوفية أثناء الرحيل الإسراع بلقاء كل رجل مشهور تسنح لهم الفرصة لزيارته - خاصة وإن المطار كان من الرجال المشهورين والشعراء البارزين ، ولا بد وأن بها - وقد كان على شوق لرؤيته ، فانتهاز هذه الفرصة^(١)

في أن هذا اللقاء لا غرابة في حدوثه إذا عرفنا أن التواريخ التي ذكرت كلها لحدوث اللقاء سابقة على وفاة المطار

هذه بعض السمات التي مرت بها حياته وبسبب كلها ، وكتب التراجم راحره بمثل هذه السمات ، مما يجعلنا أكتفى بهذه البذرة البسيطة دون الإفاضة في هذا الأمر أكثر من هذا الحد .

تاسعاً : وفاته :

كما اختلف الباحثون قديماً وحديثاً حول تحديد سنة ولادته ، فقد اختلفوا في تحديد سنة وفاته حيث تضاربت الأقوال تضارباً عالياً ، فأول تاريخ حدد لوفاته هو عام ٥٨٦ هـ وآخر تاريخ هو ٧٢٧ هـ^(٢)

مجلدي قد حدد عام وفاته بعام ٦٢٧ هـ^(٣) ، ودولتشاه ذكر ثلاثة تواريخ لوفاته هي ٥٨٩ هـ ، ٦١٩ هـ ، ٦٢٧ هـ^(٤)

وكتاب (هفت اقليم) أرخ لوفاة المطار برساعية حدد فيها عام

(١) عروض فقر : شرح أحوال . من ٦٨ وما بعدها .

(٢) مجلي : جستجو . . . ص ١٠٠

(٣) مجلي : قممات الأسس تعريب المشيخي ورقة رقم (٣٦٢)

(٤) دولتشاه . تذكرة الشعراء هي ١٨٧ وما بعدها . بيدن . ١٩٠٠ م

وفاته بحساب الحمل^(١) وهذه ترجمتها

- الشيخ العطار يريد الرمان مرشد الملوك وسلطان الفقير

- وقد استشهد هذا المرشد في طريق الفقر ، فصار تاريخ وفاته لذلك « راه
فقر »

وبحساب الحمل تكون عبارة « راه فقر » تساوي العدد : ٥٨٦

والأستاذ هيسي يعترض على ذلك قائلاً : إن هذه القصيدة كتبت
بعد موت العطار بما يريد على قريب من الرمان وطريقة حساب الحمل لم
تعرف إلا في أواخر القرن الثامن الهجري^(٢).

وصاحب تحريه الأصفياء نقل عن صاحب « بحر الراصلين » أبياتاً
يحدد فيها عام وفاة العطار وقد حدده ، بحساب الحمل وذكر لذلك
تاريخين^(٣).

حكمة : « قبله أهل جنت » وهي تساوي ٦٢٦

وحكمة : « بديل جنت وجنان » وهي تساوي ٦٢٧

أي أن تاريخ وفاته في رأي صاحب « خبر الراصلين » يقع بين
عامي ٦٢٦ ، ٦٢٧ هـ .

ولكن أي تاريخ حدده شاهد قبره ؟

ذكر شاهد القبر أن وفاته كانت عام ٥٨٦ هـ ، ولكنه أضاف
قائلاً ، « إن ذلك في عهد هولاكوخان^(٤) »

(١) غزاف : التصوف وريد الدين العطار ص ٥١

(٢) هيسي جستجو ... ص ٥٠ ص ٥١

(٣) عن هيسي جستجو ص ٥١

(٤) Paris, P 9

وهذا بلا شك خطأ فاحش فهو لاكو لم يتقدم صوت العالم الإسلامي إلا عام ٦٥١ هـ .

ويذكر صاحب جوهر الذات أن العطار توفي عام ٧٢٧ هـ^(١) ولا شك أن المؤلف اختلط عليه الأمر ، إذ أنه كان يقصد ٦٢٧ هـ فأخطأ في كتابتها

ويتابع هؤلاء المؤلفين أغلب الباحثين في عصرنا الحديث ومنهم الأستاذ سعيد قمبي^(٢) والأستاذ ذبيح الله صفاء^(٣) والمستشرق الإنجليزى براون^(٤) وغيرهم من الباحثين .

ولكن بجانب هؤلاء جماعة أخرى من الباحثين يرون أنه قتل قبل عام ٦٢٧ هـ بسنوات ، ما بين عامي ٦١٨ ، ٦١٩ هـ .

يقول الأستاذ فروزانفر : إن المصحح والقتل العام ينسابور بدأ يوم السبت الخامس عشر من صفر عام ٦١٨ هـ ، وعلى هذا يكون استشهاد السيد الشيخ في النصف لثاني من صفر عام ٦١٨ هـ^(٥) .

والمستشرق الإيطالي بيزي يرى أن وفاة العطار تمت بين عامي ٦٠٧ ، ٦١٦ هـ^(٦) .

ومن ذكر تاريخ وفاة العطار في حدود عام ٦١٨ ، ٦١٩ هـ يريد أن

(١) من قمبي : جستجو ص ١٦

(٢) المرجع السابق . ص : نظوما بعسا

(٣) ذبيح الله صفاء : تاريخ أدبيات در ایران ج ٢ ص : ٨٦٥

(٤) براون . تاريخ الأدب في إيران ج ٢ ص : ٦٤٦

(٥) فروزانفر : شرح أحوال ص ٩١

(٦) Fizzi storia della poesia persiana. Vol. Primo P 221 Torino 1994

يربط بين وفاته وبين قصة قتله التي ذكرها دولتشاه ، وإذا عرفنا أن هذه القصة لا تستند إلى واقع وبالتالي فإن هديس الثاريجين ، وكذلك أي تاريخ آخر غير عام ٦٢٧ هـ يجب أن يقابل بالشك وعلى هذا فإني أتابع القائلين بأن العطار توفي عام ٦٢٧ هـ وذلك للأدلة الآتية .

١ - لا شك أن إجماع أغلب المؤرخين على تحديد سنة وفاة العطار بعام ٦٢٧ هـ يلزمنا بقول هذه السنة تاريخاً لوفاته ، وقد قام الأستاذ نيسي بعمل إحصاء للنواريخ التي ذكرت على أن العطار توفي في إحداه فظهر عام ٦٢٧ هـ مأكبر مصيب إذ ذكر تسعاً وعشرين مرة^(١)

٢ - سبق أن ذكرت أن ولادة العطار تمت في رأيي - ما بين عامي ٥٤٥ و ٥٥٠ هـ وأنه عاش أكثر من السبعين ببضع سنوات وعلى هذا فأقرب النواريخ لوفاته هو عام ٦٢٧ هـ .

٣ - قال العطار في إحدى منظوماته يتحدث عن بحجم الدين كبرى ، وذلك نقلاً عن الترجمة التركية لمنطق الطير والتي قام به الأستاذ جولسارلي^(٢)

اينجين كفتست نجم الدين مارا أسكه بوده ، درجهان ار اوليا

- وهذا ما قاله بحجم الدين له ذلك الذي كان من الأوبياء في الدنيا . وتلاحظ أن الفعل « بوده » في الرمز الناصبي ، مما يؤكد أن العطار قال هذا البيت بعد وفاة بحجم الدين كبرى ، ونحن نعرف أن وفاته كانت عام ٦١٨ هـ ، وعلى هذا فالعطار كان على قيد الحياة بعد هذا العام .

٤ - يقول الأستاذ نيسي إن العطار يتحدث عن بعض معاصريه كما يتحدث الإنسان عن الأموات وهؤلاء المعاصرون هم :^(٣)

(١) نيسي ، جستجو ص ١٠٠ ، مع

(٢) جولسارلي مقبلة الترجمة التركية لمنطق الطير ص ٣ استنبول ١٩٦٢ م

(٣) نيسي جستجو ص ١٠٠

سعد الدين الحموي المتوفى عام ٦٠٥ هـ ، ومجد الدين الخوارزمي المتوفى عام ٦١٦ هـ ، وهؤلاء الذين تكش حواريهم المشاهير المتوفى عام ٦١٧ هـ ، وقطب الدين حيدر المتوفى عام ٦١٨ هـ .

٥ - لقاء العطار بيهاء ولد وابنه جلال الدين الرومي عام ٦١٦ هـ أو ٦١٨ هـ وإهداء كتاب " أسرار نغمه " لجلال الدين يشت أن العطار كان على قيد الحياة حتى عام ٦١٨ هـ .

٦ - يذكر المؤرخون أن خواجة نصير الدين الطوسي التقى العطار بنيسابور - وهذا اللقاء تم بين عامي ٦١٢ ، ٦١٨ هـ قبل أن يرحل الطوسي من نيسابور^(١) ومعنى ذلك أيضاً أن العطار كان حياً حتى عام ٦١٨ هـ .

٧ - برغم أن كتب التاريخ قد ذكرت أن المغول قد خربوا كل مظاهر الحياة في نيسابور وقتلوا كل حي وأحرقوا كل عود أحضر ، إلا أن هذا - في رأيي - على سبيل المبالغة في وصف مذاحاة العزو ، فلا يعقل مهما كانت خراوة المعركة أن يصيب الموت والقتل كل ساكني نيسابور عام ٦١٨ هـ ، ولا بد من نجاة البعض ، ولم لا يكون العطار من بين الناجين ، وبخاصة أنه لم يشارك في حمل السلاح والكفاح كجم الدين كبرى مثلاً ؟

ولذا فإني أرى أن العطار استطاع بطريقة أو أخرى أن يهرب من القتل العام سنة ٦١٨ هـ وظل على قيد الحياة حتى توفي عام ٦٢٧ هـ .

٨ - إن التواريخ التي ذكرت بعد عام ٦٢٧ هـ كلها وجدت في كتب تم تأليفها في زمن متأخر نسبياً عن عصر العطار ، ولذا لا يعتمد عليها في تحديد عام وفاة العطار .

(١) فروزانفر ، شرح أحوال ... ص ٩١ .

قصة وفاة العطار :

يقول جامي : « وحضرة الشيخ استشهد في عام ٦٢٧ هـ على يد الكفار .. »^(١)

ولكن دولتشاه بمصل لنا قصة قتله فيقول :^(٢)

« لقد أسره أحد جنود المغول وأراد قتله ، فتدخل أحد مريدي الشيخ وطلب أن يدفع مبلغ ألف درهم ليمد يده روح العطار ، فقبل المغولي ، ولكن العطر لم يوافق على ذلك ، وقال : سيستخدم من يدفع أكثر من هذا المبلغ ، فلا تقبل . وقال مغولي آخر مارحاً :

لا تقتل هذا الشيخ ، إنني أدفع ثمناً له صندوقاً من لبن ، فأسرع العطر بالمرافقة على هذه الصفقة الأخيرة ، وقال : إن ثمنني لا يتعدى أكثر من هذا . فزاد ذلك من حنق المغولي فقتله .

وهذه القصة لا تعدو أن تكون خرافة ، فعام ٦٢٧ هـ لم تحدث فيه خيرة على نيسابور : ويحتمل أن يكون كتب التراجم - كما قال الأستاذ روحاني - قد كتبوا القصة بعد وفاة العطار بمدة عديدة حيث انسدل ستار السيلان عن الحوادث . ولكن كانت لهم نفوس غمرها الإعجاب بروحانية العطر فظنوا أن ولياً كالعطار لم يكن ليموت إلا شهيداً أي جو من الخوارق والعجائب والكرامات ، ولم يحظر بياهم أن قيمة الشاعر لا ينقص منها

(١) جامي : نفحات الأنس - تعريب التتليتي ووقه من ٢٩٢

(٢) دولتشاه . تذكره الشعراء من : ١٩٠٠ ليدن . ١٩٠٠ م

شيء لو أنه مات ميتة طبيعية»^(١).

وهناك خرافة أخرى فتصل بقصة مقتله مؤداها : أن العطار بعد أن ضربت عنقه حمل رأسه بين يديه وعدا مدة من الزمن وهو يؤلف كتابه «يسرنامه»^(٢) «أي كتاب المقطوع الرأس» .

وهذا الأمر لا يحتاج إلى أي جهد في إثبات بطلانه ، فاعتقل لا يمكن الموافقة على هذه الخوارق التي لا تروج إلا لدى السذج من العامة كما أن هذا الكتاب ممدسوس على لعطار ، فلا يمكن عقد أي صلة بينه وبين العطار .

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نكذب كل هذه الأباطيل التي لا تعدو أن تكون من باب الخرافات التي لا تستند إلى واقع من حياة الشاعر ، وأن نعترف بأن العطار توفي وفاة طبيعية عام ٦٢٧ هـ .

قبر العطار :

يقول الأستاذ نفيسي^(٣) نقلاً عن «إمام مراده محمد مرزوق» : أما مقبرة فريد الدين العطار رحمه الله عليه فهي تقع غرب نيسابور وهي بقعة مسددة تقريباً ترتفع عن الأرض مقدار ثمانية أذرع وقد كتب على أعلى المدخل جهة الجنوب : «بسم الله الرحمن الرحيم» ياركي الطاهرين ، من كل آفة يقدس ، العاصمي عبد العلي . وقد كتبت على النصب الحجري في أعين القبر هذه العبارة : اللهم صل على النبي الوصي والتول والسبطين

(١) Rouhani. Le livre Dvin P. 24 paris: 1961

(٢) Bersteis Otchek iston Persidskov literatury ١٩٢٨ م . P 57

(٣) نفيسي ، جستجو من : كنج

وزير العباد والياقر والصادق والكاطم والرصد والتقي والنفي والعسكري
والمهدي صلوات الله عليهم .

وهذا القبر تم بنؤه في هام ٨٩٩ هـ أيام الأمير العاري حسين با يقرأ
وهو أحد أفراد الأسرة التيمورية ، وكان شيعياً متعصباً لد اهتم بكتابة
أسماء الأئمة الإثني عشرية على قبر العطار حتى يوحى للجميع بأن العطار
كان شيعياً .

ولكن هل هذا القبر هو أول قبر بني للعطار ؟

بطبيعة الحال ، لم يكن أول قبر ، فقد بني به قبر عادي يوم وفاته ،
ثم شيد الماهي يحيى بن صاعد عمارة بجواره امتثالاً لأمر الله التوفي وقد
كان من محبي العطار ، ثم حريت هذه العمارة فأعاد الأمير نظام الحسن
والدين عيشير بناء عمارة أخرى لتكون مراداً للشيخ يزوره الناس للتبرك
به^(١)

وما يهمي من كل ذلك هو النص الذي كتب على شاهد القبر ، وقد
اطلعت على صورتين لهذا النص ، الأولى أوردتها جارسان دي ناسي في
مقدمة ترجمته لمطبخ الطير عام ١٨٦٢ م ، والثانية أوردتها الأستاذ نفيسي في
كتابه « جستجو » الذي ألفه عام ١٣٢٩ هـ . ش ونص جارسان يبيع
عشرين بيتاً أما نفيسي يريد عليه ثلاثة أبيات ، وهذه ترجمة لذلك
النص^(٢) :

١ - هذه جنات عدن في الدنيا ، عطر العطار مهجة من دما

٢ - إنه قبر دي المكنة العالية . من كان تراب طريقه كحل الملك الأرق

(١) دولتشاه ، تذكرة الشعراء ص / ١٨٨ وما بعدها

(٢) انظر الترجمة الفرنسية لمطبخ الطير بشر جارسان ص ٣ - ٤ ، وجستجو . . . لنميسي ص .

كا - كب

- ٣ - والقطار هو شيخ العالم انفراد ، وكل الأولياء له مرقدون
- ٤ - وما أعجبه من قطار ، فقد تعطرت الدنيا على رجبها بشدي أعمامه .
- ٥ - وفي دكانه حيث تعيش الملائكة ، كان الملك زجاجة مليئة بأقراص الليمون .
- ٦ - وحتى يوم القيمة سيطر لترات نيسابور شرف عظيم بفصل صاحب هذا المقام العالي .
- ٧ - وقد أحال كرات نيسابور ذهباً ، فمولده يزورونه ومقره بكديكان .
- ٨ - وقد عمر ابن وثمانين عاماً في سابور ، واستقر به الحال اثنين وثلاثين عاماً في شاديان
- ٩ - وفي عام ستة وثمانين وخمسة هـ هلك بالسيف ذلك الشبه بالشمس الودجة
- ١٠ - هلك في عهد هولاء كرجان ، واستشهدت روحه الطاهرة
- ١١ - والعرفون بالله حق المعرفة ، تحلوا عن أرواحهم فداء له
- ١٢ - روح الله تعالى روحه ، رب أكثر من بره وفتوحه .
- ١٣ - وقد نمت هذه النوبة بذلك العاني المردة في زمان دولة سيد الدنيا
- ١٤ - حصرة السلطان أبي العارفي حسين ، طل الحق وظهير وملاد الخائفين
- ١٥ - والقضاء والقدر جعلاه من الصولة ، حتى أنه يقدم لعنوه من العسل سباً
- ١٦ - وما أن سمع أنوشيروان بعدله ، حتى أصاب لسرور روحه
- ١٧ - وبفضل عدل ذلك الملك الشجاع استطاع الماعر أن يمشط لحيته بمخلب الأسد
- ١٨ - خلد الله تعالى ملكه ، وفي بحار الملل أجرى ملكه
- ١٩ - وكم أدرك التوفيق ذلك الأمير الكبير ، كما أصبح ملاد وملحاً للأمير والفقيه

٢٠ - والأمير الجنود عليشير ، كم كان الفلک بعوضة صغيرة أمام همته

٢١ - وهو صاحب خيرات بلا كير ولا رياء ، وهو مظهر الأناس القدسة

الطاهرة

٢٢ - وقد أبعد النفس عن الطمع والشهوة ، فهو كالحكيماء فخره بفقره

٢٣ - وهو يعيش في فنك أنوال العطار على الدوم حتى أدركت روحه

مجال التحفيق



لا شك أن تأليف القصيدة بعد موت العطار بسنوات طوال تقدر بأربع وستين ومائتي سنة ، أوقع ناظمها في أخطاء أشرت إلى بعضها في ثابا البحث واجملها سريعاً هنا :

١ - تابع من قبله في تحديد عمر العطار بمائة وأربع عشرة سنة وهذا خطأ

٢ - ذكر نيسابور على أنها « سابور » وهذا خطأ أيضاً

٣ - ذكر أن مولده في « زروند » وعمله يقصد « رورابذ » وهي ناحية

بنيسابور.

٤ - وكذا كان هي كدكس التي نسب دولتشاه العطار إليها وهي قرية من

قرى خراسان.

٥ - حدد عام وفاته بعام ٥٨٦ هـ ثم أردف قائلاً إن ذلك في عهد

هولاكو ، وهذا لا يحتاج إلى جهد لإثبات خطائه ، فلم يتقدم هولاكو

إلى العالم الإسلامي إلا عام ٦٥١ هـ .

وبهذا ينتهي الحديث عن العطار من الناحية التاريخية ، بعد أن

تحدثت عن رحلة حياته من المولد إلى الوفاة ، وما اتسمت به هذه الرحلة

من أحداث ونكات وذلك في إيجاز شديد .

الفصل الثاني

منظومة منطق الطير

تمهيد : مؤلفات العطار

يرتبط اسم فريد الدين العطار بالعديد من الكتب ، حتى أوصلها البعض إلى مائة وأربعة عشر كتاباً ، أي بعدد سور القرآن الكريم .

ولا شك أن هذا العدد مبالغ فيه ، إذ لم يذكر جامي من مؤلفاته إلا أسرارنامه فقط^(١) ، وذكر دولتشاه أربعة عشر كتاباً^(٢) ، وذكر الفزويني واحداً وعشرين كتاباً^(٣) ، أما جولبارلي التركي وريسر الألماني فقد أوصلا مؤلفات فريد الدين العطار إلى ثلاثين كتاباً^(٤) ، وأخيراً قام الأستاذ سعيد نفوسي بعمل إحصاء لجميع أسماء الكتب التي قبلت إسمها من تأليف العطار ، فوصل العدد إلى ستة وستين كتاباً^(٥)

(١) جامي : نسخات الأنس - تعريب النقشبني ، ورقة رقم ٣٦١

(٢) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٩٠ بيد ١٩٠٠ م

(٣) - الفزويني : مقدمة تذكرة الأوباء ص ١٠

(٤) جولبارلي : مقدمة الترجمة التركية لمنطق الطير ، اسطنبول ١٩٦٢ ص ٥

(٥) هيسي : جستجو ... ص : ٩٨ وما بعدها

ومع هذا فإن الكتب الصحيحة النسب إلى فريد الدين العطار ،
والتي وصلت إلى أيدينا تسعة كتب فقط ، هي :

- | | |
|--------------------|----------------|
| ١ - تذكرة الأولياء | ٢ - أسرار فامه |
| ٣ - إلهي فامه | ٤ - بند فامه |
| ٥ - خسرو فامه | ٦ - الديوان |
| ٧ - مختار فامه | ٨ - مصيبت فامه |
| ٩ - منطق الطير | |

وجميع هذه الكتب شعرية ، عدا كتاب (تذكرة الأولياء) الذي
تناول فيه بالشرح والدراسة أحوال عدد كبير من مشايخ التصوف ، ويقع
في جزئين كبيرين وقد أشرف على طبعه ونصحيحه لعلامة محمد بن عبد
الوهاب القرويني . كما أن هذه الكتب قد نشرت وترجم بعضها إلى لغات
عده ، أما عن الترجمة إلى اللغة العربية ، فلم يترجم منها إلا كتاب (بند
فامه) أي كتاب النصيحة . وبالتالي تكون الترجمة العربية التي يتصمها
هذا الكتاب هي الترجمة الثانية لأحد أعمال العطار ، وكم أمل أن تلتفي
بقية كتب العطار ومظوماته عناية ذوي اللغة الفارسية في العالم العربي
فيقلون على دراستها ونقلها إلى اللغة العربية .

نقد وتحليل منظومة منطق الطير

أولاً : التعريف بالمنظومة : -

لا شك أن منظومة منطق الطير من أعظم ما نظم في الأدب الفارسي عامة وفي الأدب الصوفي خاصة، والفالب المصنفي المتمتع السي ركبت فيه بجلب العاني الروحية التي شملتها أعطتها هذه الأهمية بين كتب التصوف ولا يكاد يذكر اسم فريد الدين حتى يذكر بجانبه اسم « منطق الطير » فقد أصبح فريد الدين علماً على « منطق الطير » وأصبح « منطق الطير » علماً على فريد الدين العطار .

ويشاركني في هذا الرأي كل الذين كتبوا عن العطار دون استثناء

فبراون المستشرق الإنجليزي يقول « إن منطق الطير من أهم مشويات الصوفية وأوسعها شهرة . . . »^(١)

ويقول بارتلس المستشرق الروسي « من أحسن ما فاصت به قريحه العطار المنظومة المعروفة باسم « منطق الطير » »^(٢)

ومنظومة منطق الطير تعرف أحياناً باسم « مقامات الطيور » وإنسي

(١) براون : تاريخ الأدب في إيران . ص ٦٤٨

(٢) Bartels. Otcherketori Persidskoy literaturi

لنسخة ١٩٢٨ م ص ٥٨٠

أعتقد أن العطار أحد اسم المطومة من القرآن الكريم ، إذ يقول الله تعالى : « وورث سليمان داود وقد يأياها الناس عنده مطلق الطير وأوتينا من كل شيء » إن هذا هو الفصل المين^(١) .

وجميع الطيور التي تحدث عنها العطار صيور حقيقة ، لها وجود في عالم الأرضي ، أما إله الصير والذي رمز له باسم «سيمرغ» فطائر وهمي لا وجود له في الكون مطلقاً والعطار يقصص ما قصته في أول منطق الطير ويخبرنا بأنه ينسب إلى بلاد الصين^(٢) .

- وابتداءً أمر السيمرغ ، ريانا عجيب ، أنها مرت بدير لصين في منتصف الليل مزدانة الإهاب .

ولكن هل العطار مبدع هذا الاسم ، أم أحده عن غيره ؟

يقول بيري . اسم هذا الطائر الخرافي هو «سياميرغا» في الأفست ، «سين مورع» أو «مورو» في الهلوية ، ولكن معناه يدل على شيء يختلف تماماً عما استعمله العطار^(٣)

أما المستشرق الإيطالي «أيطوبيو» فيقول

« إن هذا الاسم - أي سيمرغ - من أصل فارسي حالي وقد ذكر في الأفست ، وفي الهلوية مرتبطاً بشجرة الحياة التي تنمو في ماء بحر «فاركاش» ، وأن نصاً هلوياً هو «سبك حرد» الفصل ٦٢ ، جاء فيه أن عرش هذا الطائر على شجرة طيبة وهي تعطي بذوراً كثيرة ، وأغصانها تنثر بذوراً تحيل الأرض حصاة إذا ما وقعت عليها^(٤) .

(١) سورة النمل . آية ١٦

(٢) منطق الطير ، نسخة باريس ١٨٥٧ م ص ٢٨

(٣) Pizzi Storia della Poesia Persiana P 226

Antomo Storia della Letterature Persiana P 291 (٤)

وبعدهم من أقوال هذين المستشرقين أن طائر السيمرغ طائر ذو مكانة عند الإيرانيين قبل الإسلام ، وأنه يعيش حيث الخير والباء والرائحة الركية ، وقد أعاد العطار إليه الحياة بعد أن سبى الإيرانيون مدة طويلة من الزمن ، ولكنه عرف في نطقه بعض الشيء ، حتى يمكن من إتمام الحس بين لفظتي « سيمرغ » و « سي مرغ » وحتى يتمكن من الوصول إلى فكرته عن « وحدة الشهود » في آخر المنظومة

ولكن كيف أنطق العطار الطيور ؟

لا شك أن العطار أعاد في هذا الصدد من قصة سيدنا سليمان عليه السلام وحديثه مع الطير ، والقرآن الكريم تكثر به الآيات التي تعيد أن للطير لغتهم الخاصة :

« حتى أتوا على واد المل قالت بملة يأبى المل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » (١)

كما أنطق الله سبحانه وتعالى لهدد ، فقد قال اهدد موحهاً حديثه إلى سليمان عليه السلام . « فقال أحطت بمالم تحطه ، رجيتك من سبأ يشأ يقين » (٢) .

إن غير هذه الآيات التي أنطقت الطير ، وبذلك وجد العطار في القرآن الكريم مادة صالحة لمنظومته منطلق الطير ، كما أن العطار أعاد كذلك من الكتب السابقة التي أنطقت الطير ككتاب « كليله ودمه » وغيره من الكتب .

والعطار أنطق الطير بدلاً من الإنسان ، وجعلها تسمى بجملة حتى

(١) سورة المل آية ١٨

(٢) سورة المل آية ٢٢

تدرك الاتصال بالله ، وهذا ليس بعيد ، فالله يذكر أن الطير تسبح الله
كما يسبحه الإنسان :

« ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض ، ولطير صافات
كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون » (١)

ولكن كيف تمكن العطار من توليد الفكرة الصوفية من خصائص
بببل أو بومة مثلاً ؟

يجيب المستشرق الألماني ريتز على هذا بقوله :

إن الوسيلة إلى ذلك هي الوسيلة المعبودة أو الصناعة التي يعبرها
عصا السحر في الشعر الفارسي والمفتاح الذي فتح به ما استعشق من
معانيه ، فعند الكائنات التي لا نطقها الطبيعة ترتبط هذه الوسيلة المعبودة
باخرى ألا وهي لغة الحال : زياد جان ، فإذا بدأ الكلام جماد أو كائن
ليست له لغة الإنسان ليتحدث عن نفسه أو يقول شيئاً ، فليس يقوى إلا
تأويل شعرياً خيالياً لخصائصه . وإن العطار مرر في هذا الفن لا يشق له
عبار ، وإن قدرته على استخدام هذه الطريقة تثير الدهشة في نفس
القارئ (٢)

أي أن ريتز يعتمد أن العطار يستلهم شعوره ومعتقداته على هذه
الطيور على أن يختص كل طائر بما يوافقه من طابع وخصائص .

وهذه طريقة تعليمية ناجحة أصل بكثير من الطريقة النظرية التي
يلقى فيها الشاعر أو الكاتب بكل آرائه وأفكاره في صورة كلمات حافه لا
بعض بالحياه ، ولكن عرص هذه الأفكار في صورة حوار مسرحي تجذب

(١) سورة النور . آية ٤١ .

Ritter P 4 (٢)

انشاء القاريء وتساعد على تنوع حيوط هذه المسرحية ومعرفة دور كل ممثل أو طائر يظهر على حشنة المسرح ، والحكمة من ظهوره والموعظة التي يمكن أن يخرج منها من وراء دور كل طائر .

« الفن الشعري »

منظومة سقط الطير تدرج تحت فن الثنوي ، ويقصد به الترام القامية بين شطري البيت الواحد دون الترامه في آخر أبيات كلها ، وهذا الصرب فارسي الشاة لم تعرفه الأشعار العربية ، وإن كان بعض الشعراء الذين كانوا من أصل فارسي قد استخدموه في نظم الأشعار العربية بمتأخرة التي عرفت باسم « المردوج » منذ نهاية القرن العاشر لميلادي (الرابع الهجري)^(١)

أم عن الوزن الشعري بالمنظومة فهو الرمل :

فاعلاتن فاعلاتن فاعس فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

على أن المقس الأخير فاعلن أحياناً يأتي في آخر الآات على صورتين أخريين هما : فاعلات ، فاعلاتن .

كما أنه المقياس « فاعلاتن » الذي يأتي في حشو الأبيات قد يصح « فاعلاتن » وكلا اقيسين جميل تستريح له الأذان وتسمع بموسيقاه^(٢)

وعلى هذا يرى أن هذا البحر رحو يساعد الشاعر على حرية التعبير فهو ليس بحرأ جامداً يلزم شاعره بصورة و حيد ، وهذا ما دفع بهري إلى

(١) جلي مبحث الأس تعريب النقشبدي ، ورقة رسم ٢٦١

(٢) دوشة تذكرة الشعراء ص ١٩٠ ليد ١٩٠٠ م

أن يقول : وبحر ملحط أن البحر الذي اختاره للنظم هـ أعلاه على الإجابة
فهو بحر رحو عدد له حرس بحر و ر جميل ، وهو يختلف حلالاً كثيراً عن
ذلك البحر العفيف الذي اختاره نهر دوسي للشاهنامه ^{١٤}

عدد أبيات منطلق الطير :

يختلف هذا العدد باختلاف النسخ فبينما نجد العدد في نسخة باريس
١٨٥٧ م يصل إلى ٤٦٤٧ بيت ، نجد في ترجمة اسطبول ١٩٦٢ م يصل
إلى ٤٩٣١ بيت ، ولكن للأسف لم أطلع على النسخة التي اعتمد عليها
« جوليئاري » في ترجمته التركيه

ونسخة أصمهان ١٣١٩ هـ عدد أبياتها ٤٧٠٣ بيت بين نسخة
أصمهان ١٣٣٤ هـ ش يصل فيها العدد إلى ٤٧٩٧ بيت

هذا الاختلاف في العدد موجود بين النسخ والترجمات التي اطلعت
عليها ولا بد أن هذا الاختلاف موجود أيضاً بين النسخ الأخرى لمنطق
الطير والتي لم يسعني لخط بالاطلاع عليها

والأستاذ نيسي يقول إن النسخ المعتمدة هي التي يصل العدد فيها
إلى ٤٦٥٠ بيت ^(١)

وقد جاء هذا الاختلاف في العدد نتيجة لأن بعض النسخ تورد
حكايات لا توجد في النسخ الأخرى فحدد مثلاً أن الحكايات التي تبدأ
بالألفم الثانية للأبيات في نسخة باريس لا وجود لها في نسخة أصمهان

(١) Pizzi Storia de la Poesia Persana. P. 226

(٢) نيسي ججو . ص ١٢٩

١٣١٩ هـ ولا في نسخة أصمهان ١٣٣٤ هـ وهذه الحكايات تبدأ بالأرقام
التالية في نسخة باريس ١٨٥٧ م

٣٤٩٩ ، ٣٤١٠ ، ٣٥٣٩

كما أن هناك حكايتين بنسخة أصمهان ١٣٣٤ هـ لا وجود لها في
نسخة باريس ١٨٥٧ م ، وهاتان الحكايتان موجودتان بصيغة ١٢٤ ،
وصيغة ١٤٨ من نسخة أصمهان ١٣٣٤ هـ

إلى آخر هذه الاختلافات التي أشرت إليها خلال الترجمة العربية
لمظومة «مطلق الطير» ، وكلها دعا لأمر إلى الإشارة

سنة تأليف الكتاب :

تورد بعض نسخ «مطلق الطير» سنة تأليف لكتاب وبعضها لا
تذكر هذه السنة ، وقد جاءت سنة تأليف الكتاب تحت عنوان هو «حتم
كتاب» وقد طبع على هذه الخاتمة في نسخة أصمهان ١٣٣٤ هـ ، ولكن
لا وجود لها في نسختي باريس ١٨٥٧ م وأصمهان ١٣١٩ هـ وهذه
الخاتمة تحدد عام ٥٨٣ هـ تاريخاً لاشتهاء الشيخ فريد الدين العطار من
تأليف الكتاب فقد قال العطار ما ترجمته : (١)

- وقد فتح الله الأبواب بفصلاً منه واتفق ذلك مع حتم هذه السجدة .
- وذلك يوم الثلاثاء وقت الطهيرة في اليوم العشرين من شهر الله (٢)
- وفي صفاء ودوق وراحة ووقت طيب يتدفق بالرحمة
- وذلك بعد مرور ٥٨٣ عام من هجرة الرسول ذي الحلال
- وقد قال العطار كلاماً عن جميع الرجال ، فإذا كنت ذا شهامة ، فتذكره

(١) مطلق طير - أصمهان ١٣٣٤ هـ ص ٢٥١

(٢) شهر الله هو : رجب أو رمضان أو ذو الحجة - انظر فروزانفر - شرح أسرار - ص ٧٨ ، وما بعدها

بالخير

وبعض النسخ تذكر عام ٥٧٣ هـ بدلاً من عام ٥٨٣ هـ ، كما أن
جورسان دونامي ذكر أن تاريخ ، تمام مطلق الطبر عام ١١٧٥ م أي
٥٦٩ هـ^(١)

ولكن أصبح هذه التواريخ هو عام ٥٨٣ هـ وهو ما يتفق عليه معظم
الباحثين الآن .

ولكن متى بدأ العصر نظم لمطلق الطبر ؟ لا أحد يدري هذا
السؤال جواباً ، كما أن العطر لم يشر إلى ذلك

وما لا شك فيه أن مطلق الطبر يعتبر أعظم كتب لعطار على
الإطلاق وأوسعها شهرة وديراً في العالم أجمع ، ولا يشاركه في هذه
الشهرة من كتب غير تذكرة الأوياء وهذه الشهرة جعلت الكثيرين من
الباحثين في العصر الحديث يهتمون به كي تهتم به أصحاب الترجمة في
جميع العصور التي تلت العطار ، هذا الاهتمام جعل أكثر من بحث أجبي
يترجمه إلى لغته ، فقد ترجم إلى الأردية والتركية والفارسية والسويدية
والإنجليزية^(٢)

وهذه القيمة العظيمة لمطلق الطبر جعلت العطار يتيه عجباً ويقرب
ما ترجمته :

- لقد حُتم عليك منطلق الطبر ومقامات سطور كما حُتم على الشمس
بالنور

- وهذه المقامات طريق كل حائر ، كما أنها ملاد لكل مصطرب

(١) ميسر جسنجو... ص ١٢٩

(٢) المرجع السابق ص ١٣١

- وكل من لم يتسم قولاً من هذا الأسلوب ، فما ترك قيد شعره من طريق العشاق

- وإذا تبسرت لك أن تقرأه كثيراً ، فلا شك سيرداد حسناً في كل مرة لديك - ولقد نثرتُ الدر من بحر الحميمه ، كما حتم عليّ الكلام ، وهذا هو الدليل .

- وإن ثلاثت هذه الأفلak التسعة من الوجود ، فلي تصيح نقطة واحدة من هذه التذكرة

لقد صدى العطار معي الرعم من مرور أكثر من سبعائة عام ومنطق الطير له مكانته بين النعوس ، ولم تؤثر فيه أحداث الزمان ، فظل باقياً يشهد بعظمة صاحبه فريد الدين العطار

ثانياً - بنية الكتاب :

يبدأ العطار الكتاب على عادة أشعرء في زمانه بالمحاجة ، ثم ينتقل إلى مسح الرسول محمد عليه السلام ، ثم مدح الخلفاء الأربعة « أبي بكر وعمر وعثمان وعلي » ثم كلمة في دم التعصب بين السنة والشيعة وبكاملة بين عمر بن الخطاب وأويس ثم ماذا حدث بين علي وقائله ، ثم حديث بلرسول ، ثم قول في شناعة الرسول عليه السلام وإلى هنا تنتهي المقدمة

ونلاحظ على هذه المقدمة أن العطار مدح فيها الخلفاء الأربعة ، ولكن بعض علاة الشيعة يعمدون إلى كتب العطار ويحولون حذف مدح الخلفاء الثلاثة « أبي بكر وعمر وعثمان » والإبقاء على مدح علي حتى يدعوا أن العطار كان شيعياً ولذا فإن بعض نسخ منطق الطير خالية من مدح الخلفاء الثلاثة الأول لهذا السبب .

كما أن القصة التي ذكر فيها الحوار بين عمر بن الخطاب وأويس جعلت البعض يدعي أنه أويسي^(١) كما ذكرت من قبل .

وإصرار العطار على دم لتعصب ديل على أنه بعيد كل البعد عن أي تعصب لأهل السنة أو للتشيع ، وأنه كان مسلماً متصوفاً ومرتفعاً عن كل تعصب مذهبي

بعد ذلك يبدأ في سرد القصة - قصة الطير - ويقسمها إلى خمس وأربعين مقالة بينها كالآتي : -

المقالة الأولى : في جمع الطيور للبحث عن إله واحد بتوحيده إليه بالعبادة .

المقالة الثانية : حديث الهدد مع الطير في طلب السيمرغ الذي اتحدوا رمزاً للإله المشهود ، ثم يحرمهم الهدد بانتداء أمر السيمرغ

من المقالة الثالثة إلى المقالة الثامنة عشرة : سرد أعداد كل طائر على حدة وهي بمثابة أعداد السالكين في الطريق إلى الحضرة العلية

المقالة الثالثة عشرة : عدد جميع الطيور

المقالة الرابعة عشرة : سؤال الطير الهدد عن طريق السير

المقالة الخامسة عشرة : اتفاق الطير على لتوحه صوب السيمرغ .

المقالة السادسة عشرة : مشاورة الطير للهدد حول الطريق وما به

من عيبات وصعاب يجب احتيارها

من المقالة السابعة عشر إلى المقالة الثامنة والثلاثين عودة إلى أعداد

الطيور وبيان استمساكاتهم ورد الهدد عليهم

وفي هبة لمقالة الثامنة والثلاثين يعرض العطار لأردية السبعة

(١) صحاح الأسس خمس : معرب التشبيري : معطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ح ٩٧٩٥ ورق ٣٦١

وهنا نلاحظ ان جراسان قد جمع الوادي الأول مع انقانة الثامنة والثلاثين ولكن بسحتي أصمها نمرداب للوادي الأول عنواناً مستقلاً تابعاً للمقالة الثامنة والثلاثين ، والوادي الأول هو « وادي الطيب »

من المقالة التاسعة والثلاثين إلى المقالة الرابعة والأربعين بيان الأودية الستة الباقية وهي : أودية العشق ، المعرفة ، الاستغناء ، التوحيد الأخيرة ، ثم الفقر والفاء .

المقالة الخامسة والأربعون وهي الأخيرة في طريق الطير صوب السيمرغ ، ثم يتبعها العطار بتصوير دهاب الطير صوب السيمرغ ومثولها في حضرته

وأخيراً خاتمة الكتاب^(١)

وفي بعض النسخ يوجد « ختم لكتاب » يحدد فيه العطار مدة تأليفه

أي أن الكتاب ينقسم إلى مقدمه وموضوع وخاتمة ، ولكن أثناء عرصه للمقدمة أو للموضوع أو للخاتمة كان يسرد حكايات وقصصاً بلغ عندها مائة وإحدى وثلاثين حكاية في نسخة باريس ١٨٥٧ هـ ، ومائة وتسعاً وسبعين حكاية في نسخة أصفهان ١٣١٩ هـ .

وهذه الحكايات سبقت لتوضح أفكار القصة الرئيسية وهي حكايات تختلف طولاً وقصراً حسب موضوعها ، وأقصر حكاية تتكون من بيتين (ص : ١٢٢ منطلق الطير نسخة باريس ١٨٥٧ م)

(١) اكتتبت هذا الموضع السريع ليه الكتاب دون التدحرج في سرد القصة وذلك لوجود ترجمة المنظومة كاملة بعد هذه الدراسة عن العطار ، وكتابه مطبوع الصبر

وأطول الحكايات على الإطلاق قصة الشيخ صعان ، وسأناقش أصول هذه القصة بعد الحديث عن منطق الطير بين خلق والبشر .

ثالثاً . منطق طير بين الخلق والخلق .

يقول بيرى Pizzi « إن الأسطورة التي هي موضوع الكتاب - منطق الطير - ليست من بات أفكاره - أي لعطار - لأنه لم يتدعها وإنما كانت نصه من القصص ذات الطابع الشعبي وكانت معروفة بالروافضيين فحين يعلم أن « ابن سينا » قد عرضها كقيمة فلسفية^(١) »

ولكن بالنظر إلى « رسالة الطير » لاس سيب وجدت أن الرسائل مختلفتان في جوهرهما فابن سينا له وجود في الرسالة ويطير مع الطير ، أما العطار فلا وجود له في منطق الطير ، لا نأثره ولا وجود شخصه ، ثم إن رسالة الطير فيها صيغون قد أمسكو بالطير في شباكهم ولا أثر لدلت في منطق الطير وربما أن الشباك في منطق الطير هي رموز الطير ورعيتهم الشريعة كما أن وديان منطق طير سبعة ولكن حبال رسالة الطير ثمانية ، كما أن العرض من رحمة الطير في منطق الطير هو الله والاتحاد معه ، أما العرض من الرحمة في رسالة الطير هو أن يخلصهم الملك من الشباك . ثم إن الطير في رسالة الطير قد عادت أدرجها بعد أن حظيت بمقامة الملك ، ولكن طيور منطق الطير لم تعد من رحلتها لأنها في ذات الإله فلا وجود لها ، وكيف تعود وقد أدركت بعينها من الرحلة الشاقة^(٢) .

(١) Pizzi Storia della poesia Persiana. P 224

(٢) طاهر : ثلاث رسائل من تأليف شيخ شهاب الدين سهروردی معصوم و شيرنجارب ١٩٣٥ م من ٦٩ - ٧٢

« رسالة الطير ترحبها السهروردي إلى الفارسية وقد أثرت أن
أطلع عليها الفارسي وخاصة أن الشيخ الفاضل « عمر بن سهلان
الساوجي » قد شرحها بالفارسية أيضاً - لأرى مدى التقارب والتشابه بين
منطق الطير وبينها » .

وهكذا نرى أن هناك اختلافاً جوهرياً بين الرسالتين يجعلنا نحزم
بأن العطار لم يستمد منها - خاصة وأنه يكره الفلاسفة ولا يلتقي في كلامهم
وهو الذي قال في منطق الطير:

وكاف الكمرها - سحق المعرفة - لأفصل كثير لسي من فناء
الفلسفة (١) .

وإذا كان هناك تشابه بين الرسالتين في شيء فهو تشابه بين الأسماء
وبين رحلة الطير في كل منهما ولكن ما أعظم الفارق بين الرحلة الصوفية
في منطق الطير والرحلة الفلسفية في « رسالة الطير »

إذا لم يكن العطار قد تأثر بأبي مينا في « رسالة الطير » ، فهل تأثر
بأبي العلاء في « رسالة العمران » والتي كتبت عام ٤٢٤ هـ؟ (٢)

رسالة العمران لأبي العلاء تحكي رحلة « أس القرح » للعالم الآخر
ومروءه بالجنة والنار وسؤاله من وجدهم بالجنة « بم عفر لك؟ » كي كان
يسأل كل من يجده في النار بقوله « ألم يغفر لك قولت؟ » .

وبعد أن لحا إلى الرسول وطلب منه الشفاعة تشفع له الرسول ،
فغفر الصراخ إلى الجنة - ومر هناك بأقوام عديدين وأطلع على أحوالهم ، ثم
عبر أخيراً إلى الحميم ورأى أهله ، ثم عاد مرة أخرى إلى الفردوس

(١) منطق الطير: بلوس ١٨٥٧م ص ١٧٨

(٢) رسالة العمران: إجماع وشرح كامل كلياته القاهرة ١٩٢٣م ص ٧

وكان في كل مرة بحادث من عمرهم ولكن الملاحظ أنه قصر كلامه على الشعراء دون غيرهم. (١)

وهكذا نجد أن منطق الطير يختلف تماماً عن «رسالة العبران»
فالسالكون في منطق الطير هم طيور أما السالك هـ فهو من بني البشر وهو
ابن القدرح .

كما أن العرض الرئيسي من منطق الطير هو الاتحاد مع الذات
العلية ، ولكن العرض الرئيسي في «رسالة العبران» هو شرح حال الجنة
والسر ومن يسكنون في كل واحدة منهما

ومن جادتهم «ابن الفارح» في «رسالة العبران» هم من الشعراء
دون غيرهم ونحن لا نجد أثراً لذلك في منطق الطير .

الشيء الوحيد الذي فيه تشابه بين الرسالتين هو أن الشفاعة
«لمحمد» وحده عليه السلام ، وهذا الاعتقاد شركة بين المسلمين ولا فصل
للعطار ولا للمعري في ذلك

ويقول الأستاذ نميري « يقول مؤلف مجالس المؤمنين وهو يتكلم عن
مؤلفات العطار . . إنه يسير على نهج مسائي وقد ذلك أيضاً مؤلف
روصات الحيات ، وهذا صحيح لا يحتاج إلى ترديد ، لأن زعيم جميع
الشعراء الصوفية في إيران قبل القرن السادس هو مسائي ، وهو الشخص
الذي أوصل الشعر الصوفي إلى أوج عظمته ، خصوصاً وأن العطار قد
أطلع على آثاره فمطلق الطير ما هو إلا عبارة عن سير لروح في المداخل
استخلفة ووصلها إلى حد الكمال والاتحاد والوحدة مع الله ، وهذا ما
أوضحه مسائي في مشويته سير العباد إلى المعاد» . (٢)

(١) انظر رسالة العبران يجلف وشرح كامل كيلاني القاهرة ١٩٢٣م ، والعبران لأبي
العلاء تحقيق ودراسة بسـ الشاطي
(٢) نميري - جستجو . . . ص ٩٢-٩٣

لا شك أن العطار تأثر بسنائي وكان يكبره وقد مدحه كثيراً في كتبه . وربما أجاد العطار من « سير المعابد » في وصف بعض مدارج السالكين ، وبرعاتهم وشرودهم ، والعقبات التي تعقب في طريقهم ، ولكن رغم هذا فبينة قصة « منطق الطير » تختلف عن بنية « سير المعابد » إلى المعابد ، في أكثر من اتجاه .

أولاً :

سنائي يطن علينا برأسه من خلال كتبه فهو الذي يترجم في الطريق ويمر بأوديته المحنلة أما العطار فلا وجود له في منطق الطير بل الوجود كله للطير والعطار يحركها من وراء ستار . ولعل ظهور سنائي في كتابه يشبه ظهور « ابن سينا » في « رسالة الطير » .

ثانياً :

سنائي يسمى لصفات البشرية بأسمائها ، فيقول مثلاً : صفة صورة الخقد صفة صورة البخل ، صورة الطمع ، صورة التكبر إلى غير ذلك مما يعرض له سنائي ، أما العطار فيمررها بالطيور وأعدائها وأسمائها .

ثالثاً :

العطار يجعل المرشد هو الله ، أما سنائي فيجعل المرشد من بني البشر الذين تطهروا من كل الأدراخ والعلاقات الدنيوية

رابعاً :

سير المعابد إلى المعابد يمثل رحلة ثنائية ، أما رحلة منطق الطير فجماعية .

خامساً :

سأنتي يدكر في كتابه الصير والحجوان والإنسان أما العطار فيحص
قصته بالعز فقط.

سادساً

العطار ينهر من المدح للتكسب ما سأنتي فقد حتم منظومته بمدح
أبي اسماحر سيف الدين محمد بن منصور قاضي مرخس ، أملا في
عطابه (١)

إذا كان العطار لم بأحد فكرة منظومة « منطق الطير » من « رسالة
الطير » لاس مينا ولا من « رسالة العفران » لأبي العلاء ولا من « سير
العباد إلى المعاد » لسأنتي فممن أخذها إذن؟

إن العطار أحد مصموم العام بقمت من « رسالة الصير » للعرالي
ويقول ريتز في هذا الصدد :

إذا ما تصدينا بقصة « منطق الطير » فمما يسعدنا أن نعرف المصدر
الذي استقى منه الشاعر فكرته ، إنه « رسالة الطير » من تصنيف « محمد
العرالي » (المتوفى عام ٥١٥ هـ - ١١١١ م) بالعربية ، وتصنيف أخيه أحمد
(المتوفى عام ٥١٧ هـ - ١١٢٣ م) بالفارسية وإن خصائص الأسلوب
في القصة العربية تجعل الترجمة وعرة ، ولعل النص الفارسي هو
الأصل (٢)

أي أن ريتز Ritter يعتبر المصدر الرئيسي لقصة منطق الصير هو
« رسالة الطير » للعرالي وخاصة الترجمة الفارسية التي قام بها أحمد

(١) انظر « سير العباد إلى المعاد » سأنتي تهران ١٣١٦ هـ

(٢) Ritter Das meer der seele mensch P.8

العزالي ، وقد بحثت عن الترجمة الفارسية فلم أجد ، فاطنعت على الأصل العربي . وقيل أن يعطي حكماً بحب عيسى أن يستعرض رسالة الطير ، للعزالي أولاً ، ثم يدرك مواضع الالتئام أو الاختلاف بعد ذلك . وهذا منحصر واف لرسالة العزالي .

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمعت اصناف الطيور على مختلف أنواعها وتباين طباعها ورعيت أنه لا بد لها من مدد وانصهر أنه لا يصلح هذا شأن إلا العطاء ، وقد وجدوا الحر عن استيطانها في مواضع العرب . فجمعهم دعوى الشوق ، وهمة الطلب فصمموا العزم على النهوض إليها والاستقلال بظلمها والمثول بمائها والاستعداد لخدمتها

وإذا الأشواق الكامة قد بررت من كمين القلوب ، وإذا هم ينادي الغيب ينادي من وراء الحب (ولا تفقوا بأيديكم إلى المهلكة) . لا رموا أماكنكم ، ولا تفارقوا مساكنكم ، فإنكم إن فارقتم أوطانكم صاعتم أشتجانكم ، فدونكم والتعرض لبلاء والتحمل بالفناء . فلي سمعوا نداء التعذر من حباب الخبوت ، ما ازدادوا إلا شوقاً وقلقاً وأرقاً . .

ثم نادى لهم الحيون ودب فيهم الحيون ، فسم يتلحنمو في العطب اعتزازاً منهم إلى بلوع الإرب ، فميل لهم سير أيديكم لحال الشهقة والبحر المغرقة وأماكن فقر ومساكن الحر فيوشث أن تعجزوا دون بلوع الأمية فتحتكمكم الميه ، فالأحرى بكم مساكنه أوكار لأوكر قبل أن يستدرجكم الطمع .

وإذا هم لا يصمرون إلى هذا القول ولا يبالون بل رحلوا وامتنى كل منهم مطية الهمة قد ألحمها بلحام الشوق وقومها بقوم

العشق . .

فرحلوا من محبة الأحبار ، فاستدرجتهم عن الاصطرار فهلك من كان من بلاد الحر في بلاد الرد ، ومات من كان من بلاد البرد في بلاد الحر وتصرفت فيهم الصواعق ، وتحكمت عليهم العواصف ، حتى خلصت منهم شردمة قليلة إلى حريرة الملك . ومزلوا بضائه والتمسوا من بحر عهم الملك .

فأحرهم فتقدم إلى بعض سكان الحصرة من يسأهم ما الذي حملهم على الحضور . فقالوا حضرننا ليكون مليكنا . فقبلهم . 'تعتم أنكم من نحن الملك شتم أو أبشتم ، حثتم أو ذهبتهم ، لا حاجة بنا إليكم . فما أحسوا بالاستعناء والتعذر يسوا . وشملتهم احيرة وقالوا : لا سبيل إلى الرجوع فقد تحاذلت القوى وأضعفتنا الخوى فليتسا تركسا في هذه البحريرة لنموت عن آخرنا .

فما عمهم اليأس وصاقت بهم الأماس تداركتهم أنفاس الأيأس وقبل لهم هيهات فلا سبيل إلى اليأس . فإن كان كيان العبي يوجب التعذر والرد ، فجبال الكرم 'وجب السماحة والقبول ، فبعد أن عرفتم مقداركم في المعجز عن معرفة قدره فحقيق بنا إيواؤكم فإنه يطلب المساكن الذين رحلوا من مساكنة الحسان . . . ومن استشعر عدم استحقاقه فحقيق بالملك العفاء أن يتحده قريب ، فلما استسوا بعد أن استياسوا وانتمشوا بعد أن تعمسوا ووثسوا بفيض الكرم سألوا عن رفقاتهم فقالوا : ما الخبر عن أقوام قطعت بهم المهامة والأودية امطلول دملؤهم أم لهم دية ؟ فقبل هيهات هيهات (ومن يخرج من بينه مهجراً إلى الله ورسوله ويدركه الموت فقد وقع أحرقه على الله) واندين غرقوا في لحج البحار ولم يصلوا إلى الدار بل انتقمتمهم لهورت اثبير قبل هيهات . ولا تحسس الدين قتلوا في سبيل الله أموان بل 'حياء . فإلدى

جاء بكم ، أماتمهم ، سيامهم ، والذي وكل بكم داعية الشوق حتى استغلنتم
الفناء واهلاك في أريجية الطلب - عامهم وحملهم وإدناهم وقرهم فهم
حجب العرة وأستار القدرة . . .

قالوا والذين قعد بهم اللؤم والمجز فلم يجرحوا . قين . هيهات
« ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فبطهم » .
أنتم انتقمتم أم نحن شومناكم نحن أفلقناكم فحمداكم وحملناهم في البر
والبحر

فلما سمعوا ذلك واستأنسوا بكهال العماية وصبيان الكمالية كمل
اهتزازهم ونم وثوقهم ، فاضمانوا وسكنوا واستقبلوا حقائق اليقين بدقائق
السمكين وفارقوا بسوام الصمائية إمكان التلوين . (١)

(إلى هنا انتهت رسالة الطير للغزالي)

وبعد أن عرصت « رسالة الطير » كما عرصت من قبل بنية « منطق
الطير » وجب علينا أن نبحث عن مواضع الالتقاء بين القصتين وهي :

اجتماع الطير للبحث عن ملك - الانساق على أن العنقاء أو
السيمرغ ملكهم - التصميم على الوصول إلى هذا الملك برغم أخطار
الطيرين وأهواله - هلاك الكثرة في السمر ووصول القلة إلى الحصرة - ما كان
من حاجب الحصرة في كلا القصتين - الخبرة التي تملكها الطير بعد لقاء
حاجب الحصرة لها - انبراج أسرار الطيور بعد أن حطبت بالثوب مام
الحصرة -

ولكن العطار بحياله الجنب قد أصاب الكثير من عمله إلى ما أحده
عن الغزالي - فلم يكن مجرد ناقل بل كان مبدعاً كذلك . فهو قد سمى

(١) الجواهر الغزالي من رسائل الأمام حمزة الإسلام الغزالي (الناصر) ١٩٣٤م ص ١٤٣ -

الطيور بأسمائها - وحددل مرشداً وهادياً ، هو الهدى ، كما توسع في ذكر
 المحاطر التي تعرض في الطير في الطير ، أصف إلى ذلك أنه أنظر الطير
 العاصفة لكي تعبر عن عصها ، أمراً بذلك إلى القاعدين عن السلوك ،
 ولكن العراي اكتفى بالسؤال عن لقاعدين بعد المثوب ، أمام الخصرة كما
 غير لعطار في الهدى الرئيسي لنقصة فيها نجد هدف « رسالة الطير » هو
 المثوب أمام الخصرة والاصطلاح بالخدمة في البلاط الإلهي ، نجد أن هدف
 « مطور الطير » صوفي محض يتلخص في لرعة في الترفي والوصول إلى حد
 المساء في الله بالاتحاد معه في وحدة شهوديه .

كما تعرض لعطار لكر أودية أو مقامات الصوفية وميها بأسمائها
 وهذا لا نجد في رسالة الطير

كما أن العصار حدد لنا عدد لطيور التي خطبت بالقول عن خلاف
 العراي الذي كان إن شريعة من الطير هي التي وصلت إلى الخصرة ، وقد
 وقف العطار على العدد (ثلاثين) حتى يستطيع استخدام الحساس المركب
 بين « ميمرع » وهو اسم الإله بالدرسية ، و « بير » سي مرع » وهو العدد
 الذي وصل وهو معنى ثلاثين طائراً ، وقد استخدم هذا الحساس استخداماً
 بارعاً أعانه على الوصول إلى فكره ، وهي فكرة « المساء في الله » عن
 طريق وحدة الشهود

وهكذا نرى أن عالم العطار المكري في « مطرة الطير » عسى بكثير
 من عالم العراي المكري في « رسالة الطير » وذلك راجع إلى قصر رسالة
 الطير وصول « مطر الطير » لا إلى أب العطار يفوق العراي فهذا ما لا
 يستطيع أحد أن يدعيه

وهكذا نرى أن العطار كان دافلاً حائفاً سطومته « مطر الطير » فقد
 استعان أولاً برسالة « الطير » لعراي ، كما استعان ببعض أفكار مسائي في

« سير أعمام في المعاد » في وصف مدرك السالكين وإن كان تأثره سباني
يقول كثيراً عن تأثره بالعراقي ، وأخيراً لا شك أنه كمادة المؤلفين المسلمين
تأثر بالقرآن والحديث ، فكثيراً ما يشير إلى معنى آية أو معنى حديث

كما أن العطار لا يدّعي أنه قرأ الكثير من كتب التراجم الصوفية
والعربية ، حتى يستطيع أن يمدنا بهذا السيل الخاروف من حكايات منطق
الطير ، والتي تعرض فيها لسيرة العديد من رجال الصوفية
المشهورين . حتى يعتبر الدارسون لتنصوف منطق الطير بجانب قصته
الرمزية . كتاباً من كتب تراجم الصوفية

وبجانب هذا النقل والتأثر فإن العطار أضاف على القصة الكثير من
خياله الخصب وقرينته المتقدة وعدمه الواسع مما حسن لكتابته أسيرة لكبرية
التي ما زال يمنع بها حتى الآن في جميع أرجاء العالم

رابعاً : حكاية الشيخ صنعان

لم يقتصر العطار في سرد قصة منطق الطير على المقالات الرئيسية
التي تحكي قصة سلوك الطير للطريق ، ولكنه كان يدرج هذه المقالات
بحكايات يشرح فيها فكرة المقالة أو يتحدث فيها عن شيخ من السابقين
وكراماته ، وهذه الحكايات لها عرص تعليمي أفصل من الدعوة الصريحة
المباشرة

وأطول هذه الحكايات عن الإطلاق حكاية « الشيخ صنعان » فقد
بلغ طولها أربعمائة وستة أبيات ، طبقاً لنسخة باريس ١٨٥٧ م ،
وأربعمائة وتسعة أبيات ، طبقاً لنسخة صنعان ١٣٣٤ هـ ، ش .

وقد أوردها العطار بعد المقالة الرابعة عشرة ليؤكد بها قوله عن
العشق وأنه الفصل من الكمر والإيمان معاً.

ولكن هل هذه لقصة من إبداع العطار أو أنه تأثر فيها بسابقه ؟

للإجابة عن هذا السؤال يجدر بنا أن نعرض لقصة الشيخ صعان
كما ذكرها العطار ، ثم نقارنها بالمصنوع القرينة الشبه بها .

كان الشيخ صعان يقطن مكة مع أربعائة من مريديه ، وكان على
فكر كبير من الإصلاح والتقوى ، ثم رأى فيما يرى النائم أنه رحل إلى بلاد
الروم وسجد للصنم ، ورؤية الصالحين صادقة ، فأسرع بالذهاب إلى
بلاد الروم مع مريديه ، وما أن وصلوا حتى رأوا فتاة ، تجلس على سقف
بناه مرتفع ، وكانت غاية في الجمال تتعلق بها قلب الشيخ في السر والجلال ،
فساد الاصطراب جميع مريديه ، فبدلوا له الصبح دون جدوى ، وأخيراً
أصبحت حلوة الشيخ محلة الحبيب ، ولما أدركت اعتاة مقدار شعفه بها
عرضت عليه شروطها وهي : السجود أمام الصنم ، وإحراق الميران ،
وشرب الخمر ، والبعد عن الإيمان . فقبل في بداية الأمر شرب الخمر دون
غيرها ، وما أن شرب الخمر ، حتى حمله الصاري إلى الدير ، وبعد أن
تمكنت منه الخمر ، وسيطر عليه العشق ، قل أن يكون مسيحياً وأحرق
الحرق ، ثم عرض على الفتاة الاقتران بها ، فاشتترطت أن يكون صداقها
خدمة الخنازير عاماً كاملاً ، فقبل الشيخ .

وحاول مريدوه إصلاحه دون جدوى فأسرعوا بالعودة إلى الكعبة
والنعم يسيطر عليهم ، والمضيحة تكتنفهم .

وكان للشيخ صعان صديق يقطن الكعبة ولكنه لم يكن بها يوم
رحيله ، فعند عاد إلى الكعبة وجد الخلوة تحلو من شيخها سال
مريديه ، فأخبروه بما حدث له . فاعتم وحزن حزناً شديداً ، وعف

مرندي بهارفتم شيخهم ، ثم أسرع مع مریدین بالسفر إلى بلاد الروم
بحاق بالشيخ ، وواصلوا لتصرع والتشمع أربعين ليلة فاستجاب الله
لتصرعهم ، ودأت ليلة رأى أحد المریدین الرسول عليه السلام فطلب منه
الشفاعة للشيخ عند الله . فتشمع له الرسول الكريم ، فتحنى الشيخ من
الربار ولبس الخرقه ثم عاد الجميع إلى مكة ثانية

وبعد رحيله رأب القضاة في يومها ن الشمس قد سقطت بجانبها
وطئت منها الإسراع صوب شيخها ، فأسرعت حنف الشيخ حتى وصلت
إليه باحجار ، فاضطرب الشيخ حين علم بقدرتها ولكنها طبت منه أن
يعرض عليها الإسلام ، وما أن أسلمت حتى أسمت روحها (١)

هذه قصة لشيخ صمدان كما رواها العطار ، فيما صولها إن لم يكن
العطار مبدعها؟

يقول بعض المؤرخين إن قصص الدين دهبوا إلى الدير من اسمين
كثيرة ، وسأذكر أشهر هذه القصص مع ترحيح أهم مصدر استقى منه
العطار قصته .

يذكر أحمد الأشبهى في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف الجزء
الأول (٢) أن الشيخ عبد الله الأسدي كان يسكن بغداد ، وكان من
أصحابه الحديد والشبهى ، وعدد مردييه إث عشر ألفاً ، ثم ذهب إلى بلاد
الروم وتعلق بفتاة الأمير هناك فتخلى عنه أصحابه وعادوا إلى بغداد ، ثم
حاول أن يقتل بالفتاة فكان صداقه خدمه الخنازير فعدا إليه أصحابه
مرة أخرى ولكنه لم يأبه بنصحهم ولكن بعد أيام ثلاثة فوجئوا بالشيخ
أملهم وقد تخلى عن كفره وعاد إلى سابق عهده . ثم عادوا جميعاً إلى

(١) لتعرف على القصة كماه يحس مراتها في هذا الكتاب ، وهي مترجمة بعد المقالة الرابعة
عشرة مباشرة

(٢) أحمد الأشبهى المستطرف في كل فن مستظرف ج (١) ص ٢٠٨ وما بعدها المطبعة
الحمودية التجارية بالعمارة

بعداد ، فاحتفى به الجميع وعلى رأسهم الخليفة .

ولكن الفتاة المسيحية تعقت به وأسرعت حمله إلى بغداد وقد
ساعدها في ذلك الخضر بعد أن أحبرها بصروقة عناقها الإسلام ،
وعتقته

وبعد وصولها بغداد ليرت روية شيخها وأكثر من العادة حتى
هرلت فمرصت وخوفاه الله ، فحرر الشيخ عليها حراً أودى بحياته^(١)

وبحر يرى بعض الثغارب بين الحكايتين في دهاب انشيجين إلى
بلاد الروم ثم كون الصداق في كلا الحالين رعاية الخسزير ، ثم توبة
الانشيجين وعودتهما إلى ديارهما ، ثم لحاق الفتاة في كل منهما بشيخها
واعناقها الإسلام

ولكن هناك أوجه للخلاف بين الحكايتين ، فالشيخ صعد يسكن
مكة أما لشيخ عبد الله لأندلسي يسكن بغداد ، كذلك الاختلاف في
عدد المريدين وفي عدد من صحبوا كلا من الشيخين في رحلته إلى بلاد
الروم كما نجد أن - الخليفة به ذكر في قصة الأندلسي ولا أثر له في حكاية
الشيخ صغان . واختلاف الحكايتين كذلك في سبب وفاة العشوفة ،
فالأبشيهي ذكر أن لوفه نتيجة لبعاده المتصلة ، أما العطار فقد جعل
لوفه نتيجة لمناعب الطريق كما أن الأبشيهي ذكر إحصار في قصته ، ولا
أثر له في قصة العطار

وعلى هذا فربما يرى البعض تأثير العطار بمظاهر الانتفاء فيه وبين ما
ذكره الأبشيهي ولكن مظاهر الاختلاف بينهما تحد من موافقة على تأثير
لعطار بما ذكره الأبشيهي .

ومن بين الذين ذهبوا إلى الدير كذلك مدرك من علي الشيباني وقد
(١) يعقوب معجم الأدباء ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٦ طبع مصر

كان يعيش بالعراق ، وكان يذهب إلى الدير كثيراً ، فتعلمو بحسب فتى
مسيحي اسمه « عمرو » فتخلى عن الإسلام واعتنق المسيحية وطمع شراً
وصف فيه حاله هذه ، كما تحدث فيه عن رسوه وأدب المسيحيين (١)

ولكن لا نجد في هذه القصة تعريضاً بينها وبين قصة الشيخ صعبان
إلا دهاهما إلى الدير ، مما يجعل ترفيع تأثير العطار بهذه القصة

وشيخ آخر هو « ابن السقا » وكان ذريئاً للقراء حسن الصوت وكان
يعيش في بغداد ثم ذهب إلى بلاد الروم حاملاً رسالة من الخليفة ، فوقع
ملك في حب فتاة الملك فطلب الاقربون بها ، فاشتراطوا عليه اعتناق
النصرانية فقبل

ولكن لا يوجد دليل على أن العطار تأثر بهذه القصة وسج قصته
على صوابها ، فلا وجه لتشبه بينهما إلا في الذهاب إلى الروم واعتناق
المسيحية من أجل المشوقة

ولكن إذا كان العطار لم يأخذ قصته من هذه ولا من تلك ، فمن
أين أخذها؟

يقول الأستاذ محيي مبيوي وقد أخذ العطار هذه الحكاية من
كتاب العراقي ، فقد ورد هذا الاسم في تحفة الملوك ولقصود من
الشيخ صعبان عند العطار هو ، الشيخ عبد الرزاق الصنعاني الذي ذكر
في تحفة الملوك ، ولقد أورد الشاعر التركي كلشيري الذي ترجم مطلق
الطبر إلى التركية حكاية الشيخ صعبان تحت عنوان « حكاية الشيخ عبد
الرازق » (٢)

(١) هرودوت مصرح أحوال ص ٣٢٥ - ٣٢٨ فعلا عن بهجة الأسرار ص ٦ طبع مصر

(٢) مقال الأستاذ محيي مبيوي باسم من الخواص التركية «شيخ صعبان» بمجلة كنية الأدب
بظهران هرودوتين ماه ١٣٤٠ هـ ش

وقد اتفق الأستاذ فروز، انظر ١ مع ميسوى في ذلك ، فأرجع قصة الشيخ صعناني إلى ما جاء بالنسب العائلي من تحفة الملوك لأبي حامد العراقي ١٢

ووجع علي أن يعرض قصة الشيخ عبد الرزاق الصنعاني كما ذكرها الأستاذ فروز انظر في كتابه ١ شرح أحوال وقد وتحليل آثار شيخ فرید الدین محمد عطار نیشابوری ١٣

في حكايات مثل هذه ، كان في الحرم شيخ اسمه عبد الرزاق الصنعاني وكان رجلاً عظيماً وصاحب كرامات ، وكان شيخاً لما يقرب من ثلاثين مريد . وذات ليلة رأى في منامه صنماً يجاوره ، فذهب من نومه وتمكن الصيوق منه وشعل قلبه ، فذهب إلى بلاد الروم وصحبه كل مريده

(١) فروز انظر شرح أحوال ص ٢٢٩ وما بعدها

(٢) وحاولت البحث مراراً في مكاتب القاهرة عن تحفة الملوك هذه فشرث على كتب كثيرة يحمل اسم تحفة الملوك ولكنها ليست للعراقي كما وجدت مخطوطاً فارسياً بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٨٧٤ ب) ومكتوب عنده مواريع كتابتها سنة ١١٤٨ هـ بخط مصطفى الشهير بسجي رده وعام ١١٧٣ هـ بخط علوي المسعودي جامع ولكنها ليست للعراقي كحديث

تم رجعت إلى كتاب الدكتور عبد الرزاق بدوي ١ مؤلفات العراقي ، فذكر أن تحفة الملوك مخطوطة بمكتبة أبي صوفى تحت رقم ٢٩١١ ، وهي أصلاً نسخة الملوك - انظر عبد الرحمن بدوي مؤلفات العراقي ص ١٨٤ - القاهرة ١٩٦٠ . ولكن الأستاذ فروز انظر وصح ذلك بموته

موجود في مكتبة آيا صوفيا بستانبول مجموعة تحت رقم (٢٩١٠) تشتمل على رسائل لـصوفية مشهورين مثل عبد القياء صديقي و أبي يعقوب يوسف بن يوب عماداني وصدر الدين قوموي وقد كتب عام ٧٠٦ هـ في نهايتها نسخة الملوك لـمحمد العربي وتليها رسالة أخرى من نسخة الملوك كتب إليه أيضاً وهي تشتمل على أحد عشر باباً في الأصول والفروع وبعضها في قصص الأنبياء وبعضها حكايات المشايخ

انظر فروز انظر شرح أحوال ص ٢٢٩

(٣) فروز انظر شرح أحوال ص ٣٣٣ وما بعدها

ووصلوا ذات يوم إلى مكان ما وراوا كيسة . فطر الشيخ فإذا به يرى عين
السفينة مائة مسيحية ، فوقع في الثوب عشقها

وسرعان ما حلق المرقع ونس ثياب الرهبان وعقد حول وسطه
الزمار . فقال المريدون : ما هذه الحالة ؟ فأجاب : إن ما أصابنا بسبب
القلب ، ولا يمكننا بحماسة القلب ، فشرط الأعمى صدق الظاهر
والباطل . . . وبعد طوب نفاث بيها عاد المريدون من الدير وتركوه إلى
القضاء والقدر ، وبدأ يحمل في خدمة الخنازير .

وكان له مريد بحراسان ركان رحلاً عطياً فعرف هذه الحالة فأسرع
صوب مكة وقال للمريدين : أين الشيخ ؟ فأحسره المريدون بما وقع
للشيخ . فقال لهم : لما لم تقيموا حيث يقيم ؟ فقالوا كد مرغبت في ذلك
ولكن الشيخ رفض وانتهى الحديث بيها إلى أن أعد الشيخ والمريدون
عندهم للسفر إلى بلاد الروم . . .

وفي ذات أمسية رأى ذلك الشيخ الرسول عليه السلام فسأله
الرسول ماذا تفعل ببلاد الروم ؟ فأجابه الشيخ صائلاً : وماذا أنت فاعل
ببلاد الكمر ؟ فقال الرسول عليه السلام : جنت لكي أحضر شيخاً عوثاً
من قبل .

فلستيقظ الشيخ في الحال ، ورأى شيخه يلقي عن نفسه رداء
الرهبان وقطع الزنار ، ثم أحضر الماء واغتسل وجدد إسلامه وأعاد ارتداء
لباس الإصلاح وحينما عرفت الفتاة هذا الحال أقبلت إليه ، وطلبت منه
أن يعرض عليها الإسلام فعرضه عليها وأسلمت وعادوا جميعاً إلى
الكمة . . .

إذا قلنا بين فئتي العراقي والعطار نجد أن أركان القصة بينهما
واحدة

ولكن نجد بعض الاختلافات اليسيرة ، فعدد مریدین في قصة العزای ثلاثمائة وفي منطق الطیر أربعة كما نجد اختلافاً في قصة إسلام الفتاة المسيحية في بعض النسخ كما أن نهاية القصة مختلفة في الكتابين تحفة الملوك لم تشر إلى وفاة الفتاة المسيحية بعكس منطق الطیر

كما أن العطار بحیال الشاعر حاول لإضافة في المناقشة لمحنة التي حدثت بين الشيخ ومریدیه بعد أن احرق ، وكذلك في مناقشة الشيخ لمعشوقته .

وعلى هذا فيمكن الموافقة على أن العطار أخذ فكرة قصته من تحفة الملوك للعزای وأصاف إليها الكثير من حياته لشعري ، فحادث على هذه الصورة التي وجدناها عليها في منطق الطیر

ولكن من هو الشيخ صعد

ذكرت من قبل أن الأستاذ مسوی يرى أنه الشيخ عبد الرارق بن همام وثمة في هذا الرأي الأستاذ مرورامر ، فمن هو الشيخ عبد الرارق بن همام :

بحرنا ياقوت الحموي في نهاية الحديث عن مدينة صعد باليمن ومن مشايخه الشيخ عبد الرارق بن همام بن باع أبو بكر الحميري أحد الثقات المشهورين وكان مولده عام ١٢٩ هـ ، وأنه لتشي بأحمد بن حبل ، ولكن في آخر حياته أصيب الشح بالعمى فصعبت الثقة في الأحاديث التي كان يرويها ، كما انهمه البعض بالتنسيع^(١) .

ورمى أن إسناد هذه القصة إليه جاء تشييعه ، فحاول خصومه الهادي في اتهامه حتى وصروا هذا الاتهام إلى حد الكفر واعتناق المسيحية

(١) ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٩ وما بعدها تحت مادة صعد

الفصل الثالث

آراء العطار ، في منطق الطير

أولاً - المرشد والمريد :

بدأ العطار منظومته « منطق الطير » بمقداجتماع الطيور حيث رحب بها واحداً واحداً ثم اجتمعت جميع طيور العالم تبحث عن ملك لها لا يمكن أن تعيش بلا ملك أي أم حاءت مريدة ، ثم اعتلى المدهد المنبر وأخذ يشرح لهم ضرورة السير والبحث عن هذا الملك وبين لهم أين يوجد ، وبعد أن شرح لهم الطريق ، أجروا القرعة ليختاروا مرشداً لهم فأصاب القرعة المدهد ، وأصبح المدهد مرشدهم يأثمرون بأمره وهم يريدون للحصرة العلية وقد وصف العطار حاشم قبل إخراج القرعة وبعدها فقال (١٥٦٥ - ١٥٩٠) .^(١)

- وعرضوا عرساً أكيداً على قطع الطريق بل تمسحوا السير في الطريق .

(١) ساكني يذكر أرقام الآيات طبقاً لنسخة باريس ١٨٥٧م

- وقال الجميع : يجب أن يكون لك رائد في طريق البحث ، يكون له عليماً المقدر والحن .

- ويكون مرشداً في الطريق ، لأنه لا يمكن قطع الطريق اعتماداً على العزول .

- ولا بد لهذا الطريق من حاكم قوي ، لعلنا نستطيع أن نحتر ذلك البحر العميق .

- وستمند أوامر حاكمنا بأرواحه ، ولن نقطع الطريق إلا بحكمه وأمره

- واقترعوا وكان اقترعاً موفياً واستمر اقترعهم على الهدم العائق .

- فجعله الجميع مرشدهم ، فإن أمرهم بدوا أرواحهم

- وتعهد الجميع على أن يكون هو رئيسهم ، وأن يكون مرشدهم في الطريق وهادئهم

- واحكم حكمه ولأمر أمره ولن يحل أحدهم عليه بالروح أو بالحسد .

وفي هذه الأبيات يوضح العطار بعض معتقدات لصوفية لتي تتعلق بالشيخ والمريد وهي :

١ - لا بد وأن يكون السالك لديه الرغبة في المسير ، وهذا واضح من عزم الطير الأكيد على قطع الطريق .

٢ - لا يمكن قطع الطريق بلا مرشد أو دليل حتى يستطيع أن يهديهم في سبيل ويوضح لهم ما يعترضهم من عصب ، وذلك لأن المريد لا يستطيع قطع الطريق معتمداً على نفسه دون هداية مرشد أو شيخ ، وذلك لأن المريد جاهل بمراحل الطريق فإذا ما سار بمفرده أخطأ المسير فالطريق

جد طويل ومشكل . وما الشيخ إلا ملاذ ومبجأ للمريد في المسير ، بلجأ إليه للمريد ليوضح له كل ما يصعب عليه فهمه من مراحل الطريق ، كما كانت تفعل الطير مع الهدد

والعطار يشير إلى هذه المعاني فيقول (١٦٧٣ . ١٦٧٤)

- ولا بد للطريق من شيخ ولا تسر بمفردك ولا تسلك هذا السحر عن طريق النحيط والعمى .

- ولا بد لك من شيخا في قطع الطريق حتى يكون ملاذاً لك في كل أمر .
- وإذا كنت لا تعرف الطريق من البئر مطلقاً ؛ فكيف يمكنك قطع الطريق بلا دليل .

- وليست لك عين بصيرة كما أن الطريق ليست قصيرة ، والشيخ في طريقك هو هادي الطريق .

٣ - على المريدين طاعة جميع أوامر الشيخ طاعة عمياء حتى ولو أمرهم ببذل الروح وإفناء النفس ، وأن يكون هو الحاكم بأمره وما على المريدين إلا إطاعة حكمه وأوامره ولا حق لهم في مناقشة أحكامه ، فله الأمر وعليهم الطاعة

والولاية في رأى العطار محة إلهية لا تتم بالجاهدة والرياضة بل يهبها الله سبحانه وتعالى لمن أراد ، فالعطار يشير إلى أن الشيخ يصل إلى الولاية بنظرة نصيبه من صاحب الخصرة فترفعه هذه النظرة إلى مكانة المرشد أو الشيخ ، وقد أشار إلى ذلك في المقالة السابعة عشرة حيناً رد الهدد على ذلك الطائر الذي سأله ماذا حظي بالمكانة العالية دون سائر الطير ، فرد عليه قائلاً (١٦٣٢ - ١٦٣٣) .

- فقال : أيها الطائر لقد كن سليمان يديم النظر صوبي في كل آونة .

- ولم أحصل على ذلك بالعمدة أو الذهب ، وإثني تثنائي هذه مكانه من نظرة واحدة .

والدليل على أن الولاية محة إلهية لا تستند على المجاهدة والعبادة قصة ذلك المحرم الذي قتل ، ثم دأه صوفي في يومه يعم بالخنة فسأله سر ذلك ، فأخبره أنه حظى بهذه المكانة رغم إجماعه بنظره وبعث عليه وهو مقتول من حبيب العجمي . (مقالة ١٧ ، حكاية ٢)

ومن صفات الشيخ . في رأي العطار أيضاً - أن يكون قد وصل إلى إدراك الحقيقة كما يكون قد حبر الطريق وطاف بكس ودينه ، فقد قال عن لسان المدهد (٦٦٨ ، ٦٨٠ ، ٦٨١)

- وجئت وقد أمدني الحصرة بالمعرفة ، وصرت صاحب أسرار بالمطرفة
 - ولقد فضبت السنين في البحر والبر ، وكم أصابي الاضطراب من قطع الطريق .
 - ولقد جيت الوادي والجبل والبيداء ، كما صمت العالم في عهد الطوفان .
- هذه بعض آراء العطار عن الشيخ والمريد في « منطق الطير » وسيجد القارئ بعض الآراء الخزية الأخرى أثناء قراءته للترجمة .

ثانياً - الله والعالم

التصوف هو الصبة التي تحدد العلاقة بين الله والإنسان حتى نصل به إلى حد العناء في الله والبقاء بعد الفناء ، ولقد يحسب بآ أن يوضح انصده التي تربط الله بالإنسان كما يراه شاعرنا العطار في مظهر الطير ولكن قبل أن نتعرض لهذه الصبة يجب أن نعرف كيف حَقَّق

الإنسان كما ذكر العطار في مقامة منطق الطير ، فهو يقول :
إن الله سبحانه وتعالى أحال التراب طينا مدة أربعين يوماً ، وبعد
ذلك أودع في الطين الروح ، وما أن سرت الروح في الجسد وأصبح
الجسد بها حياً ، سحبه الله بعقل ليكون الإنسان به مبصراً . ثم يقول .
«عندما هبطت الروح إلى الجسد صار الجسد كلاً ، والروح تنصب بالظهرة
أما الجسد بصفته الفذة والمهانة ، وسرعان ما اجتمعت الروح الطاهرة
بالجسد المهين ، وما أن اتحد السمو بالخسة حتى كان آدم أعجوبة
الأسرار .»

أي أن الإنسان كما يرى العطار - وغيره كثيرون من المتصوفة -
مكون من جسد ينزع إلى الشهوات والعودة إلى أصله الخسيس ، وروح
نزاعة إلى الطهر والعودة إلى أصلها الرفيع والرقى إلى واهبها ، وكذا قدم
خليط من عنصرى الخير والشر ، ولذا اهتم الصوفية دائماً بالروح وأهملوا
الجسد . ويقول العطار على لسان الله سبحانه وتعالى موجهاً الكلام إلى
داود عليه السلام (٣٠٩٤) .

- ولما لم يكن هناك عوض في فلا تكن بدوني ، وأما يكفيني الروح فكن
روحاً ، ولا تكن جسداً

أما عن مظاهر الصلة بين الله والإنسان ولعالم تتشثل في رأي
العطار في أكثر من مظهر ، وهذه أهمها :

١ - الصلة بين الله والعالم هي الصلة بين البحر والمطرة وما البحر إلا
الله وما القطرة إلا العالم .

- وحضرة الحق بحر خضم عظيم ، وقطرة صغيرة منه تسايي جنات
النعيم .

ومن يملك البحر يملك القطرة ، وكل ما عدا البحر هوس وجنون .

٢ - والصلوة الثانية هي صفة الظل بالشمس ، فالعالم ما هو إلا ظل لله سبحانه وتعالى ، وقد أكثر العطار من الحديث عن هذه الصلة في مواضع كثيرة من منطق الطير .

وفي المقالة الثالثة عشرة حبها سأل طائر الهدد أن يوضح لهم الصلة التي تربط السيمرغ بالطير ، قال الهدد : عندما رفع السيمرغ النقاب فإن وجهه بدا كالشمس المشرقة ، وسقطت منه مثلث الألوف من الظلال على التراب ، وقد نشر ظله على العالم فأصبحت تلك الطيور ، وصورة طير العلم جميعها ما هي إلا ظل للسيمرغ

ويقول العطار مخاطباً السيمرغ : إن كل ثوب يكسو المروح ما هو إلا ظل للسيمرغ ونحن نعرف السيمرغ في هذا الظل ، لأن السيمرغ لا ينمض عن الظل ، ولا ينبغي للإنسان أن يبقى أسير الظل ويتخبط فيه ، وإنما يجب عليه أن ينظر في ظل السيمرغ وسيرى الشمس وسط الظل ، وإذا ما فتح باب للمعرفة فسترى كيف تتلاشى الظلال في الشمس ، وتشاهد كذلك أن كل شيء هو الشمس (١٠٣٠ - ١٠٦٩)

والعطار يريد بذلك أن يقول إن الله وجوداً في نفسه كما أن السيمرغ وجوداً في ظله ، وهو يدل على صدق ذلك بوجود لا يمكن في رسمه الذي كان متخفياً دائماً وليس لأحد عين يستطيع أن يعرفه بها (١١٠٣ - ١١٠٩) .

والعطار أورد بيتاً في منظومته « أسرار نامه » يجمع بين فكرة أن لكل ظل لله ، وفكرة الأشياء آثار قوته الخالقة (١)

- إن وجود كل شيء هو ظل جلالتك ، وإن كل شيء آثار قوتك الخالقة .

وفي صورة أخرى أورد العطار في منطق الطير ، حيث قال

(١) Ritter P 607

لقد سبق للسيمرغ أن ألقت ريشة في الصين فأثارت الاضطراب هناك
وانتقد كل واحد صورة من هذه الريشة ، وكل من رأى هذه الصورة
بدأ يصنع مثلها ولو لم تظهر صورة هذه الريشة لما وجد في الدنيا هذا
العراك وتلك الضوضاء ، وكل آثار الخلق هذه تنبثق من عظمة السيمرغ
وجميع الكائنات صورة من ريشتها^(١) .

ولعطار يشير إلى فكرة الظل والشمس بوصفها تام في مقدمة منطق
الطير وهو يناجي ربه فيقول (١٩٢) .
- ولنا كذا متلازمين دائماً ، فأنت كالشمس ونحن كالظل

٣ - وصلة أخرى تربط بين الله والعالم ، وهي انصلة التي تربط
بين الكثر والطلسم . فالعطار يقول في المقدمة (بيت رقم ٥٣) .

- العرش والعالم لا يريدان عن محرد طلسم ، والله الموجود وحده ، وليس
لهذه الأشياء جميعها غير الاسم

ثم يقول : وما أكثر من حبروا سطح ذلك البحر ولكن لم يدرك
أحد قطم بعلمه فالكثر في الفاع وما الدنيا إلا طلسم ، وفي نهاية الطلسم
ميتحطم فيد الجسد ، وسجد الكثر عندما يفنى الطلسم أولاً ، ويظهر
الروح عندما يفنى الجسد ولا ، وبعد ذلك مما روحك إلا طلسم آخر ،
فروحك للغيث جسد آخر ، وما العيب إلا الله (١٣٩ - ١٣٤)

ويعلق الدكتور عزام على ذلك بقوله :

« ومن العبارات لشائمة في كلامه - أي كلام العطار - : إن العالم
طلسم والكثر الذي وراءه هو الله فقد شاع بين الناس أن كل كثر عليه
طلسم إذا حل هذا الطلسم فتح الكثر . فهذا العالم في رأى العطار

(١) راجع المحكيه التي تبدأ بالبيت رقم (١٧٢) بسطة باريس ١٨٥٧ م.

بقوش إذا قرئت وفهمت اعتدى الإنسان إلى الكنز لمحقى وراء ما أتى
عرف الحقيقة التي تدل عليها هذه انقوش وليس هذا الكرم سوى الله
ويقرب من هذا ما رواه الصوفية في حديث قدسي : « كنت كرمياً محمياً
فأردت أن أعرف محلة الخلق في عرفوني » -

وقد اجتمعت هاتان العبارتان في بيت واحد هو :

- أنت معنق وما عداك مجرد اسم - أنت كنز والعالون طمس^(١)

٤ - كما يشير العطار إلى أن الصلة بين الإنسان وربه شبيهة بصفة
العبد بسيد ، والعطار يناجي الله فيقول (٢٢٥ - ٢٢٧)

أنا بالنسبة لك عبد بدول لدروح ولي وسم كاحشيد منك ، وإن
لم أكن عبدك فكيف أكون سعيداً ؟ وقد احترق قلبي حتى أصبحت
عبداً لك ، فلا نفع عبدك لموسوم ، ولنضع حلقة لعمودية في أدبي
عبدك .

ويقول الدكتور عزام معلقاً على الصلة بين الله والعالم - كما يراها
العطار - فيقول :

« ليست آراء العطار في الله والعالم مبنية في حملها وإن كان فيها
انتكار في التعميل والتصوير ، فقد سبق إليها جماعة من المسلمين
وفلاسفة الأفلاطونية الحديثة من قبل فالقول بأن المحسوسات ليست ذات
وجود حق ، وأن للعالم ظل من الله أو انعكاس عنه معروف في
الأفلاطونية الحديثة وبين الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين » -

كما أن رأيه في أن الصلة بين الإنسان وربه هي صفة العبد بسيد
تعد محور الدعوة الإسلامية فلا فصل للعطار فيها.

(١) الصوف ومريد الدين العطار - الدكتور عزام ص ٨١ - ٨٢

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

إذا كانت الصلة بين العالم والله هي لصلة بين الظل والشمس أو الصلة بين القطرة وبحر الوجود فسرعان ما يتلاشى الظل في الشمس وتذوب القطرة في البحر ، وإذا كانت هذه الصلة هي لصلة بين الطلسم والكسر ، فما أسرع أن ينحطم الطلسم ليظهر الكسر ، أي أن العالم على هذه الصور الثلاث عدم لا وجود له ، ولا وجود إلا لله الأعظم وهو صاحب الوجود وحده ، وإلى هذا المعنى يشير العطار بقوله في المقدمة .
والعرش مستقر على الماء والعالم سباح في الغصاء ، وأعر الماء والغصاء فاجميع هو الله ، والعرش والعالم لا يريدان عن محرد طلسم ، والله وحده وليس لهذه الأشياء كلها إلا الاسم ، فامع النظر عما هذا العالم أو ذلك إلا الله وحده ، ادلا وجود إلا له ، وهو الموحود وحده (٥٢ - ٥٤) .

وما دام الوجود لله وحده وما عداه عدم فلا يمكن أن يصدر عن العدم فعل ففاعل هو الله وحده

وهذا المبدأ الصوري يتضح بما في قصة منطق الطير ، فعند أن قطعت الطير الأودبة ووصلت إلى السيرغ أخبرت بأن ما رآته وعرفته وقالت لم يكن هو . ويقول أحد الدارسين لمنطق الطير : يحتمل أن يكون الغرض هنا لم يكن كما فنت من قبل ، بل أن عملها لم يكن عملها في الواقع وإن كل الأودية التي عبرتها وكل الشدائد التي صادفتها ليست إلا من عمل الله . . . (١)

أي أن الله هو الفاعل وحده وما الإنسان إلا واسطة أو وسيلة لقدرة الله ، وأن عمله في هذه الحالة كان عملاً سلبياً ويشعر الإنسان أن الله هو الذي قدره على أن يعمل ما فعل ، ولذلك نجد أن جميع النشاط وأن جميع الذاتية تخضع في الله . (٢)

(١) Her P. 600

(٢) نفس المرجع السابق ص ٥٩٩

وما دام الله هو الماعل وحده فلا سلطان إلا له ، وما سلطان الدنيا إلا شيء زائل لا قيمة له ، وإلى هذا المعنى يشير العطار كثيراً في كتابه « منطق الطير » :

ففي نهاية القصة عندما وصلت الطير إلى الحصرة وحقيقت بحاجب الحصرة وسألها عن مقصودها ، أخبرته الطيور أنها جاءت ليكون السيمرغ لهم سلطاناً فيرد عليها قائلاً : (٤١٤٧ - ٤١٤٨) .

- فقال صاحب الحصرة : أيها العجزة : بما عن تلوثتم بدماء القلب كالوردة

- فإن تكونوا أو لا تكونوا في الدنيا فهو السلطان مطلق الأبدي .

كما أن محموداً الغزنوي يرد على ذلك الذي حدثه في دار القرار وسأله عن حاله فيها وقد أسماه سلطاناً ، فقال له : (٩٠٧ - ٩٠٩) .

« إن سلطاني خيال وغرور ، إذ كيف تكون السلطة لخرة من السقط ، الله وحده هو السلطان مالك الدنيا وهو الحقيق بهذه السلطة ، وما أن رأيت عجزي وحيرتي حتى شعرت بالمرّة من سلطتي . . . »

وما دام الله هو السلطان وحده والخلق ظل له فهو في عني عن الخلق ، وطاعتهم لن تنفعه بشيء كما أن معصيتهم لن تضره بشيء فكل شيء لديه متوفر وخاصة العلم والأسرار وطاعة الملائكة ،

فالله يد على ذلك الطائر الذي سأله عن الهدية التي يجب أن يحميها كل طائر إلى السلطان الأعظم بقوله (٣١٤٣ - ٣١٤٤) .

- كل ما نحمله من هنا موجود هناك ، فكيف يكون حمله جميلاً منك ؟
- العلم والأسرار وطاعة الملائكة متوفرة هناك .

(١) Ritter P 599

وإذا كان الله في غنى عن الخلق وطاعتهم أو معصيتهم ، فالخلق لا غنى لهم عن الله سبحانه وتعالى إذ لا عوض له بين الجميع (٣٠٩٣ - ٣٠٩٤) .

- كل شيء نجد له عوضاً إلا أن ، فلن نجد في عوضاً ولا شيئاً
- ولما لم يكن في صوص ، فلا تكن بدوني ، ويكفيني منك الروح فكفر
روحاً ولا تكن جسداً .

وإذا كان الإنسان في حاجة إلى الله دائماً ولا يمكن أن يكون في عى
عنه مطلقاً ، فيجب عليه أن يكون وفياً لله جزاء كل هذه النعم التي أنعم
الله بها عليه (٢٦٦٠ - ٢٦٦٣) ، فسمع لكل حرف يقال عن
الإنصاف والوفاء وإذا كنت وفياً فاعزم على سلوك الطريق . . . وكل
من يخرج عن حيز الوفاء لا يليق بباب المروءة .

كما يجب على الإنسان ألا يكون جسوراً جريئاً مع الله سبحانه
وتعالى : (٢٧٢٢)

- ولكن كيف يتجرأ العالم بالسراخافط له متشهاً بالحسود الوقح ،
فلتجعل .

ولكن أحياناً يتجرأ العبد من شدة الحب .

وكن من يعرف الرب في كل شيء ولا يعرف رب من رب ، فإد ما
تجرأ فمن فرط الحب (٢٧٢٨) .

ولكن كل من يتجرأ في حضرة السلطان الأعظم عليه بطلب
للعلوة :

د وكل من يتجرأ في هذه الأعنان سيطلب المعصرة وسيعود إلى

رشده ، فإدراك القول ولم يقل حقاً ، فإنه يعرف كيف يعتذر بلفظه
(٢٧٧٠ - ٢٧٧١)

هذه أهم سمات الصلة بين الله والعالَم كما عبر عنها العطار في
مطلع الطير ولعله أوضح بعض جوانب هذه الصلة في منظوماته الأخرى
ولكن الرمز أعمس بما جاء في مطلع الطير دون غيره .

ثالثاً - العشق الإلهي

لقد أطنان العطار حديث في مطلع الصبر عن العشق إذ أن
العشق هو القوة الخفية التي تدفع السالك على المضي قدماً في الطريق رغبة
في لقاء محبوب لأبلي ، وهو الله سبحانه وتعالى وقد اعتبر العطار
وعبده من الصوفية عشق أعلى مكانة من الإيمان والكفر فهو يفوقهما معاً
(١١٥٢)

- كل من كانت له قدم في طريق العشق راسحة ، فقد تحلى الكفر
والإسلام معاً .

وقد ساق العطار قصة « شيخ صعبان » ليؤكد هذا المعنى .

كما اعتبر العطار العشق أسمى مكانة من العقل ، أما العقل فقد صر
أمام العشق وقد أشار العطار إلى ذلك كثيراً فسن أتمناه . (٣٣٢٦ ،
٣٣٢٧ ، ٣٣٣١) .

« العشق نار أما العقل فمدخان ، وما أن أقبل العشق حتى ولي
العقل الفرار مسرعاً ، والعقل ليس متحصصاً في ميدان العشق ، كما أن

العشق ليس وليد العقل وإذا نظرت إلى الأمور بعين العقل فسترى عشق
بلا بداية ولا نهاية .

والعشق يسمو بانعاشق حتى يجعله يقى في ذات المعشوق .

فالشَّيخ محمود الطوسي ينصح أحد المريدين بقوله (٣٩٣٧ -
٣٩٥٧) .

« عليك بإفناء نفسك في العشق تماماً حتى تصبح في الصعف
كالشجرة دواماً ، وما أن تصبح كشجرة ضعيفة ، فأيق مكانك حيث
طرة للمعشوق ، وكل من يصح شجرة في صحابه ، فإنه يكون شجرة من
شجره بلا ريب » .

ولا شئ أن الحب الإلهي كحب شيء لا سبيل إلى الوصول إليه ،
وهذا الحب الذي يتحد وسيلة للبحث عن الله أو عن سبب الوجود الذي
لن يكون شخصاً هو المصروع الأصلي لقصتي « منطق الطير »
وه « مصيبتنا »^(١)

والعشق نوعان عشق دائم ، وهو عشق المعرفة ، وعشق رائل وهو
عشق الصورة الذي يرول بروا الصورة ، وعشق المعرفة هو عشق الله
ذلك الحبيب الأبدى الدائم ، أما عشق الصورة فهو عشق لما ديات الفنانة
البالية ، وقد تكلم العطار كثيراً عن عشق الصورة وعدم جدواه وضرورة
البحث عن حبيب لا يقنى ولا يرول ، فهو يقول في المقالة الخامسة
والعشرين :

(١) Ritter , P 516

- إن عشق الصورة ليس هو عشق المعرفة ، إنما هو اللعب بالشهوة يا
حيواني الصمة

- إن الخيال الذي ماله النقصان ، يكون في عشقه للرجل كل حسان
- ومن يعشق عالم الغيب ، فهذا هو العشق الحق ، إذ أنه حلي من كل
عيب

كما أن لهذه يرد في المقالة الثالثة على السبل وهو يشاهي معشق
الوردة ، فيقول له يا من تعلقت بالصورة ، لا تنبأ أكثر من ذلك بعشق
الحسين . معشوق شيء ماله سرور يصيب العاقلين بالصبر
والملل . . .

كما أن لعاشق الحق هو الذي يعشق شيئاً ثابتاً لا يتلون ولا يتغير
فالله في المقالة لسابعة يرد على المججلة وهي تنبه عروراً تعشقها بالخواهر
ويحرمها بأن تعشقها بالخواهر لا أساس له من الصحة لأن الخوهر ما هو إلا
حجر اصطبغ بالعديد من الألوان . وإذا رالت عنه الألوان عاد حجراً
عديم القيمة ، ثم يدل على صديق قوله بعصه سيدنا سليمان ونص حاتم ،
وكيف أنه فصل الحياة الآخرة على الدنيا وبعيمها إذ كان في إمكانه إخصاع
العالم لسلطانه بفن تحاته هذا . . .

وما دما نتحدث عن الخوهر والذهب فالعطار يرى أن عشق
الذهب يصيب الإنسان بالطموم والبلايا ، وهو دليل الكفر ، وفي الآخرة
تمسح صورة عابد الذهب ، وهذا ما حدث بالنسبة لرجل كان يكر
الذهب ، وما أن مات حتى رآه أبوه في نومه وقد عاد إلى البيت عن هيئة هار
يبحث عن الذهب ليتبره ، وينصح أبوه لكي لا يكون عبداً للذهب .
(٩٩٤ - ١٠٠٠) .

في حصر العطار المقالة (الثالثة والعشرين) والحكايات التي

تليها بدم عشق الذهب ، وأثره السيء على الصلة بين الإنسان والله سبحانه وتعالى .

والعاشق يفضل المعشوق على كل ما عداه من نعيم وملك وأموال والدليل على ذلك قصة ذلك الوقاد الذي كان محمود الغزنوي ينزل عليه ضيفاً وفي آخر زيلة قال اسبطن محمود للوقاد : اطلب ما تنمي ، وأما أحصه لك في التو والحال ، ولو طلبت أن تكون ملكاً ، لما توانيت في تحقيق ما تريد . ولكن الوقاد يقول : إنني أطلبك أنت ولا حاجة بي إلى هذا أوداك (٢٨٥٦) .

ـ أنا لا أطلب ملكاً ولا سبطنة ، ولكن كل ما أطيبه من هراست .

كما أن إياز (علام محمود) قد رفض ذلك الملك العريض الذي عرضه عليه محمود الغزنوي لأن هذا الملك سيشتغله عن رؤية محمود والتمتع بمناذمته ومجالسته . (٣٠٥٧ - ٣٠٨١) .

وهذه رابعة ناجي الله وتطلبه هو رابعة عن المثل والحكمة (٣١٨٢ - ٣١٨٩) .

والعاشق الحق هو الذي يتحلى عن روحه طواعية من أجل محبته ويضح ذلك من قصة الفقير الذي وقع في حب حاكم مصر ، ثم خيره حاكم مصر بين القتل وترك البلاد جزاء جرأته على حبه فاختار المسكين المرحيل ، مما كان من الحاكم إلا أن أمر بقتله لأنه عبر جاد في عشقه ، لأنه لو كان جاداً لما حاف الموت ولقدّم روحه بلا تردد . . . (١٩٢٤ - ١٩٣٩) .

والعشق الإلهي يشغل العاشق عن الاهتمام بأمور الدنيا ، والدليل على ذلك أن رابعة سئلت عن الصحابة فكان جوابها أنها مشغولة بحب الله

عما سواه... (٥٦١ - ٥٧٠) .

وفي حديث قدسي معه أن عادة الله قتل من يحبوه ويدفع دنتهم ،
والدية هي الله نفسه^(١) .

رأى ذو النون في سمر له أربعين صوبياً موتى على الأرض فقام
مخاطباً الله . يا إلهي كم من ارحال سوف تقتل ؟ فأجاب الصوت الإلهي ،
هذا ما نعرفه وحديا ، نحن نقتل ونقسم الدية ، فيقول ذو النون : إلام
تقتل ؟ فأجاب الله ما دامت الدية في حرانتي ، فلنني أقتل من يحسي ،
ولكن إذا ما مضى فاء تائماً وتلاشى فأنا أظهر له وجهي وأهدي إليه حلعة
جمالي . وسيصبح بعد ذلك ظلاً ، يحس تحت شمس الله (٢٥٥٣ -
٢٥٦٩) .

والعاشق عيور في عشقه ، ومنطق الطير به أكثر من دليل على
ذلك :

كان الشبلي عيوراً في حبه وسبب غيرته أن محبوبه الأري « وهو الله »
قد حصن إيسيس بتوجيه الحديث إليه رغم أن هذا الحديث كان سبباً
ولعنات

فكم كان الشبلي يتمنى أن توجه له هذه اللعنات ، لمهم أن يحظى
بمحاظة الله ، سبحانه وتعالى (٣٢٥٤ - ٣٢٦٨) .

ودليل آخر هو عيرة الملك من العظمة التي ركن إليها كلبه رغم ما
يعيش فيه من عز وعيم (٢٢٤٠ - ٢٢٦٠) .

والعبرة في الحب تبدو كذلك في عشق السلطان لابن وزيره ، حتى

أنه لم يكره يسمح لأبويه برؤيته ولا يسمح للفتى بمعدودة مجلسه ، وإذا
قدر وابتعد العلام عن مجلس السلطان ، فإنه يقطع رأسه من العنبرة
(٤٢٦٣ - ٤٤٢٣) .

ومن الخير للعاشق أن يتحمل أدى المعشوق من أن يحوز الرضا من
غيره (٣٢٦٥)

- إذا رماك المعشوق الثمل بحجر . . فهذا أفصل من أن تسأل
جوهرة من الغير .

وحتى لو كان المعشوق يؤدي العاشق فيجب على العاشق لا يعمص
له حنق . فالأم العشق يجب أن تفرقه دثماً . ولقد مر معشوق بعاشقه
وجدته نائماً فكتب له ورقة فيها بعض الكلمات منها : « لتخرج إن كنت
عاشقاً ، فأني شأن للنوم بعين العاشق ، وإذا نام العاشق فلا يكون ذلك
إلا في الكفن » وإذا كنت بالعشق جاهلاً ، فلتها بالنوم لأنك لست
للعشق أهلاً . . . (٣٥٠٥ - ٣٥٠٨ ، ٣٥٠٩)

والنوم ما هو إلا تحلي العاشق عن العشق ، والعاشق الذي يتحلى
عن معشوقه ضواعة يستحق البلاء والمتاعب ، والدليل على ذلك قصة
التاجر الذي باع حبيبته الحميلة ثم حاول أن يستردها بسفع ألف دينار
ريادة على ثمنها ، ولكن دون جدوى ، فكان فريسة للهوى والحزن على
سوء تصرفه وتخليه عن معشوقته (٢٢٢٨ - ٢٢٣٩)

والعشق مرعان ما يشعر بالندم والخسرة إذا أصاب المعشوق أي
ضرر ، وهذا هو حال الملك الذي وقع في حب فتى وريره ثم أمر بقتله من
الغيرة ، ولكن ما أن تاب إلى رشده حتى تملكه الهم والحزن وصل أربعين
ليلة في حيرة واضطراب لا يفر له قرار . . (٤٢٦٣ - ٤٤٢٣) .

وجزاء من لا يحسن العشق الإلهي أن يطرده الله سبحانه وتعالى من
عشقه فالله سبحانه وتعالى يطرد من عشقه من يشعل بأي أمر من الأمور
عن عبادته ، والدليل على ذلك قصة العابد الذي عبد الله أربعاً مئة سنة ثم
شمل فترة بتغريد طائر فوق شجرة في سنان يتوسط داره ، فكان جزاؤه أن
تحلى الله عن عشقه . (٢٠١٦ - ٢١١٩) .

هذه أهم السمات التي تحدد معالم العشق والتي تحدد الصفة بين
العاشق والمعشوق ، ولكثرة ما أحاط الصوفية العشق بهالة من السمو
والرفعة نجد العطار يعلى من مكانة العاشق حتى يجعل من مقدوره الإتيان
ببعض الخوارق : (٢٧٢٩) .

- إنه شبيه بالمحنون من شدة العشق ، كما أنه يسير على سطح الماء
من قوة العشق .

ومن آثار العشق في رأي العباسية ، أن العشق إذا وقعت دره من على
رحلى سالت فلها تولد منه امرأة ، وإذا سقطت درة عشق على امرأة سالكة
فلها تولد منها رجلا ، والدليل على ذلك أن آدم بدرة عشق أنجبت
حواء ، كما أن مريم بدرة عشق أنجبت عيسى (٢٥٣٩ - ٣٥٥٠)

ولكن ما السر في أن العطار والصوفية جميعهم قد أطنالوا الحديث في
العشق ؟ إن السر كمن في أن العشق يمد السالك بذخيرة تساعد على
سلوك الطريق حتى ولو كان عمية في الضعف الجسماني ، فهو يمد الروح
بطلقة داعية له على المضي في طريق المعرفة حتى تصل إلى إدراك الغناء
(١٧٤١)

- ومن كان في الضعف أكثر عجزاً من السملة ، فإن العشق سيمده
في كل لحظة بقرة هائلة .

كما أن اهتمامهم بالعشق راجع - كما يقول الدكتور عزام - إلى أنه

لمنوة اخفية انني تحت الإنسان على الطلب والعمل والإقدام ، والتي تهيب
بالإنسان إلى العظم ، وترفعه عن الدنبا وتساعده على أن يعرف نفسه
ومداه ومشتهه ، وحالقه ، وهم حراً فهي ابوحدا أو ملكة قريبة منه
متصلة به^(١)

كما أن العشق هو مفتاح التصوف . . .^(٢) .

ولذا كان يصيب لعشق في كلام الصوفية وقرأ ، وحده من أقوال
المطار عفيفاً .

رابعاً - الطريق الصوفي غايته الإدراك والاتحاد

لطريق الصوفي ليس طريقاً بالمعنى المفهوم ، لدى عامة الناس ،
بل هو طريقة للمجاهدة ووسيلة لصبط النفس ، ولكنه يشبه الطريق
الأرضي في كونه يتكون من مراحل تختلف بين السهولة والوعورة ، وهو
شبه بطريق بير جبلين تكثر به التواءات والصعوبات لا يسلكه المسافر إلا
بشق الأنفس ، وليس في مقدور كل مسافر أن يسلكه فالبعض يخشى
محاول الطريق فيكف عن السير ، والبعض يقطع بعض أوديته ولكن
سرعان ما يهلك في الطريق . والقلّة هم الذين يستطيعون الخوض في هذا
الطريق والوصول إلى غايته .

وغاية الطريق الصوفي هي إدراك الله سبحانه وتعالى ، ولكن ما
وسيلتهم إلى هذا الإدراك ، هل يدركونه بالعقل ؟

(١) الدكتور عزيم * التصوف وفريد الدين العطار : ص ٧٠

(٢) نفس المرجع السابق - ص ٧١

ميهات ميهات لعقل أن يقوى على إدراك الله سبحانه وتعالى .
فالعقل عاجز عن إدراك سر استحقاقات فكيف به يجرؤ على معرفة سر
الخالق ؟

ولقد أفاض العطار في بيان عجز العقل عن إدراك الحقائق
الكوبية ، وعن إدراك الله سبحانه وتعالى ، بن جعله قاصراً أمام العشق
الإلهي ، ومن أقوال العطار في فصول العقل هذه الأقوال :

ياحي العطار الله سبحانه وتعالى في مقدمة « منطق الطير » يقول .

- وليس للعقل والروح طريق للطواف حولك ، ولا يمكن لشخص قط
إدراك كنه صفتك . . (٦٢) ^(١)

- وإذا قدر لعقل أن يدرك أثرأ من آثار وجودك فلن يستطيع أن يسلك
الطريق إلى إدراك كهك . (٦٥) .

كما يوضح العطار أن الطريق إلى الله نابع منه لا من العقل

- اعرف نفسك بالله ولكن لن تعرف نفسك ، والطريق إليه نابع منه لا من
العقل (٩١) .

بل إن العطار يدعو أسالك لكي يحرق العقل لأنه يقف عثرة في
طريق السالك :

- أي عمل هذا الذي فعله ؟ كالرجال تقدم ، واحرق العقل وكلجون
تقدم (٤٠٨٥) .

ويعبر العطار لعقل عاجزاً أمام إدراك سر العناء ، فهو يقو في

(١) هذه الأرقام (شاره إلى أرقام الآيات في نسخة باريس

وصف وادي الفقر والفناء (مقالة ٤٤) (٢٩٣٤ - ٣٩٣٦) .

- ولكن اذا ما مضى رجل طاهر في البحر ، فإنه يمتلئ ماء حقيقياً ولن يبقى له أثر .

- وتصبح حركته هي حركة البحر ، وما أن يمتلئ حتى يصل إلى محال
الخص

- ويصبح غير موجود وهو موجود ، وعندما يتم هذا ، فإن هذا خارج عن
نطاق تصور العقل .

وليت العطار اعتبر العقل قاصراً أمام إدراك الله وحده ، بل إنه
تعدى ذلك وجعله قاصراً أمام العشق الإلهي :

- العشق يار هلك أما العقل حدحان ، وما أن يقلب العشق حتى يولي
العقل الفرار مسرعاً

- والعقل ليس متخصصاً في ميدان العشق ، وليس العشق وليد العمل .

ولكن لماذا لا يثق العطار بالعقل هكذا ؟

إن هذا ناتج من اعتقاده بأن العقل قريب الشيطان :

- لقد تسطعت نفسك على روحك ، كما سيطر الشيطان على عقلك
(٢٨٧٨) .

فإذا كان العطار يلقي أثر العمل هكذا في إدراك كنه الله ، فما وسيلة
السالك إذاً لهذا الإدراك ؟ إنه العشق ، فالعشق هو الذي يمد العاشق
بمختبرته تستأمله على سلوك الطريق .

- ومن كان في الصعف أكثر عجزاً من الحمة فإن العشق يمدّه كل لحظة بقوة هائلة. (١٧٤١).

والمرق بين العقل والعشق أن الأول يخالط للطبيعة ، والثاني من الذات الإلهية فهو مدرّك لها دائماً ^(١) وعلى هذا فلا بد للعاشق من ذخيرة السالك حتى يستطيع مواصلة السير في الطريق الصوفي .

ولقد قلت من قبل إن الطريق ص هو إلا محاهدة النفس الشريفة حتى تتخلص من كل العلائق وتتطهر وتسلّك الطريق لا تفكر في شيء سوى الغاية التي تسعى إليها.

وهذا الطريق يختلف بين حال ومقام . وقد أكثر الصوفية من التكم عن المقامات والأحوال ونكبي هذه الإشارة الموحزة لتوضيح المرق بين الحال والمقام .

يقول أبو نصر السراج :

المقام معه مقام العبد بين يدي الله عز وجل ، هي مقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات ولا يقطع إلى الله عز وجل ^(٢) .

ويقول أيضاً في تعريف الحال :

.. أما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من

(١) حزام التصوف وفريد الدين العطار ص . ٧٣

(٢) السمع أبو نصر السراج الطوسي المتأخرة ١٩٦٠م ص : ٩٥

صفاء الأذكار^(١)

وقد حكى عن الحنيد رحمه الله أنه قال : الحال مازلة تنزل بالعلوب
فلا قدوم^(٢)

وليست الحال من طريق المحامدات والمصادات والرياضات
كالمقامات . . .^(٣)

ويختلف الصوفية فيما بينهم في عدد المقامات والأحوال كما يختلفون
في أسمائها ويمتد اختلافهم إلى ترتيبها ، وسأذكر المقامات والأحوال كما
ذكرها ابن من كبار الصوفية لرى مدى الاختلاف ، وبعد ذلك أتكلم
عن تقسيم العطار لطريقه ، وهو يختلف تماماً عن تقسيم هذين العالمين
وأعني بهما السراج الطوسي ، والكلاباذي صاحب التعرف

المقامات عند السراج الطوسي :

التوبة - الورع - الزهد - الفقر - الصبر - ارضا - التوكل^(٤)

أما الأحوال عند فهي :

لمراقبة - القرب - المحبة - الخوف - الرجاء - الشوق - الأنا -
الطمأنينة - المشاهدة - اليقين^(٥) .

أما المقامات والأحوال عند صاحب التعرف فقد ذكرها دون أن
يعرف بين ما هو مقام منها وما هو حال ، واكتفى بقوله « يريد أن يجبر الآن
بعض المقامات . . . »^(٦)

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٦

(٢) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٣) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

(٤) الملح لأبي نصر السراج : ص ٦٥ .

(٥) نفس المرجع السابق . ص ٦٦ .

(٦) التعرف للشيخ أحمد التصوف الكلاباذي القاهرة ١٩٦٠ م ص ٩٢

وهذه هي المقامات في رأيه :

لثوبة - الرهد - الصبر - الفقر - التواضع - الخشوع - التقوى -
الإخلاص - الشكر - التوكل - الرضا - اليقين - الذكر - الأنس - العرب -
الاتصاف - المحبة^(١) .

وهكذا نجد اختلافاً في العدد وفي ترتيب كل وفي الأسماء .

ولا غرابة في هذا الاختلاف فالطريق أن الله بعدد أسماء الخلائق ،
ورغم ذلك فالاختلاف ليس كبيراً .

أم إذا نظرنا إلى تقسيم العطار للطريق في منطق الطير فسجد أن
الاختلاف بينه وبينهما عظيم فهو يقسم الطريق إلى سبعة أودية فقط
وهي :

وادي الطلب - ودي العشق - وادي المعرفة - وادي الاستعلاء - وادي
التوحيد - وادي الخيرة - وادي الفقر والمساء .

وهذا هو وصف العطار للطريق بمراحله لسبع بهجاء^(٢)

أولاً : وادي الطلب :

وادي منيء بالتمتع ، ولا مد فيه من لحد والجهد عدة سنوات ، كما
يجب التحلي فيه عن المال والملك وعن الكل ، كما يجب التطهر من كل
العلائق ، وعلى السالك ألا يأبه في هذا الوادي بمحلوفا الطريق ، على أن
يشلوى لديه الكفر والإيمان ، كما يجب ألا يكف لحظة عن الطلب ، فإن
تواني لحظة عن الطلب فهو مرتد ، وعليه أن يقدم روحه تشاراً في هذا

(١) نفس المرجع السابق راجع من ص : ٩٢ : ٩٩ .

(٢) راجع كتاب منطق الطير من المقالة الثامنة والثلاثين إلى نهاية المطوية

الوادي ، كما يجب أن يتحلى بالصبر حتى لا يئس في أول مراحل الطريق . . .

ثانياً : وادي العشق :

كل من سار فيه فهو في نار وحرقة ، لا يعرف الكرم من الإيمان ، كما يتساوى أمامه الخير والشر ، والعقل غير جدير بهذا الوادي فهو عاجز عن إدراك أسرار العشق . والعشق يوجب على السالك أن يقوم بأي عمل مهما صعب من أجل المعشوق ، والسالك في ذلك الوادي يجب أن يتحلى عن كل ما يملك ، فالعشق والإفلاس قريبان ، والعاشق يقدم روحه طواعية تنبئة لأمر المعشوق ، ولكن يكره أن تكون هناك واسطة بينه وبين معشوقه ، كما حدث في قصة سيدنا إبراهيم مع عورتَيْل حينما حال موعد وفاته (٣٤٤٣ : ٣٤٥٥)^(١)

ثالثاً : وادي المعرفة :

في هذا الوادي يختلف سالك الروح عن سالك الحسد ، وتعلو المعرفة بين السالكين كل حسب قدرته ، فبعضهم يدرك المحراب والبعض يدرك الصمم ، وكلهم واصل السالك المسير كلما زادت معرفته بالأسرار ، ولا مد لسالك من أن يتصف بالكمال حتى يستطيع مواصلة السير ، كما يجب على السالك ألا يقع بما حصله من معرفة بل عليه أن يقول دائماً « هل من مزيد ؟ » حتى يصل إلى دي العرش المجيد ، وهذا الوادي طريق طويل لا بدوله بداية ولا نهاية ، وعلى السالك أن يبعد النوم عن عينيه وأن يكون في سهاد وأرق دائم . .

(١) الأرقام التي أذكرها تشير إلى ترقيم الآيات في نسخة باريس ١٨٥٧م ، كما ذكرت من قبل

رابعاً : وادي الاستغناء :

وفيه يجب على السالك أن يتخلى عن كل شيء في الدنيا ، مكل ما فيها تافه لا قيمة له ، فما هذه البحار الشاسعة إلا بركة صغيرة ، وما الأفلاك والأنجم إلا كورقة شجرة ، كما يجب على السالك ألا يطعم في شيء مطلقاً ؟ فما العلمان إلا كذرة رمل تافهة .

وإذا ما أضاء برق الاستغناء فإن غيبه يحرق مائة عالم في لحظة واحدة ، وعلى السالك أن يتخلى عن روحه في هذا الوادي ، وأن يقطع كل صلة له بقلبه لأن من يسلك هذا الوادي بالروح والقلب يكون أكثر شركاً من المشركين أنفسهم .

خامساً : وادي التوحيد

وهو منزل التجريد والتعريد ، وفيه يرى السالك لكثرة قنة حتى يصل الكل إلى أن يكون واحداً ، ولا أهمية للأزل ولا للأمد في هذا الوادي ، ومن لم يفن من السالكين في الوحدة والاتحاد فهو عبر حدير بالإسنية ، وعندما يصل السالك إلى محال التوحيد ، فإنه لا يشعر بالمكان ولا بنفسه ، ويصبح الجزء كلاً ، بل ويتلاشى الكل والجزء وتتلاشى فيه الأعضاء والروح ويصبح العقل عديم القيمة في هذا الوادي ، وفي هذا الوادي تختلط الصورة بالصفة .

وما أن يصل السالك إلى حد التوحيد والتعريد ، فإنه يصل إلى حد الاضطراب وعدم القدرة على أن يفرق بين نفسه وبين ربه لأن هذا الوادي فيه تتلاشى الثنائية ولا بقية إلا للوحدانية .

سادساً : وادي الخيرة

وبه يُصاب السالك بالآلم والحسرة وينحدر في عمل متواصل ويكون عرصة للأحزان دوماً ، وتهال عليه المصائب في كل لحظة فسكنر أماته ، وكل ما حصلت روحه من التوحيد يضيع منه في هذا الوادي دفعة واحدة ، ولا يعرف السالك أنه موجود أم غير موجود ! أهو ظاهر أم خفي ! فالسالك في هذا الوادي لا يعرف كنهه ، ويكون قلبه مغمماً بالعشق ولكن لا يعرف من المعشوق ، ويكون حائراً بين الكفر والإسلام ، وقد ساق العطر قصة الشيخ « نصر آباد » دليلاً على ذلك ، إذ حج أربعين مرة ثم ترك ذلك كله وطاف حول معبد النار من شدة اضطرابه وحيرته دون أن يشعر بما يفعل (٣٨٩٩ : ٣٩١٢)

سابعاً : وادي الفقر والفناء :

أهم ما يمر به هذا الوادي هو السيان ، ولا سبيل أمام القلب في هذا البحر الخضم إلا الفناء ، ونهاية المطاف في هذا الوادي تختلف من سالك إلى آخر كل حسب طهره وعمره فممن تكبو الخطايا يسرون إلى القناع أدلاء ولكن من تنظرو نفوسهم يفتنون فناء حقيقياً وتصبح حركة كل واحد منهم هي حركة البحر . وهكذا يتم الاتحاد وما الاتحاد إلا فناء السالك عن ذاته ومثاله في الله ، وإذا ما مضى السالك عن اجمع فهذا هو الفناء ، وإذا ما فنى عن الفناء فهذا هو البقاء بعد الفناء

وهذا بدوره يؤدي بنا إلى الحديث عن الفناء في مطلق الطير

خامساً - الفناء وصوره في منطق الطير

انفناء الصوفي هو احسان النبي تنوارى فيها آثار الإرادة والشخصية والشعور بالذات وكل ما سوى الحق . فيصبح الصوفي وهو لا يرى في الوجود غير الحق ولا يشعر بشيء في الوجود سوى الحق وفعله وإرادته ^(١)

ولا تشير كلمة « انفناء » إلى ناحية واحدة من التجربة الصوفية هي الناحية السلبية ، ولكن لها ناحية إيجابية هي التي عبر عنها الصوفية بكلمة « البقاء » لأن انفناء عن شيء يقتضي البقاء بشيء آخر

فانفناء عن المعاصي يقتضي انبقاء بالطاعات ، وانفناء عن الصفات الشرية يقتضي البقاء بصفات الألوهية ، وانفناء عما سوى الله يقتضي البقاء بالله وهكذا . ^(٢)

وليس المقصود بالانفناء ذلك المعنى الشائع ، وهو انفناء ناموت بل المقصود أن يمسي الصوفي عن الأخلاق الدنيوية ويمسي بالأخلاق الحميدة ، ويمسي عن صفاته من علم وقدرة وإرادة ويبقى بصفات الله الذي له وحده العلم والقدرة والإرادة ، وأخيراً يمسي عن نفسه وعن العالم حوله ويبقى بالله ، بمعنى أنه لا يشهد في الوجود إلا الله ^(٣)

وهذا ينبغي أن يفسر ما يقول الصوفية في الفناء . إنه ليس بموت لأن الذي يعدونه فانياً يعيش على هذه الأرض ، وليس هو تحول الله في

(١) الصوفية الثورة الروحية في الاسلام . الدكتور أبو العلا عيسى ص . ١٧٩

(٢) نفس المرجع السابق ص - ١٨٠

(٣) نفس المرجع السابق ص . ١٩٩

الإسان كما في بعض النحل^(١) وإلى هذا يشير صاحب الرسالة القشيرية :
« . . . وإذا قيل قس عن نفسه وعن الخلق فمنه موحودة والخلق
موجودون ، ولكن لا علم له بهم ولا به ولا إحساس ولا حبر ، فتكون
نفسه موحودة والخلق موحودين ، ولكنه عاقل عن نفسه وعن الخلق
أجمعين غير محس بنفسه ولا بالخلق »^(٢)

وكلمة المراء تدور حول (لانا) ، لذا فمن واجب الصوفي ألا
يشعر بذاتيته ، لأن شعوره بالانا أو بالذاتية فيه شعور بالإثنية والشعور
بالإثنية شرك . ولذا فالتبعية المطلوبة من المراء هي رفع الإثنية^(٣)

ويسوق العطار قصه عن معشوق الطوسي ، وفيها لا يشعر
بأنه .

زار شاب معشوق لطوسي وهو مريض وبدأ في قراءة الفاتحة حتى
شعر المريض بأفاسه فقال الطوسي : إذا كنت تقرأ الفاتحة فلتصب الله
بأنفاسك . إن هذه الأنفاس لا تليق بهذا المسكين ، فيبني أن يبال هو كل
شيء لا أنا .

وهذا الفناء في الله أو الاتحاد مع الله يتحد مظهراً يقسم إلى عدة
صور ولا يبدو عند كل صوفي كما يبدو عند الآخر ولا يكون له نفس
الصورة في كل الحالات ، وإن تعبيرات الصوفية تصف هذا في السوان
متباينة .

وإذا ما تعرضنا لأقوال العطار عن الفناء وصوره في منطق العسير
لوجدنا أنه يعبر عن الفناء بأكثر من صورة :

(١) التصوف وفريد الدين العطار : الدكتور هرام من ١١٢

(٢) نقلاً عن التصوف : النور الروحي في الإسلام الدكتور أبو العلا عفيفي من ١٨٢

(٣) Ritter P 589

١ - فناء السالك في الله كمنه القطرة في ابحر ، وقد وضع العطار هذه الصورة في نهاية احديث عن وادي الفقر والفناء فهو يقول :

إذا هاج وماج البحر الكلي ، فهل تبقى نفوش على صفحة البحر ؟
إن كلا العالمين نقش ذلك البحر . . وكل من أصابه الفناء في بحر الكل
فهو دائماً فناء بل ، والقلب في هذا لبحر العاص بالفناء لا يجد شيئاً إلا
الفناء . . وإذا فني نجس في بحر الكل ، صار إلى القاع ذليلاً بهيمته ،
ولكن إذا مهي فيه رجل طاهر فسيبقى فناء حقيقياً ولن يبقى له اثر ،
فنصح حركته هي حركة البحر . . »^(١)

٢ - يشبه العطار فناء السالك في الله بماء النخل في الشمس :
فالعطار يقول في نهاية القصة وذلك بعد أن وصلت الطير الى
السيمرغ ، ومم اللعاء بينها وبين السيمرغ ثم تم لها الفناء
- لقد انمحو فيه في النهاية على الدوام ، كما يفتى النخل في الشمس
والسلام .

كما يشرح العطار هذه الفكرة في كتاب آخر له ، هو « عتار نامه »
يقول :

« إن النبي يقول للسالك : اذا اردت أن تخرج عن نفسك ، وأن
تفنى فلا بد وأن تصبح لا شيء في ذات الله ، كن ظلاً يصيح في
الشمس ، كن لا شيء والله عالم بكل شيء »^(٢) .

ويتحدث كذلك عن هذه العلاقة في إجابة الله سبحانه وتعالى على
سؤال لذي النول يسأله فيه عمن يقتلهم الله ، فكان جواب الله إنني

(١) انظر المقالة الرابعة والأربعين : في صفة وادي الفقر والفناء .

(٢) Ritter P.593

أقتلهم ، وإذا ما فنى السالك تماماً فأنا أسير* له شمس وجهي ، والنبيه
ثوباً من جمالي ، وأجعله ظلاً في طريقي ، وأجعل شمس نفسي تشرق ،
وإذا ما أشرقت شمس وجهي ، فكيف يستطيع الظل أن يفسى في
طريقي ؟ وإذا تلاشى الظل في الشمس فإنه يصبح لا شيء والله يعلم كل
شيء . (٢٥٥٣ : ٢٥٦٩) .

٣ - الصورة الثالثة من صور العناء هي صورة التحول إلى نور ،
وهذه الصورة واضحة في حكاية المراثيات الثلاث ومحاولة إدراكها لنور
الشمعة فطارت فراشة وما أن رأت الشمعة وسط ردهت الفصير حتى
أسرعت بالعودة وأخذت تصف الشمعة ، ولكن ناقدهم صفه رأيا ،
فطارت أخرى وطافت حول الشمعة ثم عادت وقصت على الجمع ما
رأت ، ولكن ناقدهم لم يقع بكلامها وصفه رأيا كذلك ، فطارت فراشة
ثالثة وألقت بنفسها في نار الشمعة فاحترقت كلها في البر وأست نفسها
كلية وهي عابة في السرور ، وما أن شملتها النار عن آخرها حتى احمرت
أعصقوها كلون النار ، لذا ما أن رأها ناقدهم حتى قال لقد أصابت
هذه

أي أن الفراشة الثالثة هي التي أدركت العناء الحقيقي وذلك
لخروجها عن طبيعة تكوينها وتحولها إلى نور ، وهكذا كان التحول إلى نور
صورة من صور العناء .

٤ - ألاحظ أن الصور الثلاث السابقة يتخذ فيها العناء صورة
التلاشي التام ، ولكن في الصورة الرابعة يبدو العناء على أنه ظهور وجود
حاصل في مادة عامة لتكون ، وهذا العناء يبدو في صورة تحول المحب إلى
شعرة لا مكان لها إلا في ذؤابة الحبيب ، وتبدو هذه الصورة في حديث

الشيخ محمود الطوسي لأحد مر يديه إذ يقول له :

« مص إلى العاء دائماً ، حتى نفس نفسك في العشر غماً ،
وعندما تصبح كالشعرة في الضعف . وألق مكانك طرة العنوق ،
وكن من يصبح كالشعرة في محرابه فإنه يكون شعرة من شعره بلا شئ . »
(٣٩٣٧ - ٣٩٤٠)

ولملاحظ أن العطار يشرح فكرة ماء الحب في محرابه ، وارتقائه
إليه حتى يصبح هو ذاته ، بقصص ديبوية ، والمثال الكلاسيكي المألوف
دائماً هو المحبون وليلاه ، ولكن العطار أضاف إلى هذين العاشقين
القديمين عاشقين أحدث عهداً هما « محمود » و « ياز » وإن كان يذكر
المجنون في بعض حكاياته (١) .

يقول العطار « وإذا ما تلتقي أحد من بين الجمع فهد هو
العاء ، وإذا ما فنى عن العاء فهد هو العاء » (٣٩٤٢) .

ويقول أيضاً : « اعصر عيش ثم افتحها وتلاش ثم تلاش ثم
تلاش في تلك الحال الثانية ، ثم امص قدماً ، بعد تأتي لك أن تصل إلى
عالم التلاشي » .

ولملاحظ أن العطار يصف الوصول إلى العاء ، غير أنه لا يوضح
طريق العاء فنحن نلاحظ في نهاية القصة أن الطيور بعد أن أصابها
العاء أدركت العاء دون أن يوضح لنا لعطار كيف أدركته ، لأن توصيح
ذلك خارج عن نطاق الشرح والتفسير ، فقد قل .

عندما انقضت أكثر من مائة ألف من القرون ، وكانت قروناً

(١) Ritter P.589

بلازمان إذ لا بداية ولا نهاية ، أسلمت الطير أنفسها إلى الغناء الكلي بكل سرور ، وما أن غلب الجميع عن رشدهم حتى تابوا إلى رشدهم ، وتقدموا إلى البقاء بعد الغناء ، ولكن ليس لأحد قط سواء من المحدثين أو القدماء أن يتحدث عن ذلك الغناء وذلك البقاء . إذ أن شرح ذلك معيد عن الوصف والخبر ، ولكن في طريق مثل طريق أصحابنا ، أي يمكن شرح البقاء بعد الغناء ؟ وأي يمكن إتمام ذلك ؟ (٤٢٤٩ - ٤٢٤٧) .

ويربط العطر بين الغناء والذلة وبين البقاء والسمو والشرف ، فهو يقول : « وإن لم يصبك التقصصان في الغناء ، فلن ترى السلامة مطلقاً في البقاء ، وفي الطريق نلتقي إليك الذلة في البداية ثم ترتقي مجاة بالجرة ، فصر إلى العدم حتى تدرك الحياة في أثر ذلك ، فم دمت موجوداً فكيف تصل الحياة إليك ، وإن لم تمح في الذلة والغناء فكيف يصلك من العز إليت البقاء » (٤٢٥٩ - ٤٢٦٢) .

وقد قصص العطار قصة طريفة تؤيد هذه الفكرة وهي تدور حول ذلك الملك الذي يأمر وزيره بقتل ولده الحبيب ، غير أن حصافة الوزير تقنع الملك بوحلة عاقبة تلث الموبة عن العصب التي تسهر عليه .

ويقول ريتز (Ritter) إننا لا نعرف من هذه القصة شيئاً عن حالة البقاء الصوفي وما يمر به ، والقصة تصف في براعة حالة الشقاء الظاهري للنفس ، والغناء الخلفي لدى إنسان كان يحب شيئاً يكمن فيه جمال الحياة والشباب ، وقد حطمه غير أن الخطأ أعاده إليه .^(١)

ويكمل ريتز تعليقه على هذه القصة (من البيت رقم ٤٢٦٣ إلى رقم ٤٤٢٣ - طبعة باريس) - فيقول : « إذا شئنا استناداً إلى هذه القصة أن نشرح فكرة الغناء والبقاء فإن ذلك لا يكون بانعنى العسلي

(١) Ritter : P. 634

لاصطلاحى لهاتين الكلمتين ، فإن الغناء هنا بواسطة الشعور بالنسب مما
يعقد الموازنة بينها وبين حال الطير التي تملكها الخجل حين وجدت أن
سجل دنوبها موجود في بلاط السيمرع ، وإن هذه الحال عرفت عند
الشاعر بالغناء . . .

أما البقاء فهو حال سعيدة لم يستطع الشاعر أن يصفها ولم يشأ
أيضاً أن يسمو بوصفها ، وإنما أراد العطار أن يشير في قارئه حب
الاستطلاع بقصة معبرة رائعة . . .

وبحسب لا نخطيء إذا ما سلمنا بأن الشاعر لم يقصد بالسفر إلى الله
والبقاء بعد الغناء أن يقول شيئاً ملموساً متميزاً ، كما أن الصوفية لا
يعرفون إلا القليل الذي يذكره عن هذا البقاء ، وإن الروعة الحقيقية
تتركز في الغناء^(١)

أي أن ريتز يرى أن الغاية التي يسعى إليها الصوفي والمهدف
الأسمي الذي ينطبع إليه هو الغناء في الله ، وما هذا السفر إلا وسيلة
لإدراك هذا الهدف ، وما هذا البقاء بعد الغناء إلا بقاء بصفت الله بعد
الماء عن صفاته ، وهو بقاء بالأحلاق الحميدة بعد الفناء عن الصفات
الدنيوية ، وما أن يدرك السالك هذا الهدف الأسمي وهو الغناء ، فسرعان
ما ينعم الله عليه بالبقاء .



بعد أن تعرضنا لشرح معنى الغناء عند العطار وبعد أن عرجنا
كذلك على فكره لبقاء بعد الغناء ، نجد سؤالاً يدور في ذهن يبحث عن
إجابة ، هذا السؤال هو : هل يميز الغناء في الله عند العطار أن يكون
الصوفي إلهاً؟

إن الطيور في نهاية المطاف قد أدركت أنها هي السيمرغ وأن
السيمرغ هو هي : هل يريد العطار بذلك أن الطير أصبحت الله ؟ وإذا
كان الجواب بالإيجاب ، فهل معنى ذلك أن العطار يتفق في ذلك مع
احلاج في قوله « أما الله » أو مع بايريد وهو يقول « سبحانه ما أعظم
شأنه » ؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة جميعاً يجدر بنا أن نعرف وحدة الوجود
ورحدة الشهود تعريفاً موجزاً للغاية دون التعرض للتضريعات العديدة .

يرى ابن عربي أن الوجود حقيقة واحدة ذات وجهين الوجه الأول
الباطن وهو الحق ، والثاني الظاهر وهو الخلق ، وهو يرى أن التعدد
والكثرة أمر فني به العقل القاصر والحواس الظاهرة القاصرة، ولا فرق عند
ابن عربي بين الواحد والكثير أو الحن والخلق إلا بالاعتبار والنظر العقلي
القاصر ، فالعين واحدة كما يقول :

جمع وعرق فإن العيون واحدة وهي انكثيرة لا تبقى ولا تذر^(١)
ويعلق المستشرق الإنجليزي نيكلسون على هذا القول بقوله :
ويعرف أهل هذه القرنة بأصحاب وحدة الوجود^(٢)

ويقول ريتز Ritter « . . . وعمد صوفي وحدة الوجود يكون
الله هو الصوفي نفسه . . . »^(٣)

وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة قضاء تام

(١) ابن عربي الفتوحات المكية ج ١ ص ٣٦٢ ، ج ٢ ص ٣٢١ - ٢٢١ مطبعة برلاف
١٣٠٢ هـ القاهرة نظراً لأن عربي أيضاً صومح الحكيم ص ٢٤٦ تحقيق الدكتور أبي
العلاء عميمي . القاهرة ١٩٤٥ م .

(٢) نيكلسون في التصوف الإسلامي وثأريجه ترجمة الدكتور أبي العلاء عميمي القاهرة
١٩٥٦ م ص ٨٥ - ٨٦

(٣) Ritter P 632

على كل معالم الدين المنزّل ومحو هذه المعالم محو أكملًا ، ولهذا نجد أوائل المؤمنين في التصوف يرددون الإنذار والتحذير من الوقوع في وحدة الوجود ، ويكررون بأن الله تعالى غالف بالمعوذات مخالفة تامة ، وأن أي اتصال به يوصف بأنه اتحاد بذاته ، كفر وضلال^(١).

أما وحدة الشهود فمعناها الفناء عن شهود التكثر والتعدد لانفي هذا التكثر والتعدد في ذاته ذلك الذي يؤكده مذهب وحدة الوجود ، فالمؤمن بوحدة الشهود لا يشهد في الوجود إلا الله ، أما المؤمن بوحدة الوجود فهو يسقط التكثر والتعدد في الوجود المعني ، ولا شك أن هناك فارقاً بين الفية عن شيء (التكثر) وبين نفي هذا الشيء . وهذا هو الفارق بين مذهب وحدة الوجود ووحدة الشهود.

ووحدة الشهود حال أو نجربة يعانيها الصوفي لا عقيدة ولا علم ولا دعوى فلسفية يحاول برهنتها أو يطالب الغير بتصديقها^(٢).

بعد هذه المقدمة الموجزة لبيان الفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود يمكننا أن نجيب عن الأسئلة التي أثبتت من قبل:

نحن نعرف أن الطيور بعد أن حظيت بحضرة السمرغ وبعد أن أضاءت بجوارهم شمس القرب . وجدت الطيور أنهم في مقابل ثلاثين طائراً ، أي أنهم في مقابل أنفسهم وقد أجاد العطار في ذلك الموقف استعمال الجنس بين كلمتي « من مرغ » بمعنى « ثلاثين طائراً » و« سمرغ » إله الطير ، فقد رأت الطير نفسها السمرغ بالهام ، كما رأت أن السمرغ هو نفسها بالهام فلم تعد ترى فارقاً بينها وبين السمرغ . . . فيما كان عنها إلا أن طلبت من السمرغ شرح هذا الحال ،

(١) بكسوف. في التصوف الاسلامي ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) للدكتور أبو الملا صفي ، التصوف: القوة الروحية في الاسلام ص. ١٨٥.

فأحلب السمرغ بأن الخصرة مرآة ساطعة كالشمس فكل من يقبل صوبها يرى نفسه فيها. . . (٤١٩٣ - ٤٢٣٢) .

أي أن العطر بناء على هذه الأقوال - من الداعين إلى وحدة الشهود ، فصورة الفناء كما عرضها في آخر القصة هو فناء عن شهود التكسر والتعدد .

ولكننا نجد العطار يقول بعد ذلك : (٤٢٣٠) .

« وقد فت الطير في النهاية على الدوام كما يفسى الغل في الشمس والسلام » أي أنه بناء على هذا القول - وأقوال أخرى يشبه فيها الاتحاد بالحاد القطرة مع البحر - من المؤمنين بوحدة الوجود ، فما سبب هذا التضارب ؟

يقول المستشرق الألماني ريتير Ritter : من الأفكار النسوية خطأ إلى العطار القول بوحدة الوجود ، ولكن الحقيقة أن العطار يبتعد عن تأليه الصوفي ويبتعد كذلك عن الحصول والاتحاد ، وهو يضيف إلى هاتين الكلمتين كلمة أخرى وهي في رأيه « وحدة الاستعراق في الله »^(١) .

وريتير يستند في رأيه هذا على قول العطار على لسان الخدم وهو يرد على الطير وهي تسأله عن لصلة التي تربطها بالسمرغ في المقالة الثالثة مشرقاً .

« . . . وصور طير العالم جميعها ما هي إلا ظله »^(٢) ، فأعلم هذا أيها الحاميل ، فإذا عرفت أولاً فستصل اتصالاً وثيقاً بتلك الخصرة ، فإذا عرفت فتبين الحقيقة وكن حذراً ، وإذا عرفت فلا تكن معشياً سراً ، وكل من صار هكذا فإنه يكون مستغرقاً ، فحاش الله أن تقول أما الحق ، وإذا

(١) Ritter P.590

(٢) أي ظل للخصرة الإلهية

لم تصر مثلها قلت فانت لست الله ، ولكك مستغرق في الحق دائماً ،
وكيف يكون المستغرق حلولياً ، وكيف يكون هذا الكلام من شأن
العضوي ؟ ... » (١٠٥٦ - ١٠٦١) .

أي أن ريتز يعتبر العطار مؤسناً بمبدأ « وحدة الاستغراق في الله »
وليس حلولياً ولا من القائلين بعبارة « أنا الله » كما قلها الحلّاج

يقول الدكتور أبو العلا عفيفي . « لم يظهر فكرة وحدة الوجود في
صورة نظرية كاملة مسقة قبل عيسى الدين بن عربي المتوفي عام ٦٣٨ هـ .
... ولم يكن ابن عربي أول من أرسى دعائم مذهب كمال في وحدة
الوجود وحسب ، بل ظل حتى اليوم الممثل الأكبر لهذا المذهب ، ولم يأت
بعده من تكلموا في وحدة الوجود نثراً أو شعراً إلا كان متأثراً به أو نقلاً
عنه أو مردداً لمعانيه بعبارات جديدة . . . »^(١)

وحسب معرف أن العطار كان معاصراً لمحيي الدين بن عربي ، ولكن
لم أحد فيما قرأت من كتب إشارة إلى أن العطار اتصل بابن عربي أو تأثر
به في مذهبه « وحدة الوجود » .

وعلى هذا فإنني أستطيع أن أقول بلا تردد أن العطار من أصغر
وحدة الشهود ، ولكنه كشاعر لا يعرف لنفسه ضابطاً فسرعان ما نجده
يورد عبارات كثيرة لا تتفق مع مبدئه ، فهو مشتت الفكر متشعب ، وليس
مفكراً دقيقاً في تفكيره ، وليس منطقياً واضحاً ، فهو في بعض الحالات
التي يسطر فيها الوجد عليه وتعلب عليه مذكة الشعر بسترسل في الإنشاد
دون قصد ، فيطلق عبارات يهم منها الاعتقاد بوحدة الوجود ، أما قول
ريتز من أن العطار ينادي « بوحدة الاستغراق في الله » فهذا - في رأيي -
مبدأ ومطابق وحدة الوجود ووحدة الشهود أراد به ريتز أن يخرج من

(١) الدكتور: أبو العلا عفيفي ، التصوف: التنوير الروحية في الإسلام ص ١٨٧

ذلك التضارب البادي في كلام العطار ولكن كل ما يهمني من كلام العطار هو ما جله بطبيعة الحال في منطق الطير ، ونهاية القصة دليل واضح على أن العطار من أنصار وحدة الشهود وأن الأقوال التي قالها ويشتم منها الاعتقاد بوحدة الوجود قد جاءت عن غير قصد نتيجة لحالة الوحدة الشديدة التي كانت تسيطر عليه ، ونتيجة لأنه شاعر ثرثار أحياناً لا يعرف كيف يجعل لكلامه حدوداً يقف عندها .

وإذا كان العطار مؤمناً بوحدة الشهود وليس من أنصار وحدة الوجود فهو ليس حلولياً ولا من أنصار دعوتني « أنا الله » للحلاج أو « سبحانه ما أعظم شأني » لبايزيد ، ويكفي لإثبات صحة هذا القول ذكر هذين البيتين (١١٥٩ ، ١١٦١) :

- وكل من أصبح مستغرقاً هكذا ، حاش لله أن يقول « أنا الحق » .

- همى كان الرجل المستغرق حلولياً ؟ ومتى كان هذا القول من شأن المصوري ؟

وهكذا نرى أن العطار لا يجعل التصوف وسيلة يترقى بها السالك ليكون إلهاً ، بل يجعله طريقاً للاتصال بالله والغناء عن الصفات الدنيوية للبقاء معه بالصعفات الحسية .

سادساً - العطار والملازمة

يقول المستشرق الإيطالي انتونيو بيراني في كتابه القيم « قصة الأدب العربي » .

« إن عصرًا ملازمًا يبدو متحللاً كل الشعر العائلي التخليدي

الفارسي وكأنه مدح للكفر وللبدعة وللمحمر فهو يذكر دائماً مع مدح هذه الأشياء ، وإن الأمثلة القديمة لهذا المعصر تجدها في الشعر العناتي خاصة التي ترمز إلى المسيحية . . . وإن هذا المعصر يتحول ويتغير بمرسه إلى صورة صوفية وأروع مثال لها موقفه الشيخ صنعان ، وقد قص قصته فريد الدين العطار في منطق الطير (١) .

حقاً إن العطار قد تحدث عن الكفر والإيمان وحس الخمر في هذه القصة ، بل جعل الشيخ صنعان يفصل جانب الكفر على الإيمان في بداية الأمر من أجل محبوبته وهذا كفر واضح في نظر العامة ، ولكن في نظر الخاصة لا يعتبرونه هكذا ، فهم يرفعون من مكانة العشق حتى يجعلوه يفوق الكفر والإيمان ، وهذا ما قاله العطار في قصته ، ولكن كل ما يهمنا الآن من هذه السلسلة هو هل كان العطار ملاميتاً أم لا ، مع علمنا بأن الملامتية أول ما نشأت نشأت في نيسابور (٢) بلد العطار ؟

للإجابة عن هذا السؤال يجب أن نعرف الملامتية أولاً :

يقول الدكتور أبو العلا عفيفي ؟

« ما المراد باللامية التي يتسب إليها الملامتية ؟ أهى لوم الملامتي لنفسه ؟ أم لوم الناس إياه ؟ أم لوم الملامتي الدنيا وأهلها ؟ أما لوم الدنيا فيس من نظام الملامتي في شيء لأن في تعاليمهم الصريحة الهى عن ذم الدنيا ، أما المعين الأحرار فيدخلون في جوهر الصكرة الملامتية ،

(١) Antonio: Storia della letteratura persia Milano: 1960 P 265-266

(٢) أبو العلا عفيفي ، الملامتية والصوفي وأهل الفتوة ص ٣٠ القاهرة ١٩٤٥

واللهما تشير كثير من تعريفاتهم . . . (١١).

وبعد هذا التعريف الموجز نسأل : هل تتفق آراء العطار وهذه المبادئ الخاصة باللامتية ؟

إن العطار يتفق معها في بعض الأفكار ويختلف معها في البعض ، فهو يتفق معها شأنه في ذلك شأن الصوفية جميعاً - في ذم النفس البشرية وإثبات عجزها دائماً ، ولكنه لا يتفق معهم في شأن ذم الناس للصوفي فهو يرفع من مكانته ، كما أنه يختلف معهم في موقفهم من الدنيا ، فهو كثيراً ما يلتمسها ويكبل لها السباب ويشبهها أحياناً بموقد حمام أو بيت العكبوت ، ويصفها بأنها دار فناء وبلاء وطمع ، كما أنها دار شدة ومحنة (١٢).

وبجانب ذلك نجد أن مبادئ العطار تخالف في كثير منها مبادئ الملامية فمن أصول الملامية ترك الكلام في دقائق العلوم والإشارات ، وقلة الخوض فيها . (١٣)

ولكننا نجد العطار يتحدث بالمرمر كثيراً ويشير إلى إشارات الصوفية ، كما أنه يتحدث في دقائق العلوم الإلهية ، فهو يتحدث عن الفناء والبقاء بعد الفناء وهما من الإشارات التي يصعب على أغلب العامة فهمها .

كما أن غاية الطريق لدى الملامية - كما يذكر السهروردي - الإخلاص في الأعمال وتحريرها من كل معنى من معاني الرياء ، وهذا

(١) نفس المرجع السابق ص - ١٥

(٢) يشير إلى أفكاره عن الدنيا ودمه لها ثمة الكلام عن (العطار والدنيا)

(٣) رؤية الملامية للمسلمي - شرابي الملا عظيمي مع كتابه « الملامية الصوفية وأهل الفتوة » ص ١٦٤ .

يفتحي مراقبة دقيقة للنفس وعلم العناء فيها. (١).

ومحى معرف من سرد قصة منطلق الطير أن انبثاثة التي يريد العطار الوصول إليها هي العناء انتم ورؤية المخلوق معين الزوال هذه بعض الأفكار التي تحدد بوصف أن العطار ليس ملامتياً ، وليست هذه كل الحجج والأسانيد بطبيعة الحال.



بعد ذلك يجدر بنا أن نوضح موقف العطار من النفس البشرية ومن الدنيا

(أ) العطار والنفس البشرية :

العطار يدم النفس دائماً ويشبهها في بعض الأحيان بالكلب الذي لا يطيع أمراً مطلقاً ، فالنفس بمثابة العدو الأول له ، وبمثابة للنفس الذي يسرق منه أسرار الطريق ، فهو يقول : « إن نفسي لي عدو ، فكيف أقطع الطريق إذا كان رفيقي لصاً ، فالنفس كالكلب لم تطع لي أمراً مطلقاً ، ولا أعلم كيف أحرر الروح من رقتها . (١٩٤٠ - ١٩٤١) .

وإذا كانت نفس العطار عدوه الأول فلا سبيل إلى الكمال إلا بإفناء النفس :

وإن نفس نفسك ذات يوم فتصبح في إشراق حتى ولو كانت الليالي كلها حالكة .

كما يشبه العطار النفس البشرية في حبرونها مروعون ، ويربط بينها وبين الشيطان في ارتكاب الآثام والمعاصي :

(١) الملامتية والصوفية و هل الفتوة : أبو العلا عمري

« وما دامت لك نفس وشيطان ، ففي داحيتك فرعون وهامان »
(٢٩٥١) .

كما أنه يشبهها كذلك بالثعبان والمقرب فيقول : « فظهر نفسك
من الصعات الدنية ، ولتصبر بعد ذلك إلى العدم وأنت لك أن تعلم ما
بجسدك من أدران وأوساخ فالثعبان والعقرب حيان تحت حجبتك ،
وبد ناما وأحيا نفسيهما » (٣٧٠٢ - ٣٧٠٤) .

وإذا كانت النفس البشرية يصورها العطار هذا التصوير الشح
ويصفها بأنها كالكلب أحياناً وكالثعبان والعقرب أحياناً أخرى ، كما
يفرهما بالشيطان ويصفها بأنها كمرعون في ظلمه وجبروته ، إذا كان
العطار يصورها هكذا ، فلا بد وأنه سيحاول التخلص من ربقتها
والتخلي عن سلطانها وهو يدعو الله أن يخلصه منها ، لأن السالك إن
لم يتخلص منها فلا خلاص له من لطموم والبلای

وهكذا يجد العطار يدم النفس البشرية ويصفها بصعات الخسة
والدماء ، شأنه في ذلك شأن لرهاد والصوفية ، فهو لا يحد في هذا
التفسير مبرراً بل إنه تأثر في ذلك بالقرآن الكريم وأقوال الفقهاء
والشيوخ الدين سبقوه .

ب - العطار وذم الدنيا :-

الدنيا دار منه والآخره دار بقاء ، ولذا يسمى لصوفية دواماً إلى
الغناء حتى يحفظوا بالبقاء بعد الغناء ، أي أنهم يسعون إلى التخلص
من الدنيا وأثامها وشرورها حتى ينعم الله عليهم بملكانة العظيمة في
الآخرة فيحفظون بالبقاء الأبدي بعد أن أفنوا أنفسهم وقطعوا كل صلة
لهم بالدنيا الغرور .

والعطار كعامة الصوفية - دون الملامتية - يدم الدنيا وينهر منها ،
ويدعو إلى التخلص منها في كثير من أبياته في منطق الصير ، وهو
يشبه في مواضع كثيرة بموقد مشتعل إذ لا يستقر فيها إنسان في هدوء
وسكينة ، فالعطار يقول على لسان أهدهد :

يا من أقل همة من الحشت ، إنك كلب فوق موقد نار فهاد
تصح ؟ وما الدنيا الدون إلا هذا الموقد ، وما قصرك إلا حمة من تراب
هذا الموقد . (٢١٢٦ - ٢١٢٧)

كما أن العطار يصفها كذلك بأنها شبيهة ببيت العنكبوت وم
الساكس فيها إلا كدابة تتردى في هذا البيت حتى يصيبها الفناء والبلاء
بعد أن يمتص العنكبوت دمعها

- إن الدنيا ومن يرتقي فيها أشبه بدابة دخل بيت العنكبوت
(٢١٥٨) .

كما يحذر العطار السالكين من الدنيا ويعتبرها ناراً عرفة يجب
التحرز منها :

- وما نارك ، لا الدنيا فابتعد عنها ، واقفل كم فعل الأبطال ، وكن
حذراً من هذه النار . (٢١٧٩)

وإذا كانت الدنيا على هذه الصورة في نظر العطار فلا يمكن أن
تكون محيية إلى قلبه بل على العكس من ذلك نحيه يدعو إلى التحلي
عنها ، ويعبر أن الخطوة الأولى في الطريق يجب أن تقتصر بالتحلي عن
الدنيا - فإذ نتحل عن الدنيا في كل لحظة ، فستكون لك الخطوة
الأولى هنما نمن النظر (٣٩٠١)

وهكذا نجد العطار في منطق الطير قد دم النفس البشرية ووصفها
بأنها كالكلب شأنه في ذلك شأن جميع الصوفية وشأن الملامتية أيضاً ،

ثم نجده يدم الدنيا وينفر منها وهو يتفق في ذلك مع الصوفية ، ولكنه يخاف الملامية في هذا الصدد ، فهم يأمرون مريدتهم ألا يتعرضوا للدنيا بالذم ، فقد روي عن أبي حمزة أنه رأى أحد أصحابه وهو يدم الدنيا وأهلها ، فقال : أظهرت ما كان سبيلك أن تحميه ، لا تجالسنا بعد هذه ولا تصاحبنا^(١)

بعد هذا نستطيع أن نحكم بلا تردد بأن العطار كان صوفياً مؤمناً بالصلاة ، ولم يكن على الإطلاق ملامياً ، كما لم يؤثر عنه أنه كان من أنصار فرقة صوفية من الفرق التي سادت عصره ، فلم نجد بين المراجع الموثوق في صحة أحبرها أية إشارة إلى فرقة العطار ولذا سنكتفي بأن نقول أنه كان صوفياً بعيداً عن التعصب والتحزب ، فما أكثر ما دم التعصب والمتعصبين في مقدمة منطق الطير ، وفي كتبه ومنظوماته الأخرى .

سابعاً : رأي العطار في الشيطان

لا شك أن العطار ينمق مع الروح الإسلامية في موقفها من الشيطان في الفردوس ، وأنه يلقي من يتمنون أوامرهم ووسوسته إلى التهلكة وأطلق عليه كما ذكر في القرآن لقب « الملعون » فقد قص قصة إتيانه السجود كما أمره الله في مقدمة منطق الطير إداقل (١٢١ - ١٢٤)

ومن أبي السجود - لآدم - فقد مسح وبم يدرك هذا السر ، وما أن اسود وجهه حتى قال : يا عني لا تتركني ضائعاً وأصلح من أمري ! فقال

(١) رسالة الملامية للشمس بشر أبي الملا عيسى ضمن كتابه للملامية والصوفية وأهل الفتوة ص ٩٣ القاهرة ١٩٤٥ م

أحق تعالى أيها الملعون في الطريق إن آدم ما هو إلا حليلة وسلطان ،
فكن اليوم عيباً لوجهه ، وفي العبد أحرق له البحور .

كما أشار العطار إلى أن إبليس قد أصيب بالعديد من البلياء لأنه
حاول التماثر على آدم وقال : « أما حير منه خلقتي من نار وخلقته من
طين »^(١) والعطار يشير إلى ذلك بقوله :

ولا تقل : « أما » ، فكلمة 'أما' تجلب العديد من البلياء حتى لا تبني
بشرور إبليس . (١٩١٢) .

ولكن كل ما يمني من حديث العطار عن الشيطان هو تلك الأفكار
التي حاول فيها شاعرنا إعلاء شأن الشيطان ومحاولة تبريره لعدم مسجوده
كما أمره الله سبحانه وتعالى .

فنحن نجد العطار قد رفع من مكانة إبليس وجعله في مرتبة المعلم
فقد قص العطار قصة سيدنا موسى وهو يطلب سراً من الله عما كان من الله
إلا أن أحاله إلى إبليس ليتعلم منه هذا السر ، فبحث سيدنا موسى عن
إبليس كثيراً وسأله عن هذا السرفم كان من إبليس إلا أن قال له : « تذكر
دائم هذه العبارة : (لا تقل أما) حتى لا تصبح على شاكنتي » (٢٩١٥)

والأمر الثاني الذي بلغت النظر أن بعض الصوفية كالشبلي مثلاً
يحترفون عيرة من إبليس لأن الله سبحانه وتعالى قد حصه بكثير من
اللعنات وأنه جاده كثيراً ، وكم يتمنى الواحد منهم أن يكسبه الله سبحانه
وتعالى ولو باللعنات .

« وروحني التي اغشيت عيها عن كلام العاصي قد احترقت عيرة من

(١) سورة الأعراف آية : ١٢

إبليس في هذا الرمان ، فما أكثر ما وقع عليه خطاب اللغات ، وإن هذه
الريادة لتصيني بالحسرات . (٢٢٥٩ - ٢٢٦٠) .

والوقوف الثالث الذي يستحق النظر بدهشة هو تبرير العطار لرغص
الشیطان السجود لآدم كما أمره الله سبحانه وتعالى ، ويعمل العطار ذلك
بأن الله قد أمر الملائكة بالسجود حتى لا يروا ذلك السر الذي يحبه عنهم
ويريد أن يعطيه لآدم عليه السلام فرغص إبليس السجود حتى يدرك هذا
السر وهو سر الروح الحية - كما يقول ريتز - ومعللاً استطاع إبليس برغصه
السجود أن يدرك هذا السر ، فاستحق غضب الله ، وأراد الله أن يردبه
قتيلاً ، ولكن إبليس طلب منه أن يمهله إلى يوم القيامة ، فيمهله الله
الشیطان بناء على طيبه ، إلا أنه يبعثه . وفي هذا يقول العطار .
(٣٢٣٧ ، ٣٢٣٩ ، ٣٢٤٤ ، ٣٢٤٧) .

ولما لم يصح إبليس رأسه على الأرض رأى السر الذي كان حياً ،
وقال له الحق تعالى : يا حاسوس الطريق لقد سلبت هذه المكائنة بالسر ،
وبما أنك رأيت ذلك الكر الذي أخفيت فساقتلك حتى لا تعشي سره في
الدنيا فقال يا ربني لتمهل هذا العبد والنفس الحيلة لمن سقط في
الأمم ، فقال الحق تعالى : لقد أعطيتك مهلة ونكسي طوقت رقبك بطوق
اللعة ، وسأعلن عليك اسم الكذاب حتى تطل مجرمًا أثماً إلى يوم
القيامة ، وبعد ذلك قال إبليس : إذا طهر أسمى الكنز الطاهر فأبي خوف
بي من العنة . . .

وبلاحد أن لعطار خوفاً من اعتراض البعض عليه هذا السبب
العريب ، قد نسب هذا القول إلى عمر بن عثمان المكي أستاذ الحلاج
والمثول عام ٢٩٦ هـ ، وقد ورد في تذكرة الأرياء (ص ٢٤٦) أن له كتاباً

إسمه كج نلمه ، كما أشار إليه العطار في هذه الحكاية ولكن هذا
لكتاب لا وجود له الآن وذكر العطار لهذا التبرير دليل على إيمانه به ، وبدا
فقد ذكرته على أنه من معتقدات العطار الخاصة .

و بعد فليست هذه الآراء كل آراء العطار بل إنها بعض
معتقداته وآرائه في منطق الطير وحده دون باقي منظوماته العديدة .

خاتمة

مكانة العطار

بعد أن انتهينا من دراسة شخصية لعطار ودراسة كتابه منطق
الخير ، يجب أن نعرف مكانة ذلك الشاعر بين شعراء قومه .

يجمع المؤرخون على أن عمدة التصوف الفارسي ثلاثة . سائي
والعطار وجلال الدين الرومي

فعلام أستحق العطار هذا التكريم ، وهذه المنزلة الرفيعة ؟ للإجابة
عن هذا السؤال يجب أن نعرف آراء أصحاب الترتيب قديماً وحديثاً في شعر
العطار وشخصه .

يقول جلي . إن ذلك القدر من أسرار التوحيد وحفائض الأذواق
والمواجيد التي بالثنويات والفرديات الخاصة بالعطار لم ترد في كلام أي
واحد من الطائفة فجاء الله سبحانه وتعالى عن الطالبين المشتاقين حراً
حزاه^(١) .

أما دولتشاه في تذكرة الشعراء فيقول : إنه - أي العطار - يعد من
كبار المتصوفة ويعد شمعة عصره ولا شبيه له في علمه ، وكان يستلهم شعره
من العيوب ...^(٢)

(١) جلي . صفحات الأسس تعريب القشيري . نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ح
٩٧٩٥ ، ورقة : ٣٦١

(٢) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٧ ، لندن ١٩١٠ م

وذكر حامي ودولتشاه أن مولانا جلال الدين الرومي التقى في صغره
بالعطر ، ولذا لا نجد عراة في تكريم الرومي له دوماً ، فقد قال لرومي
ما ترجمته :

- لقد طاف العطر بمدن العشق السبع ، وما رآه نحن في معطف جلة
واحدة

- المعطر روح وسائى عباة ، ونحن حلمنا سائى والعطر

ولم يكتف جلال الدين بذلك بل إنه اعتبر كل ما وصل إليه من
تفوق في مصير التصوف مدين به للعطر ، حتى إن أخطاه ، استمدها
أيضاً من العطار .

- حتى الأخطاء التي تموهت بها يا عزيزي ، نتيجة ما سمعته عن العطار
أيضاً^(١)

وإذا عرفت أن جلال الدين الرومي هو مؤسس الطريقة المولوية ،
فلا بد وأنه غرس حب العطار في قلوب أصحابه ، ولد، يرى شعراء
المولوية - كما يقول حاربنازي مترجم منطق الطير للتركية - يحيطون اسم
العطار بهالات من الحرمه والقدسية ، فالشاعر محمد أفندي ، - وهو من
شعراء القرن الثالث عشر الميلادي - يقول في إحدى غزلياته :^(٢)

- إن مصباح طبعي يشتعل عن قاسم الأنوار ، وينتسم أنفه عطر النعم من
العطر .

وحلول بعض المؤلفين منذ زمن بعيد عقد مقارنة بين العطار

(١) نقلاً عن جستجو لنفسي ص : ٤٠

(٢) نقلاً عن مقدمة الترجمة التركية لمنطق الطير حاربنازي ص ٧ اسطول ١٩٦٢ م

والرومي ، فقد ذكر مؤلف هفت إقليم ، أن صوفياً كبيراً مثل عنها ، فقال : إن الرومي يدغ قمة الكمال كالنسر في طرفة عين ، والثاني بلع القمة نفسها ولكن كالنملة بعد سير طويل ودأب لا يفتقر^(١) .

ويقول بيرى المؤلف الإيطالي معلقاً على هذه المقارنة إن هذا الحكم صحيح وفي موضعه ، فلا وجود لشاعر صوفي في السابقين ولا اللاحقين وصل إلى ما وصل إليه الرومي فتجاوز غيره بمراحل كالعطار ، ومع أن العطار كان شيعياً بلرومي ، فإن العطار يصف سهر النفس خلال الحياة كضرورة لازمة ولا سباً في منطق العليز ، ويجعل هذا السفر سفراً مرهقاً منعياً ، عبر أن الرومي ثقافته الرهبة يبدو أكثر رقة وإنسانية^(٢) .

وعلى الرغم من اتساق المؤرخين على تفوق لرومي على العطار ، فإن الرومي قد اقتبس من العطار كثيراً من أفكاره ، ففي انشوى خمس وثلاثون حكاية هناك احتمال قري بأنها مأخوذة من منظومات العطار^(٣) .

كما أن الرومي أورد في كتابه « فيه ما فيه » حديثاً مفصلاً في سر الحديث « يا بيت رب محمد لم يخلق محمداً » وهذا يعيه وحرفه مفتس من مصيبت نامه للعطار . . .^(٤) .

ولم يقف تعظيم لعطار على الرومي ومن تبعوه بل شاركهم في ذلك الشعراء والصوفية والباحثون حتى عصرنا الحاضر .

(١) بقلا عن التصوف وفريد الدين العطار لفلكتور هرام ص : ٦٢
(٢) Tonna: 894 Pizzi. Storia della poesia persiana P 226-229

(٣) فرود مهر ، شرح أحوال . . . ص : ٧٠ .

(٤) نفس المرجع السابق ص : ٧١ .

يقول كاتبه النيسابوري (١):

إنني كالعطارد من روضة نيسابور ، ولكسي شوك في صحراء نيسابور وهو
وردها .

أما الخاج مير واعيد المجيد منك الكلام محدي كردستاني المتوفى عام
١٣٠٥ هـ فقد كتب بحديثه بيتين من الشعر على نسخة من ديوان العطارد
هذه ترجمتها : (٢)

- إن العطارد كشف أسرار الوجود ، وإنه كستاني من فيض الإله
- فاقرا كلامه دائئ كما تقرأ القرآن ، فإنه يحيل أهل الشكوك ' من شهيد .
هذه آراء مواطنيه ، ولكن هل اقتصر تكريره وتعظيمه على مواطنيه
وحدهم ؟ بالطبع لا فقد شاركهم في ذلك كل من أرحوا لخطاير في العالم
كله . وهذه آراء نحبة من غير الإيرانيين قال بيري في كتابه قصة
اشعر الفارسي الجزء الأول (٣) .

« والعطارد وإن عدم العبقرية الشعرية اللامعة التي يتميز بها السعداء
من الشعراء ، فإنه لا يعدم بحال من الأحوال الشعور البليل والشعور
الإنساني ، وهو يقود الإنسان بعنف إلى الكمال في ' بعد مدى ويريد أن
يصل به إلا ما لا مسيل إلى الوصول إليه . غير أنه مع ذلك لا يسعى من
يتألمون في الأرض ، كما أنه يجتهد في اسحت ، ويجد عراء ومسوى في عبدة
لينة معسولة يوجهها إلى كل لبائسين من العظماء والأدلاء »

وبما بنى بيري رأيه في محاولة العطارد قيادة الإنسان بعنف إلى الكمال
على ما وجدته في منطق الطير من وصف للطريق وما به من صعوبات كثيرة
ومقدار ما تحمسه الطير خلال الرحلة الشاقة .

(١) فلا عن نصبي : جستجو ص : ٤٥

(٢) نفس المرجع السابق ص : ٤٥

(٣) Pizzi Storia della poesia persiana vol Primo P 220 Torino 1894

وبجانب هذه الآراء توجد كثرة أخرى من المؤلفين في كل بلاد
العالم تملئ من شأن العطار وتعظمه وتكرس منزلته الأدبية ولصوفية ،
والعطار لم يحط بهذه المرتبة العالية إلا بتعوقه الحقيقي على غيره ولم يشاركه
هذا التفوق إلا جلال الدين الرومي فقط .

ولكن إذا كانت هذه آراء الغير في العطار ، فما رأيه هو في نفسه ؟

رأي العطار في نفسه :

على الرغم من أن الصوفية لا يتكلمون عن أنفسهم ، إلا أن طبيعة
الشاعر لدى العطار غلبت على صيغة الصوفي في هذا الأمر ، ولذا كثيراً ما
يحدث العطار يتكلم عن نفسه ، ويوضح مكانته ، وعلو شأنه ويكفي
لإثبات صحته ذلك ذكر ما جاء في حاشية « منطق الطير » ومنها هذه
الآيات .

- وأهل الصورة غرقى بحر كلامي ، وأهل المعنى رجاى أسرارى

- ونظمي ينسم بحاصيه عحية ، فهو يولد معنى جديداً في كل أومة

- وإذا نسر لك أن نقرأ كثيراً ، مسرود بلا شك حناً في كل مرة
لديك .

- وحتى يوم القيامة لن يكتب شخص قط كلاماً مثل أنا الزهاني

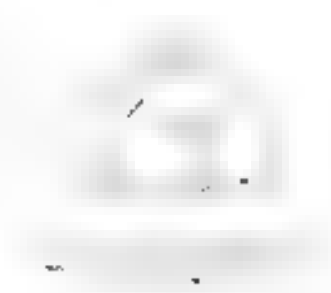
- ومن بحر الحقيقة ثرت الدر ، كما حتم الكلام علي ، وهذا هو البرهان .

وأخيراً لا يسعنا إلا أن ننفذ إحلالاً لذلك الشاعر العظيم والصوفي
الكبير الذي ما زال الناس يسمعون بجمال شعره ، وبمظم أفكاره ، وبرغم

(١) A. P. A. Bausani: Storia della letteratura persiana P. 575 Milano: 1960

مرور سبعة قرون ونصف قرن على وفاته فلم تنجب إيران ما يفوقه في هذا
المصير إلا شاعراً واحداً فقط هو جلال الدين الرومي ، الذي كان يعترف
للعطر بالسبق والفضل

مِنْطِقُ الطَّيْرِ



تمهيد

تعد منظومة منطق الطير أشهر منظومات العطار ، وشهرتها هذه جعلت الكثيرين يخطونها بأيديهم قبل عصر الطباعة ، وأدى هذا الاهتمام إلى كثرة مخطوطاتها كثرة لا تكاد تحصى بها إلا قلّة من كتب الأدب الفارسي . .

وفي العصر الحديث طبعت هذه المنظومة طبعت كثيرة سواء في إيران أو خارجها وقد أتاحت لي أثناء ترجمة المنظومة ، الفرصة للاطلاع على ثلاث طبعات ، هي :

- ١ - طبعة باريس بإشراف جارسان دي تاسي عام ١٨٥٧م
 - ٢ - طبعة إصفهان بإشراف ميرزا محمد حسينخان عام ١٣١٩ هـ
 - ٣ - طبعة إصفهان بإشراف ميرزا محمد حسينخان كذلك عام ١٣٣٤ هـ
- هجريّة قمريّة .



والملاحظ أن الطبعة الأولى في إصفهان كانت على الحجر أما الطبعتان الأخريان فبالطباعة الحديثة . وقد فضلت نسخة باريس لتكون الأساس في ترجمتي لعدة أسباب :

- ١ - ذكر جارسان دي تاسي في مقدمة ترجمته الفرنسية لـ منطق الطير المخطوطات التي أعانت في طبع المنظومة^(١) ، أما حسينخان فلم يشر إلى المخطوطات التي يحتمل أنه رجع إليها ، مما يجعلنا نظن أنه اعتمد على مخطوطة واحدة قام بطبعها دون تحقيق ، مما يجعل طبعة باريس أكثر دقة .

(١) Garcia de Tassy Mantec Uttar, b. IX., Paris, 1862.

٢ - قام جارسان بتصحيح أخطاء طبعته في مقدمة الترجمة العرسية المنشورة عام ١٨٦٢ م ، أما حسين خان فلم يشر إلى أي أخطاء مطبعية لا في طبعته الأولى ولا في الثانية

٣ - رقم جارسان آيات نسخته ، مما يجعلها سهلة السؤل ، وكذلك سهولة الرجوع إلى آياتها في حالة البحث والدراسة

٤ - أجمع الباحثون على أن طبعة جارسان أفضل الطبعات ، وكان هذا باعتراف الإيرانيين أنفسهم كذلك^(١).

وليس معنى هذا أنني لم أفد من مسحتي إصفهان ، بل صححت بعض آيات نسخة بريس طبقاً لما جاء بمسحتي إصفهان حتى يستقيم المعنى . .

وفي أثناء مراجعتي الأخيرة للترجمة وردت من إيران صبعة جديدة لمنطق الطير ، أشرف عليها الدكتور محمد جواد مشكور ، وتم طبعها بطهران عام ١٣٤٧ ش ، فأفدت منها في تصحيح بعض المعاني التي وردت مختلطة في الطبعات الثلاث السابقة ، كما أفادتني أيضاً في تعليقات التي كتبت في آخرها ، سواء أكانت تعليقات الناشر ، أو تعليقات الأستاذ حسن قاضي طباطبائي والتي أوردتها الناشر في نهاية طبعته .

وكما حظيت منظومة منطق الطير بالعديد من المخطوطات والكثير من الطبعات ، فقد حظيت بترجمات عديدة إلى كثرة من اللغات منها : الهندية والتركية والفرنسية والإنجليزية ، وربما إلى لغات أخرى لا علم لي بها.

(١) فنيح الله صفا . تاريخ ادبيات در ایران ج ٢ ص . ٦٨٤

وقد أقدمت في ترجمتي العربية من اسرحة المرسية لحارسا ١٨٦٢
م ، والترجمة التركية لجوليساري عام ١٩٦٢ م .

والله أسأل أن أكون بجهدي المتواضع قد وفقت في تقديم العصار
لعراء اللغة العربية من خلال منظومته منطلق الطير ، كما أرجو الله أن
يوفقني ويوفق غيري من المهتمين بالأدب العارمي لترجمة جميع منظومات
المطار للمكتبة العربية .

والله ولي التوفيق . .



القسم الثاني ترجمة منظومة "منطق الطير"

بسم الله الرحمن الرحيم

(تقديم) (١ - ١٩٨) (١)

حمداً لله الظهور خالق الروح ، واهب حمسة التراب (١) الإيمان
والروح ، هو الذي شيد عرشه فوق سطح الماء ، وشر أعمار الخلق في
مهب الرياح ، وهو من رفع السماء إلى أعلى عليين ، وأنزل الأرض إلى
أسفل سافلين ، وأعطى إحداهما الحركة الدثبة ، وجعل الثانية على
الدوام هداية ، وهو من رفع السماء كالخيمة ولكن بلا عمد ، ثم أحاصها
بالأرض ، وفي ستة أيام خلق سبعة أمجم ، كما خلق تسع سموات بحرفي
الأمر (كُنْ) ، وخلق النجوم وكانت حرر من الحق الذهبي ، ليكون في
مقدور الفلك اللهب في كل ليلة ، وحمل لقمص الجسد أحولا
مختلفة ، كما خلق لطائر الروح أجنحة وريشاً من طير ، وأداب البحر
تسلماً له بالأمر ، كما ذكر صرح الخجل رهبة من ، وأحال البحر صادي الشفة
ظماً ، وصير الحجر يافوتاً والدم مسكاً ، ومنح الجبل قمة وسفحاً ، ورفع

(١) سأذكر بعد كل عنوان أرقام الآيات التي تقع تحت ذلك طبق ما جاء بطبعة باريس
١٨٥٧م

(٢) يعني بعصم التراب ، الجسد البشري

الرأس له معظماً ، كما خلق الورد ناربي اللون أحياناً ، وجعل منه قطرة
تعلو سطح الماء أحياناً

وامر بعوضة حفيرة بأن تقف على رأس حدو الله ، فاستقرت على
رأسه طوال أربعمائة عام^(١) ، وبحكمته ومب العكبوت شبكاً ،
فكانت فيها سلامة الرسول^(٢) ، وعقد للنملة وسطاً دقيقاً كالشجرة ، ثم
كان لها حوار مع سليمان^(٣) ، وحلج عليها حلقة الخلاقة اسوداء^(٤) ، كما
وهبها سورة طس^(٥) بلا عناء ، وعندما رأى إبسة مع عيسى ، اعترض
طريق صعوده^(٦) .

وأثبت اللعل الفاني على قمم الجبال ، كما نفث الدخان على بستان

(١) إشارة إلى بوجه البعوضة صوب السمود واستقرارها داخل رأسه أربعمائة عام بلهر الله عز
وجل ، وقد كان في ذلك هلاك السمود (قصص الأنبياء لنتعالي طبع مصر- ١٣٥٨ ص
٦٠/٥٩) .

(٢) الإشارة إلى ما حدث يوم هجرة الرسول عليه السلام وبخونه ومعه أبو بكر إلى عار نور ،
وكانت جبهة العكبوت على باب العار أحد العوامل الهامة في نجاة من الكمار

(٣) لمعرفة هذا الحوار راجع سورة النمل بالقرآن الكريم

(٤) اختص المؤرخون في سبب اختيار حد اللون ، وقد كتب مؤلف صحيح الأعشى نقلاً عن
كتب الجوي الكبير للقاضي انوردي أبو سي العيس قد اتخذوا اللون الأسود رمزاً لهم
تيمناً بسودهم الرسول الذي أوكل أمره نعمه العباس في يوم حبري ويوم فتح مكة ، ما
أبو هلال العسكري فقد كتب عن ذلك في كتابه « الأوائل » ما يلي : بعد أن قتل مروان
بن محمد أحر حنفاء بني أمية الإمام ابراهيم ، ليس أتباعه ملابس الغراء ، وأصبح
النون الأسود شعاراً لهم بعد ذلك وعلامة بميرة عليهم (راجع صحيح الأعشى ، الجزء
الثالث ص ١٧٤) .

(٥) يعني بذلك سورة النمل ، حيث تبدأ بالمرسوم طس .

(٦) إشارة إلى ما يقال بأن عيسى قد أوقف في السماء الرابعة لأنه كان يحمل من العلاق النبوية
إبرة ، فكانت سبباً في منعه من الارتقاء بعد تلك السماء (نقلاً عن تعليقات الأستاذ
حسين القاضي طباطبائي الملحقه بسحة منطق الطير طبع تهران ١٣٤٧ ش - ص ٣٠٢ -
٣٠٣) .

النيلوفر ، وبالدلم صبغ درات التراب ، حتى أمكن استخراج العقيق واللعل منه ، وأحيت الشمس والقمر جهتيهما عن تراب الطريق ليل نهار وذلك في سجود له ، فأصبحت لها هذه السيا من لسجود ، وأنى يكون لهذه السيا وجود من غير سجود ؟ ومن سطره ندا انهار بأصع البياض ، ومن قبضه أقعم الليل في السواد .

ومنح البيضاء طوقاً ذهبياً ، كما جعل اهدمد للطريق هادياً ، وفي طريقه يخلق طائر الفلك ، ثم يعقد رأسه كالحلقة على بابه ، وأدار الفلك في دورة تطلب بين ليل ونهار ، فما أن ينطوي الليل حتى ينتشر الصياء ويقطل النهار ، وعندما يفج في الطين يكون خلق آدم ، وهكذا كان خلق الجميع من فقايع وبحر^(١) . وأحياناً يكشف لطريق كلب فيصبح مرشداً^(٢) ، وأحياناً يجعل القط للطريق كاشفاً ، فإذا ما صادق إنسان كلباً ، أصبح عظيم الرجال ينسب إلى كلب^(٣) ، وأحياناً يهب السلجانية للجن^(٤) ، كما يهب النملة القدرة على الكلام ، وأحياناً يخلق من العصا ثعباناً^(٥) ويخلق من التور طوفاناً^(٦) ، وحينما يحيل الملك حصاناً ناهراً ،

(١) إشارة إلى أن خلق العالم كان من فقايع رد أرسل الله النار بعد سبعين ألف سنة من خلق الله ، فجعلت لمياه نفي وبعثوا الفقايع ، فكان خلق الأرض من هذه الفقايع كما كان خلق السماء من البحار المتصاعدة من الماء لمحي (المرجع السابق ص ٣١٨ - ٣١٩) .

(٢) إشارة إلى كلب أهل الكهف

(٣) إشارة إلى (دحية الكمي) الذي كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورته ، وكند من أهل الناصي . (مختار الصحاح ص ٢٠٠ - القاهرة ١٩٥٣) .

(٤) إشارة إلى صياح خاتم سليمان وحصول أحد اخن عليه وحلوسه عن عرش سليمان ، إلا أن أعاد الله العرش لسليمان مرة أخرى (تعديلات نسخة ١٣٤٧ ش مطلق المطبع طبع تهران ص ٣١٩) .

(٥) إشارة إلى عصي موسى وتحولها إلى ثعبان بلقيع حبال السحرة

(٦) إشارة إلى طوفان نوح عليه السلام

يجعل النار تتطاير من سنانكه ، وأخرج إلى الرخود مائة من الصخر ، كما
صح الثور الذهبي المقدرة على الخوار^(١) .

وفي الشيء بشر القصة ، أما في الخريف فيثر الذهب من الخيقل ،
وإن يحف أحد الصل الملتطخ بالدم ، فسرعان ما يظهر الصل ملتطخاً بدم
البراعم ، ويصح الياسمين حورت أربع ، كما يهب اللعل قلنسوة قذية
كالدم ، وأحياناً يعتقد على مصرق النرجس ناحاً ذهبياً ، وأحياناً يحيل
قصرات السدي فرا يعلو هذا التاج الذهبي .

وأمامه ، فقد العقل توارنه ، كما فقد سلطانه على الروح ،
وحادت السماء في دورتها كما استندمت الأرض عجزاً في رقدتها ، وجميع
الكائنات سواء من فطن فاع البحر أو من خلق في أوج السماء ، ذرات
شاهدة على ذاته ، واستشاط الأرض وارتفاع السماء بحسبهما شاهدين على
عظمته ، وقد خلق الريح والنار والتراب والماء ، وبكى مره خارج عنها
جمعاء ، وأحال التراب طيباً طول أربعين يوماً ، وبعد ذلك أودع فيه
الروح^(٢) ، فما أن سرت الروح في الحسد وديت فيه الحياة ، حتى أعم
عليه بالعقل ليكون به بصيراً ، حيث منح العقل قوة الإبصار كالعين ، ثم
وهبه العلم ليحصل المعرفة ، وما أن صار عارفاً حتى أقر بالعجز ، وغرق
في بحار الخيرة . وأسلم الحسد لفهم فلتكن صدو إن شئت ، أو عجباً ،
فالجميع تحت إمرته . أما حكمت فقد عمت الجميع ، ولا عجب في ذلك
فهو المهيمن على الجميع . وفي البداية خلق الجبال كركائز ، ثم أمر
الأرض أن تطفو بعد ذلك فوق سطح البحر . وما أن استقرت الأرض
على ظهر ثور حتى وقف الثور على ظهر سمكة . واستقرت السمكة في

(١) إشارة إلى مائة صانع وروى ثور السامري

(٢) إشارة إلى قصة خلق آدم عليه السلام (راجع قصص الأنبياء للشمس ص ١٧)

المعضلة^{١١} . وعلى أي شيء استقر الغصاء؟ لم يستقر على شيء مطلقاً ، فلا شيء إلا العدم وما كل هذه الأشياء إلا عدم مطلق فأمعن التفكير في صنع الله ، إذ كيف يحفظ هذه الأشياء مستندة إلى العدم وإذا كانت كلها في عالم ابوحدية عدما . فهذه كلها عدم ولا ريب ، والعرش مستقر على الماء والعالم سابح في الفضا ، فتجاوز الماء وانفضا ، فالجميع هو الله والعرش والعالم لا يريدان من مجرد طمس والوجود لله وحده وليس لهذه الأشياء جميعها إلا الاسم . ولتعمق النظر ، فما هذا العالم أو ذاك إلا لله وحده ، ولا وجود إلا له ، وإن كان هناك موجود فهو الموجود وحده

رأساه ، فقد عدم الجميع الضياء ، حيث عميت لأبصار ، مع أن الدنيا غاصة بؤراشمس ، وإذا مسحت قرة الإبصار فستفقد مضك ، وسترى الجميع ولكن ستفقد نفسك . ويا للعجب ميسارخ الجميع بالهرب ، ويسوقون الأعذار قائلين : ما هذا شيء العجب!

فما من لا وجود لسواك في طاعتك . أنت العالم أجمع ولا وجود لأحد غيرك ، الروح حبة في الحسد ، أما أنت ففي الروح احتفيت ، فبا حياً فيها روحني ، ويا روح الروح ، ويا من أعظم من الجميع ، ومقدم على الكل ، إنما جميعاً ترى من خلالك ، كما ترى أنت من خلال الجميع ، محرابك غاص بالحراس والمخند ، فكيف يتمكن إنسان قط أن يسلك الطريق صوبك ، وليس لمعلم والروح طريق للطواف حولك ، كما لن يستطيع شخص قط أن يدرك كنه صفاتك ، وإن كان هناك كمر خفي في الروح هو أنت ، وما وصح في صورة الجسم والروح هو أنت

(١) ذكر الثعالبي بأن الأرض بعد أن حبها الله حملها بك وبف على ظهر نور ، واستقر الثور على صحراء حمراء ، واستقرت الصحرة على ظهر حوت (ولعل العطار يقصد بالسكة هذا الحوت) واسم هذا الحوت (لوتيا) وكنيه (بلهوب) ولقبه (هوب) واستقر الحوت على سطح البحر ، والبحر على من السريح والسريح على القدرة (راجع قصص الأنبياء - ص ٤ ، ٥)

أيضاً ، وما أصابت جميع الأرواح شيئاً من ذاتك ، وقد شر الأنبياء
أرواحهم على تراب طريقك ، وإذا قدر للعمل أن يدرك أثراً من آثار
وجودك ، لم يستطيع مواصلة الطريق لإدراك كهك ، ولما كنت الخالد
الأوحد في الوجود ، فالصاء يصيب الجميع على الدوام

فيا خفياً في الروح وأنت خارجها ، إن كل ما أقوله ليس أنت ،
وهو أنت أيضاً ، وبما من وقف العقل مشدوها أمام اعتابك ، لقد أفقدته
الاتزان في التسيير صوبك ، بك أرى العالم عياناً بالتمام ، ولكن لا أرى
أي علامة مث في هذا العالم ، لقد استمد كل شخص منك علامة ،
ولكنني - يا عالم الأسرار - لم أحد لتعسي منك أي علامة ، ومنها أمعن
العلك النظر بعيونه العديدة ، فما رأى ذرة تراب واحدة في طريقك ، وما
رأت الأرض قطرة من ترابك ، منها بعثت من تراب على رأسها هفة
عليك . أما الشمس فطار عملها شوقاً إليك ، كما أحدث تمسح التراب
بأدنيها كل ليلة شوقاً إليك . والبدر يساقص من حرء محنتك ، حتى أسلم
الروح مرة كل شهر نثاراً في طريقك ، أما البحر فقد سعى مشاقاً إليك ،
فعاد صادي الشعة بعد أن كان بلقاء زائراً ، ووقفت مئات العقبات في
طريق الجب حيث غاصت أقدامه في الوحل حتى الوسط ، واضطربت
السر شوقاً إليك ، وراذ لحيها وحرقتها وكأنها فرس جامح ، وأعبت الريح
فائدة اتزانها بسبك ، كما أقبل لتراب معلقاً على أكف لرياح وصب
ماء النهر ، بعد أن فاص شوقاً إليك . ووقف التراب على باب محنتك ودل
العباد يجلل مفرقه وما أكثر قولي ما دمت لا تحمص لصفة ، وماذا
أصنع ما دمت لا أستطيع المعرفة ؟ .

إذا كنت أيها القلب طالباً ، فكن للطريق سالكاً ، وتذود بالحذر
ولتضمن النظر أمامك وخلفك . وارقب من وصلوا إلى الاعتاب العلية من
السالكين ، فجميعهم سلكوا الطريق متعاقبين وفي كل ذرة في الطريق
عقبة ، وحلف كل ذرة طريق جديد إليه ؛ فكيف يمكنك معرفة أي طريق

سنتلك ؟ و ي طريق إلى تلك لأعتب يوصلك ؟ فقد أصبح خفياً ذلك
الزمان الذي تبحث عنه عياناً ، كما أصبح عياناً ذلك الزمان الذي تبحث
عنه خفياً . هكذا تبحث عن عيان فيتحول إلى خفاء ، وتبحث عن خفاء
فيتحول إلى عيان ، وإن بحث في كليهما فلن تجد به نظيراً ، حيث يكون
خارجاً عن نطاق هذا وذلك ، فسكف عن البحث ؛ فما وجدت شيئاً ، وكف
عن الحديث فكل ما نقوله ليس إلا شثرة .

إن كل ما تفوه وما تعرفه باع منك ، فتعرف نفسك فقط ، لأن
هذا الأمر أكبر مائة مرة منك ، ولتعرف لله بالله لا نفسك ، فالطريق إليه
منه لا بعملك ، كما أن وصفه لا يتيق بالوصامين ، حيث لا يليق هذا الأمر
بالفصلاء ولا بالنسبة ، ما حصره مسؤول لمعرفة ، فما أحاط به شرح ،
كما تزه عن أي صفة ، ولا نصيب للحلق منه أكثر من الخيال ، ومعرفة
أي حصره ليس أكثر من محال ، وما قيل حساً كان أم شيئاً ، قد صدر
من مع الخيال دائماً ، فهو يسمو على تعلم ويخرج عن العيان ، لأنه في
قدسيته بلا علامة مميزة ، وما أدرك إنسان أي علامة له ، غير أنه بلا
نصير ، وما أدرك أي شخص حيلة غير شر الروح ، وليس لشخص قطفي
الصحو أو السكر أن يدرك منه نصيب (إلا الذي) ، فكل ما في العالم
وأنب من بيده ، يمكنك إدراكه وفهمه إلا الله وحده ، وإذا لم يكن يوجد
حيث يوجد الإنسان ، فأنت تستطيع روح آدمية أن تصل إلى إدراكه ؟ إنه
تسمى مرحلة من الروح آلاف المرات ، لذا فهو يسمو عن كل ما أنطوبه .

سيظل العقل حائر في محته ، كما تعص الروح الأنامل عما بها من
عجز ، فما الروح إلا هائمة في إدراكه ، كما انقطر القلب فنص بالسماء ،
فما من عرفت الحق لا تقم مثل هذا القياس ، فلا أمر دون كيميه في
القياس ، كما أن العقل والروح عجزاً أمام جلاله ، حيث شس العقل
وبنت الروح ، وما أدرك شي أو رسول أي حرة من الكل فقد أقبلوا

جميعاً عاجزين مسلحين على الثرى ، جاءوا فائلين : « ما عرفناك »^(١) فمن أكون أنا حتى أتفاخر بمعرفته ؟ فما عرفه إلا من أنعم عليه بالمعرفة . .

إذا سم يكن لسواه في كلا العالمين وجود ، فمن غيره يليق حرك وهواك ؟ لقد زخر البحر بالحواهر ، أما أنت فلن تعرف من هذا شيئاً مهما ضربت أحماساً في أسداس ، وكل من لم يحظ بحواهر ذلك البحر ، صار عدماً ، وما وجد من العدم إلا العدم ؛ فلا تقل ذلك ما لم تأتك إشارة بذلك ، ولا تتحدث عن شيء ما لم يأتك به بيان ، أما هو فلا تنيق به الاشارة ولا ابيان ، وليس لإنسان قط علم به ولا عرفان ، فتحل عن نفسك فهذا أصل الكمال ، وكفى ، واقتن نفسك ، فهذا عين الوصال ، وكفى ، فلتنم نفسك فيه حيث في السماء الخلود ، وكل ما عدا ذلك صرب من الفضول ، ولتنمض في طريق الوحدة متجنباً الثنائية ، وليكن بك قلب واحد وقبلة واحدة وطريق واحد .

فيما ابن الخليفة^(٢) ، يا من عدمت لمعرفة ، عليك بالاتصاف كأبيك بالمعرفة ، إن كل ما خلقه الحق من عدم إلى وجود ، قد حرت كلها أمامه في سجود ، وما أن وصل خلقه إلى آدم في الهابة حتى ارتفعت مشيت الحجب إعرافاً له ، وقال له الحق : لتكن ، يا آدم ، بحر جود ، وسيفل أممك هؤلاء جميعاً في سجود ، أما من أبي السجود فقد مسح ولع^(٣) ، وما أدرك هذا السر ، وما أن اسود وجهه ، حتى قال ، أيها المتعالم لا تتركني في صياحي ، ولتصيح من أمري . فلجابه الحق تعالى : أيها

(١) إشارة إلى الحديث « ما عبدناك حق عبادتك » وما عرفناك حق معرفتك »

(٢) يعني بالخليفة آدم حيث قال تعالى « وإد قل ربنا لك نعبد » (البقرة آية ٢١) .
حيية . . (البقرة آية ٣١) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى « وإد قل ربنا لك نعبد » (البقرة آية ٢١) .
وكان من الكافرين . (البقرة آية ٢٤) .

المعروف في كل طريق ؛ ما آدم إلا حليلة وسلطان ؛ فلتكر اليوم له طوع
البان ؛ ولتحرق في الغد البحور حيثما كان . .

لقد هبطت الروح إلى الجسد فصار الخمر كلا ، وليس للإنسان من
هذه المعجائب غير الطلسم ، إن الروح بالعزة مرصوفة ، أما الجسد
وبالمهانة مرسوم ، ثم اجتمعت الروح انطاهرة بالجسد الخسيس ، وما أن
اتخذ الطهر بالخشية حتى كان آدم أعجوبة الأسرار ، ولكن ما وقف شخص
قط على أسرارها ، وليس أمر كل مسكين هو أمره ، وما أدركنا وما علمنا في
أي زمان أنعم علينا بالقلب . .

ما أكثر ما قلنا ، ولكن الطريق صمت مطبق ، فليس للإنسان
قط قدرة لإطلاق ذرة ، وما أكثر من حروا سطح ذلك البحر ، ولكن ما
أدرك أحد قط ما بقاعه ، الكبر في القاع والبحر طيسم ، فلنحطم في
النهاية هذا الطلسم وقيد الجسد ، فعندما يعني الطلسم متجدد الكبر ؛
وعندما يعني الجسد تظهر الروح ، ثم تصبح الروح بعد ذلك طليماً
حيث تصبح روحك جسماً جديداً للعب ، فاصلك الطريق هكذا ، وعن
النهاية لا تسئل . وتقبل الألم ~~عن~~ ^{عن} الدواء لا تسئل . .

وما أكثر الفرقى في هذا البحر الواسع وقد عدت أي حجر عن أحد
منهم ، ففي مثل هذا البحر الأعظم ، يكون العالم ذرة فيه ، والذرة منه
كعالم ، ولتعلم أن هذا العالم فقاعة في ذلك البحر ، ولتعلم كذلك أن
الذرة فقاعة هي الأخرى ، فإن يتلاشى ذلك العالم وتلك الذرة ، فما
نقص من هذا البحر الا فقاعتان فقط . وهل يعلم الإنسان ماذا يجد في هذا
البحر العميق ؟ أيجد حجارة عديمة القيمة أم يجد العقيق ؟

لقد قللنا بالعقل والروح والدين والعلب ؛ حتى توصلنا إلى معرفة
كل ذرة وحدة ، فأعلق شعيتك ؛ وعن العرش أو الكرسي لا تسئل ، حتى
وإن كب تسأل كل ذرة ؛ فلا تسئل ، فهذا كان في كشف سر شعرة واحدة

احترق قلبك ؛ فيجب أن تكف عن السؤال شفتك ، ولن يعلم شخص قط تمام كنه درة واحدة ؛ فما أكثر ما تقول ، وما أكثر ما تسأل والسلام ، وفي طريقه بظل الفلك متقبلاً غير مستقر ؛ إذ لا يستقر دائماً على أي مستقر ؛ وفي سلوكه يمسكه الاضطراب ؛ إذ أن طريقه حجاب في حجاب ، وسيظل الفلك أمير اخيرة في دورانه ، وأنتى له أن يدرك ما بداخل الحجاب وهكذا قضي سوات طوالاً في اضطراب ، قصاها دائراً بلا إدراك حول هذا الحجاب وإذا كان الفلك لا يدرك ما بداخل الحجاب من سر ؛ فكيف يُرفع هذا الحجاب أمام أمثالك؟

أمرُ العالم حيط من الحيرة والخسرة ، بل إنه حيرة في حيرة في حيرة ؛ وكل أمر فيه لا بداية له ولا نهاية ، مما أصاب السالكين بالمجز والحيرة ، والسابقون الذين جدوا في سلوك الطريق وفي تعقب هذا الأمر في كل وقت ؛ أصيبت أرواحهم بالخسرة وسيطر عليهم العجز واخيرة فانظر أولاً ، ماذا حدث لأدم وكيف قضى عمره قريين الهم والحزن^(١) ثم انظر إلى نوح وما كان من أمر الطوفان ، لتدرك مقدار ما تحمله ألف سنة من الكفار^(٢) ثم انظر إلى إبراهيم ذي المزيمة القوية ، وقد جعلوا منزله

(١) يرجع هذا المزمع وذلك المزمع إلى عصب الله عليه وعلى حواء بعد أن استمعاً إلى حواء إبليس وأكلا من الشجرة المحرمة ، وقد قال الله تعالى : « فذلاهما يصرور ، منها دافنا الشجرة بدت لها سوءاتها وطفف بمحضمان عليها من ورق اخن ، وبأذاها ربهما ألم أهكها عن ملكها الشجرة وأقل لكها إن الشيطان لكها عدو حير ، فالاربنا ظلم أصب وإن لم تعمر لنا وترحنا لكون من الكافرين ، قل امنوا بفضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومناع إلى حين » (الأعراف : ٢١ - ٢٤)

(٢) تحمل روح الكفار من عب الكفار ، فوجه إلى الله ليس سم العذاب ؛ رب لا يدر عن الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تدرهم ، يصلوا عبادك ، ولا يندو إلا ناسراً كفاراً نوح ٢٦ . ٢٧ ، فأمره الله بإعداد المثلث لبحر من الطوفان الذي سيجمعه حبر عذاب للكفار « وأصنع الفلك بأعينا ، وحيت ولا تحيطي في الدين ظلموا بهم مبرورون » موه ٣٧

المحقق والعارف^(١) ، ثم انظر إلى سباعين اميتي وقد جعل روحه في ماناي
محراب الحبيب^(٢) ثم انظر إلى يعقوب الوهاش وكيف ابيضت عيابه حراً
على آية^(٣) .

وانظر إلى يوسف في محاكمته وكيف تحمل العبودية والبشر
ولسجن^(٤) ، وانظر إلى أيوب الصابر وكيف عايش الديدان
والدث^(٥) ، ثم انظر إلى يونس الهائم على وجهه وقد حل في بطن الحوت

(١) وذلك إشارة إلى إعدام الكفار على زحاري إبراهيم عليه السلام ، ولكن قد قصد من
كيدهم

« قالوا حرهوه وبصروا أهلكم إن كنتم معبرين ، فساب نار كروسي برداً وطلائاً على
إبراهيم » الأبيات ، آية ٦٨ - ٦٩

(٢) أراد إبراهيم عليه السلام أن ينفذ مراحله في اسماعيل عليه السلام ، فلم يعترض
اسماعيل واستسلم للأمر الإلهي ، ولكن الله أبعده وفداه بدمع عظيم ، إكراماً له
وامتناناً لأمر الله . يا بني إني أرى في اسمي دجلاً فانظر ماذا ترى ؟ قال يا رب
أعمل ما تؤمر مسجدي إن شاء الله من الصابرين ، فلبى أسلم وتله للجبين وبديته أن يا
إبراهيم قد صدقت رؤيا إن كذا مجري المحسور ، إن هذا هو البلاء المبين ، وبديته
بدمع عظيم » القصصات ، آية ١٠٢ - ١٠٧

(٣) عندما ألقى أخوه يوسف في البئر ودعوا أن الدثب قتله ، وأعلن يعقوب النجاء حتى
كف بصره ، ولكنه ظل مؤملاً بالله خيراً إلى أن حصل رجلاً وعبد إليه ابنه وبصره
« لا هبوا قميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً » يوسف آية ٩٣ .

(٤) حمل يوسف ظلام اليأس وهو صبراً روحياً ألقاه أخوته فيه بنحوهم إليه أملاً في الظفر بحب
أبيهم . وقال قائل منهم لا يقتلو يوسف وألقوه في عيانة الحب بلتقعته بعض الشيرة إلى
كنتم فاعلموا ، يوسف ، آية ١٠ ، كما دخل السجن بعد أن رفض لامتنال لمواهب امرأة
العيرير . ولقد ولجته عن نفسه مستعصم ، وشيئ لم يفعل من أمره ليسجن ويكون
من الصاعرين » يوسف ، آية ٣٦

(٥) امتلأ أيوب بالكثير من العدل ولكنه كان مثلاً عظيماً صابرين ، وحين كتب الله عنه
صراً « وأيوب إذ نادى ربه أني صبي الضر وأنت أرحم الرحيم » فاستجاب له
فكشعنا ما به من ضر . » الأبيات ، آية ٨٣ - ٨٤

فترة^{١١} ، وانظر كذلك إلى موسى ؛ وقد كان فرعون في بداية الأمر له ظنرا والتابوت له مهد^{١٢} ، وانظر إلى دود صانع الدروع وقد أحالت در آلامه الحديد شمعاً صيغاً^{١٣} ؛ وانظر إلى سليمان صاحب السلطان وقد صم ملكه الريح كما شمل الشيطان^{١٤} . ثم نظر إلى زكريا المعلم باخرة قلبه ، وقد اترم الصمت مما نطق حتى ولو نشروا رأسه^{١٥} .

ثم انظر إلى يحيى وقد أهين أمام اجمع ا وقطعت رأسه ووضع في الطست وكأها قطعة شمع^{١٦} . ثم انظر إلى عيسى أسفل انفصلة .

(١) إسماء الى قومه معادى ، وإن يرس لن برسيتي ، إذ أتى الى الصفت لمشحوب صاهم مكان من مدحضير ، فالتصه حوت وهو ملهم ، فلولا به كان من التسيحين سب في نظره إلى يوم يعثون . (الصافات ، آية : ١٣٩ - ١٤٤)

(٢) كان فرعون يقتل رسال بني اسرائيل ويضحي بساءهم ، فحدثت أم موسى على ابها فالتت به في الهم وسط تابوت بحبه العرق . وأوحى إلى أم موسى أن رصعه فإذا حب عليه فالفية في ايم ولا يحق إننا رادره إليك وجاعوه من المرسلين ، (القصص آيه ٧) ثم تحمل بكبر من عب فرعون وجوده عدها ملك يدعو عبادة الله الواحد والتجلي عن عبادة فرعون ﷻ

(٣) يشدو إلى قوله تعالى : « وسحرنا مع ديد الخيال بسبحن والطير وكنا فاعلين ، وعلمناه صغره لبوس لكم لنحصنكم من بأنكم ، فهل أنتم شاكرون ، الأنبياء آيه ٧٩ - ٨٠ »

(٤) كانت الريح تهب بأمر سليمان ، كما كانت الشياطين تأمر بمره ، ويعهم ذلك من قوله تعالى : « وسليمان كانت الريح عاصفه تجري بأمره إلى الأرض التي نزلنا فيها ، وكل شيء عالمين ، ومن الشياطين من يعصون له ويعصون عملاً دون ذلك وكنا هم حافظين » سورة الأنبياء ، آية ٨٦ - ٨٧ .

(٥) حين يشر الله سبحانه وتعالى زكريا يحيى ، أمره أن يكف عن الكلام ثلاثة أيام متتالية ؛ قال رب اجعل لي آية ، قال انك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا زمراً ، وأذكر ربك كثيراً وسبح بالعش والإكثار . (آل عمران ، آية : ٤١)

(٦) يقال إن يحيى قد قتله هو اسرائيل بأمر حاكمهم وهيرودس ، لأنه لم يوافق على أن يروح لحاكم من بيت أخيه لأن ذلك محرم . وبعد أن قتل يحيى ، وضعت رسة في طست وقسمه لحاكم إلى الصاة التي يريد الاقران بها . قصص الأنبياء حامد عبد القادر من

١٠٦ (سلسلة دراسات في الإسلام - العدد الثالث) وزارة الأوقاف القاهرة ١٩٩١

وكيف هرب من اليهود مرات ومرات^(١) ثم انظر إلى سيد الرسل محمد
وأي جماع وآلام لاقاها من كل ملحد^(٢) . . .

بأن تنظر إليهم حياً تدرك أن التحلي عن الروح أمر يسير ، وما
أكثر ما أقول حيث ثلاثي ما سبق أن قلته ، ولم تنبذ وردة واحدة من
العصر الذي عرسته ، وهكذا أصبحت فتيل الحيرة دفعة واحدة ، ولم
يعد لي من حيلة غير العجز والمسكنة ، فإني أصبحت العمل في طريقه
طفلاً رضيعاً ، لقد صاع عقل الشيخ في البحث منك . وبالسبب في أما
لنجدون متى أصل ؟ وإن أصل ، فإلى إدراك الله متى أصل ؟ فليست
مدركاً بالعلم ولا بالعين ، كما لن يصيبك النفع أو الضرر بالفائدة أو
الخسران ، فما أصابك نفع من موسى مطلقاً ، كما لم يصيبك سوء من
فرعون مطلقاً ، ويا إلهي من الأبدى غيرك ؟ ومن لا حد له ولا نهاية غيرك ؟
وإذ كان كل شيء له مهية ، فكيف يكون أبدياً من لا يستمر إلى لهاية ؟ .

يا حالقي لقد ونعت في الحيرة والاضطراب ، أما أنت فظلمت في
سترك خيف القاب ، فلترفع النقاب ولا تحرق روحي ، ولا تعذبني أكثر
عما أمارني ، فقد عرفت مجاه في أمواج بحرك ، فستفدني من كل هذا
الاضطراب وتلك الحيرة ، فكم بقيت وسط لجة بحر الفلك ، ولكنني
ظلمت خارج تلك الحجب ، فمن هذا البحر المتلاطم أنقذني ، لقد
ألفيتني فيه ، فمه خلصي لقد سيطرت بصبي على كل ، فإن لم تأخذ
بيدي قالويل لي ، كما لوثة العبث روحي ، ولم تعد لي طاقة تتحمل أي

(١) نحن نعرف أن اليهود حاولوا قتل عيسى عليه السلام أكثر من مرة وأغبنوا عن تنفيذ حكم
الإعدام فيه ولكن الله أنقذه ورجعه إليه . « إنا نال الله يا عيسى إلى متولينك وراحتك إلى
ويطهرتك من الدين كعرو » آل عمران ، آية . « وقرله تعدي » وما قتلوه وما
صبروه ولكن شبه لهم » . النساء ، آية ١٥٧ .

(٢) أمثلة تمتعت الكفار مع محمد عليه السلام كثيرة ، قد حاولوا قتله أكثر من مرة ، كما حدث
يوم الهجرة ، وما حدث أيضاً في المروءات بين المسلمين والكفار . . انظر كتب السيرة

عبث ، فلما أن نخلصني من هذا العناد ، وإلا فلتسه حياتي ولتوارسني
التراب . .

الخلق يخشونك وأنا أحتش نفسي . فما رأيت منك إلا كل حبر
وم رأيت من نفسي إلا كل شر . لقد مت ، وأما ما ربت على وجه
الأرض ، فرد على روحي يا واهب الروح لطاهرة المؤمنين والكافر كلاهما
عصب بالدماء ، حيث وقع البعض في الحيرة ، ووقع الآخرون في
الهمى ، فإن تدعهم فتلك هي الحيرة ، وإن تطردهم فهذا هو الصلال
والهمى . .

ويا إلهي لقد تحصب قلبي بالدم ، وأصححت في حيرة كالمملك ،
فوجه أقوالك إليك ليل نهر ، فلا تتحل لحظة واحدة عن تحقيق طلبي
وأنا في حوارك دواماً ، فأنت كالشمس وأنا كالظلمل فيا واهب المحتاجين
مدا يكون الأمر ، لو أنك حفظت حق الحوار؟ فبقلب معصم بالأسى ،
وبروح عاصفة بالألم ، تسهر دموعي كالظراشيتان إليك وإن كنت أصبر
لك عن أصمي إلهي أكرم حتى أدركك وبومرة واحدة فلنكن مرشدي إذا
ما ضللت الطريق ، ولتعي إذ ما جئت في غير مواعيدي . فكل من حار
البقاء في حضرتك أصبح سعيداً ، بعد أن قى إليك ، وأصبح بنفسه غير
مكترب ، فلست مستشياً وقد قرقر ري بجوار من يعبر واحداً من كل
مائة ألف .

حكاية (١٩٩ - ٢٤٣)

عَلَّقَ أَحَدُ أَرْحَالٍ وَهُوَ مَكْبِلٌ بِالْمِيدِ وَالْأَصْمَادِ فِي يَدَيْهِ وَعَلَمَ مَا
حَانَتْ سَاعَةُ صَرْبِ عَمَقِهِ تَعَطَّفَتْ عَلَيْهِ زَوْجَةُ الْخِلَادِ بِكُسْرَةِ حَبِرٍ وَمَا أَرَادَ
أَقْبَلَ الْخِلَادَ مَسْكاً مِيفَةً ، حَتَّى رَأَى الْمُسْكِينَ وَكُسْرَةَ الْخَبْرِ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ
لَهُ : مَنْ أَعْطَاكَ أَيُّهَا الْخَفِيرُ هَذَا الْخَبِرَ ؟ قَالَ : أَعْطَانِي إِيَّاهُ زَوْجَتُكَ ، فَمَا
أَنْ سَمِعَ الرَّجُلَ جَوَابَهُ ، حَتَّى هَالَ أَصْبَحَ قَتَلْتُكَ مَحْرُماً عَلَيَا ، لِأَنْ كُلَّ
مَنْ قَصَمَ حَبِرِي ، لَا يُمْكِنُ رَفْعُ الْيَدِ بِالسَّيْفِ بَحْوَهُ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُكْرَهُ
'رَوَاحِيَا مِنْ أَكْلِ حَبِرِي ، فَكَيْفَ يَحِلُّ لِي سَعْلُكَ دَمْتُ سَيْفِي ؟

إِهْي ، لَقَدْ مَرَّتْ لِي طَرِيقُكَ ، وَأَكَلْتُ مِنْ حَبِرِكَ عَلَى حَوَاسِكَ ،
وَعَلَمَ مَا يَنْقُصُ شَحْصَ حَبِرٍ أَحْمَرٍ ، يَكُونُ لَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْخَفِيرِ لِسَى
صَحْبِ الْخَبْرِ ، وَلَمَّا كُنْتُ أَنْتَ بَحْرَ الْخُودِ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَقَدْ أَكَلْتُ
الْكَثِيرَ مِنْ حَبِرِكَ ، فَتَصَفَّحَ عَنِّي ، وَيَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ هَذَا أَصَحَّحْتُ مِنَ
الْعَمَحَرِينَ ، وَعَلَى الْيَسْرِ قَدْتُ سَهْمَتِي . فَحَذَّ بِيَدِي وَكُنْ نَاصِرِي ، فَمَا أَكْثَرَ
مَا وَصَعْتُ يَدِي عَجْراً عَلَى رَأْسِي وَكَأَنِّي بِعَوْصَةٍ ، فَيَا غَاغِرَ الدَّبِّ ، وَيَا
عَالِدَ بَعْدَرِي لَقَدْ احْتَرَقْتُ مِائَةَ مَرَّةٍ فَكَيْفَ تُرِيدُ إِحْرَاقِي ؟ وَكَمْ أَشْمَرُ
بِالْأَصْطِرَابِ حَيَاءً مَعَكَ ، حَيْثُ رَتَكْتُ كَثِيراً مِمَّا يَتَحَاقَى مَعَ الْمَرْوَةِ ،
فَاصْفَحْ عَنِّي . .

لَقَدْ أَكْثَرْتُ مِنَ الدَّنُوبِ وَأَنَا فِي عَمَلَةٍ ، وَبَكَتْ عَوَصَتِي بِمَشَاتِ
الْأَهَانِينَ مِنَ الرَّجْمِ . فَيَا إِهْيَ نَظْرَةً مَعَكَ إِلَى أَمَا الْمُسْكِينَ ، فَإِنْ تَرَمَيْتُ شَرّاً ،
يَصْحُحُ حَبِرٌ إِنْ شَمَلَنِي بِنَظْرَةٍ ، لَقَدْ أَحْطَأْتُ لِأَنِّي جَهْرٌ ، فَغَاغِرَ لِي ،
وَلَتَرْحَمَ قَلْبِي لِمَهْمُومٍ وَرَوْحِي الشَّكِيِّ ، إِنْ كُنْتُ عِيَايَ لَا تَسْكِيَانِ فِي

العيان ، فسموع رحي نهمر شوقاً إليك في الكتمان ، وفي حالي إن كنت قد ارتكبت الخير أو الشر ، فكل ذلك كان نتاج جسدي . فاعف عن سقطتي ، وامح عني معصيتي ، لقد فليت بسيسك ، كما حرت من أجلك . فإن كنت شيئاً أو غير ، فما لحفي كان بسبك . وأما سوبك نقصان في نقصان ، ولكنني أصبح كلاً . إن تشملي بعطفك . فظرة واحدة منك صوب قلبي المكثوم تخرجني من كل هذه المصوم ، وإذا ما تركتني دلياً ، فلن أكون شيئاً . ولكن من 'كون حتى أكون حديراً بك؟ وكم يكفي أن أكون عدماً بالنسبة لك ، وكم يرضيني القول بأنني صدك ، بل عد لتراب قلب صدك ، وأما لك عد بذول للروح ، كما لي ومسم كالخيشان منك ، وكيف استشعر السعادة إن لم أكن عبد لك ، وقد احترق قلبي حتى حظيت بالعبودية لك ، فلا تتحل عن عبدك اموسوم ، ولتصع حلقة العبودية في أدني عبدك .

يا من لا يياس أحد من فصلك ، ساظل دائماً موسوماً بحلقة عبوديتك ، وكل من لا يستعذب قلبه ألامك ، لا تجعله سعيداً أبداً لأنه ليس حديراً بك ، فزدني ريلاما يا دوالي ، فبدون ألامك تموت رحي ، الكهر للكافر والدين للمتدين ، أما قلب لعطائر فه أهدى ألامت

إلهي ، أنت مبرك لتوسلاتي ، ومعلع 'يضاً عني ليلالي المتشعبة بالسواد ، لقد جاوزت أحراني كل حد ، فهبي عفلاً للمسرة ، واشملي بور بضيء ظلمتي ، وكن معيني ومعزيمي في ذلك الماتم ، ولا معين لي عبرك فحد بيدي ، ومحنى نعمة نور الإسلام ، واهن بصبي الكثيرة الأثام .

إنني ذرة صاعقة وسط الظلال ، فما عاد لي من نصيب في هذا الوجود ، أنا قل ولكني بعصلك شمس مصيبة ، حيث شمستي بشعاع أنوارك الوصاء ، ولعلي ذرة دواره أفر وأسبح في ذلك الشعاع ، ولكن

كيف أخرج من انكدة وأمصي في تلك العوالم الوصاة ؟ وما العمل حتى
لا تغرقني روجي ، وقد اتسم قلبي بالضعف ؟ فإن تغرقني روجي ، فلا
معين لي سواك فلنكن رفيفي حتى دبر القرار ؛ أما إذا حلا المكان معي
دون أن تكون رفيفي فالويل لي كلي أمل أن تكون رفيفي ، وأن تكون
في عونني على الدوام

في نعت سيد المرسلين (٢٤٤ - ٣٨٧)

المصطفى سيد الدنيا والدين كرم الوفاء ، وصدر العالمين ومدرهما ،
وهو شمس الشرع وبحر اليقين ، ونور العالم والرحمة للعالمين . أرواح
الطاهرين تراب بروحه الطاهرة ، وترواه محرر للأرواح من كل قيد ، إنه
سيد الكونين وسلطان الجميع ، والشمس الهادية للأرواح . وموصل
لإيمان الجميع ، صاحب المعراج وصدر الكائنات ، ظل الحق وسيد
شمس البينات . كلا العالمين يحصيان في ركابه ، وترويه قلبه العرش
والكرسي ، إنه سيد هذين العالمين وصاحب القدوة في الخفاء والعيان ،
وهو أعظم الأنبياء وأفضلهم ، ومرشد الأصفى والأزلياء ، إنه المهتدى إلى
الإسلام ، الهادي السبل ، كما أنه مفتي العيب وإمام الجهر والكن ، هو
السيد الذي يفوق كل ما أقول ، والسباق في كل شيء على الكل " ، وقد
قال سيد الكونين " عن نفسه : « إنما أنا رحمة مهداة » " .

استمد العالمان اسميهما من وجوده ، ووجد العرش راحته من
اسمه ، وتم خلق كل شيء كقطرات ندى من بحر حوده . كما ظهر
العالمان إلى الوجود من طفيله . نوره مقصد جميع المخلوقات ، وهو أصل
الموجودات والمعدومات ، وما أن خلق الحق نوره المطلق ، حتى حل من

(١) هذا الكلام إشارة إلى الحديث النبوي « أول ما خلق الله نوري » ، إذ أن العطار يعتمد أن
أول ما صدر عن مصدر الوجود هو النور المحمدي ، ثم تم خلق جميع الموجودات من
هذا نور المحمدي . انظر شرح أحول ونقد وتحليل آثار شيخ فرید لیس محمد
مطهر ثباتی در تعلیق بدیع الزمان فرزند انور ص ٤٣ و ٣٥٩

(٢) إشارة إلى الحديث « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » الجامع الصغير : القدر ١٣٥٢ هـ ج ١
ص ٣٦٣ .

(٣) وره هذا الحديث يخصه في الجامع الصغير ج ١ ص ٣٤٨

نوره مائه بحر من نور ، ومن أحبه خلق الروح الطاهرة ومن أجله حق الدنيا ، ولم يكن لخلقها من مقصود سواء . ولا وجود لمن هو أظهر دليلاً منه ، وأول ما بدا من عالم العيب ، كان نوره الطاهر بلا أدنى ريب ، وبعد ذلك أصبح نوره خير علم ، فبدأ من بعده لعرش والكرسي والملوح والفلم ، فاعالم ما هو إلا علم من نوره الطاهر ، وآدم ودريته ما هم إلا علم آخر منه ، ولكن ما أد بدأ نور الله الأعظم ، حتى حر ساجداً أمام الخالق وقضى القرون ساجداً ، ووقف مسوات وأعماراً راكمها ، فكان مشغولاً طوال مسوات بالقيام ، حيث نصي عمره كله في الصلاة والتشهد بالتمام ، ومن الصلاة وضع نور ثلث البحار الراحة بالأسرار ، فكان مرض الصلاة على جميع البشر .

هذا النور جعله الحق بمثابة الشمس والقمر ، بل جعله ملا قرين إلى الأبد ، وفجأة فتش أمام بحر الحقيقه طريقاً ظاهراً إلى ذلك النور ، في أن رأى بحر الأسرار ذلك النور ، حتى هاج نبيها ودلالا . ومن شدة الطلب دار حول نفسه سبع دورات ، فظهرت الأعلام السبعة الدوارة ، وتحولت كل نظرة صُوبت إليه من الحق ، إلى كوكب بدا في الأفق مسطعاً ، بعد ذلك استقر ذلك النور الطاهر ، حيث أصبح العرش العاني ، واتخذ اسم الكرسي . ثم طلب العرش والكرسي أن يكون صورة لذاته ، ثم ظهرت جميع الملائكة من صفاته . .

ومن أنفاسه ظهرت الأبوار ، كما وصحت الأسرار في قبه المعصم بالأنكر ، وسر الروح من عالم فكره وكفى ، إذ نفخ الله تعالى فيه نفحة من روحه^(١) ، وعندما اجتمعت تلك الأنفاس تلك الأسرار ، انشفت

(١) وذلك إشارة إلى قوله تعالى « الذي أحسن كل شيء خلقه » وبدأ حسن الإنسان من طوله ثم جعل سله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وحملكم السمع والأبصار والأنفذة قبل ما تسكرون » (السجدة ، آية : ٧ - ٩)

كثرة هائلة من الأنوار وما أن وصل طفيل نوره إلى جميع الأمم ، حتى صار مبعوثاً إلى الجميع ولا جرم ، وصار المبعوث حتى يوم الميراث إلى جميع الخلق في كل عصر و زمان ، وما أن وجه الدعوة إلى الشيطان ؛ حتى أسلم عبداً السب الشيطان ^(١) . ووجه دعوته إلى الحسن بإذن من الخالق ، فبدأت لذلك ليلة الحسن ^(٢) . وجعل مقام الأبرار من مقام المرسل ، حيث دعاهم جميعاً في ليلة واحدة ، ودعوته كانت واضحة حتى للحيوان ، والفحل والصب على ذلك شاهداً ، ووجه دعوته إلى أصنام العالم قحرت أمامه هاربة ولا جرم ، وذلك الظاهر كان داعياً للدراب ، لدا سبحت في كفه الحصيات ، فمن من الأنبياء أدرك هذه المرتبة وهذا التكريم ^٣ ومن مهم وجه دعوته إلى كل الأمم ^٤ .

ولما كان نوره أصل كل الموجودات ، وما كانت دته مانحة كل ذات ، وجب أن تكون دعوته لكل العالمين ، ولكل المحنوقات في الخفاء والعيان ، فاقبل عليه الجميع ، كما أقبلت عليه أمته ، فكشوا جميعاً قاطبي شهر هيمته . ويوم الحشر يقول من أجل حفة بلا عمل صالح ، هذه أمتي ! فترد بعد هذا شفاعته ، فيرسل الحق القدوس هذه الأمة إكراماً لروح النبي نور الهدي وهو الخادق في مراوغة أي عمل ، وعمله يكون على أهل صورة يتم بها العمل . وما دام لا يتعلق بشيء مطلقاً ، فهو لا يجرن على فقدان أي شيء مطلقاً .

في كنهه يوجد كل موجود ، ومن رصائه يتحقق كل مقصود ، إنه سر العالم في كل مخلوق ، وهو المرهم لشافي لكل قسب مكلوم ، وحاصل به

(١) إشارة إلى الحديث : « شيطاني أسلم على يدي » .

(٢) ليلة الحسن الليلة التي جاءت من رسول الله ، وذهبوا به إلى قومهم ليعلموا أنه الدين . انظر مجمع البحرين ومطلع النيرين في غرر الحديث ، والقرآن ، طبع طهران ١٢٧٧ هـ ، تأليف فخر الدين البحراني المعروف بالشيخ الطريحي . وذلك نقلاً عن تعليقات مصحح نسخة طهران ١٢٤٧ ش . ص ٣٢٢

فقط كل ما يتصف به ، وأني لشخص أن يرى مثل هذا ولو في الحلم ،
لقد رآه الكل . كما رأى هو الكل ، وهو كما يرى من قبل يرى من بعد ،
وهو حتم الحق النبوة ، كما حتم عليه إعجاز الخلق والفتوة

وجاءت دعوته من أجل الخاص والعام ، وأسم الله به نعمته على
الإنعام ، ثم أعطى مهلة للكافرين في مجازاتهم بانعقاب ، حيث كف في
عهده عن إرسال العذاب الدين والدنيا في كف همتهم ، كم وهب حياته
من أجل أمته . وسار في معراجه بالليل فوضح أمامه سر الكل ، وأصبح
دا القستين لسمو رفعتهم وشأنه ، وظلا بلا ظل يعنو الخافقين ، وتنقى من
الحق أعظم كتاب ، فوجد الاحترام والتقدير من الجميع

زوجاته أمهات المؤمنين ، ومعراجه تعظيم للمرسلين ، ومن خلفه
سار الأنبياء إذ هو رائد لهم ، وعلماء أمته كالأنبياء في مرتبتهم ، وتبجيلاً له
ذكر الحق في التوراة والإنجيل اسمه "عاستمد الحجر من المنزلة والرفعة ،
فأطلق عليه اسم يمين الله" . ولذا له من حرمة ، أصبح نوابه قبله ، وما
أصاب أمته مسخ ونسخ ، وبعث قصي على الأصنام . وأمنه هي حر
الأنام ، والقطرة من ريقه أحالت الشراخاف يعرض بالماء الزلال في عام
القحط والحفاف ، وعلق القمر بأصبعه ، كما توقفت الشمس عن الإشراف
تلبية لأمره . وله بين كتفيه حاتم السوة واضح وصوح الشمس ، وسلك
الطريق قصد حير البلاد ، فهو حير الخلق في حير العرون^(١)

(١) إنشودة في قوله تعالى « الذين يسمعون الرسول الأمي ندى يحدونه مكتوباً عندهم في
التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » لأمراب . آية ١٥٧

(٢) ورد في نسخة العرب الحجر الأسود يمين الله في الأرض وهذا ابن الأثر . هذا كلام لمحمّد
وتحليل وأصله أن الملك إذا صافح رجلاً قبل الرحيل يده ، فكان بالحجر الأسود لله تسرة
اليمين للملك حيث يستقيم ويكتم نقلاً عن معيقات القاصي طباطبائي ، الملحقه بأخر
منظر الطير طبعة طهران ١٣٤٧ ش .

(٣) إنشودة إلى الحديث « حير الناس قري » و « حير الناس القرون الذي أمان فيه » الخميم
الصغير ص ٦٤

واستمدت الكلمة منه التشريف ، فأصبحت بيت الله ، وكل من دخلها أصبح آمناً ، وتسلم جبريل الخرفة من يده ، لهذا مرتدياً الرداء ولحية ، وعظم شأن الأرض في عهده ، حيث خطبت ناسا حاد وجعلت كلها ظهوراً .

ومع أنه أدرك أسرار كن شيء ، إلا أنه كان آمناً حيث لم يهرأ في أي كتاب^(١) ، ولما كان كلامه نبعاً من أقوال الحق ، فإن عهده أصبح أعظم عهد وكفى ، ويوم الحشر سيمسى الجميع عده ، ومتخرس كن الألسنة إلا لسانه ، وكم يتشوق حتى اليوم الآخر - حيث يتبدل الحال - أن يلتقي من الله أي مزال ، وإذا عاص قلبه في بحر الأسرار ، انحرط في الصلاة والذكر ، فكان يقول أرحنا يا ملال ؛ حتى يخرج من صبي هذا الخيال ، وإذا ما سيطر لاضطراب عليه مره أخرى ، كان يقول كميني يا حميرا^(٢) .

إذا نظر لعقل إلى كل ما بدأ منه ، فلا أعلم أكون يحمل روحاً واحدة أو مائة ، وليس للعقل طريق في حلونه ، كما أن العمى لا يعرف وقت حدوثها ، فإذا ما جمعت حلوة أنس بالخليل ، فمهما أهد جبريل نفسه ، فمن يسمح له بالثول ، وعندها بدت ميمرغ روحه ، أصبح موسى من الدهشة شبيهاً بالفاختة .

حيثما تقدم موسى صوب بساط الحجاب الأعلى ، جاء أمر الحق بأن «طلع نعبك» وما أن اقترب ، وأصبح بعيداً عن نعبه ، حتى أصبح عارقاً في النور بالوادي المقدس^(٣) أما في المعراج فكان الرسول شمع دي

(١) إشارة إلى الآية السابعة من سورة الأعراف مائة وثمانون (١) بالصيغة السابقة

(٢) يقصد بـ«حميرا» روح الرسول جاشة ، وهي الله عنها

(٣) إشارة إلى قوله تعالى «هي أمم يودي يا موسى» إلى أن ملك فاحص نعبك سب

بالوادي المقدس طوى» - طه ، آية ١١ - ١٢

الجلال يسمع صوته نعلي بلال ، وعلى الرغم من أن موسى ملث وسلطان ، في سلك الطريق هناك وفي قدميه البعلان ، فانظر أي عبادة حظى به تبعه في بلاط الحق وذلك إكراماً به ، حيث جعل تلمذه حليفاً بحرانه ، وسمح له بسلوك الطريق إليه مرتدياً تعليه فما أن رأى موسى العمراني تلك الثمرة ، وما لتابعه من فربة ، حتى قل : إلهي : لتجعلني من أمته ، وجعلني تابعاً لهفته ، ومع أن موسى أراد ذلك على الدوام ، فقد أدرك عيسى سحر هذا المقام ، فلا جرم أنه عندما يترك الخلوة ، سيدعو الخلق لاتباع دينه ، ويهبط من السماء الرابعة إلى الأرض ، واضعاً وجهته على قرابه ، وروحه تحت إمرته ، وهكذا أصبح المسيح تابعه ، بهذا أسماء الحق باسم الميثري^(١)

وإن كان لإنسان أن يتكلم فهو أنت ، وإن تقل كيف رحلت عن هذه الدنيا ، وكيف عدت ، تحدثت مشكلاتنا واحدة واحدة ، وما بقي في قلوبنا آدمي ريبة ، فما رجع شخص قط من البائدين والخافين سوى محمد عليه السلام في كلا العالمين ، وما توصل هو إلى إدراكه هناك بالاطلاع ولرؤية ، متى سمع لإنسان أن يدركه؟ فهو السلطان والكن أتباعه ، وهو على الدوام الملك ، والكل حيله وحشيه ، وحينما جاء القسم « لعمرك » تلجأ بملو مفرقة^(٢) ، سارع الخلق بالمشول أمام بابه ، وما أن امتلأت الدنيا برائحة شعره المسكية ، حتى أصبح البحر من العطش صانئ الشفة ، ومن ذا الذي لا يتعطش لرؤيته ، وقد شععت به الحجارة والخشب؟ وما أن صعدت روح بحر النور ، حتى ترددت أنات الحسنة^(٣)

(١) إشارة إلى قوله تعالى على لسان عيسى « ومبشر برسول يأتي من بعدي اسمه محمد » الصف آية ٦٠ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى « لعمرك إنهم لمي سكرتهم يعمهون » الحجر آية ٧٧ .

(٣) الحنطة ، إسم العمود الذي كان يربكر الرسول عليه وهو محط في مسجده وقد نكاه هذا العمود عندما غرق الخيلة ، ولذا عرف باسم « الحنطة » أي الباكى .

(نقل عن تعليقات نسخة مطبوع نظير طبع بهرن ١٣٤٧ ش ، ص ٢٢٤)

بعيداً بعيداً ، رخصت السماء المرفوعة بلا عمد بالسور ، وعرفى هذا العمود في الخزد لتراق الرسول . .

كيف يتأتى مثلي أن بصفه ، وحينني يتصيب عرفاً كالسماء من شدة حجلي ؟ إنه نصيح العالم وأبا أئكمه ، فكيف أستطيع شرح حاله ؟ ومنى كان وصفه يليق بشخص مهين ؟ فوصفه وقف على حاله العالم وحده . .

يا من الدنيا ي لها من منزلة تراب لك ، ومائة روح دنيوية تراب لروحك الطاهرة ، قد تحير الأنبياء في وصفك ، كما تملكت الخيرة العلماء والعارفين في كهك ، ويا من بسمتك شمس وصاعة ، وسكاؤك أمر للسحاب بالإمطار ، كلا العالمين غبار حول تراب قدمك ، ولعد بدترت بدثار - يا رفيع المكانة - فارفع رأسك أيها الكريم من تحت الدثار ، ثم اصعد قدميك على قدر هذا الدثار

لقد تلاشت كل الشرائع أمام شريعتك ، وصاغت أصولها جميعاً أمام مذهبك ، وما دام شرعك وحكمك في الوجود ، فاسمت مقترون باسم الله صاحب الوجود . ركن نبي أو رسول ، سارع بالدخول في دينك من كل سبيل ، فهذا لم يكن قد أتى من هو أفضل منك من قل ، ولن يأتي من بعدك أحد ولا ريب ، أنت الآخر والأول في هذا العالم ، وأنت السابق واللاحق معاً ، ولن يصل شخص قط إلى ترابك ، كما لن يصل أي شخص لمثل هذا المزك ذلك^(١) . .

إن سيادة العالمين إلى الأبد وقف على المرسل أحمد ، أما أنا يا رسول الله في أكثر عجزى ، إنسى صغر أليدي ، وقد علا التراب مفرقي ، أنت المعين للضعفاء في كل لحظة ، ولا معين لي في كلا العالمين

(١) بعض النسخ هي منح العطر للرسول عند هذا الحد ، وتضع عنواناً جديداً للآيات التالية وهو - شعاعة الرسول - .

سواك ، فنشملني بصره أنا المهوم ، ولنصرف أموري أنا المغموم ، وإذا كنت قد أضعت عمري في المعصية ، عيسى لأن قد تبث ، فاسأل الحق لي لمعذرة ، وإن كنت لي أن أخاف من « لا تأمن »^(١) ، يلي السلوى في قوله « لا تأسوا »^(٢) . إسي أهني ليلي سهر لي حزان وهموم ، حتى يكون شعيمي ولول للحظة واحده ، فإذا حدثت من قبلك الشعاعة ، دعت المعصية بحاتم الطاعة ، هيا شمع النعساء لتلطف بها ولتشمع شمع شعاعتك ، حتى أتقدم كالعراشة بين أمتك حافق الجناحين أمام شمعتك ، فكل من يرى نور شمعتك ماطعاً ، يهب كالعراشة روجه طائعاً .

كمي عين الروح لقائك ، وكمي كلا العالمين رحلتك ، حثك دواء الآلام قلبي وشمس طبعتك نور روحي ، وعلى بانك أبدل روحي ، وأشر جواهر كلامي ، وكل الجواهر التي تنارت من لساني ، شرني إكراماً لك من صميم روحي ، وإن كنت أشر الجواهر من صميم روحي ، فلا أن روحي تستمد منك صعاتها ، فقد ظلت روحي بلا سعة حتى وجدت سعتها منك ، وهكذا أصبحت صغاتي مستعدة منك

يا صاحب القدر الربيع هذه حاجتي ، فهلا تعصت علي بظرة ، فإن ظننا لا نحظى بهذه النظرة ، فسظل دواماً في حيرة ، فلتنقذي يا طاهر الداب ، من هذا التفكير والشرك والرهاب ، ولا تجعل السواد من الذنوب يحلل وجهي ، وبحق المشاركة في الاسم^(٣) أسألك أن تكون في عوبي ، إسي حدث في طريقك ، وقد عرقت فيه ، وأحاطت بي المياه المعكرة ، وكلي أمل أن تأخذ بيدي من تلك الحمأة ، وتهديني سواء السبيل

ثانية . -

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « تأمن مكر الله ، فلا يمس مكر الله إلا القوم الخاسرون »
الأعراف : آية ٩٩ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : « ولا تأسوا من روح الله » يوسف ، آية ٨٧ .

(٣) إشارة إلى أن العطار كان سمي الرسول محمد ، حيث كان اسمه عمداً كدبت ، ربيع
الفصل الأول من القسم الأول من هذا الكتاب

حكاية (٣٨٨ - ٤٠٥)

سقط أحد الأبناء في ليم ، فتملك الاضطراب روح الام ، واحد
الطفل يصرب بيديه ورجليه في حيرة ، حتى حمله الماء صوب التيار ،
فواصل الماء اندفاعه ، والطفل يتدحرج فوق سطحه ، وما أن رآته الام
على هذه الحال ، حتى تمتمت أن تكون وسط التيار ، ثم ألقت بنفسها
وجدته ، وفي نفس اللحظة صمته ، وسارعت بإرضاعه واحتضنته . .

يا من جعل عطف الأمومة دليل الشفقة ، لتدارك قارباً يهوى إلى
القاع في تلك اللحظة ، مما أن سقطت في دوامة الحيرة ، حتى وقعت في حة
الحسرة ، فعيت مضطرباً كذلك الطفل في الماء ، أصرب بيدي ورجلي من
الاضطراب . .

أيها المشفق على فتیان الطريق لتتفرق منا لحظة ، ولنحفظنا بكرمك
من دوامة أنفسنا المتردية ، ولترحم قلوب الصعفة بالحرقنة ، وأعصا عن
رؤية ما نحن فيه من دوامة ، ولنرصعنا من ذر كرمك ، ولا ترفع من
أماننا خزان جودك . .

يا من يسمو فوق الوصف والإدراك ، وبما من أظهر من وصف
الموصفين ، ما أدركت أي يد أهدبك ، فلا جرم أن نكون أتباعك ،
أما أتباعك فهم أحيائك الأطهار ، وأهل العالم اتباع أتباعك ، ومن لا
يصبح لأحائك تابعاً ، فإنه عدو لأصحابك ، أولهم أبو بكر وأحرهم
المرتضى ، وهم الأركان الأربعة لكعبة الصدق والصفا ، أحدهم مصر
المثل في الصدق ، والآخر في العدل شمس مشرقة ، وأحداهم بحر في
الورع والحياء ، والآخر سلطان أهل العلم والسجدة

في مناقب أمير المؤمنين أبي بكر الصديق

(٤٠٦ - ٤١٨)

السيد الأول هو صاحب الرسول ، « وثاني اثنين إلهما في العار »^(١) ، إنه صدر الدين والصديق الأكبر ونقط الحق ، وله في كل شيء على الجميع سبق ، وكل ما ألقى به الحق من الحضرة العلية في صدر المصطفى ، ألقى به أيضاً في صدر الصديق ، ملا جرم أن ألقى الله في قلبه التصديق ، وحيها خلق الله الدنيا والآخرة بلفظة واحدة ، التزم أبو بكر الصمت وأحكم إعلاق قمه ، وكان يقضي ليله حتى الصبح في سجود دائم ، كما كان يتنهد أثناء الليل عما به من حرقة ، وصرب أنفسه معطرة حتى بلاد الصين ، فعطرت دماء قرال التار ، لذا قال الرسول شمع الشرع واثنين « اطلبوا العلم ولو بالصين »^(٢) .

ومكانته نابغة من حكمته ، وما كان لسانه ينطق إلا بكلمة « هو » ، فحكمته لم ترد على أي لسان ، وخبر اسم الله لم ينطق لسانه .

لا بد للإنسان من اعتبار حتى يكون ذا وقار ، إذ كيف تتأني جلائل الأعمال من عديم الوقار . فما أن رأى عمر مقدار شعرة من قدره ، حتى قال : ليتني كنت تلك الشعرة على صدره ، فلئن قبست بأست ثاني الاثنين ، لئانه ثاني الاثنين بعد الرسول .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في العار » سورة التوبة ، آية : ٤٠ .

(٢) إشارة إلى قول الرسول الكريم : « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، فإن طلب العلم فرصة حل كل مسلم « الجامع الصغير ج ١ ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

في مناقب أمير المؤمنين عمر (٤١٩ - ٤٣٠)

سيد الشرع وشمس التدين ، ظل الحق الفاروق الأعظم شمع الدين ، من حتم به الحق العدل والإنصاف ، وكان له في القريسة قصص السبق على الجميع ، وأول من يسمح له بعبور الصراط ، هو عمر كما قل الرسول ، وهو أول من يتسلم حلقة من دهر السلام ، هي أعظمه من صاحب مقام سام ، وما أن وضع الرسول يده في يده في البداية ، حتى حمله معه إلى حيث يوجد في النهاية^(١) .

بعدله وصل أمر الدين إلى منتهاه ، كما وجد النبي المضطرب راحته^(٢) " إنه شمع الحنة ، ولا وجود في أي جمع ظل لأي شخص أمام هذا الشمع ، وعندما تتلاشي الظلال أمام نور الشمعة ، تسارع الشياطين بالهرب بعيداً عنها^(٣) " وإذا تكلم فالحقيقة على لسانه ، وتخرج سافرة من قلبه . وعندما رأى النبي يحترق في صراعة ، قال : كم هو جدير بأن يسمى سراج الحنة^(٤) . فأحياناً كانت روحه تحترق من ألم العشق ، كما كان لسانه يحترق من نطقه بالحق .

(١) إشارة إلى قول الرسول الكريم : « عمر معي ، وأما مع عمر ، والحق يهدي مع عمر حيث كان » الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢) يشير إلى فتح مصر على يد عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب وما تبع ذلك من عدل بين الرعية وتخليص المصريين من عتق الدولة الرومانية .

(٣) إشارة إلى قول الرسول الكريم : « إن الشيطان ليأمر منك يا عمر » الجامع الصغير ج ١ ص ٢٧١ .

(٤) إشارة إلى قول الرسول الكريم : « عمر بن الخطاب سراج أهل الحق » الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٢ .

مناقب أمير المؤمنين عثمان

(٤٣١ - ٤٤٣)

سيد لسة واسور المطلق ، بل من استحق لقب سيد السورين^(١) ،
ذلك الذي عرق في بحار العرفان ، إنه صدر الدين عثمان بن عفان ،
وتلك الرفعة التي أحررتها راية الإيمان ؛ قد استمدتها من أمير المؤمنين
عثمان ، وذلك الروق الذي حصلت عرصه الكويين ، قد استمدته من
القلب الرصاء بدي السورين . إنه يوسف الثاني كما قال المصطفى ، وهو
بحر الضوى والحياء وكز الزوا ، كان شديد الاهتمام بأمور الأهل ، حتى
جعل روحه فداه لهم ، لذا ما أن تولى الأمر حتى قطعوا رأسه ، على
الرغم من شدة اهتمامه بوصول الرحم^(٢) .

على عهد زادي انديا العنصر والهداية ، ومعه نشر الإيمان ،
وفي حكمه ساد القرآن . قال سيد السادات . إن الفلك يظل دائماً شاملاً
من عثمان المثلث^(٣) . كما قال الرسول كاشفاً للحجاب إن الحق تعالى لن
يجري مع عثمان أي حساب .

وفي يوم البيعة لم يكن موجوداً ، لذا وضع الرسول يده بدلاً من

(١) لقب بدي السورين لأنه تزوج من سبي الرسول ، فاستحق هذا اللقب

(٢) يقول مشر منقول الطبر طعة طهران ١٣٤٧ ش . إن العنصر قد دافع عن عثمان في محلاته
لأنه على الرغم من أن معظم المؤرخين قد وجهوا إليه الترم لهذا التصرف . وهذا ما
يذهب إلى الدخلة من موقف العنصر . البيعة المذكورة ص ٣٢٦

(٣) يشير إلى حديث الرسول : عثمان حيي تستحي منه ملائكة : الجامع الصغير ج ٢ ص

يده^(١) ، فقال أحد الحاضرين كم كنت أود أن أكون غائباً مثل دى
السورين لأحوز هذا التكريم ، فقال له الرسول شمس الدنيا والدين : إن
له أن يفعل بعد هذا كل شيء دون خوف .

(١) إشارة إلى بيعة الشجرة وعدم حضور عثمان هذه البيعة ، حيث كان موفداً من قبل الرسول
إلى كعب بن عريش فعند أحد الأصوات ، دفع الرسول يده بيعة عن عثمان ، انظر تعليقات
دكتور محمد جواد مشكور - آخر طبعة مطبوع الطبر صبيح طهران ١٣٤٧ ش ص ٣٢٦

في مناقب أمير المؤمنين علي المرتضى

(٤٤٤ - ٤٥٦)

سيد الحق ورعيم الصادقين ، سميع الخلق وبحر العلم وقطب الدين ، ساقى الكون والإمام الهادي ، ابن عم المصطفى وأسد الباري . إنه المرتضى المجتبي قرين البتول ، السيد المعصوم صهر الرسول ، وفي بيان كشف الطريق يكون صاحب سر « سنوني »^(١) . وكم يستحق زعامة الدين ، إذ هو المفتي الحق بكل يقين

إن علياً هريد في اطلاعه على أسرار الحق ، وليس لعقل أمام علمه أدنى شك ، وقد قال الرسول « أقصاكم علي »^(٢) ، كما أن علياً مشمول في ذات الله ، وإذا كان أحد الأشخاص قد استرد الحياة بنفخة من عيسى ، فإن علياً قد أعد له المقطوعة بنفخة منه . كي أصبح صاحب القبول عظم الأصنام بالكعبة وهو معتمد على كهي الرسول في صميره تكتم مكنونات العيب ، وومن بينها سر خروج اليد البيضاء من الجيب ، وإن لم تتضح له اليد البيضاء ، فكيف كان يستقر ذو الفقار ؟ وأحياناً كانت الثورة تملكه لما آل إليه حله ، كما كن يقول سره أحياناً لليثر ، وما وجد له قرين في جميع الأفاق ، فقد جال في الخلود ، وما وجد له صدياً بين الخلق .

(١) سنوني حديث علي المشهور في سلوبي قبل ن تعقوني « تعيقات مظن الطير ، طبعه

طهران ١٣٤٧ ش ص : ٣٢٩

(٢) حديث للرسول عليه السلام ورد في شرح باب الخادي عشر ، طبع طهران عام ١٣٢٠ ،

ص ٤٩ ، نقلاً عن المرجع السابق نفس الصفحة

في تعصب أهل السنة والشيعة

(٤٥٧ - ٥٠٢)

يا من وقعت أسير التعصب ، وظلمت أبداً أسير البغض والحب ،
إذا كنت تفاجر بالعقل واللب ، فكيف تنطق بعد ذلك بالتعصب ؟ أيها
الحامس ، لا رغبة في الخلافة ، إذ كيف تتأتى لدى أبي بكر وعمر مثل هذه
الرغبة ؟ لو كانت لديهما لرغبة وهما صاحباً قدوة ، لأعطي كل منهما لآبائه
من بعده الولاية ، ولو كانا قد سلبا الحق من المستحقين ، لكان معهما
واجباً على الآخرين ، ولكن ما قام هؤلاء بمنعها ، بل تركوا القيام بهذا
الواجب لمن اتعصب ، وإذا كان أحد لم يتقدم لمنع لصديق ، فلك أن
تكذب الجميع وتلزم جانب التصديق ، أما أن تكذب صحابة الرسول ،
فإنك بذلك تذكر أحاديث الرسول ، فقد قال : أصحابي نجوم
زاهرة^(١) ، وأفضل أنفرون قرني ، وأفضل الخلق صحابتي وأقربائي
ومن حظوا بصداقتي ، وإذا كان الأفضل لديك أسوأ ، فكيف يمكن أن
يقال إنك صاحب نظر ؟ وكيف تجير بصحبة الرسول ، أن يتحملوا
بقلوبهم رحلاً غير صاحب قول ! أو أن يجلسوه مكان الرسول ، فمثل
هذا الباطل لا يجوز من صحابة الرسول ، وإذا كان اختيارهم خاطئاً ،
فاختيار جمع أنفرون يكون كذلك خاطئاً ! إن كل ما يفعله صحابة الرسول
هو الحق ، ولا يفعلون إلا ما يدين بالحق ، فإن كنت تذكر عن أحدهم
تولى الأمر ، فإنك تكذب بذلك ثلاثة وثلاثين أمراً .

(١) إشارة إلى حديث الرسول : أصحابي كالجوز الزاهر ، ما يسم اقتديهم ، اعتدبتهم ، كنور
الحق من - ١٣ -

كل من لا يعمل إلا متوكلاً على الله ، هو من يعقل بعينه
 ويشوكل^(١) ، وكيف يليق بمن يتبع هذا المطلق ، أن يسلب المستحقين أي
 حق ، فتخل عن هذا الضمير ، وإذا جاز أن تكون الرعبة لدى الصديق ،
 لما قال «أفيلوبي»^(٢) على الإصلاحي ، ولو قدر أن لدى عمر قدراً ضئيلاً من
 الرغبة ، لما قتل ابنه ضرباً بالدرّة .

كان الصديق رجل طريق دائماً ، ومتخياً عن انكل وللاعتاب كان
 ملازماً ، وكم تثر المال والعافية والروح ، فالرم الحياء ، فمثل هذا الرجل لا
 يستمرىء الظلم ، وقد تظهر من قصور الرواية لأنه كان في لب اندراية .
 فمن يتعدى على صير الدين ؛ ليس للرسول أن يجلسه مكانه ، وإن يدرك
 - شخص هذا كله ، فكيف يستطيع القول إنه لا حق له في الخلافة؟

وعمر الغدوق المنسم بالعدل ، كان يجلد الأجر أحياناً ويقتلع
 الشوك أحياناً ، كما كان يحمل كومة الخشب على الكتف ، ويمضي به وسط
 المدينة ، أما يومه فيقتضيه في رياضة حبس النفس ، وطعامه لا يتعدى سبع
 نقيات ، وما كان على خزانة غير الملح مع الخل ، وما كان خبزاً من بيت
 المان ، وإذا نام فالخصى فراشه ، والدرة وسادة رأسه ، وأثناء الليل كان
 يحمل القربة كالسقا ، ليوصل الماء إلى العجوز ، كما كان يقضي الليل يقظاً
 قلبه لتفقد جسده .

دات مرة قال حديفة^(٣) : يا صاحب النظر ، ألم تر مطلقاً نفاقاً في

(١) إشارة إلى عديب الرسول ، (عقله وبكر) ، إمام الصمعي ح ١ ص ١٥٥

(٢) إشارة إلى قول أبي بكر في خطبه الخلافة : «أفيلوبي لسب بحبركم»

(٣) حديفة من أبناء أبو عبد الله حديفة بن الهادي ، من صحابة الرسول وجسمائه وراوي
 الحديث عنه ، وهو المعروف بالشمس وأَسْوَال القُلُوب ، وأشرف على الفس والأفان
 والعيوب

(راجع - حلية الأولياء ح ١ ، ص ٢٧٠ - ٢٨٣)

عمر ؟ فمن يصبرني بعيني في مواجهتي ؛ إنما يتحصى مهدية ، فإن كان قد
تولى الخلافة حقاً ، لزم كان نصيبه أسبال الدراويش ؟ وكم اقترش
مرقعا من مئات القطع ، حيث عدم الردء والكليم ، ومن حكم بهذه
القدرة ، لا يتهم مطلقاً بالتحير والعصية ، ومن كان يحمل الدرة أحياناً
والطين أحياناً ، لا يمكن أن يتحمل هذه الشدائد جزأها ، ولو قدر وساس
الخلاف وفق الهوى ، لأجلس نفسه في مرتبة السلطنة ، وعلى أيامه حلت
مدن المكربين من الكفر خوفاً منه . فإن كنت تتعصب من أجل هذا ،
فليست مصصفاً ، ولتنت هذا الفهر ، لقد مات بالسم ، أما أنت فمسموم
بقهره ، وإن لم تدق سمه . .

أيها الخاهل الخاخر بلحق ، لا تجعل من نفسك مقبلاً للخلافة ،
إن كنت نفسك قد سيطرت عليك ، فستسبب آلاف الآلام والأحزان
لك ، وإذا أحد غيرهم قد تولى الخلافة ، لسيطر على هذه الآفات
والآرمات ، وما دامت الروح تسري في الجسد ، فليست عهدلة الخلق في
الأعناق أمراً هيناً .

حكاية (٥٠٣-٥١١)

حذاء عمر مصطرباً أمام أريس^(١) ، وقال : لقد ألفت الخلافة على كاهلي ، فإن يوجد لهذه الخلافة مشتر : أبعه إياها ولو بدينار

وعندما سمع أريس من عمر هذا القول ، قال : صه ، وتخل من هذا الهرل ، وأطرح عث هذا ، فكل من يريد قطع الطريق ، وحب عليه أن يجده فيه .

عندما علم الناس برغبة أمير المؤمنين في التحلي عن الخلافة ، صاح الجميع في نفس الآونة ، وقالوا : أيها القائد ، نستحقك بالله ألا تجعل الخلق حيارى ، لقد أركل الصديق الخلافة إليك عهدة ، وقد تم هذا من تحقيق لا عن عدم بصيرة ، فإن نعصر أمره ، فكم نتألم روحه بهذا التصرف .

ما أن سمع عمر هذه الحجج المحكمة ، حتى أصبح التحلي أمراً صعباً بالنسبة له .

(١) أريس القرني حاصر النبي عليه السلام وثم بره بسبيين أولمها عليه الحال ، وتلقاها حتى الولادة ، هاشم في مجد عروفاً عن مخالطة الناس ، وقد ورد عن النبي أنه قال : « أريس القرني خير القاهمين بإحسان وعظم » . وقد خرج من احتكافه وانضم إلى جند علي بحاربه أعدائه ومات أثناء القتال

انظر تذكرة الأوباء لعريد الدين الخطر ج١ ص ١٤ ٢١ طهران ١٣٢١ هـ بامقام القرني ، وكشف المحجوب للهجويري ، ترجمة د إسماعيل قنديل ج١ ص ٢٩١ - ٢٩٢ القاهرة ١٩٧٤

قول في شهادة المرتضى عبي

(٥١٢ - ٥٢٢)

ما أن فاجأنيء الخط الحاحل المرتضى بطعة ، حتى سارع الجمع
بتقديم خرعة ماء للمرتضى ، فقال : أين قاتلي ؟ لتقدموا له الماء أولاً ، ثم
يأتي بعد ذلك دوري ؛ إذ سيكون هذا القتال رقيقاً فقدموا الخرعة
له ؛ فقال انقائل . أي عذاب هذا ؟ أيريد الخبير فتني بالسهم هكذا ؟
فقال المرتضى : بحق الخالق ، لا بأس في أن تشرب خرعتي عبي
الإطلاق ، ومن أخطأ خطوة واحدة أمام الحق في جنة لاوى دون أن
تكون في صحبتي

إذا كان المرتضى لم يحضر صوب اخوة دور أن يكون معه قاتله ،
فمن تكون شفيعته إلى هذا الخدم مع عدوه ؛ كيف يحقد على صديقه ؟ ومن
يعزم هكذا لعدوه ، كيف تُظن به معاداة العتيق^(١) ؟ وما دامت الحياة ،
فمن يخلق الله حبيباً للصديق مثل عبي ، وما أكثر ادعاءك بأن المرتضى قد
ظلم ومن تولى الخلافة قد حرّم ، فإذا كان على أسد الله وتاج السر ، فلا
يمكن أن يقع ظلم - أيها العلامة - على العصنمر

(١) عبيق لقب أبي بكر رضي الله عنه . تعليقات العامي طباطبائي بأحر منطق الطير طبعة
طهران ١٣٧٤ هـ ص ٥٣٠٤

حديث محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام

(٥٢٣ - ٥٣٨)

نزل المصطفى بمكان ما بالطريق ، وقال : أحضروا الماء للجيش من البئر ، فذهب رجل ثم عاد مسرعاً ، وقال : إنه مليء بالدم لا بالماء وتساورني الظنون بأن المرتضى ، قال لبشر أسرارهم من شدة ما يعانون ، وما أن سمع البئر ذلك حتى حارت قواه ، فلا جرم إن غص بالدماء ونصب مأواه .

من يختلج في روحه مثل هذا الاضطراب ، كيف يتسع قلبه لحقد ولو بمقدار غملة ؟ أما روحك فاضطربها ولبد التمسك ، وما كان للمرتضى روح كهذه ، فالزم الصمت ، ولا تعقد القياس بينك وبين المرتضى ، لأنه كان بالحق عالماً وفيه غارفاً ، كي كان في العمل مستغرقاً ومن حيالته هذا متضامناً ، ولو كان مثلك حقوداً لحارب خيل المصطفى ، ولم لم يتعارك علي مع أي شخص ، وقد كان أكثر منك شجاعة ؟ وإن لم يكن الصديق على حن وبها للعجب ، وكان علي صاحب حق ، لكان إياه قد طلب .

حينما تقدم جيش أم المؤمنين لمجابهة علي بما لا يتفق والدين ، ويثير الحقد والصغينة ، اضطرب أن يدفع حيدر هؤلاء القوم بالقوة بعد أن اضطرب لئله هذا العراك والجدال . ومن استطاع معاركة الأئمة ، كان يعلم كيف يتعامل مع الأب . .

أنت لا تعرف - أيها الحدث - من علي أي شيء إلا العين واللام والهباء . وبسبب هوانك لا يقر لك قرار ، أما هو فقد استراح حيث تكون مئات الأرواح له نثاراً . .

حكاية (٥٣٩ - ٥٤١)

كديما قُتل أحد الصحابة ، سطر النعم على الحيدر ، وكان يقول
لم لا أُقتل أنا كديك ؟ لقد صغرت الروح العريضة في عيسي . فكان
الرسول يقول له : ماذا أصابك يا علي ؟ لقد تولى الله رعايتك ! .

حكاية (٥٤٢ - ٥٤٨)

دأت يوم صرُف ملال^(١) على مكان واحد من جسده مائة عصا
وحلدة ، فسالت منه الدعاء بسبب تلك العصي العديدة ، ولكنه كان دائم
التريد لكلمة : **أحدهم أحدهم**

إذا ما غمرتك حضم من الدلة ، فما بقي وقتها حب أو بعض في
طريقك ، ومن ابتلى بالدلة ، فمن الخطأ أن يتعامل مع هؤلاء القوم ، وما
داموا هم هكذا وأنت هكذا ، فستظل حيران دائماً هكذا ، لقد نجاة عبدة
الاصنام من أذاك ، أما الصحابة فقد أودوا من لسانك ، فلا تسود
بالفصول صحيفتك ، لأنت تهوِّز إن حفظت لسانك .

(١) ملال : كان عبداً مملوكاً ، ودخل الإسلام ، فتحمّل أشد العذاب من كمل فريش حتى
اشترته أبو بكر الصديق واعتقه . شهد جميع العروا ، وأذن للرسول طيلة حياته ، ثم
امتنع عن الأذان بعده . فمرف باسم مؤذن الرسول . استأذن أبو بكر في الاتصال إلى
الشم ، فآذن له حيث عاش حتى توفي في دمشق عام ٢٠ هـ . انظر عوارف المعروف ،
ص ٧٦٠

حكاية (٥٤٩ - ٥٧٠)

سواء كان المقصود علياً أم أبا بكر الصديق ، فروح كل منهما غارقة في بحر التحقيق ، فعندما توجه انصطلي صوب العار ، بام المرتضى تلك الليلة على فراشه ، وهكذا أراد الحيدر أن يقدم روحه ثاراً ، ليحفظ روح الرسول الأكبر ، كما حاطر الصديق رفيق الغر بروحه ، فكلاهما قدما الروح ثاراً في طريقه ، وكلاهما نثرا الروح حفاظاً عليه ، فتعصب في الرأي على أنهما بمنطق الرجال قدما الروح ثاراً في سبيل الخيب ، فإن كنت رجلاً كهذا أو ذاك ، فهل لك أن تتحمل آلام هذا أو ذاك ؟ فلتكن مثلها ، وتسلك طريق بذل الروح ، وإلا فالزم الصمت وتخل عن هذا الهرل ..

لعلك - أيها العلام - تعرف علياً وأبا بكر ، ولكك تجهل حقيقة الله والعقل والروح ، فصور الرأس بحق هذه الواقعة ، وكن رجل حق أناء السيل وأطراف النهار كراثة^(١) ، فما كانت امرأة واحدة ، بل إنها بمثابة مائة رجل ، فكم تحمست الآلام من الرأس إلى القدم ، وكانت عن الدوام غارقة في نور الحق ، متطهرة من العضول ، وفي الله مستعركة^(٢) .

سألها سائل قائلاً : يا صاحبة القبول ، ماذا تقولين في صحابة

(١) رابعة المعنوية - توفيت عام ١٣٥ هـ ، وكانت أول من نفس بعمه الحب الإلهي ، وقد

تحدثت عن بوعي الحب ، حب الهوى ، وحب الأيثر المزه من الأراض - انظر :

لتصوف الثروة الروحية - للدكتور أبي العلا عفيفي ، ص ٢٩ وما بعدها ،

في صفحات الأسس الحلي ص ٩١٥ ، ٩١٦ ، تذكرة لأرانيا ، لمطبعة ج ١ ص ٥٣ - ٩٤

(٢) فهي نسخة باريس للحكاية عبد هذا الحد ، ويصعب عزياناً جديداً للأبيات التالية ، ولكنني

نصت وصلها كما جاءت في نسخة (صفحة ١٣٣٤ ش

الرسول؟ قالت . إن كنت لا أعرف عن خالق البشر أي سر ، فكيف أستطيع الإدلاء عن الصحابة بأي حبر؟ وإن لم أفر الروح والقلب في الحق ، فلن أكون لحظة مهتمة بالخلق ، وكم أصابت أشواقك الطريق عبي ، فسالت منها الدعاء وأنا في غفلة ، ومن أصابت مثل هذه الآلام ، كيف يحول بقله اهتمام بأي رجل أو امرأة؟ وإن كنت لا أعرف من أنا ، فكيف أعرف الآخرين بالقياس؟

أنت في هذا الطريق لست إلهاً ولا رسولاً ، فغسل يديك عن هذا الرد والقبول ، وتطهر من التبرأ والتوبي ، وكن عبداً مطيعاً في هذا الطريق ، وما دعت حمة من تواب ، فتحدث عن الشراب ، واعتبر الجميع أظهراً ، ولنطهر قولك ..

قول في شفاعته الرسول عليه السلام من أجل أمته

(٥٧١ - ٥٩٢)

قال سيد العالم للمحلق ، لتكل إلي أمر امتي ، حتى لا يطع أحد مطلقاً ذات لحظة على ذنوب امتي ، فقال له الحق تعالى : يا صدر الكبار ، إن تطلع على تلك الذنوب الكبار ، فلن تستطيع تحملها ، وبطل بعد ذلك حائراً ، ويعتريك الخجل ، وتختفي من بين الكل ، فإن سمعت قول أهل المنجار ، نظيت أن يبعث بك مرة أخرى ، وإن تبحث عن طاهر ديل واحد ، مما أكثر ما نجد من خطائين في هذه الأمة ، ولن تستطيع تحمل كل هذه الذنوب ، فأتوك أمر امتك للرب ، وإن كنت ترغب في ألا يعلم أحد قط شيئاً عن ذنوب امتك ، فإنني ، يا عالي المقام ، أرغب في ألا

(١) المقصود من التبرأ والتوبي تبرأ المتحصين من الخلقاء الثلاثة الأول ، وتوليهم بعيداً عنهم

تعرف أنت كذلك ذنوب أمتك ، فلا تضع قدمك بين الجمع ، وانتبه لك مكاناً ، واترك أمر الأمة لي آناه الليل وأطراف النهار .

إذا كان أمر الأمة ليس في متناول المصطفى ، فكيف يسير هذا الأمر يحكمك في الطريق السوي ، فلا تكن مطلق الحكم ، وكف عن القول ، وتحل عن التعصب ، واعقد العزم على قطع الطريق ، واسدك نفس الطريق الذي سلكوه من قبل ، وامض في طريقك مشدداً السلامة ، وإما أن تضع قدمك في طريق الصديق كالصديق، وإما أن تنخير العدو مثل صخر الماروق ، أو كرم مثل عثمان مثلاً لسجاء والحلم ، أو مثل الخيدر بحراً للجرد والعلم ، وإلا فلا تنطق بحرف، وأقبل نضيجتي وامض ، ولتحت الخطي ، واكبح جماح نفسك ، وامض . إنك لست رجل صديق ، وعلم الخيدر ليس موفوراً لديك ، إنما أنت أسير نفسك ، وفي كل لحظة تردد كهرأ ، فاقتل نفسك الكافرة ، وكن مؤمناً ، فإن قتلت النفس ، تكن بعد ذلك آمناً ، ولا تقبل على هذا المضروب بدفع من تعصبك ، ولا تروح هذه الرسالة النابعة من نفسك ، وليس من حقك أن تطلق الكلام على أخته ، فكيف بحق بك أن تتكلم عن صحابة الرسول ؟

إلهي ، ليس لدي هذا المصول ، فلتحفظني من التعصب على الدوام ، ولتظهر رويحي من التعصب ، وإلا ، فلا كانت هذه القصة في ديواني ..

المقناة الأولى

في اجتماع الطير (٥٩٣ - ٦٥٧)

مرحباً بك أيها المهدد ، يا من للطريق هادي ، وفي الحقيقة مرشد كل واد ، يا من إلى حدود سبأ حسن سيرك ، ويا من مع سليمان حسن مطي صيرك ، نصرت صاحب أسرار سليمان ، وصرت في تصحرك من أصحاب التوجان ، وقد كلل الشيطان وزج به في السجن ، حتى تكون حائظاً لأسرار سليمان ، وعندما تلقى بالشيطان في غيب السحر ، تسارع بالمسير صوب صرائق الخنفل بصحبة سليمان .

مرحباً بك أيها النهس^(١) ، يا شبيهاً بموسى في الصمة ، اهمن واشد بالحنك في عالم المعرفة ، فأنت أستاذ متمرس في علم لموسيقى ، كما أن علوية الألمان من حلفك مستقاة ولأنك رأيت النار من بعيد كما رآها موسى ، فلا جرم أن يكون النهس فوق جبل الطور ، ولشدة أيها الطائر عن شرفة فرعون ، وفي الميعاد أقبل ، ثم حتى بعد ذلك يا طائر الطور ، وتكلم بلا صياح وبلا لسان ، واهم بلا عقل ، واسمع بلا آذان

مرحباً بك أيتها البيعة الواقعة على طوى^(٢) ، وأنت ترتدين حنة أليفة رطوقاً نارياً ، أما طوى السار فمن أجل ساكني جهنم ، ولكن الحنة

(١) ورد هذا الطائر في النص العربي على أنه (موسيجه) ، حتى يفارق العطر به ويبين موسى عليه السلام ، وهذا الطائر شبه بالمعاجة ، وقد احترق له اسم نهس) وهو أبو فصاح

(٢) طوى شجرة عالية في الحنة

فمن أجل ساكني الجنة والسحي ، ومن يشبه إبراهيم الخليل في بجاته من
المروود ، فإنه يستطيع الجسوس في مرة على السار ، ولتضربي رأس
المروود كما تفعلين بالقسم ، وضعي قدمك في النار كحلل الله ، وإذا
كنت قد تلهت من بلية المروود ، فارتدي الحلة ، وأي حوب بعد ذلك
من الطوق الماري ؟

مرحباً بك أيها الحجة ، لتهددي في مشيتك ، ولتبهتري ، وفي
طرين العرفان أحسن مشيتك ، وقهقهة مستطية هذا الطريق ، واطرفي
حلقة اسندان المعلقة على باب الخلق ، وأذبي الحسن عما بك من فاقة ، حتى
تخرج من بين شعاب جيبك نافذة^(١) ، وعندما تجدين قلو صاً ، ستجدين نهراً
خارياً من اللبن والعسل ، وصوتي النافذة إن كان لك في ذلك صلاح ، وإنه
لأتيك باستقبال صالح .

مرحباً بك أيها الصقر الحديد النصر ، إلى متى نظل عبيداً سريع
العصب والفهر ؟ لتعبد على قدمك رسالة العشق الألفية ، ولا تفص
فيودها ، بل لبق إلى الأبد مطوية ، ولتستبدل العقل الحبي بالقلب ،
حتى ترى إلى الأبد شيئاً واحداً مع الأزل ، ولتخطم إطر لطيع متشبهاً
بالرجل ، ولتستقر وحيداً داخل العار . وإن يقر داخل العدر فرارك ،
لسيكون محمد صدر العالم رفيق فارك .

مرحباً بك يا دراج معراج الست ، يا من رأى عن مفرق بل تاج
الست^(٢) ، هل سمعت عشقاً بالروح مثل الست ؟ فامسك عليث نص
الملل من بل ، فإذا كان تصديق النصر دوامة البلاء ، فكيف يستقيم أمرك
وسط الدوامة ؟ فاحرق في النفس كحمار عيسى ، ثم أصب روحك بحبيبك

(١) إشارة إلى نافذة صالح عليه السلام

(٢) إشارة إلى قوة تعالى : الست بركم ؟ قالوا بل ، الأعراب أي ١٧٢

تشبهاً نعيي ، واحرق الحجار وأسلم أمرك لطائر الروح ، حتى توافيك
روح الله .

مرحباً بك يا عندليب روضة العشق ، لتتح بصوتك العذب ، يا
بك من آلام العشق ، ولتتح كد داود بأعذب الأخان النابعة من آلام قلبك ،
حتى تنثر في كل أوة مائة روح من أحلك ، وافتح فمك الشبه بضم داود
بارق المعاني ، واهد الخلق بالأخلاق حلقك الحسان ، ما أكثر ما تصرعت
عند المنصر الشريعة ! ولنجعل - كما فعل داود - بعسك العولادية كالشمع
لينة ، فإن تصح هذه النفس العولادية لينة كالشمع ، فإنك ستعجم مثل
داود بالعشق .

مرحباً بك يا طووس الروضة ذات الأبواب الشامية ، لقد احترقت
من جرح الأفعى ذات الرؤوس السبعة ، وسرى كلام هذه الأفعى سماً في
دمك ، حتى أخرجتك من جنة عدن ، كما أبعدتك عن سدرة المنتهى
وطوى ، وجعلتك أسود القلب في طبيعتك ، فإن لا تهلك الأفعى ،
فكيف نصير جديراً بهذه الأسرار ؟ وإن تم لك الخلاص من هذه الأفعى
الشريرة ، فسيأخذك آدم معه إلى الجنة .

مرحباً بك أيها الديك السري يا بعيد النظر ، لنهر إلى يسوع القلب
العارق في بحر النور ، فها من ظلمت طويلاً وسط بحر الظلام ، وبقيت في
البلوى حبيس الاتهام ، خلص بعسك من هذه الشر المظلمة ، وارفع
الرأس فوق عرش الرحمن الرحيم ، وتخل كما فعل يوسف عن البشر
والسجن ، حتى تصبح في مصر صاحب مرة وسلطان ، فإن دان لك هذا
الملك ، فسيكون الصديق قرينك .

مرحباً بك أيتها القمرية الرقيقة ، لقد رحلت مسرودة ، ولكك
عدت مهمومة ، صيق قلبك وليد بقائك في الدماء ، حيث ظلمت أسيرة

عجس ذي النون^(١) ، ويا من مست الخيرة لحوت نفسك ، ما أكثر ما
مترين من سوء نفسك ، فانطعمي رأس هذه السمكة الشريرة ؛ حتى
تستطيحي من مرق القمر ، وإذا ما تمصصت من سمكة النفس فتكويين
في مجلس الخواص أنيسة يونس

مرحباً بك أيتها العاختة ، لتطلقي أعذب الأحبار . حتى أنثر
عليك جواهر ملء سبعة صحون ، إذ كان عبقك يحاط بطرق النساء ،
فمن القبح أن يتسم عملك بعدم الوفاء ، وإن ظهرت شعرة واحدة من
وجودك ، فأنا أنعتك بالخيانة من رأسك إلى قدمك ، وإن تنتمي متحلية
عن نفسك ، فتدركين بالعقل طريق المعاني ، وإن يوصلك العقل
صوب المعاني ؛ يمددك الخضر بماء الحياة .

مرحباً بك أيها الشاهين ، يا من جئت محملاً قد ذهبت جامعاً ؛ ثم
عدت مكس الرأس ، فلا تجمع وأنت مكس الرأس ، ولستقر بعد أن
عدت في السماء عريقاً ، وإذا ألزمت نفسك بجيفة الدنيا ، فلا حرم
ستكون مهجوراً في العقبي ، فاطرح بعيداً عنك كلاً من الدني والآخرة ،
ثم اهرح القلنسوة عن الرأس ، وأمعن النظر ، وإن تتحل عن الدنيا
والآخرة ، فتصل يد ذي القرنين إلى مكانك .

مرحباً بك أيها الحسون ، لتتقدم مسروراً ، وكن جاداً في الأمر ،
وأقل في سرعة النار ، وأحرق كل ما يعترض طريقك مما لك من حرق ؛
ولتعمس عين روحك عن الخلق ، وحبها تحرق كل ما يصادفك ، فإن نور
الحق يزداد كل لحظة أمامك ؛ وإن أطلع قلبك على أسرار الحق ؛ فتوقف
نفسك على أمر الحق ، ولكن ؛ حتى ولو تصبغ طائراً كاملاً في أمر الحق ؛
فلن تبقى ؛ إنما يبقى الحق وحده ، والسلام .

(١) يقصد بذي النون يونس عليه السلام ، والبرون تعني الحوت

المقالة الثانية

حديث الهدد مع الطيور في طب السيمرغ

(٦٥٨ - ٧١١)

اجتمعت طيور الدنيا جميعها ، ما كان منها معروفاً وما هو غير معروف ، وقالوا جميعاً : في هذا العصر ودك الألوان لا تحلو مدينة قط من سلطان فكيف نخلو إقليت من ملك ؟ ونرى لنا أن نقطع طريقنا أكثر من هذا بلا ملك ؟ ربما لو بساعد بعضنا البعض ؛ لتمكنا من السعي في طلب ملك لنا ، لأنه إذا حلا إقديم من الملك ؛ فما بقي فيه أي نظام أو استتباب لدى الخند .

سارع الكل إلى الاجتماع والبحث عن ملك أو سلطان ، فاقبل الهدد مضطرباً لكثرة الانتظار ، قتل بين الجمع لا يقر له قرار . حده مرتدياً على صدره حلة الطريدة ، جاء وقد علا مفرقه تاج الخميمه جده وقد حبر الطريق ، جاء بعد أن اطعم على ما فيه من قبيح ورشيق . قال : أيها الطير ، إنني بلا أدنى ريب مرید الخصرة ورسول العيب ، جئت مزوداً من الخصرة بالمعرفة ، حثت وقد فطرت على أن أكون صاحب أسرار ، ومن يمشي اسم الله على منقاره ؛ ليس يبعد أن يدرك المرید من الأسرار . إنني أعيش بهت همومه رماً طويلاً ، ولا صلة لي بأي إنسان . إذ عندما أكون مشغولاً بآلام الملك ؛ لا يمكن أن يصيبنني من الخند أي

الم . وعصاه أدرك الماء في باطن الأرض ^(١) ، وأدرك المريد من الأسرار .

إنني تحدثت مع سليمان كثيراً ، فلا جرم أن أكون مقدماً على خيمته .
والعجيب أن كل من هاب عن حضرته ، لم يسأل عنه ولم يبحث في طلبه ، ولكن إذ عث عنه لحظة ، أرسل من يطلبني في كل مكان . وهو لا يصبر عني برهة ، فحسب الهدهد إلى الأبد تلك المرة ، وقد حملت رسالته ورجعت إليه ثانية ، كما أطلعني على أسره الخفية ، فكل من كان مرغوباً من الرسول ، زين التاج مفرقه . وكل من ذكره الله بالخير ، كيف يشق غباره أي طائر ؟

كم قصيت السنين أحرب الر والبحر ، وكم أصابني قطع الطريق بالاضطراب والدوار . قد جبت السواقي والجبل والقفار ، كما طوفت العالم في عهد الطوفان . وسافرت كثيراً مع سليمان ، كما جبت عرصات العالم ، فعرفت ملكها ، ولكي لا أستطيع السير إليه وحدي ، فإذا صحبتهموني في سفرتي ، أصبحت أصعباء ذلك الملك وجلساء عنته فاطرحوا عنكم معرفة العرور واهوى ، وتخلصوا كذلك من آلام كهركم وهمومهم . وكل من يملك روحاً تسارع بالنحط من العس ؛ يكون في طريق الأجابة بريثاً من الحسن والقبح .

اشروا الأرواح وسبروا في الطريق ، وامضوا قدماً نحو تلك الأعصاب ، فلما ملك بلا ريب يقيم خلف جبل يقال له جبل قاف اسمه « السيمرغ » ملك الطيور ، وهو ما قريب ، ونحن منه جدد بعديين ،

(١) يقال إن الهدهد يرى الماء في باطن الأرض ؛ فقد ورد في الخبر أن يا حبيبة سأل الصادق كيف تعدد سمعان الهدهد من بين الطير ؟ قال : لأن الهدهد يرى الماء في باطن الأرض كما يرى أحدكم ندهن في القارورة ، فصاحت أبو حبيبة ، وقال : وكيف لا يرى النعش والنواب ، ويرى الماء في باطن الأرض ؟ قال يا سمعان ، أما علمت أنه إذا ما نال القدر عني البصر . (تعليقات حسن عاصمي طاب ثراه) : نسخة منطق الطير ١٣٤٧ ش . ص ٣٠٣ .

مقره بعنوشجرة عظيمة الارتفاع ، ولا يكف أي لسان عن ترويد اسمه
تكتنفه مئات الألوف من الحجب ، بعضها من نور ، وبعضها من ظمة ،
وليس لعرد في كلا العالمين مقدرة حتى يحيط بشيء من كنهه ، إنه الملك
المطلق ، استغرق دائماً في كمال العز ، ولكن كيف يطير الفهم إلى حيث
يوجد ؟ وكيف يصل العلم والعقل إلى حيث يوجد ؟ لا طريق إليه ، حتى
ولو كثرت المشتاقون من الخلق إليه ، وإذا كان وصفه بعيداً عن فعل الروح
الطاهرة نفسها ، فليس بالمعقل قدرة على إدراكه ، فلا يجرم أن يحسار
العقل ، كما أن الروح تحار عن إدراك صفاته ، وهكذا تعمى الأبصار .
أدرك عالم كماله ، وما رأى بصير جماله ، ولا طريق لكمال سن الشر ،
وقد توقف الحجا ، فلا سبيل للنظر .

إن نجمع أوصية الخلق من ذلك الكمال وهذا الجها ، من تزيد
جميعها عن قبضة من حيا ، فكيف يمكن سلوك الطريق اعتماداً على
الخيال ؟ وأنى لك الوصول إلى القمر على طهر سمكة . إن مئات الألوف
من الرؤوس تصير كرات هناك ، وما أكثر العويل والصراخ هناك وفي
طريقه تكثر اسحار والقمار ، فلا تظن أن الطريق قصير ، بل يلزم رجل
شجاع جسور لهذا الطريق ، وذلك لأنه طريق طويل وبحر عميق
عميق . . .

ولأنا حيرى أمامه مسلك الطريق متعثرين ، فإن أدركنا به
علامة ، فهذا هو العمل ، ولا فبدونه تعثر الحياة عاراً وكلها حلل ،
ولكن كيف يتأتى لروح أن تعمل دون الأعبة ، فإن كب رجلاً ، فلا
نكن روحك بلا أعبة ، ولسلك هذا الطريق تلزم الشجاعة ، وشر الروح
ضرورة لهذه المنزلة الرفيعة ، فواحب عليك أيها الشجاع أن تتخل عن
الروح ، حتى يمكن القول بأنك حبيب بالعمل ، فالروح لا تساوي شيئاً
إن كنت بلا أعبة ، فكس كالرجال وانثر روحك الغالية ، وإن نشر الروح
متشبهاً بالرجال ، فما أكثر ما سيثره عليك الأعبة من الأرواح .

ابتداء أمر السيمرغ (٧١٢ - ٧٢٤)

بداية أمر السيمرغ يا للعجب ، أنها مرت بحلوة الطلعة منتصف الليل مديار الصين ، فسقطت مهابشة وسعدتلك الديار ، فلا حرم أن عم الهيجان العالم ، وتصور كل شخص شكل تلك الريشة ، ومن رآها فقد تعلق بها ، وتلك الريشة محفوظة الآن في متحف الصين ، فاطلبوا العلم - كما قال الرسول - ورو بالصين - ولو لم يسد نقش هذه الريشة واضحاً للعيان ، لما عمت الدنيا تلك الغلبة أو ذلك الهيجان آثار الإبداع جميعها نتاج عظمتها ، وجميع المخلوقات كلها صورة من ريشتها ، وإذا كان وصف الريشة بلا بداية ولا نهاية ، فلا يليق أن يقال عنها أكثر من ذلك ، ولأن كل من تحرر منكم من لقيود عليه أن يتقدم إلى الطريق ويسلكه

عدم عرفت الطير عرة حد السلطان ، لم يعد يقر لها قرار في هذا المكان ، وبدأ الشوق إليه يؤثر في أرواحهم ، وما أكثر ما بدر عنهم دون صبر أو روية ، وعزموا على قطع الطريق وتقدموا إليه ، وعادى كل عاشق له نفسه ، ولكن لما كان الطريق طويلاً وبعيداً ، فقد تألم كل واحد من قطعه ، ومع أن كل فرد جمع سلوك الطريق كل همه ، إلا أن كل واحد رجع يسوق عذراً مختلفاً ..

المقالة الثالثة

عذر البلب (٧٢٥ - ٧٣٥)

أقبل اللبس الوهم من شوائب ثملاً ، ومن كهان العشق كان في حالة لا
هي صحو ولا عدم ، وكانت صبيحاته مفعمة بالمعان ، وحيف كن معنى
كمن عالم من الأسرار ، فما أن دفع صوته بأسرر المعاني ، حتى أحم
السنة الطير جميعها

قال : ختمت عني أسرار العشق ، لذا أمضي ليلى كبه أمج
بالعشق ، نواح الناي بعصر حديثي ، وريز القشارة الخفيض أهاتي ،
الساتين عاصفة نصيحاتي ، وإلى قلوب العشاق سرت حفقات قلبي في
كل زمان أردد سرّاً جديداً ، وفي كل آفة أصدر لحناً جديداً .

ما أن أصاب العشق روحي مجروته ، حتى أصبحت بحرّاً
مضطرب الأمواج ، وكل من رأى صطربي فقد رشده ، ولو كان في عاية
لصحو أصبح ثملاً ، وإن أعدم رزية الخليل عاماً طويلاً ، الذ بالصمت
غير مبيع مري لأحد . ولما كان معشوقي في بداية الربيع يثر عن الدنيا
أريج عطره ، به تكتمل سعادة قلبي ، وبطلعته أخلص من اضطرابي .
وإن يعاود معشوقي الاحتجاب ، يصبح اللبس المصطرب قليل الكلام ،
لذا فإن أحد لا يدرك سرادي ، أما سوددة فهي المدركة سراري بلا
ريب وهكذا أصبحت في عشق الورددة مستعزفاً ، حتى هبت عن نصبي
فناء مطلقاً وكفاني ما يكمن برأسي من عشق الورددة ، وكفاني أن
الورددة الحميلة معشوقي ، وليس لسلب طاقة لأذكرك السيمرع ، حيث
يكفيه عشق الورددة . .

إذا كانت الورددة العديدة لوربقات عمومي ، فاي بأس أن يكون

الفقر صفني ؟ وإن تتمتع سرعة محرقة أشتارها ، فهي تصحك في وجهي
وتقسم بي رحدي ، فكيف يستطيع النسل لتحيي ولوليدته وحدة عن
عشق تلك الوردة الباسمة ؟

قال له هدهد : من تعلقت بالصورة ، لانتباه أكثر من ذلك
بعشق احميلة . كم أصدبك عشق الوردة بالأشواك ، وسيطر عليك حيث
أصبح كل شعلك ، وإن كانت لوردة صاحبة جمال رائع ، فسرعان ما
يرول حسنها في مدى أسبوع ، وعشر شيء ماله الرواب ، يصيب العقلاء
بالصجر واللال ، وإذا كنت اسمه اسورده قد شافتك ، فمع السكاء
والنواح طوال الليل والنهار تركت ، فتحل عن الوردة ، لأنها في كل ربيع
تسخر صك ، أعلا تحجل من هذا المسك ؟ .

حكاية في هذا المعنى (٧٥٣ - ٧٧٧)

كان لأحد الملوك فتاة في حجاب السدر ، امتلأ انعالم بعشاقها
المفروبين ، كانت فتيتها ذات سحر دائم ، حيث سدو عيها الناعمة ثملته
على الدوام ، أما عارضها فمن السكفور ، وعداثرها من المسك ، وماء
الحياة طمأ أمام شفتها ، وإن بدا جمل لحظة ، فقد العفل اثرانه أمام حياها
المائق ، فإذا أدركت طعم شفتها الحلو ، دبت حجلاً وحياء

وقضاء وقدرأ كان يسير رحل هير أسير ، فرجعت عيها على هذا
البدل اللير ، وكان المسكين يحس برعيف ، حيث كان قد ترك خبره لدى
الخيار ، في أب وقع نظره على ذلك البدل ، حتى سقط الرعيف من يده إلى
فارعه الطريق ، ومرت الفتاة أمامه - مسرعة كالسار - صحكك عليه ،
ومصت عاية في الخيال ، في أن رأى المسكين صحكها ، حتى سقط على
الأرض مدرجاً في دمايه ، وبعد أن كان المسكين يملك نصف رعيف ،

وبصبر وحه ، سرعان ما تظهر من كلا النصفين دفعة واحدة ، و صبح لا
يقر له قرار ليلاً ونهاراً ، ولا يكف لحظة عن البكاء والحرقه . وكلما تذكر
صحكة سبطانة الجليات ، انهم في البكاء وكأنه السيل . .

وعن هذا الملون ، قصي مسع مسرات مصطرب احوال ، إذ كان ينام
مع الكلاب في محلة دوت الخيال ، حتى وقف عبيد الفتاة وخدمها على
حقيقة الأمر ، بعد أولئك الطعمة الحرم على قطع رأس ذلك المسكين ،
وكانها شمعة .

في الخفاء دعت الفتاة المسكين ، وقالت أيمكن من مثلي ان تكون
روحة لمن مثلك ؟ انهم يقصدونك ، فاهرب وسارع بالرحيل ، لا تجس
باعتابي ، بل عليك ان نهض وتسارع بالرحيل .

قال لها المسكين منذ ذلك اليوم نعست يدي من روحي ، حيث
أصبحت بك مفتوناً ثملاً ، ومشات الآلوف من الأرواح الهائمة مثل
روحي ، نشره الريح على وجهك كل ساعة ، فإن كانوا يرغبون في قتلي
بلا حريرة ، علي سؤال أرحوا ان تنفصلي عني بإجاسته ، إن كنت مستظمين
رأسي ملا دم ، فلم كنت تهرئين بي في ذلك الزمان ؟

قالت : عندما رأيتك بلا فصل ، صحت عليك ، يا من تردى في
الجهل ، قد يجور الاستحقاق برأسك وذقنك ، ولكن لا يليق الانتقام من
أحلك . قالت هذا وتركته مسرعة وكان كل ما حدث ثم يحدث على
الإطلاق . .

المقالة الرابعة

عذرة البيغاء (٧٧٨ - ٧٨٨)

أقبلت البيغاء وممها مملوءة سكرًا ، أقبلت مرقدية حلة مسقية وطوقاً مدعياً ، حتى أصبح الياسق بعوضة أمام عظمتها ، وحشها وجدت الخصره ، فهي وليدة جناحها ، وإن تثحت فمها متحدثه تنثر السكر ؛ إذ أنها تستيقظ منذ السحر على أكل السكر . .

قالت : إن كل قاسي القلب عديم الإنسانية ، أقام لأمثالي مصاً مولادياً ، فظلمت أسيرة هذا السحر المولادي أدوب شوقاً إلى ماء الحياة . إسي حضر الطبور ، لذا تندو حلتي حصراء ، فمتى أستطيع ارتشاف ماء الحياة ؟ لن أستطيع التحليق إلى السيمرع ، بل يكفيني رشمة واحدة من يسوع ماء الحياة

قال ها المدهد : يا من عدمت السعادة ، ليس شهياً من لا يبدل الروح نثاراً ، لقد مسحك الله الروح لتكون نثاراً ، ولكي يسبح لك لحظة مؤانية مع الحبيب ؛ عليك بطيب ماء الحياة من روح الحبيب ، وإلا ، دامهي ، وما أنت إلا قشر عديم اللب ؛ أما إن شئت أن تفدي الحبيب بالروح ، فكوني كالرحال ، وفي طريق الأحبة انثري الروح

حكاية (٧٨٩ - ٧٩٤)

كان هناك رجل مجذوب عالي المقام ، قال له الخضر^(١) : يا الرجل
الكامل هل لك أن تصاحبني ؟ . .

قال : إن أمري لا يستقيم معك ، لقد شربت أمت من ماء الحياة
كثيراً ، وذلك لتهمي روحك حياة أبدى ، أما أنا فساظل أقرب بيدى الروح ،
ولا أستطيع الحياة بلا أمة ، لست مثلك أحافظ على الروح ، بل إنني
أشترى كل يوم روحي من الأفضل أن تفعل كما تفعل الطير مع
الشبابك ، بأن يتعد بعضنا عن بعض ، والسلام . .

(١) يقول الدكتور أبو العلا عفيفي : يجمع الصوفي على أن قصة موسى مع الخضر ، رتبة ٣-
موسى الفرق بين نوعين من العلم : العلم بالظاهر الذي يثله موسى ، والعلم بالباطن
والمعروف الذي يشهده الخضر . انظر : التصوف - الثورة الروحية في الإسلام - الدكتور
أبو العلا عفيفي ص ٢٥٨ - دار المعرف بالإسكندرية ١٩٦٣ م

المقالة الخامسة

عذر لطاووس (٧٩٥ - ٨١٣)

بعد ذلك أقبل لطاووس في حنة ذهبية ، وردد كل صباح بالم
لون ، جاء كأنه عروس يوم الحلوة ، وكل ريشة منه مجنونة

قال ما أن هرع نقاش انعبت من نقشي ، حتى أمسك الصييون
بأقلام النفس ، وعلى الرغم من أني جربيل لطير ولكن ، ألم بي أمر من
انصاء ليس بالحسن ، فقد شاركني ذات المكان ثعبان فيبح ، حتى
أحرجني دليلاً من الحنة ، وما أن بدلوها مكان حلوني ، حتى أصبحت
قدماي كالخيزتين قسحاً ، فاستقر عزمي في هذا المكان المظلم على أن أجد
في مرشداً إلى الخلد ، ولست ذلك الطائر الأمل في السلطان ، بل يكفي
أن أكون حارساً ولكن أنى لتسيمرع أن يحظى بمكانتي ، لقد كان
الهردوس الأعلى مكانى ؟ لدا ليس لي من عمل آخر في الدنيا غير محاولة
العودة إلى الجنة مرة أخرى .

قال له المدهد يا من صلت الطريق بفعل نفسك ، إن كل ما
تريد هو مزن ذلك استنطان ، فلتقل تقدم قريباً منه فهذا أفضل من
دالك ، حيث تجمل الدفر بحصرة السلطان . .

إن دار النفس حنة خلد مبيدة بالرغبات والبروات ، أما دار القلب
فخاصة بالصدق وحضرة الحق بحر حضم عظيم ، وفطرة صميرة مه
تسلوي جنات العيم من يملك البحر يملك الفطرة ، وكل ما عد البحر
هوس وخيال ، فإن تستطيع سلوك الطريق إلى البحر ، فلم يلزم نفسك
بالإسراع صوب قطرة ندى ؟ فمن يعرف كيف يسبحي الشمس بالأسرار ،

فأنى يعود الاكتماء بالبقاء في ظل درة من شعاع ؟ وكى من أصبح كلا ،
فأنى صلة بلحرة به ؟ ومن أصبح روحاً ، فأنى صلة للأعضاء به ؟ فإن
كنت رجل كل ، فأمل الكل ، و طيب الكل ، وكى كياً ، وصر إلى
الكل ، ونحير الكل ..

حكاية (٨١٤ - ٨٢٢)

سأل طالب لامتاد سؤلاً لم حرج آدم من الحنة ؟

قال كان آدم يحظى بسمو لمرة ، وما أن هبط إلى العردوس ،
حتى يرتفع صوت لهاتف قائلاً . يا من خلقت حنتك من مئات القيود ،
إن كل من وجد في هدير العليل سونا ، يسجد لشيء آخر ، أما نحن
فمجلب الصاء للكائنات الأخرى ، حيث لا يمكن الصرب دون عون
الييد ..

كيف تكون الروح أمام آلاف الأحبة ، وكيف يستقيم مر الروح
بلا أحبة ؟ وعدا الأحبة فكل من تعبقوا بالماديات ؛ سقطوا جميعاً حتى ولو
كانوا كآدم في امنة ، وأنى لأهل الحنة أن يدركوا أن تحمل المموم والآلام
أول مهمة هناك . فإن لم يكن أهل الحنة حديرين بالسر ، فسرعان ما
ينراجعون عن تحمل العصاة والمهم ..

المقالة السادسة

عذر البطة (٨٢٣ - ٨٣٨)

خرجت البطة من الماء عاية في الظاهر ، فكانت بين اجمع مرتدية خيرة
الثياب ، قالت لا يرجد في كلا العالمين من لديه لخر عن وجود من هو
أصنع مني وجهاً أو أطهر إنني أعتسل في كل لحظة بغائر العباية ، ثم
أسطع على الماء مباحدي ، فمن ذا الذي يماثلني في الاستقرار على صفحة
الماء ؟ بدا لم يعد أدنى شك في كراماتي إني رابضة الطير وصاحبة
الرأي لطاهر ، كما أن لباسي طاهر ، وكذا مكاني طاهر ، لا يمكن أن
أسعد في الدنيا بعيداً عن الماء ، حيث أن مولدي ووجودي متعلقان بالماء ،
وإن اعتم قبي في هذا العالم ، فسرعان ما أعتسل من هموم القلب ،
حيث الماء متوفر لدي على الدوم الماء يجري في جدول دوماً ، فكيف
أحد رعتني حيث الفحط ؟ وإذا كان أمري متصلاً بالماء ، فكيف أتحي
حائناً عن الماء فمن يعيش معتمداً على الماء ، لا يستطيع أن يقص بده من
الماء ، وإن كنت أجهل قطع الطريق ، فإنني لا أجد المقدره لدي لبوصول
إلى السيمرغ ومن يكن وعاء مائه مملوءاً ، فمتى تتولد لديه الرغبة في
السيمرغ ؟

قال ما المدهد . يا من تجدين في الماء سعادتك ، إن الماء يحيط
بروحك كما تحيط بها انار ، كم بطيب لك اليوم على اناء ، ولكن ستأتي
فطرة ماء وتسلبك ماء حياتك لقد وجد اناء من أجل الوحوه الدسة ،
لئن كان وجهك دسماً ، فابحثني عن الماء . ومهما كنت ظاهرة نقية
كالنماء ، فطلعتك شبيهة بطلعة كل دس .

حكاية (٨٣٩ - ٨٤٥)


سأل رجل مجذوماً سؤالاً : ما حقيقة هذين العالمين مع هذا الخيال ؟

قال : هذان العالمان العلوي وسفلي ، قطره ماء لا أكثر ولا أقل .
عندما ظهر في أول الأمر كانا كقطرة ماء ، وإن اتخذت صوراً
عدة ، ثم حارب كل نفس علا صفحة الماء ، حتى لو كان من مولاد ولا
يوجد ما هو أصلب من المولاد ، ولكن انظر إلى كل بناء 'قيم على صفحة
الماء، إنه مجرد خيال حتى ولو كان من فولاد ، ولن يرى شخص قط الماء
مستقراً ، فكيف يقام على الماء أساس راسخ مستقر ؟

المهالة السابعة

عذر الحجلة

(٨٤٦ - ٨٧١)

وصلت الحجلة تنهادى في مشيتها ، وقد حرحت مسرورة ثملة من
جحرها جاءت في رداء سون الشفق ومنقار أحمر قان ، جاءت ويكاد
الدم يفمر من عينيها اضطرباً كانت تغير أحياناً على الخيل والسبح ،
وتنتي رأسها أحياناً أمام شعاع الشمس 

قالت إني حد مولمة بالحجر ، وأطوف دواماً فوق الجوهر وكم
اشعل عشق الجوهر انار في قلبي ، وكفاني ذلك من نصيب حس ، وما
أد يسلم أوار تلك النار حتى يتحمد لدم في عروني ، ويصبح كحنت
الخصي وإذا رأيت النار تؤتي فعنها ، فسرعان ما تحيل الخمر أحمر
كادم . .

هكذا بقيت دواماً بين الحجر و النار ، كما بقيت معطلة الفكر موشة
الخاهر ، أطمع الخصماء ملتهمة محرقة ، وأنوسد الخمر وهبى معمم
بالخمره ، فافتحوا عيونكم يا أصحابي ، وانظروا في النهاية ماذا أكل
وعلام أمام إسي أنوسد الخمر وأطعم الحجر ، فأنتى لمن مثلي أن
يجارب ؟ ما أكثر ما أجمت هذه الشدائد قسبي بمصائبها ، حيث أن عشق
الجوهر الرمي الخيل ، وكن من يعشق أي شيء سوى الجوهر ، يدرك أن

استلاكه يستمر لئسرة ، أما ممالك الجوهر منه نظام أبدي دئم . فروح عاشقه نضل متعلقة بأجل على السوام

إسى حنيه شعوفة بالخواهر ، لذا لا أستطيع التحلى خطوة عن الحبل والسفع . ولما كنت الخواهر نرير بمرق الحبل دائماً ، فأنا أبحث عن الجوهر في الحبل دائماً ، وما وجدت جوهرأ بموق الخواهر ، وما وجدت جوهرأ أنفس من الخواهر ، ولما كان الطريق إلى السيمرغ شاقاً ، فستظل أقدمي على الحمر ، واخوهر عاصة وسط الوحش ؟ وكيف أستطيع إدراك السيمرغ القوى القصب ، وأما في حيرتي وعجرتي وقدمي عاصة في الوحل ، سأكون كالسار لا أضيح بوجهي بعيداً عن الحمر ، فاما أن أموت ، أو أنتزع الخوهر بمحلي . ومن الضروري أن يصهر خوهر لي ، وإلا ، فكيف يرجى أي عمل من عديم الجواهر ؟ .

قال لها الهدهد : يا من تتلوين بالعديد من الألوان كالخواهر ، حثام تعرجين ، وثأين بالمعادير لواهبه ؟ كثيراً ما تدمي قدمك ومقرك وبكر لن تخطى إلا بالحجارة دون الخوهر . وما أصل الخوهر إلا ححر اصططع بلون . أما أنت فقد أحالك حب الأحجار ححرية لقلب ، وإد تلاشي لون الجوهر ، عاد حجراً ، وكل عديم القيمة اصططع بلون ، أما من يتمتع بعلو القيمة فليس به حاجة إلى لون ، لأن الرجل الأصل الجوهر لا يبغي حجراً .

حكاية (٨٧٢ - ٨٨٦)

ليس لأي جوهرة تلك العائة التي كانت الجوهرة حاتم سيبان ، إذ أن قصها ذو شهرة وصيت دافعين ، مع أنه من حجر لا يتعدى في اللون نصف دانق . وما أن أتم سليمان صنع هذا الجوهر فصأ الخائفة ، حتى أصبح وجه الأرض كله تحت إمرته ، وحينما رأى سليمان ملكه هكذا ،

رأى جميع الأفاق طوع سانه ، وامتد قصره أربعين فرسحاً . كما حصص
الريح لسلطانه . ومع أن قصره كان يمتد أربعين فرسحاً ، إلا أنه كان
نتاج قصه ذي النصف دمت في الوزن ا

قال إذا كانت هذه المملكة ونلك المكانه وليده ذلك الحجر
العيم ، فأنا لا أريد أن يعطى إنسان قطي كلا العالمين بمنزل هذا الملك ،
حيث رأيت يا إلهي بعين الاعتبار ، آفة هذا الملك واضحة للأبصار . إن
الحيلة قصيرة إذا قيست باخياة الآخرة ، فلا تعط - يا إلهي - بعد ذلك لأى
إنسان قصاً أحر . فلا صلة لي بالملك والعسكر ، وإنما أحتار بسح
الربايل ..

مع أن سليمان أصبح بهذا الجوهر ملكاً ، إلا أن هذا الجوهر كان في
طريقه عائقاً ، وإن كان الجوهر يفعل هذا مع سليمان ، فكيف يكون عوقاً
لك أيها الضال ؟ ولما كان الجوهر حجراً فلا تبحث عنه ، ولا تعيش إلا من
أجل الأحبة ، ولتحلص قلبك من الجوهر با طالب الجوهر ، وكن جوهرياً
دائماً في الطلب .

المقالة الثامنة

عذر الهيا

(٨٨٧ - ٩٠٣)

جاءت اميا واهنة الظلال امام اجمع ، ولان ظلها بالنسبة لسلوك
هو سر ملكهم ، فقد جاءت تفوق الجميع في مهمة

فالت : يا طير البحر والبر ، اسي لست كبقية الطير ، فلي همة
عالية في مزاولة كل فعل ، وعملتني عن الخلق واصحة لكل ذي عقل ، قد
ألحقت الذلة بالنفس الشبيهة بالكلب ، أما أفريدون " وحشيد فقد
استمدا عرتها مني السلوك نتاح طلي ، وأسى للمساكين أن يكوسوا
رحالي ؟ اسي ألقيت النفس الشبيهة بالكلب عظيمة ، وهكذا وهت
الروح الأمان من هذا الكلب . وطناً قدمت اعظمه لنفس على الدوام ،

(١) أفريدون حاكم من حكام الدولة البيزنطية الأسطورية في إيران القديمة ، ويصوره
الأميرانيون في صورة بطل قومي استطاع بمساعدة كايو خداد أن يقضي على الصحنك
الآثيم ، وقد تحركت جيوشه رافعة مرقعة ذلك الخداد ، مستلزمة منها النصر ، وبعد
القضاء على الصحنك اتخذب إيران هذه المرقعة عملاً عما أطلق عليه اسم "دروش
كاويثي" أي العلم الكاويثي . وظل هذا العلم يتصدر جيوشهم حتى وقع في أيدي
المسلمين في موقعة القادسية أيام صدر بن الخطاب .

راجع ابن الأثير ، العبري ، روضه القصة وغيرها من كتب التاريخ التي تعرضت
للدول الأسطورية في إيران . .

فإن روعي قد أدركت بذلك علم المقم وذلك الذي ينصب الملوك من ظل جناحه ، كيف يمكن أن ينحلي عن الترفع والتعالي ؟ بل على الجميع أن يجلسوا تحت جناحه ، حتى يحطوا بذره من ظله ، ومع مكافتي هذه ؛ أنى للسمرغ أن يكون رفيقي ؟ فكفاني أن عمى تنصيب الملوك !

قل لها الهدهد : يا من استبد بك الضرور ، لتطوي ظلك ولا تخادعي نفسك أكثر من هذا ، ما عاد لك تنصيب الملوك في هذا الزمان ، وما أنت إلا ككلب يحسك معظمة في هذا الأوان ، عليك لا تنهين الملوك ، وإنما تخليصين نفسك من ثلث المعظمة . وإن أسدم لك جدلاً بأن ملوك الأرض يجحدون عروشهم بفضل ظلك ؛ فرعان ما يرول ملكهم مهما امتد بهم العمر . ولكن ، إن لا ير ظلك ملك ، فأى بلاء تعيش فيه حتى يوم الحساب ؟

حكاية (٩١٤ : ٩١٤)

كان هناك رجل طاهر الرأي يسلك طريق الصواب ، ودات يوم رأى محموداً^(١) في المنام ، فقال . يا سلطان الزمان المعظم : كيف حالك في دار القرار ؟

(١) محمود الغزوي . ٣٨٧ - ٤٢١ هـ . تولى حكم الدولة الغزنوية بعد أن أخذ العرش من أخيه الأصغر إسماعيل بن سكتكين . وفي عهده هلا نجم الدولة الغزنوية حيث قطعت على كثير من الدولات الإيرانية الصغيرة ، وأهم مصر حلفه فتح أحرار كثيرة من الهند وبشر الدين الإسلامي بها . وقد حكم محمود فترة طويلة امتدت حوالي خمسة وثلاثين عاماً . ولم تجلب اهتمامه بالمسألة والحرب ، فكان مهتماً بالأدب والفلسفة حتى قبل أن يلاطه كان يضم حوالي أربعين من أهل الفضل والأدب .
« راجع حوادث الأعوام ٣٨٧ - ٤٢١ هـ في الكامل في التاريخ لابن الأثير »

قال : صد ولا تسمك دماء روجي ، ولا تنطق بحرف ، وأي مكان
للسيطان هـ ، فاهص لقد كان سلطاني حياً روحياً ، إذ كيف تكون
السلطنة خمة من السفط ؟ الحق هو السلطان مالك الدنيا ، وهو الخدير
هذه السلطنة ، وما أن رأيت عجري وخبري ، حتى شعرت بالعة من
سلطنتي وإن ترعب في منادائي ، فاسمي العاشر ، إذ هو السلطان
الأوحد ، فلا تدعني سلطاناً السلطنة لله . وأنا استغفر من ورثه حتى
ولو كنت في الدنيا شحاداً ، ولست طريقي اعتراضه مثل المشاكل وبس به
هذا اخاه ، وليتي كنت أجمع السائل ولست ملكاً ، فيضم ريش تلك
المها وحاجها حيث أظنتني نطها .

المقالة التاسعة

عذر الصقر

(٩١٥ - ٩٣٧)

أقبل الصقر أمام الجميع مرفوع الرأس ، جاء وكأنه قد كشف النقاب عن عالم الأسرار جاء مستمع الصدر معتز بقوة ؛ جاء معاًحراً بحجروته ؛ وقال . شدة شوقي إلى يد السلطان ؛ أغلفت عيني عن النظر إلى خلق الزمان ، لذا فقد أحميت عيني تحت البلمسة حتى تصل قدمي إلى يد السلطان ، وقد أكثرت من ماديدي نفسي ، كما أكثرت من التريص كالمرتاضين ، حتى إذا ما حملت ذات يوم إلى يد السلطان ، أكون برسوم الخدمة على علم وبيان . وأنى لي أن أرى السيمرغ في المنام ؟ وأنى لي أن أسرع إليه عبثاً ؟ فكفاني ما أنعم به من حظ من يد السلطان ، وكفاني هذه المرة في عالم اعيان . إن كنت لا أمل في أن أكون سلطاناً ، فكفاني أن أقف مرفوع الرأس عن يد السلطان . فكل من يليق بالسلطان ؛ ياند كل ما يطق به أمام السلطان ؛ وإن أصبح جديراً بالسلطان فهذا أفضل من السير في ود بلا نهاية . وكم أرغب في أن أبدل عمري ، في مواجهة السلطان بكل سرور ؛ فلنني أحياناً أنتظر السلطان ؛ وأحياناً من شوقي إليه أشاركه رحلات الصيد .

قال له المدهد . يا أسير المجار ، لقد بعدت عن الصفة وتعلقت بالصورة ، إن كان للسلطان ند في ملكه ، فكيف يردان الملك به ؟ لا جدير بالسلطنة غير السيمرغ فهو بلا شبيه ، لذا فهو الخلق بها وحده ، وليس سلطاناً من تكون أفعاله غير نافذة في كل الأقاليم والسلطان هو من لا

شبيه له ، ومن لا يتصف إلا بالوفاء والندارة ، أما السلطان الديويدي ،
يتصف لحظة بالوفاء ، فهي لحظة أخرى يصير الخفاء ولكن من يرباد منه
قرباً ، يكون عمله دون ذلك كثر رقة ، حيث يكون على الدوام حذراً
من السلطان ، وتكون روحه بحاجة بالخطر في كل أورد ، سلطان الذي
شبيه بالنار المحرقة ، فابتعد عنه ، لأن البعد عنه عيمة ، لذا يجب ألا
تقترب من السلاطين ، ولتسارع بالابتعاد يا من تقترب من السلاطين

حكاية (٩٣٨ - ٩٤٩)

كان هناك سلطان عالى المنزلة ، وقع في عشق غلام جميل الطلعة .
وبعد ان اشتد به العشق لم يعد في مقدوره ان يجلس أو يستريح لحظة
بعيداً عن معشوقه ، وقد حصه بالترين من بين علمه ، كما كان يجلسه
على الدوام أمام عييه . وعندما كان السلطان يرمي السهم في القصر ،
اضطرب ذلك الغلام خوفاً من الضر ، حيث حصل السلطان هدف تلاحه
وصحها على مفرق الغلام ، مما أب شى تفاحة سهمه حتى امتقع لون
الغلام ، فآله رجن جهول لم أصبحت حمرة ورد خدك في صبرة
للدهب ؟ لتشرح لم يتسم وحيث بالإصرار مع ما بك من عذر انكثة
بدي السلطان ؟

قال عندما يصح تفاحة على رسي ، ويصيني أدى من اسهم ،
فرعان ما يقول لم يكن يعترف بالثبعية ، كما أنه بلا شبيه في الميوب
بين جندي وحشمي ، وإن يصب السهم الهدف ، يصل الجميع له إن
هذا من بين طالع السلطان ، أما أنا فمهموم بين هذين العمير ، وروحي
مرصة لهلاك بلا جريرة .

المقالة العاشرة

عذر مالك الحزين

(٩٥٠ - ٩٧١)

- ثم أقبل مالك الحزين أمام الجميع على عجل ، وقال : يا طيري ،
ويا من بهم أهتم ، إن أفضل مكان لي على ضفاف البحر ، حتى لا يسمع
أحد نواحي ونحيبي ، إنني لا أسبب أذى لأحد قط ، كما لا يتأذى أحد
في الدب مني قط ، إنما أجلس على شاطئ البحر مهموماً ، أجلس دائماً
حزيناً مغموماً .

إن قلبي ينفطر شوقاً إلى الماء ، ومادا أفعل إذا ما احتوتني الحسرة ؟
وما لم أكن - ويد للعجب - من أهل البحر ، فلأنني أموت صادي السمك
على شاطئ البحر . ومهما أزعج البحر وأزبد ، فلنسي لا أستطيع
ارتشاف قطرة منه ، أما إذا تناقصت مياه البحر قطرة ، فيا لحروقه قلبي
غيرة . فكفى أمثالي عشق البحر ، حيث وصل هذا العشر في قلبي مرحلة
الاكتفاء ، وليس لي في الدنيا إلا تحمل هموم البحر ، لئلا أستطيع تحمل
مشقة السمرغ ولوللحظة ، فمن يكون أساسه قطرة ماء ، أني له إدراك
الوصل مع السمرغ ؟ .

قال المدهد : أيها الخامل بخسابا البحر ، إنه غاص بالتأصيح
وفوات الروح ، مثواه مر أحياناً ، ومالغ أحياناً ، يسوده الهدوء أحياناً ،
ويعتريه الاضطراب أحياناً . والشيء المضطرب غير المستقر ، نازة إلى
الأمم ينسفع ، ونازة إلى الدواء ينحسر ، ما أكثر السفن التي تحطمت فيه
بالمظالم ، وما أكثر من سقطوا في دوامته وماتوا . وكل من يسلك فيه
طريقاً ، كما يفعل الفواص ، يحبس أمانه فلا يصرح بشيء من همومه ،

لأنه لو تحدث شخص في قاع البحر ، مات ، وسقط كالعشب في قاعه ،
ولا يمكن عقد الأمل مع مثل هذا لشخص العديم الأرواح

إن لم تنجب لبحر ، فهاتيك الغرق في خصمه ، وهو في
مضطرب شوقاً للحبيب ، لد تتلاطم أمواجه أحياناً ، ويهدر أحياناً ،
هكذا كان لا يدرك بعية فله ، من تجد بعية قلبك كذلك لديه ، وما البحر
إلا بيع من عيط عمله ، فلم تقع أنت بالتحلي عن وجهه ؟

حكاية (٩٧٢ - ٩٨٧)

عاصي رحل ذو بصيرة في بحر ، فقال : لم تبدو أزرق اللون أيها
البحر ؟ ولم توتدي لباس الحداد ؟ ولم تصور وجهي ، ولست بالسار
شيها ؟ .

أجاب البحر على طيب القلب قائلاً : إسي مضطرب لمراق
الحبيب ، كما أسي ضعيف الشأن ولست بذاً به ، لذا نسحت لباس اناتم
الأزرق حزنأ عليه ، رجست صادي الشفتين مشتت الفكر ، فقد جعلني
مار عشقه مضطرباً ، فإن أحط بقطرة من ماء كونه ، أعش إلى لاند على
أعتابه ، وإلا ، فأمشي من العطش كثيرون ، وهم في طريقه طوال الليل
والنهار يموتون . .

المقالة الحادية عشرة

عذر البومة

(٩٧٩ - ٩٩٣)

جاءت البومة أمام الجمع كالجمونة ، وقالت : لقد احترت لنصي
سكنى الخرايات ، حيث ولدت في الخرابة عاجزة ، وأعيش فيها من الخمر
محرومة ، فإن وجدت مثل الأماكن المعمورة جميلة ، فلماذا أجدها مخالفة
لطبي ، وبالحلبة مخلوّه ، ومن يرغب في مجالستي ، عنيه بالمصي ثملاً نحو
الخرابة ، إنني أتحمل الحياة الصعبة بالخرابة ، حيث يوجد الكنز دائماً
بالخرابة ، فعشق كنتزي طريقة الخرايات ، ولا طريق لكسرى إلا حيث
الخرايات . ومحافاتي للجميع تؤلمني ، ولكن بذلك أجد كسري بلا علسم .
إن نطاً فتمني الكثر ، تمت الحياة مرة أخرى في قلبي الكسير ، ووقف
المعشق على السيمرغ خرافة ، لأن عشقه عمل كل تحرف ، ولن أكون
بعشقه جديرة ، وإنما علي أن أعشق الكثر والخرابة . .

قال ذا الهدد يا من نلت بعشق لكثير ، حتى لو سلمت بأنك
وصلت إلى الكثر ، فأفني نفسك على رأس هذا الكنز . ولكن سيعنى
عمرك دون أن تحققي نعبتك . عشق الكثر وعشق الذهب ضرب من
الكفر ، وأردى " كل من بقيم من الذهب صنفاً ، وعبادة الذهب دليل
الكفر ، فلا تكوني من قوم السامري " . وكل قلب يصاب بالخلل من
عشق الذهب ، ستمسح صورته يوم القيامة .

(١) أردى : سبب إلى أزر والد إبراهيم عليه السلام . «إد مال إبراهيم لأبيه أزر اتخذ

أصناماً ثلثة ، إني أدرك وبومك في ضلال مبين» الأعمام ، آية : ٧٤

(٢) السامري : من أصل قوم موسى عليه السلام : «قال فلان قتلتم قومك من بعدك وأصلهم

السامري» طه ، آية : ٨٥ .

حكاية (٩٩٤ - ١٠٠٠)

امتلك أحد الخيال حقاً مملوءاً بالذهب ، ثم مات وتصف هذا الخلق
بالمملوء بالذهب ، وبعد عام رأى ابنه في المنام صورته على شكل قار ،
وعيناه تفيض دمعاً ، ثم دار حول المكان الذي أحفى فيه الذهب دوران
لقار ، فوجه ابنه إليه هذا السؤال . ثم أتيت هنا على هذه الحال ؟ . .

قال . لقد وضعت الذهب في هذا المكان ، ولا أعلم هل توصل
إليه إنسان !

قال له الابن ولم اتخذ شكل القار آخر لأمر ؟

قال . كل قلب حفر بحب الذهب ، يكون يوم الحشر على صورة
القار ، وتزيد له الحسرة اضطراباً في كل حفره ، وهكذا بدوت ، فأعسر
الطر ، وحد المرة ، ونخل بها بني ، عن الذهب .

المقالة الثانية عشرة

عذر الصعوبة

(١٠٠١ - ١٠١٦)

أقبلت الصعوبة ضعيفة الجسد هزيلة الروح ، أقبلت كالسار لا يقر
ها قرار ، قالت جئت حائرة ، وأقبلت واهة حائرة ، إني كشجرة لا
حوى لي ولا قوة ، ومن شدة صعبي لا أتمتع بمقدرة غلة إن كنت قد
عدم الریش والخضاح ، فمتى أقبل إلى محال السيمرغ ، أيها العرير ؟
وكيف يمشى بطائر العاجر أمامه ؟ فمجان أن تصل الصعوبة إلى السيمرغ

إد ، كان طالبوه كثيرين في الدنيا . فلا يليق من مثلي أن يصل إليه .
وإد كنت لا أستطيع وصاله ، فمن الحال أن أتمكك من قطع الطريق
إليه . وإذا وليت وجهي شطر أعتابه ، مت أو احترقت في سبيله . وإن سم
أكن حديرة به وهذه الألعاب ، فعني أن أبحث عن يوسف في لسنر ،
حيث أفضدت يوسف في البشر ، وسأحده ثانية في هذا الرمان ، فإن أحد
يوسف في البشر ، أطر معه من الله إلى السماء

قال لها الهدهد يا من بملاحتك وحسنك ، قد صلت وحلت في
مسكنتك ، أما لا أهتم بحيلك وخذعك ، فمتى كنت حماراً أتأثر
بجميعك ؟ فلا تحطى خطوة ولا تنظمي بحرف وأعلقي نعمك ، فإن يخرق
هؤلاء جميعاً ، فلتخرقني أنب أيضاً ، فإن كنت يعقوب كما جاء في المثل ،
فلن يردوا عليك يوسفك ، فكمني عن الحيل ، ولا تشعلي بار العبرة
دواماً ، حيث أصبح عشق يوسف على العالم حراماً

حكمة (١٠١٧ - ١٠٢٩)

ما أن اهرق يوسف عن أبيه ، حتى انبضت عينا يعقوب نهماقه ،
وتلاطمت أوراخ الدماء في عيبيه ، وظل اسم يوسف يتردد على لسانه ،
فجاءه جبريل قائلاً : إن يرد اسم يوسف على لسانك مرة أخرى ،
فسيمحوا اسمك من قائمة المرسل والأنبياء ، وما أن جاءه الأمر من الحق في
ذلك الزمان ، حتى كف عن ترديد اسم يوسف على اللسان ، ولكن على
الرغم من مساعده عن ترديد الاسم مما به من خشية ، إلا أن الاسم ظل في
الروح مقبلاً .

ودات ليلة رأى يوسف في منامه ، فرعب في أن يدعو به إليه ، ولكن
سرعان ما تذكر أمر الحق ، فبرم الصمت في هفة واضطراب ، وعلى الرغم
من انطق زفرة تسم عن جرعه ، وما أن نهض من رقاذه المنهي ، حتى
جاءه جبريل قائلاً : إن الله يقول : ما معاه - مع أنك لم تورد اسم يوسف
عن اللسان ، فربك أطلقت زفرة في ذلك الزمان ؛ وأنت تعرف ما تنطوي
عليه الزفرة ، لذا فقد نقصت في الحقيقة تم تلك ، فأبي حدودي ؟

هكذا تقضي لمحة على العقل بهذا التصرف ، فانظر ماذا يفعل
المشوق بنا . . . ؟

المقالة الثالثة عشرة

ذكر الطير جميعاً

(١٠٣٠ - ١٠٦٩)

بعد ذلك توالى الطير واحداً واحداً ، تقدم عذاراً واهية ، قال كل طائر عذراً يقطر جهلاً ، وما قال أحد عذراً لاثقاً ، بل كان الكل هراء وهراً ، ولم أسرد عليك أعددتهم عذراً عذراً ، لأن الحديث يطول فالتمس لي عذراً ، ومن كان عذره واهياً ، أتى له الوصول إلى السيمرغ ؟ أما من يفضل السيمرغ على روحه ، فإنه يحاطر بانسروح كالرجال من أجله ، ومن لا يملك في عشه ثلاثين حبة ، حازه ألا يكون للسيمرغ رفيقاً ، لأنه لو علمت حوصلتك الحبة ، فكيف تدوم الصرم مع السيمرغ أربعين يوماً ؟ وإن كنت قد ثمتت من فطرة خمر واحدة ، فكيف تستطيع مدامة الأبطال في معاقرة الصهباء ؟ وإن كنت عاحراً عن حمل درة ، فكيف تستطيع أن تدرك وصال اشمس ؟ وإن كنت تعرف في فطرة ، فكيف تجتاز البحر من البداية إلى النهاية ؟ إن ما تبحث عنه ليس هذا الشيء ، وفعل كل قببح ، ليس هذا الشيء .

ما أن سمع جميع الطير هذه الحال ، حتى وجهوا جميعاً للهدم هذا السؤال : يا من لك السبق في سلوك الطريق ، ويا من بلغ أوج العظمة والتوفيق ، نحن حنونة من الضمائم والحجرة ، قد عدنا الريش والخناج والجسد والمقدرة ، أتى لنا أن نصل إلى السيمرغ ذي الفدر الربيع ؟ لو حاز أن وصل واحد منا لكان هذا هو الأمر البديع فأحرزنا ثانية ، أي صلة نربط به ، إذ لا يمكن انتحيط بحثاً عن الأسرار ، فإن كانت هناك

صنة بينا وبينه ، تولدت الرعية لدى كل ما لمسير صوبه ، إنه سلبان
ربح محرد عمل مسكين ، فتمعن ، من أين هو ، ومن أين يحس إذا
كانت العملة أسيرة في قاع البئر ، فكيف تنص إلى غيظ السيمرع المرتفع ؟
وكيف يكون لملك قرين لشحذ ؟ وكيف يكون هذا الأمر في مقدور
أمثالا ؟

هنا دل المدهد : أيها الخهلة ، متى كان العشق مستساعاً من سبيء
الطوبى ؟ أيها المساكين ، إلام هذا الجهل ؟ حقاً ، لا يستقيم العشق وسوء
النية ، كل من به في طريق العشق عبر مصرة ، قد أقبل فرحاً ولبروح
بائراً ، ولتعلم أنه عندما رفع السيمرع النقاب ، بدا وجهه كالشمس
مشرقاً ، وألقى عثات الألوف من ضلاله على الأرض ، وهما أدرك النصر
طلاً ظاهراً ، وما أن شر طله على العالم ، حتى كانت تلك الطيور العديدة
التي تبدو كل لحظة ، بصورة طير العالم جميعها ، ما هي إلا طله ، فاعلم
هذا أيها الخامل ..

اعلم هذا كله ، فإن علمت به في البداية ، اتصلت اتصالاً وثيقاً
بشك الحصره ، وإن علمت فلندرك الخفيفه ولنكن حذراً ، وإن أدركتها
فلا تكن متشياً سرّاً ، وكل من صبر هكذا ، صار مستعزاً ، فحاشي لله
أن تقوله أنا الحق ؟ ومعك صرت كما كنت أنا ولست الحق ، لكك
في الخلق دائماً مستعزق ، وكيف يكون المستعزق حذولاً ؟ وكيف يكون هذا
الكلام من شأن الفصوي ؟ فإن أدركت ، ظل من أنت ، فرغت من الكل
سواء حييت أو مت

وإن لم يظهر أي سيمرع مطلقاً ، لك السيمرع صاحب ظل
مطلقاً ، وإذا كان السيمرع حقيقاً دوماً ، لانهدم العقل من انسيب دائماً ،
وكل ما ظهر له طين هنا ، كان نتيجة ظهور ذلك الشيء هناك أولاً ، فإن
لم تكن لك عبر مصرة تدرك السيمرع ، فليس يكون لك قلب كالمراة

المجلوة ، وإن لم يكن لأحد عين هذه الجمال ، فصوره أمام جماله صرب
من السحل ، ومع جماله الأحاد كيف لا يدرس العشق معه ، وقد صبح مرأة
من كمال لطفه ، هذه المرأة هي لقلب ، ومع النظر إلى القلب ، وكفى
تري وجهه ، أمعن النظر إلى القلب .

حكاية (١٠٧٠ - ١١٠٢)

كان هناك ملك وسيم غاية في الجمال ، وحسه بلا مثيل في الدب ولا
مثال ، وما الصبح الصادق إلا إشراقه من وجهه ، وما الروح القدسية إلا
نفحة من طيب مسكه ، وملك العالم مصحف أسراره ، وعانة الحسن أية
طلعت ، ولا أعلم هل تمكن شخص قط أن يجد نصيباً من جماله ، وبسببه
عصر العالم بالاضطراب ، وجهه فاق كل حد لدى الخلق .

دأت ليلة ساق جواده الأسود خارج المدينة ، وأسدل برقعاً داكناً
على وجهه ، فكان كل من يوجه نظره إلى هذا الرفع ، تفصل رأسه عن
جسده دون لب . ومن كان يورد اسمه على اللسان ، كان لسانه يقطع في
ذلك الزمان . وإذا فكر شخص في وصاله ، أصاب انصاء روحه وعقله ،
ودأت يوم مات ألف مرد بسبب عشقه ، فما أجمل هذا عشق ! وما أسهى
هذا الأمر ! إذ ليس للإنسان أن يصير على فراقه ، وليس للإنسان مقدرة على
رؤيته ، فكل من رأى جماله عياناً ، أسلم أبصر روح ومات متأوهاً ، فانوت
في سبيل عشق ذلك الوجه لساحر ، فصل من مائة عمر مديد ، لقد دأت
حلو عديدون على ادوام من هذا الطلب ، إذ لا يمكن الصبر معه ، ولا
الصبر بدونه ، ويا للعجب ! لو قدر وتوفرت شخص القدرة لحظة ،
لظهر وجه السلطان له عياناً ، ولكن إذ بعدم الشخص القادر على
رؤيته ، فما استطاع أحد محادثته ومراقبته ، ولما لم يظهر من الخلق من هو
جدير به ، فهد مات الجميع وهوهم مدعومة بالألام منه .

في هذا الوقت أمر السلطان بحضار امرأة ، حتى يستطيعوا النظر في تلك المرأة ، فشدوا للسلطان قصرًا جميلًا ، وورصعوا المرأة في مزاحمتها ، ثم صعد السلطان على سطح ذلك القصر ، ونظر في لتو إلى المرأة ، وما أن أطل وجهه مشرقاً من المرأة ، حتى أدرك كل شخص منه علامة

إن تعجب في رؤية جمال الحبيب ، فاعلم أن القلب هو امرأة طمعه . ليكن قلبك على كفتك ، ثم انظر جماله ، ولكن روحك ، امرأة له ، ثم انظر حلاله ، إن ملكك في قصر الحلال ، والعصر عصي بشمس ذلك احوال ، وللمملك طريق صوب كل قلب ، ولكن لا طريق للقلب الصالح صوبه .

انظر إليك في قلبك ، وانظر العرش فيما هو كائن حولك ، وكل رداء قد يد في الصحراء ، قد من ظل السيمرغ . لحسن الرواء ، وإن بدت لك اثلاثون طائراً غاية في الجمال ، فإنك ترى بلا شك ظل السيمرغ بلا جدال . وسواء أكان الكل أربعين طائراً أو ثلاثين ، فكن ما رأيت ما هو إلا ظل للسيمرغ . وظل السيمرغ لا يفصل عنه ، أما إذا انفصل فليس من اللائق الحديث عنه . وكلاهما متلازمان فابحث عنهما معاً ، ولكن عبر الظل ، ثم امح عن السر ، وإن بيدك فتح باب ، فسرى الشمس وسط الظلال ، ولكن إن تغفل الطريق وسط الظل ، فأنت لك أن تدرك السيمرغ ؟ وإن ترَ الظل يتلشى في الشمس على الدوام ، فسرى أنك أنت الشمس والسلام .

حكاية (١١٠٣ - ١١٠٩)

قبل ، عندما كان الإسكندر صاحب القبول ، يريد أن يرسل إلى مكان ما أي رسول ، كان يرتدي بنفسه وهو سلطان الدنيا ، لباس الرسل

ويذهب متحمياً ، وكان ينطق بما لم يسمع به أحد ، ثم يقول . هكذا
أمر الإسكندر ، وما عدى أي شخص في كل العالم ، أن هذا الرسول هو
اسكندر السروم ، وما لم يكن قد أتيح لأي شخص مهم أن رأى
الإسكندر ، فما صدقوه بوقال . أنا الإسكندر ، هذا كان السلطان مجهولاً
خارج دياره ، فلا تحتم ، هكذا الحال أبصاً دحن دياره

حكاية (١١١٠ - ١١٣٢)

عندما أصابت إيار^(١) ، نصره سوء بالضرر ، بعد أن عيى السلطان
أحر الأمر ، وجر عاجراً على فراش المرض ، وسقط أمير السلاء والألم
والضعف ، وما أن أحر السلطان بمرصه ، حتى استدعى السلطان
الخصيف حادماً له . وقال اذهب في النوصوب إياز ، وقل له يا من
احتجبت عن السلطان ، إنني أعيش في عزلة لأنني بعيد عنك ، وكم
أثألم بسبب عمك وأنت وما دمت مريضاً ، فإني دائم التفكير ، ولا
أدري أنت العليل أم أنا ؟ إن كنت بعيداً يجسدي عنك ، فإن روحي
المشتاقة تفرق حولك ، وهذا حسبي ، فيا من أصبحت روحي إليك
مشتاقة ، إني لست غائماً عنك دقيقة ، وما أكثر ما ارتكبه عيى السوء من
سوء ، إذ أصابت محبواً مثلك بالسوء .

قال هذا ، ثم أردف قائلاً : لتسرع في الطريق ، وادهب
كالدهان مسرعاً ، ولتعد كالنار مستطيراً ، وحدار النوصوب في الطريق ، بل
ادهب أسرع من الرعد وكن كالبرق فإن تتأخر في الطريق ساعة ،
فسأجمل كلا العالمين بضيقان بك .

(١) إيار - علام محمود العربي . وكانت هذه العادة موجودة لدى سلاطين ذلك العصر .
حيث كان لكل سلطان علام جميل يهر به إليه ، ويعلق عليه الكثير من النعم والعطايا

أمرع الخدم ملهوفاً في الطريق ، حتى جاء إناز في سرعة الريح ، فوجد السلطان جالساً أمامه ، اضطرب عقبه وتبدد فكره ، وأصابته الرجفة أطراف الخادم ، وكان ألماً عضالاً قد دهمه ، فقال : كيف استطيع الثول أمام السلطان ، إذ ميسمك حمي في هذا الزمان ، ثم أقسم قائلاً : إني لم أتوقف لحظة في أي مكان كما لم أجلس في أي أوان ، ولا أعلم مطلقاً ، كيف استطاع السلطان أن يصل مسكراً عسي إلى هذا المكان . سواء بصدق السلطان أم لا ، فإني أكون مذبذباً لو أسي قصرت في هذا الأمر .

قال له السلطان : إنك لم تقصر في هذا الأمر ، ولكن كيف قطعت الطريق إليه ؟ أما أنا فلن طريق حمي صوبه ، إذ لا أصبر لحظة دون رؤية وجهه ، وفي كل وقت أحضر إليه حمية من هذا الطريق ، حتى لا يعرف أحد أي شيء عن ذلك ، والطرق الخفية بيننا كثيرة ، كما أن الأسرار بين روحينا عديدة . وإن أستصر عنه من الخارج ، فإني به عليهم من الداخل ، وإن أحف سري عن الشيخ والشب ، فإن روعي في دهان بينا وإياب .



« المقالة الرابعة عشرة »

سؤال الطيور للهدهد في قطع الطريق

(١١٣٣ - ١١٥٨)

ما أن سمعت الطيور جميعاً الكلام ، حتى أدرك السكك لأسرار
العلية ، ووجد الجميع نسباً يربطهم بالسير ، فلا جرم أن تولدت
لبيهم لرغبة في السير ، ولذا عادوا جميعاً إلى الطريق ، عادوا منحيين ،
وبدا بينهم الوفاق ، ثم تحدثوا طويلاً مع الهدهد ، إذ لم يكن بينهم من
أعلم منه بالطريق ، سألوه أيها المتفقه في الأمر ، كيف ينأتى لنا الإقبال
على المسير ؟ إن الأمر جد عظيم ، فكيف يكون السلوك من الضعاف
مقبولاً ؟

تكلم الهدهد الهادي في ذلك الزمان ، وكأنه عاشق لا يقيم للروح
أي حساب ، فقال : إن تقل بترك الروح ، تصبح عاشقاً ، سواء كنت
راهداً أو فاسقاً ، وإن يمد قلبك روحك ، فانثر الروح ، يأتبك الطريق
حتى نهايته . الروح مد في الطريق ، فكن بلروح نائراً ، واطرح
أخجاب بعد ذلك ، وأحسن النظر . وإن يعمل لك عن الإيمان نخل ، وإن
يقل بك عن لروح نخل ؛ فانثر هذا وذاك ، وقل بترك الإيمان ، وكذا عن
الروح نخل .

إن يقل مسكر إن هذا أمر منكّر ، فقل : إن العشق أعلى مكانة من
الإيمان والكفر ، وأي شأن للعشق مع الكفر والإيمان ؟ وأي شأن
للعاشقين مع الحسد والروح ؟ إن العاشق يشعل النار في كل بيدر ،

ويوضع المنشار على رأسه ، وهو لا تذ بالصمت ، لا بد للعشق من الألم
والفصّة ، ولا بد للعشق من المشاكل والصعوبات . فأيها الساقى أعلا
الكأس بدم الكبد ، فإن عذمته ، فلنستعره من الآس ، إذ لا بد للعشق
من آلام تفرق الحجب ، فغرق حجاب الروح أحياناً وحطه أحياناً ، وبرة
عشق تفوق جميع الأفاق ، وبرة ألم تفضل جميع المشاق ، والعشق لب
الكائنات على الدوام ، ولكن لا يكون العشق تاماً بلا إلهام

كل من له قدم في العشق راسحه ، قد تحطى لكفر والإسلام معاً ،
العشق يمتح لك باباً نحو الفقر ، والفقر يظهر لك طريقاً صوب الكفر ،
وللعشق قرابة بكفرك ، وكفرك هو لب فقرك ، وإن صاع منك الكفر
والإيمان ، فمعنى هذا أن جسدك قد فسى وأن روحك قد فاضت بعد
ذلك تكون خليفاً بهذا العمل ، إذ لا بد هذه الأسرار من رجل ، فسرى
الطريق كالرجال ، ولا تحف ، وتحمل عن الكفر والإيمان ، ولا تحف . كثيراً
ما يعربك الخوف ، فتشجع وتحمل عن عالم الأبطال ، ولكن كأشجع
الرجال أمام الأعداء ، فإن احترصت طريقك فجأة مئات العقبات ، فلا
خوف من التعثر في الطريق



حكاية الشيخ صناع وعقده الزنار لعشقه الفتاة المسيحية

(١١٥٩ - ١٥٦٤)

كان الشيخ صناع شيخ زمانه ، كما كان في الكمال يفوق ما
سأذكره عنه ، اعتكف هذا الشيخ في الحرم خمسين عاماً ، ومعه أربعة
مريد من أصحاب الكمال . وما كان أحد من مريديه - ربا للمعجب -
يستريح من الرياضة ليلاً أو نهاراً ، واجتمع لدى الشيخ العلم والعمل

معاً ، كما أمسك برماد الكشف والسر معاً ، وحج رهاء حسين حجة ،
وفضى عمراً مديداً في أداء العمرة ، وصومه وصلاته دائبان بلا توقف ،
وما توانى عن سنة مطلقاً ، ومن سبهوه من ألمه ، مثلوا من بدنه اعتراها
بسفه ، وقد استطاع أن يقدر الشعرة ، حيث كان على المروة في انقادات
والكرامات ، وكل من شكا إليه صعباً أو عنة ، وجد من أنصبه عافية
وصحة ، وكان للجميع قدوة في مجال العلم سواء في لقن أو تبسط

ومع إدراكه أنه قدوة لأصحاب ، فقد رأى نفسه ليالي متواية على
هذه الحال ، رأى أنه رحل عن الحرم ، واستقر ببلاد الروم ، ورأى أنه
للأصلح دائم السجود .

ودات ليلة ، تيقظ عند رؤية هذا الحلم ، وقال : واحسرتاه ! في
هذا الزمان سقط يوسف الموق في البئر ، واعترضت عقبة كنود طريقه ،
فلا أعلم من أحرر روحي من هذا العم ، وقد كنت ترك الروح عندما
يكتمل إيماني ولكن : لا وجود لإنسان على ظهر الأرض ، لم يعترض
طريقه عقبة كهذه ، فإن تمتع على عفته ، يكشف الطريق أمامه إلى
نهايته وإذ ضل يقف خلف تلك العمة ، فعقبته ان يصبح طريقه بلا
نهاية .

أحر الأمر ، قال المتحسر في العلم لمريديه الآن وجب علينا
العمل ، إذ يجب الإسراع إلى بلاد الروم ، لتدرك تفسير هذا المقام سافر
معه أربعمائة مريد معتبر ، مقتدين به في السمر ، ساروا من الكعبة إلى
أقصى بلاد الروم ، ثم طوفوا بجميع أرجائها ، وفجأة وقعت عيونهم على
بنة شاهق ، وقد جلست على سطحه فتاة .

كانت الفتاة المسيحية ذات روح ملائكية ، بل كأنها صفة من روح
الله أشرقت كالشمس في فلك الحسن ، واستخرت في برج الجبال المره

عن القصصان، فعلا الاصفرار وجه الشمس كمداً وحسداً ، لكثرة
العشاق بمحراب تلك الفتاة .

كل قلب ارتط بعدائر تلك الفتاة ، عقد الرنار لحبال عداثرها ،
ومن رقت روحه على شمع تلك المعشوقة ، سار على رأسه في الطريق لا
على صمبه ، وعندما تعطرت ريح الصبا برائحة عداثرها ، عرب
التجاعيد وجه الروم كالعيد بسببها عياها فتنة للعشاق ، وحاجبها في
الحس كالطاق ، وإذا ألفت نظرة على أرواح العشاق ، سلتهم لأرواح
بغمرة من حاجبها ، وانحى حاجبها عن عين في طلعة البدر ، واستقر
وسطها إنسان العين ، وما أكثر ما فعل إنسان العين ، حيث صاد أرواح
آلاف الأدميين . أما وجهها فيبدو تحت غداثرها اللامعة ، كأنه شرارة
وهجة مناجاة . وكم أظلم سراب شعرها العاين ، وحول برحستها
النخبة أشرعت الحجر ، فمن مضى ظمناً إلى عينها ، صيب قلبه
بخارج أهداب . وقد انعدم الطريق إلى قعرها ، حتى أن كل من تكلم
عه ، ثبت أنه عديم الخبرة بهذا الصم ، إن قعرها شبيه سم أخطأ لها
رنار كالغديرة حول وسطها ، ولها نونة فضية في دفتها . وكلامها ككلمات
عيسى يعيد الروح لأصحابها ، وكم سقط العدو يدون كيوسيف عرقى
دمائهم في بئر نونتها ، وقد وصعت في شعرها جوهرة ها بريق الشمس ،
أما شعرها الأسود فيرفع أسدل على وجهها

ما أن رفعت النقاب تحت الصاري ، حتى اشتعلت أوصال الشيخ
باراً ، وعندما بدا وجهها من تحت النقاب ، عقد - الشيخ - مائة رنار من
شعرها ، وكلما تطلع الشيخ أمامه ، كلما جعل عشق الفتاة المسيحية
شعله ، حتى قد قلبه وسقط على الأرض ، وبدا وكأنه وسط بار
مناجاة .

وأخيراً ضاع منه كل ما كان يملكه ، وأغمى نفسه بالدخان من نار

عشقه ، وهكذا استولى عشق الفتاة على قلبه ، كما سمعت كفر عدائهما دم
إيمان ، فتعلّى الشيخ عن الإيمان ، واختار المسيحية ، كما بيع العافية
واشترى المسكنة ، وسيطر العشق على قلبه وروحه ، حتى سئم قلبه ،
وملّ روحه ، ثم قال عندما فقد ديبه . أين القلب ؟ إن عشق الفتاة
للمسيحية أمر مشكل صعب !

وعندما رآه يريدوه متاوهاً ، أدركوا أن الواقعة قد وقعت ، وتغيروا
جميعاً في أمره ، وتملكهم الاضطراب والحلم بسببه ، فأكثروا من نصحه ،
ولكن دون جدوى ، فلما وقع ما هو وقع ، لم يكن له دافع وكل من
نصحه ، لم يطمعه ، وذلك لأن الله لا علاج له . وكيف يطيع العاشق
الوهان الأمر ؟ وانداء العصال ، كيف يستجيب لأي دواء ؟

هكذا قضى الشيخ نهاره الطويل حتى المساء ، شاحصاً بصره
حيرة ، وفاعراً فدا حيرة ، وكل مصباح أضواء تلك الليلة . استمد الشرارة
من قلب ذلك الشيخ المهسوم ، وفد تضاهف عشقه مائة مرة تلك الليلة ،
فلا جرم أن فقد نفسه مرة واحدة ، ونفخ قلبه من نفسه ومن العالم ، كما
نثر التراب على رأسه ، وظل في حزن دائم . وما كان ينام أو يقر له قرار
لحظة ، وارتجفت أوصاله من العشق ، وكان يتأوه ويقول .

يارب ، الاليلتي من بهار ؟ ألا لشمع الفلك من اشتعال ؟ قد
قضيت الليالي الطوال في رياضة ، وما رأى أحد قط ليالي مثلها ، ومن
الاحتراق كالشمع فقدت كل قوة ، وما عاد بكبدي من ماء عير دماء
القلب ، وأصبح كالشمعة أفل بالاضعال والإحراق ، لدا أحرقت
بالليل ، وأنتل بالنهار . لقد قضيت الليلة أفاسي أهوال القتال ، وخرقت
من رأسي إلى قدمي في خضم الدعاء ، وفي كل لحظة تعرض لي مشات
لأهوال ، ولا أعلم متى بشرى صبحي ؟ وكل من مني عش تلك الليلة
داب مرة ، أصبح شعله الشاعل في ليله ونهاره إحراق كنده وكثيراً ما

قضيت النهار والليل في لوعة ، ولكن تلك الليلة كأنها يوم هلاكي ، بل
كأنني كنت قد خلقت ذات يوم ، من أجل تلك الليلة ، فيها إلهي ، ألا
للميتي هذه من نهار ؟ ألا لشمع الفلك من اشتعال ؟

يارب ، أهذه سمات هذه الليلة ؟ أرأى الليلة يوم القيامة ؟ أو أن
شمع الفلك قد انطفأ بزغرتي ؟ أرأى أن حبيبي توارى من الحجل خلف
الحجب ؟

الليل طويل حالك الظلمة كشعرها ، ولولا ذلك لسلكت الطريق
مائة مرة إلى محلها ، إني أحترق الليلة من حوى العشق ، ولم تعد لي
طاقة لتحمل إيلام العشق ، أين العمر لأصف ذلتي ، أو لأناوّه يكامل
إرادتي ؟ أين لصبر حتى أكف عن المسير ، أو أن أعاقر الكشوس
كالرجال ؟ وأين الحظ ، حتى تصحو عزمتي ، أو أن تعينني في عشقها ؟
وأين العقل ، حتى يكون العلم قدوتي ، أو بحيله العمل أمثل أمامها ؟
وأين اليد حتى أصبغ تراب الطريق على ممرتي ، أو أن أرفع رأسي من
تحت التراب والدم ؟ وأين القدم حتى أعود البحث عن محلة الحبيب ؟
وأين العين حتى أعاود رؤية وجه الحبيب ؟ وأين الرقيق حتى يساعطني في
غمي ؟ ، وأين الصديق حتى يأخذ لحظة بيدي ؟ وأين الفوه حتى أستطيع
البكاه والسواح ؟ وأين القطعة حتى أنصرف بحكمة ؟

ذهب العقل ، وانقضى الصبر وولى الحبيب ، فأي عشق هذا ؟
وأي ألم ، وأي فعل ؟ .

رقت قلوب الجميع لحاله ، واجتمعوا تلك الليلة على أثر نوحه ،
وقال له أحد جلسائه يا شيخ الشيوخ ، همض واغتسل من هذا
الوصواس .

قال الشيخ أمها الخاهر ، فقد اعتسلت الليلة بدماء كيدي مائة مرة .

وقال له آخر أين مسحتك ؟ وكيف يستقيم بلا نسيح أمرك ؟
فقال (الشيخ) : لقد طرحت المسبحة من يدي ، حتى استطع
عقد الربل حول وسطي .

وقال آخر أيتها الشيخ المسر ، لتسرع بالنوبة إن كان قد حدث
خطأ

فقال (الشيخ) : لقد نيت عن الياقوت والخال ، حتى أخلص
من المشيخة ، ومن القبل وانقار

وقال آخر أيتها العالم بالأسرار ، انهمس واحمت في صلاة
فقال (الشيخ) : أين عورات تلك المائة ، حتى لا أشعل بعير
الصلاة !

وقال آخر إلى متى هذا الخذل ، انهمس واسجد لله في الخنوة .
فقال (الشيخ) : إذا كانت حبيشي انقانة ها ، لطاب بي السجود
أملها .

وقال آخر ألا نندم على هذه الصلة ؟ ألم يؤتك صياح إسلامك في
حظة ؟

فقال (الشيخ) : لا يمكن أن سلم بسان أكثر من ذلك ، إذ سم
أكن عاشقاً قبل ذلك

وقال آخر : لقد قطع الشيطان عليك طريقك ، وألقى فجأة بسهام

المخذلان على قلبك .

فقال (الشيخ) : لتفل للشيطان الذي قطع الطريق علينا ،
أقطع ، فما أجله من قطع !

وقال له آخر : إن كل حير ، يقول : كيف صل هذا الشيخ
القدير ؟

فقال (الشيخ) : لقد فرغت تماماً من الاسم والسمعة ، وحطمت
قلادة النملق بحجر .

وقال له آخر : أن الأصدقاء السابقين ، قد تأسوا وانغطرت ثلوبيهم
أحمين .

فقال (الشيخ) : إن كانت الفتاة المسيحية مسرورة ، فالقلب غافل
عن ألم هذا وذاك .

وقال له آخر : لتوافق الأصدقاء ، حتى يعود الليلة صوب الكعبة
مرة أخرى .

فقال (الشيخ) : إذا لم توجد الكعبة ، فالدير موجود ، وقد كنت
مديقاً في الكعبة ولكني عمل في الدير .

وقال له آخر : كن عروباً على قطع الطريق في تلك لأومة ، ثم
اجلس في الحرم وأطلب الصبح والمعدرة .

فقال (الشيخ) لقد وضعت على اعتاب المعشوقة رأسي ، طالباً
الصبح ، فكف يدك عني .

وقال له آخر : إن جهنم في الطريق مفومة ، ويسر رجل جهنم من

يكون على علم وبصيرة .

فقال (الشيخ) لو قدر وأصبحت جهنم في الطريق ريفتي ،
فإن سبجاً منها تحترق بزهرتي .

وقال له آخر : أملأ في الحنة ، عد ، وتب عن هذه المعلقة
لقبيحة ، وعد

فقال (الشيخ) : إن لي حبيباً وجهه كالحنه ، فإن كان لا بد لي من
جنة ، فهذه جنتي .

وقال له آخر لتجعل من الحق ، ولتعظم الله تعالى بصدق .

وقال (الشيخ) : إن كان الله حياتي بتلك السار ، فلن أستطيع
التخلي عنها بمحض إرادتي .

وقال له آخر لتمض ، ولتلتزم الصمت ، وعد للإيمان ثانية ،
وبالإيمان تمسك .

فقال (الشيخ) . لا تطلب مني أيا الحائز غير الكمر ، ولا تطلب
الإيمان من أصبح متردياً في الكمر .

عندما لم يجد الفول معه أي نفع ، لرم الجميع الصمت ، ومجت
قلوبهم وهاجت ، وغصت بالدماء ، حتى طفحت الدماء خارج هذه
القلوب ، وباحل تركي النهار ترسه ، وقطع رأس رنجي الدبل بسيفه ،
وأصبحت الدنيا في اليوم الثاني راحة بالغرور ، وشبهة بالبحر الغرين في
النور الباع من حين الشمس ، جعل الشيخ محلة أخيب حلوته ، وأصبح
شغله الشاغل مع كلاب محلته ، واعتكف على قراب طريقها ، حتى
أصبح كشعرة تسدل على بئر وجهها وظل قرابة شهر صباح مساء في

محلتها ، صابراً ليحظى برؤية شمس وجهها ، ولكن دمه المرص في
النهاية دون لظفر بخبيب ، فما أطل أحد برأسه من تلك الاعتاب
فكان مرقده تراب محلتها ، ووسادته حبة نايها

وعندما لم يتحول (الشيخ) عن محلتها ، أدركت الفتاة ما حل
بعاشقها ، ولكن الفتاة تظاهرت بالمعجم ، وقالت أيها الشيخ لم ألم
بث الاضطراب ؟ ويا أيها الثمل شراب الكمر ، متى كان الرهاد بقيمون
بمحلة النصارى ؟ إذا كان الشيخ يلزم نفسه بغدائري ، فلها نصيبه
بالجنون كل لحظة .

فلجأها الشيخ : إن كنت ترين صغمي ، فذلك لأنك مسيت
قلبي ، فإما أن نردى على قلبي ، وإما أن نواقيسي حبي ، بمقتضى
غيتي ، وكفى عن التدلل ، ونخل عن لتكر والدلال ، فأنا عاشق مس
غريب ، فاشمليتي بالطمر ، ولما كان عشقي بعيداً عن الهرل با
معشوقتي ، فإما أن تقطعي رأسي ، وإما أن تكوبي على وفاء معي ، إسي
أبدل الروح فداه لك إذا أمرت بذلك ، ولكن إذا شئت رددت إلى روعي
بكلمة من شعك ، فإما من شعك وعدائك هائي وشقوتي ، إن وجهك
الجميل قصدي وبعيتي ، فلا تضرمي النار في جسدي من وهج عدائك ،
ولا تسكريني بالثملة عينيك

بسيك اضطرم قلبي نارا ، واشتعلت عبي حرقه ، وبسبب فقدت
العين والصبير والرفعة ، وقد نعت الروح والديك بدوك ، ولكن نظري
فقد خطت الكيس بسبب عشقت . إن الدمع ينهمر سيلاً من عيني ،
وهذا ما انتظره من عبي إذا عدمتك ، فما أن رأت العين وجهك ، حتى
ظل لقلب في انغم ، ثم صاع مني القلب ، وظلت العين في مأثم ، وما
رأته عيني ، لم يره أحد قط ، وما قامه قلبي ، من ذا الذي فاساه ؟ لقد

في القلب وما بقي منه إلا الدم ، وإلى متى أظل أطعم دم القلب ؟ كان
القلب قد مضى ؟ فلا تنفخ على روح هذا المسكين أكثر من هذا ، ولا تنصي
على آمالي ، وتركليسي هكذا .

لقد مضى عمري في الانتظار ، فرجما أجد الوصال في هذا النهار
في كل ليلة كنت أقيد روحي ، ثم أضحى بها على باب محلتك ، فأسلم
أرواح ووجهي مستعمر على أديم بابك ، بل أسلم لأرواح رحيصه كالتاب
من أجلك ، وما أكثر ما بكيت على بابك ، فافتحي الباب ، وتلطني معي
خطة واحدة أنت الشمس ، فكيف انتعد عنك ؟ إنني طبعك ، وكيف
أصبر عنك ؟ ومع أنني كالطل من لا مضطرب ، فإنني سأقمر من كوتك
وكانني الشمس ، وسأطوي تحت جناحي الأفلاك السبعة ، إذا ما شرقت
برأسك على هذا المضطرب .

فقلت العتاة . يا من هو حرب من الشيوحة ، عيبك ما تعطر
والتكسر والخجل ، إن كنت أفسدك عد بردت ، فلا تنعزل ، لقد
أصبحت شيخاً ، فلا تقامر بأرواح ، الأفضل لك الآن عقد العزم على
الموت من أن تعزم على قصدي ، إن كنت في شيوحتك في حاجة إلى
رغيف ، فلن نستطيع تحمل تباريح العشق ، فامض وكيف تستطيع أن
تخطي بآمالك ، وأنت لا تستطيع النصال من أجل ما يميم أودك

قال لها الشيخ : مهما تكثرين من القول ، قلن يكون لي سوى عم
عشمك من عمل ، ما العرق إذا كان العاشق كهلاً أو شاباً ، فلعنن
تأثيره على كل قلب .

فقلت العتاة . إن كنت صادقاً في هذا المرام ، فتظهر بذك وتعلمها
من الإسلام ، فمن يعتنق مذهباً غير مذهب المعشوقة ، يكن عشمه
محسوراً في اللون والرائحة

قال الشيخ ما فعل كل ما تقوين ، وروحى سأطع كل ما
تأمرين ، لقد أصبحت عبدك يا عصابة القوام ، فألقي حلقة من عدترك
في حلقومي

فكانت العلة إن كنت رجلاً حليفاً بالأعمال ، فعبيد أن تفعل
بكل قبول أربعة من الأعمال ، سجد آدم الصم ، وأخو لهران ،
واشرب الخمر ، وأخلق عبيث عن الإيمان .

أجاب الشيخ لقد قبلت الخمر ، ما الثلاثة لأخرى فلا حيلة لي
بها ، إنني أستطيع احتساء الخمر على شرف حمالك ، ولكن ليس في
معلوري القيام بالأمور الثلاثة الأخرى .

فكانت المنة : اهص ، وتقدم ، واحتس الخمر ، فعدت تشرب
الخمر مستلهم نشون فرحاً .

وأخيراً أهدوا الشيخ إلى دبر المحوس ، فواد صطراب المريدين
وملكهم اخون أما الشيخ فقد رأى مجلساً عاية في البصرة ، ورأى
النديم عاية في الحسن ، وسليت بار العشى صماء عمله ، كما سليت
غداثر الفتة لمسيحية عمره ، ولم تنق له أي ذرة من عقده ولبه ، ومع
ذلك لاد بصمته وظل يأخذ الكأس من يده معشوقته ويشرب ، حتى
قطع قلبه عن كل أمره ، وما أن اجتمع الشراب وعشق المحبوبة في بقعة
واحدة ، حتى تضاعف عشقه لذلك الدر مائة ألف مرة ، فما أن رأى
الشيخ داب لشعر الملبح ، ورأى لياقوب في حفها المنسم ، حتى أصرم
العشر الدر في روجه ، وسات دموعه كسيل دموي صوب أهدابه ، ثم
طلب كأساً أخرى وشربها ، ووضع في أذنه حلقة من غداثرها

لقد كان الشيخ يحفظ أكثر من مائة مصنف في الدين ، كما كان
استاداً في تحفيظ القرآن ، ولكن ما أن وصلت الخمر إلى أحشائه ، حتى

تحت عه دعوته ، وعراه التبهي بالناسل ، وكل ما أدركه ضاع من ذكرته ، وما أن أقبلت الخمر حتى ولى كالريح عقله ، كما غسلت من لوح صمغه حمر المعاني التي كانت له من قبل ، وظل عشو القته مشكلاً بالسنة ، مع أنه يظهر من كن ما عداه ، ثمل الشيخ وعله عشقه ، وأصبح كالبحر وقد عصت بالاضطراب روحه ، ثم رأى المشوقة ثمل نمسك بالكأس في يدها ، وأسرى الشيخ صوبها ، وقد لعبت الخمر بقبه وعقله ، فطلب من امتاة أن تقله .

فمالت له الفتاة . يا من لست حليفاً بأعمال الرجال ، إلك مدع في العشق ولست حبيراً بالمعاني ، إن العافية لا تتفق مع العشق ، بل الكفر حيق بالعشق ، فإن تكر لك قدم راسحة في العشق ، فإنك تدب تبذهب هذه الصميرة المتعددة الطيات فصع قدمك في الكفر كما فعلت صميرتي ، حتى لا يكون العشق أمراً سم عن حماقة ، فإن تفتد بصميرتي ، جبر لك أن تعاني في بلد اللحظة ، أما إن كنت لا تبيل الاقتداء الآن . فانهمس وارحل ، بهذه عصاك ، وذاك رداؤك .

تخير الشيخ العاشق حيث فقد رمام صسه ، وأسلم فبه من العفلة إلى قصائه وقدره ، وقد كان قل أن يعزو راسه السكر ، لا يصرع خطه من إدراك سر لوجود . والآن وقد أصبح الشيخ عاشقاً ثملاً ، فقد فقد السيطرة على نفسه وكل ما كان في حورنه ، وما عاد يمين إلى نفسه ، وامتضج أمره ، وما عاد يحشي أحداً ودن بأسبحية وأحدثت الخمر المعتقة عظيم أثرها فيه ، حيث أحالت الشيخ كنهرجار اضطراباً وقد توفر للشيخ لعشق ابنتي وما عتو من حمر ، كما مثلت أمهه معشوقته ، فكيف يقدر على الصبر ؟

أخيراً أصبح الشيخ من العشق مهترناً ثملاً ، وقد غاب عن وعيه

حيث ملئت العشى عليه روحه ، وقد لعد عذمت اندرة ما قمرية
لوجه ، فكلمني ، ماذا تريد مني أما ابول ؟ إن كنت مهيباً ، ما عدت
الصم ؟ ولكنتي وقد ثملت في مكاسي تمريين المصحف على أعاب
الصم

قالت : هتة لآن أصبحت رحلي ، هها بالسوم ، لآنك على
وفاك معي ، همد كب قبل لآن غير باصح في محال لعشق هها نفس ،
حيث بصحت والسلام .

ما أن وصل الخبر إلى البصري ، بأن شيخاً لطريقهم قد احتار ،
حتى سارعوا بحمل الشيخ ثملاً إلى الدير ، وأشاروا عليه بعقد الربار ،
وما أن أصبح الشيخ معجلاً بالربار ، حتى اهتكت وأحرق الخرقه بالبار ،
وتحرر قلبه من ديه ، ولم يعد يذكر شيئاً عن النكحة والمشيحة ، وبعد
سبعين عدة من الإيمان المتين ، إذا به يمض يده مرة واحدة من الذين ،
وقال إن الخذلان قد استهدفني أما المسكين ، وجعل كل همي عشق
العدة المسيحية ، فكل ما تأمرني به ، مثل له ، وسافعل أمراً بح
فعدت أيام الصحو ما عدت الصم ، ولكن ما أن ثملت حتى عدت
لصم ، فما أكر من باعوا دينهم بفعل الخمر ، وأهم الحثاثة تعمل همد
بلا شك ! ثم قال :

أيها المعشوقة ، ماذا بعد ؟ كل ما قلته ، فعلته ، فماذا بعد ؟ لقد
شرب خمر ، وعدت الصم بفعل عشقتك ، وما رأى أحد قط ما رأيته
بعب عشقتك ، من ذا أصبح معوناً بالعشوق مثلي ؟ وبشي شيخ افتصح
أمره مثلي ؟ عدت ادراحي خمس عاماً ، فكانت صواح بحر الأسرار
بلاطم في قلبي ، ثم فمرت ذرة عشق من كميتها فحاه ، فرفعتني على رأس
النوح الأول ، وقد فعل العشق أكثر من هذا ومازل يفعل ، وأحال

الحرفة بارأ ، وما ران نعمن اعقل الحصيف فارىء أبجد اعشوش ، أما
العشق فهو مدرك أسرار العيب ، لقد حدثت كل ما حدثت ، فكلمي ولو
قليلاً ، ومنى تتحدثين معي ؟ إذ كان بيننا عشقني راسح لأساس ، لكن ما
فعلته كان أملاً في لوصل والوصل واجب وكذا إدراك الصحة ، هي
أكثر ما أحترق عندما أبجد نفسي في وحدة ا

قالت الفتاة : أيها الشيخ الأسير ، إن صداقي كبير ، وأنت جد
فقير ، يلزمي أيها الخامل ذهب وقصة ، فكيف يستقيم أمرك وأنت عديم
المصه ؟ فإن كنت لا تملك ذهباً ، فلو رأسك ، وامض ، وحد ما تنفعه
من أيها الشيخ ، وامض . امض حيثك كالشمس ، وسر وحدك ، ولترم
الصبر والشجاعة ، وكن رجلاً

قال الشيخ . يا سرويه فقد وقصية الصدر ، إنك تحمدين عهداً
أكيداً على رأسك ، وليس في سرانك أيها الحميلة الطمعة ، فكلمي خير
عن الكلام بهذه الكيفية . إنني في كل لحظة أنعمي عن شيء ، وألقي رأسي
في أي معترك ، وتحملت كل شيء من أجلك ، وصنعت كل ما دار
بفكرك ، وفي طريق عشقتك كل ما كان اندثر ، كما ولي لكفر ولاسلام
وكذا النفع والضرر ، فإلام لا أستريح من الانتظار . وأنت لم يقر بك
معي أي قرار ؟ لقد تحول عني جميع الأصحاب ، وخاصمو روحي
المعنة بالاضطراب ؟ هكذا أنت ، وهكذا هم ، في دأصع ؟ لقد سى
القلب ، وكذا الروح ، فماذا أصنع ؟ ونبي أفضل يا مسيحية المذهب ،
أن أكون معك في النار ، على أن أكون بدومك في الجنة

في لنهاية ، ما أن أصبح الشيخ رجلاً ، حتى حترق قلب ذلك
البدن تأثراً بالألمه ، وقالت : إن صداقي أيها الهائم ، هو أن ترعى في
الخنزير عاماً بالتمام ، وما أن يمضي العام ونحن معاً ، فإننا يمضي العمر

حلوه ومرة معاً

لم يخالف الشيخ أمر الحبيب ، لأن من يعصى الأوامر عادة ، لا يعصى أمراً للحبيب ، فذهب شيخ الكعبة ومرشد الكبار ، إلى رعاية الخنزير ليفصي العام بكل اختيار .

في قرارة كل شخص مائة خنزير ، إما أن يسفك دم الخنزير ، أو أن يعقد الربار ، وهكذا تظن يا عديم المروءة ، بأن هذا الخطر قد أصاب الشيخ وحده ، إن هذا الخطر كما في قرارة كل نمر ، ولكنه لا يظهر إلا إذا بدأ في السمر ، فإن لم تكن حذراً من نفسك الشبيهة بالخنزير ، فأنت حذر فمردود ، لأنك لست رجلاً لاثقاً بالسير ، فإن تضع قدمك في الطريق يا حبيب بالأعيان ، فسرى العديد من الأصنام ومن الخنازير ، فلتقتل الخنزير ولتحرق الصم في بيداء العشق ، وإلا فكن كهذا الشيخ دليلاً ومصياراً لعشق .

في النهاية عندما اعتنق الشيخ المسيحية ، عمت بلاد الروم جميعها الفرحنة ، أما جميع رفاقه فكانوا في صيق وشدة ، وأصيبوا بالوهن وسوء الطالع والخير . وما أن رأوا ذلك لأمر الذي أحاط به ، حتى تحولوا عن معلونته ، هربوا جميعاً لما ألم به من شؤم ، ووضعوا التراب على رؤوسهم لما أصابه من عمة ثم أسرع رفيق من بين المريدين صوب الشيخ قائلاً له يا من ألم بك الوهن . سرّج الميلة إلى الكعبة فاهير ، فم تأمر؟ أيجب إداعة السر؟ بما أن نتخذ المسيحية مثلك ديناً ، ولحق انعرة بمذهبنا ، وإما أن تردك عن هذا الطريق ، مع أما عندما الحيدة والوسيلة ولا يروق لك أن تكون وحيداً هكذا ، لذا سيعقد النار مثلك هكذا ، ولكن إن تصعب عن رؤيتك على هذه الحال ، فسأخرج بالطرب بدويك من هذا المكان ، ثم نجلس معتكفين بالكعبة حتى لا نرى ما نراه في هذه اللحظة .

قال الشيخ إن روعي عاصمة بالآلام والعلل ، فسارعوا إلى أي مكان ترعّبون في الترو والحوال ، وما دمت على قيد الحياة ، فحسبي أن يكون الدير مقري ، وكذا حسبي تلك الفتاة المسيحية التي تجدد روعي ، إنكم تدركون هل تحذرتكم أم لا ، وذلك لأنكم لم تسقطوا سقطتي ، فلو سقطت هذه السقطه ، لكنت رفيعي على الدوام في هذا العم عودوا ثانية أيها الأحرار ، فلا أعلم ماذا سيحدث أيضاً ، وأن تُسألوا عني ، قولوا صدقاً ، فأين من دارت رأسه ممن رلت قدمه ؟ .

هكذا عصت عياله بالدم ، وقمه بالسم ، وكأنه قد سقط في عم نثير المهر ، ولا يرمي أي كافر في العالم ، عما فعله ذلك الشيخ فضاء وقدرأ ، في أن أظهروا به ربه الفتاة المسيحية ، حتى لم يعد يطبق العقل والدين والمشيخة ، وما أن ألفت عداثها كاخلفة في حلقه ، حتى لاكت السن الخلق جميعاً سيرته وأخيراً قال .

« إن يعلم أحد على توبحي ، عقل ، ما أكثر من سقطوا في الطريق سقطتي ، ففي مثل هذا الطريق الطويل ، لا أنصت يا إلهي من يأمن الخوف والخطر » ، قال هذا وأشاح بوجهه عن الرفاق ، ثم أسرع لرعاية الخنازير

كم مكاه الرفاق لما أُلهم به من هموم وأحزان ، وكانوا يسكنونه في كل زمان وفي النهاية قعسوا عائدين إلى الكعبة ، وظلت أجسادهم في هوال وأرواحهم في حرقة ، وأما شيخهم فقد ظل وحيداً في بلاد الروم ، وأسلم دينه للريح ، وعكف على المسيحية ، ومن الخجل طلبوا جميعاً في حيرة ، واختفى كل فرد منهم في زاوية .

وكان للشيخ رفيق حصيف يقيم بالكعبة ، وقد منح بعظيم إرادته

عن كل لعلائق ، وكان غاية في راحة العقل ، كما كان للطريق هادياً ، وما كان لأي شيخ علم وبصيرة أفصل مما له ، وعندما سافر الشيخ من الكعبة ، لم يكن هذا المرید موجوداً بها ، وعندما عاد إلى المكان ، وجد سراي الخلوة تملو من شيوخه ، فسأل المریدين عن حال الشيخ ، فأعادوا عليه جميع أحوال الشيخ ، ثم قالوا :

كل ما أصابه كان يفعل القضاء ، وما حدث له كان متأثر القدر ، لقد ربط عذيرة امتانة المسيحية مشعرة منه ، وأعلق الطريق على الإيمان من مائة جهة ، إنه يهيم الآن عشعاً بما لها من طرة وجمال ، وقد تمزقت حرقفة ، كما أصبح حاله محالاً في محال ، لقد تحلى عن كل شيء امتثالاً لأوامره ، حتى أنه يعمل الآن في رعاية حنايرها ، وفي هذا لأورد بعض السيد المهوم المسبحة ذات لمائة حبه ربّاراً ، وهذا الشيخ مع أمه ضحى بروحه في طريق الدين ، إلا أنه لا يستطيع الآن إدراك كهره ، تتمكبه منه

ما أن سمع المرید تلك الواقعة ، حتى أربد وجهه ، وهمر في البكاء بحرقفة ، وقال للمریدين أيها المسبقة الفجرة ، يا من لا تشبهون في الرفاء الرجال أو النسوة ، إن الرفيق الحق واحد بين مائة ألف صديق ، وفي مثل هذا اليوم يظهر أثر هذا الرفيق ، فإن كنتم رفاق شيخكم ، سمعتم له تدلوا له عونكم ؟ فليصحبكم الله بالتحلل ، أهد أحر الرفقة ؟ أهد هر الإصاف والمحبة ؟ عندما وضع ذلك الشيخ يده على الربار ، كان يجب على الجميع عقد الرنار ، ولم يكن من الواجب الإفلات من جانبه حمداً ، بل كان واجب المسيح أن يكونوا بهاري ، فلبست هذه هي الصحبة والرفاق ، بل ما فعلتموه كان عين العلق ، فمن كان مخلصاً للصديق ، عليه أن يحافظ على صداقته ، حتى ولو أصبح كافراً ، فهي وقت الشدة يعرف الصديق ، أما في وقت السعادة فلا ينسان ألف صديق ، ولكن

عندما سقط الشيخ في فم التمساح ، هرب الجميع خوفاً من المعرفة ، إن
للعشق أساساً من سوء السمعة ، وعديم التجربة من ينكر هذا .

قال اجميع : لقد قلنا له كل ما فلك ، مرات ومرات بل قلنا أكثر
منه ، وعرضنا على أن نطل جميعاً معه ، لنقضي العمر نشاركه فرجه وعمه ،
ونبيع الرهد ونشتري المضيحة ، كما تطرح دينت جانباً ونختار المسيحية
ولكن رأى شيعتنا المجرب ، أن يتعد عنه كلية فعندما لم يجد من صحتنا
أي نفع له ، سارع بإبعادنا عنه ، فرجعنا جميعاً امتثالاً لأمره ، وها قد
ذكرنا القصة ، ولم نخف شيئاً من صره .

بعد ذلك قال للأصحاب ذلك المريد ، أما كان لملككم من
مريد ؟ لا مكان لكم سوى أعتاب الحق ، فكان الواجب أن تكونوا في
حضور دوام ، كما كان الواجب أن يتسابق كل واحد منكم في التضرع إلى
پرئكم ، فما أن يراكم الحق لا يقر لكم قرار ، فصرعان ما يرد عيكم
شيحكم بلا انتظار ، فإن كنتم قد تحررتم من شيحكم ، فلم رجعتم عن
باب خالفكم ؟

ما أن سمع اجميع القول ، حنى طائفاً اجميع الرؤوس من
العجر ، فقال أحدهم أي فائدة من الخجل الآن ، لقد وقعت
الواقعة ، فهيا نهض مسرعين ، علينا بأن نلزم أعتاب الحق ، ونشر التراب
تصرعاً ، وعلياً أن نرفع صراعتنا ، حتى نصل في النهاية إلى شيعنا .

رحل اجميع من بلاد العرب إلى الروم ، وطلوا معتكمين عتمين
طوال الليل والنهار ، ولزم كل واحد أعتاب الحق يكشر من التضرع

أحياناً ، ومن الحبيب أحياناً ، وطبوا هكذا أربعين يوماً وليلة بالتمام ، ولم يشبهوا مطلقاً عن أول مقام ، ونقضوا الأربعين ليلة دون نوم أو طعام ، وكذا الأربعين يوماً دون حر أو ماء ، ومن تصرع هؤلاء القسم الأظهر ، أصيب الملك ناهياح والعلبان ، وارتدى الثلاثة في هبوطهم وصمودهم لباس المائم الأرقق .

وفي نهاية الأمر أصعب سهم دعاء ذلك المقدام هذه ، فبعد أربعين ليلة كان ذلك المريد الطاهر ، يقيم في الخلوة ومن نفسه قد تظهر . وفي الصباح هبت عليه ريح مسكية ، فأنكشفت الدنيا أمام قلبه وأصحة جليلة ، ورأى المصطفى مقبلاً كالدر ، وقد أسدل عن صدره ذواتين سوداوين ، وكان ظل الحق بدياً في شمس وجهه ، كما كانت كل مائة روح ذنبوية تساوي شعرة واحدة منه ، جاء متهدداً في مشيته متمسكاً ، فكان يقف نفسه فيه كل من رآه ، وعندما رآه ذلك المريد قفز من مكانه قتلاً . أعني يا رسول الله وحد بيدي ، يا هادي الخلق بمشيئة الله ، لقد ضل شيخنا لطريق ، عاهد :

قال المصطفى : يا من يتصف بعلمه همته ، تقدم ، أد حصص شيخك من ريقته . ولتحمل المهمة العالية شعلتك ، ولا تنطق بحرف حتى تمثل أمام شيخك ، لقد كان يعصل الشيخ عن الحق من زمن مليد ، غبر ذو سواد شديد ، عرفنا هذا الغبار من طريقه ، وما يركناه وسط ظمته ، ومن أجل الشفاعة ثرت فطرات ندى كثيرة على كل زمانه . والآن وقد تلاشى الغبار من طريقه ، وحلت التوبة ، وولت المعصية ، فاعلم بقياً أن مائة عالم من المعصية ، تتلاشى من الطريق أمام زمرة توبة واحدة . وإذا تحركت أمواج بحر الإحسان ، فإنها تحو دون الرجال والحسان .

قال (المصطفى) له هذه الكلمات القليلة عن شيخه ، ثم حنفي من أمام نظره .

ذهب الرجل لما ألم به من مسرة ، وصاح فامتلات السماء حبة ،
وأحبر جميع الرفاق وشبههم ، وعزم على قطع الطريق ، فسار بأصحابه
منتحياً مهراً ، حتى أدركوا الشيخ لدى الخازير ، فرأوا الشيخ مسروراً
وسطها ، وكان لا يمر له قرار بيها ، وكان قد صرح السافوس من همه ،
كما كان قد قطع الربار من حول وسطه ، وألقى عممة الشرك ، كما ظهر
قلبه من المسيحية .

ما أن رأى الشيخ رفاقه من بعيد ، حتى رأى نفسه بنوسط لجة من
نور ، وحجلاً مرق الرداء الذي كان يرتديه ، ويبد العجر والدله شر
التراب على رأسه ، وكان أحياناً يدرف دمعاً دميماً كالمطر ، وأحياناً يعض
بده من روجه الركبة ، وكانت حجب الملك تحترق بأهاته ، كما كانت
دمؤه تحترق حرة على ما أصاب جسده ، وعدت إليه دفعة واحدة كل ما
ضاع منه من حكمة وأسرار وقرآن ومعرفة ، عادت كلها إلى ذاكرته حملة ،
وتحرر من الجهل والدة ثانية ، وما أن اطلع على حاله ، حتى حر ساجداً
منتحياً ، وتحصب كالوردة بدماء قلبه ، ونصيب عرقاً من شدة حجه .

ما رآه أصحابه على هذه الحال ، أخذوا مما أصابه من هموم
وسرور ، ساروا صوبه حيارى ، ونشروا أرواحهم شكراً لله وقاسوا
للشيخ : يا من تكشفت الحجب أمامك ، لقد نقشع السحاب ثانية من
أمام شمسك ، وولى الكفر من طريقك ، وحل الإيمان ، وانقضت عبادة
أصنام الروم ، واستمرت عبادة الرحمن ، وتحركت أمواج بحر الفضول ،
حيث أصبح شفيعك الرسول فوجب شكر عالم العالم في هذا الزمان ،
فاشكر الحق ، لما أفساه من موقف محزون . والمنة لله ، إذ أوجد وسط بحر
القلل ، طريقاً واضحاً كالشمس ، ومن يعرف كيف يجعن الظلمة نوراً ،
يعرف كيف يجع التوبة لمكثرين لذنوب ، إذ عندما يشعل نار التوبة ،
فبها تحرق كل الذنوب ولا تدر .

وعند هذا لحدأختصر القصة ، فهيايها العرم على قطع الطريق ،
حيث اغتسل الشيخ وارتدى الخرقة مرة أخرى ، وتوجه مع رفاقه صوب
الحجاز .

بعد ذلك رأت الغاة في مامها أن الشمس سقطت بحوارها ،
وفتحت الشمس فمها في ذلك الوقت ، وقالت عليك بالإسراع خلف
شيخك ، واعتنقي مذهبه وكوسي ثراه ، وي من دسته ، كوسي عن
ظهره ، فحينما جاءك ، كان يسير في طريقك من باب الحجاز ، فعليك أن
تسلكي أنت طريقه من باب الحقيقة ، لقد قطعت عليه طريقه ، نتقدمي
أنت إلى طريقه ، وعندما جاء إلى الطريق ، كان يجب أن تكوبي له حير
رفير لقد وليت عن طريقه ، فاسدكي الطريق إليه ، وما أكثر ما ترديت
في الغملة ، فلتعيني منها .

ما أن استيعظت العتة المسيحية من نومها ، حتى اشتق انور
كالشمس من قلبها ، وألعم قلبها بالألم ، ويد للعب ! وهكذا لم يعد
يقر له قرار ، وتنتك الألام من الطلب قد ضمرت الدر في روحها الشملة ،
فأصبحت واهنة حيث صاع منها قلبها ، ولم تعد تعسم ماذا يمكن أن يتج
عن روحها المضطربة ، وقد رأت نفسها إحدى عجائب العالم ، حيث
اصطرب أمرها كما عدمت الرقيق ، والعالم الذي يجلو من علامات
الطريق . الصمت فيه واجب ، وليس للسان أن ينطق .

وبها للعب ! لقد كانت قبل الآن تظهر الكثير من التبدل
والطرب ، ولكنها لأن أسرع موبولة ، ممزقة الأردية ، أسرع ماثرة
التراب على رأسها محصبة بالدماء ، ويصم معهم بالألم وحسد عاجر
واهن ، أسرع خلف الشيخ والمريدين ، وهرولت عارقة في العرق وكانت
السحاب ، وجرت في أثرهم ، وهي عاية في الاضطراب .

سارت بين الصحاري والقمر ، وهي لا تعرف أين اسلار ،
وأحدثت تشكو شدة عجزها واضطراب ، كما أخذت تمسح الشراب
بوجهها ثم صاحت قائلة : إلهي الكريم المسير للأمور ، بني امرأة
عاجزة عن إتيان أي أمر ، ولقد قطعت الطريق على رجل خديق بك ، فلا
تقطع علي الطريق ، فقد كان جهلاً مي ذلك ، ولتكعب بحر عصك عن
الاضطراب ، لقد نصرفت بجهل وأخطأت ، فتجاوز عسي ، وكل ما
معلته لا تؤخذني به أنا المسكينة ، ولقد قُبت اندبي ، فلا تقبني مارقة
بلا دين .

بالدحرج أحبر الشيخ بحضور العتاة المسيحية بالخارج ، وقيل له
لقد تعرفت على أعتابنا واستمر أمرها عن سلوك طريقنا ، فعد وتقدم
صوب معشوقتك ، وكن رفيقاً أنيساً لمحبتك

عاد الشيخ في الحال من لطريق وكأنه الريح ، فلبب الاضطراب
مرة أخرى بين مريدته ، حتى قالوا له جميعاً : ما هذا التهور ؟ وما هذه
الثوبة ثم العجلة والتسرع ؟ أتعود ثانية إلى العشق ؟ لعبك تست توبة غير
بصوح ! فشرح الشيخ لهم حال الفاة ، حتى أقر كل من سمع ذلك بترك
الروح . بعد ذلك عاد الشيخ رأسه إلى حيث توجد الفاتنة ، فرأوا
وجهها في صمرة الذهب ، كما فقدت غداثرها لكثرة ما بالطريق من
تراب رأوها حاضرة الرأس حافية القدم ممرقة الثياب ، وقد رقدت كما
يرقد الميت على التراب .

ما أن رأت امتاة شيخها . حتى أصاب الإغماء الحريجة فلها ،
فما أن استسلمت العتاة في إغمائها ، حتى شر الشيخ دموع عيبه على
وجهها ، وحينما وقع نظر المعشوقة على الشيخ ، انهمرت دموعها كسحابة
الربيع ، وألقت عيبها على عهد وفائه ، وطرححت نفسها بين يديه
وقدميه ، وقالت :

لقد احترقت بروحي لما ألم بك من اضطراب ، فلم أستطع تمس
الحرقه أكثر من هذا وراء تلك الحجب ، فاطرح هذه الحجب حتى أكون
على بصيرة ، وأعرض عليّ الإسلام حتى أسلك الطريق .

ما أن عرض الشيخ الإسلام على الفتاة ، حتى ثارت انفضاض بين
جميع الأصحاب . وما أن أصبحت الفتاة من أهل العيان ، حتى دلف
الجميع بحاراً من الدمع ، وفي النهاية بعد أن أدركت المشوقه طريقها ،
سرعان ما وجدت الحرقه ، وصري ذوق الإيمان في قلبها ، ومن حلاوة
الإيمان لم يعد يقر لها قرار ، وأحاطت بها اهتمام دون أن يكون لها
مواس ، فكانت :

أيها الشيخ لقد وهبت طائفتي ، وما عدت أحتمل الفراق ، سأودع
هذه الدنيا المليئة بالصداق ، فالوداع يا شيخ صنعان ، الوداع . فإذا
نصب معي كلامي ، فاعف عني أنا العاجزة ، ولا تخاصمني .

قالت الفتاة هذا القول واسلمت الروح ، ونثرت على الحبيب ما
تبقى لها من روح ، واختفت شمسها تحت العيوم .

والأسف ، لقد تخلت عنها روحها ذات الهموم ، ولقد كانت في بحر
المجاز مجرد قطرة ، فأسرعت بالعودة صوب بحر الحقيقة ، ونحن جميعاً
مسرّحل عن هذا العالم كالريح . إنها قد ولت ونحن جميعاً مترحّل
كذلك ، ما أكثر ما يحدث مثل هذا في طريق العشق ، ويعرف هذا كل
شخص أدرك العشق ، وكل ما يقال في الطريق في حير الإمكان ، ففيه
الرحمة والياس والكفر والإيمان ، ولن نستطيع التمس إدراك هذه الأسرار ،
كما أن النجس لا يستطيع أن يبال سبغاً . ويحجب أن يُسمع هذا بادن
الروح والقلب ، لا أن يسمع يد صنع من الماء والعيون اللالزب . وفي كل
لحظة تشتد المعركة بين القلب والنفس ، فأكثر من النواح ، فالحزن شديد
وقاس .

المقالة الخامسة عشرة

اتفاق الطير على السير إلى السيمرغ

(١٥٦٥ - ١٥٩٠)

ما أن سمع الجميع هذه القصة ، حتى قالوا جميعاً بترك الروح ،
ونزع السيمرغ السكينة من قلوبهم ، ونصاعب العشق في أرواحهم ،
وعزموا عزمًا أكيداً على قطع الطريق ، وتعجلوا السير في الطريق ، وقالوا
جميعاً يجب أن يكون له مرشد ، يكون له عليها الحل والعقد ، وليكون
هادياً في الطريق ، حيث لا يمكن قطعه اعتقاداً على العرور ، وينرم لهذا
الطريق حاكم موقو ، علم يستطيع اختيار ذلك البحر العميق ،
وباروا حاسداً أو مر حاكماً ، ولن سنك الطريق إلا بحكمه وأمره ،
حتى يستطيع في النهاية أن يقودنا من ميدان العرور إلى جبل قاف ، وما أن
تعالّت درة مه أمام أشعة الشمس ، حتى وقع طن لسيمرغ عليها

في النهاية قالوا من يكون احاكم شخصاً معيماً ، بل الحل إجراء
القرعة فيها بيضا ، وإد أصابت القرعة أي فرد ، فهو المقدم ، ويكون
لمعظم بين الجميع ، وما أن بدأوا القرعة ، حتى لرم الجميع السكينة ،
وما أن قيل هذا الكلام حتى حفت انضواء ، واستسلم جميع لطير
تلصمت والمهدوء ، وافترعوا ، فكان افتراعاً موقفاً ، حيث احتاروا اهدهد
لعاشق ، فاتفقوا الجميع مرشدهم ، فإد أمرهم بدلوا أرواحهم وبعهد
الجميع بأنه رئيسهم ، وأنه مرشدهم في الطريق وهاديهم ، وأصبح الحكم
حكمه والأمر أمره ، ولا يحل أحد بالروح ولا بالحسم عليه

ما أن تقدم اهدهد اعادي كالطبل الشجاع ، حتى وصعوا التاج على

مصرقة في ذلك الزمان ، وإلى الطريق أقبلت مئات الألوف من الصير ،
فكأبراً كسطله تمحى نور الشمس والقمر ، ولكن ما أن مد أول الطريق
عياناً ، حتى علا صياحهم ووصل إلى القمر ، ووقعت هيئة الطريق في
أرواحهم ، كما اضطربت النار في أرواحهم ، وطاروا جميعاً كل في إثر
الأخر ، ويدافعوا بالأجحة ولفوا دم والأرحل والبرؤوس ، وبعض الجميع
يدينهم من أرواحهم ، فتنبيل حملهم وصوبل طريقهم

الطريق حال من السير ويا للعجب ! وهو بعيد عن كل شر وعن
كل خير ، ويا للعجب ! ويسطر عليه الهدوء والسكون ، ولا ريبة فيه
ولا نقصان فقال سائل به : ثم يسدو الطريق هكذا حالياً ؟ قال
المدهد : ذلك من عر البارى .

حكاية (١٥٩١-١٦٠٠)

حرج يا يزيد^(١) ذات ليلة خارج المدينة ، مرأى كل شيء حالياً من
صوصاء الشربة وكان صوء القمر يبر العالم ، حتى أوشك أن يحيل الليل
نهاراً من شدة صيائه ، كما مدت السماء مودانة بالحجور ، وكان كل نجم
مها في شأن مختلف ، وكم تجوب الشيخ في الصحراء ، فم واحد شخصاً
يتحون بالفيافي والصحراء ، فسيهر عليه الاضطراب شدة ، فقال يا
رب : قد سيطر الاضطراب على قلبي بقوة ، إن أعثاك ذات مكانة
رفيعة ، فكيف تبدو من المشتافين خالية ؟

(١) ما يزيد ، أحد مشايخ الصوفة المشهورين ، توفى عام ٧٦٩ هـ . وهو الذي عبر عن فناء
والمجاهد في دماغ وعصارات غبار بأنها من قبيل النشاطات الخربة المرفقة في بعد الخيال
أعموص حصو بحيث لا يكاد العادي ينفذ عليها ويأخذها عن طهرها ، حتى يحكم
عنها بمساعدها للشرح ، وعلى قائدها بالكفر والضلال ، وهو أول من استحدث كلمة
« السكر » انظر حياة البروجية في الإسلام للدكتور محمد مهدي حمدي وانظر
صحاح الأنبياء للحمي ، وتذكرة الأولياء للعطار وغيرها من كتب التذكرة الصوفية

جاءه هاتف قائلاً . أيها الخائر في الطريق ، إن الله لا يهت لكل
شخص الطريق ، فقد اقتضت العزة الربانية ، أن يعتمد عن بابا كل
مكبر ، فما أن أضاء حريم عرن ، حتى أبعد الغافلين عن بابا ، وقد
ظلل الخلق منتظرين سوات وسوات ، حتى يسمح لوحد من ألف أن
يحظى بالرفقة .

المقالة السادسة عشرة

في قطع الطير للطريق

(١٦٠١ - ١٦٢٨)

من هول طريق ، بأوهت الطيور جميعها ، وسالت السماء من
أجحتها وريشها ، فقد رأوا الطريق غير معلوم نهديه ؛ ورأوا الداء وما
أنصح لهم دواؤه ، وعندما تهب ربح الاستمراء فيه ، فإنهم تمصم ظهر
السماء فيه ، وفي الصحراء بعد طاووس الفلك بلا قيمة يدون أدنى
شك . ومتى كان لطائر بحر في الدنيا ، طاقة لقطع هذا الطريق في أي
عصر أو أوان ؟

ما أن تملك الخوف الطير من الطريق ، حتى اجتمعوا جميعاً في مكان
واحد ، ومثلوا أمام الهدد بالترين أرواحهم ، حادوا جميعاً راحبين في
السير ، متحليين عن الطريق وأحدهم وقالوا :

يا عدلاً بالطريق ، لا يمكن التقدم إلى الاعتاب دون تأدب ، لقد
مثلت أمام سليمان كثيراً ، كما كنت تعيش في بساط الملك طويلاً ، وعرفت
رسوم الخدمة كلها ، كما حبرت موطن الأمن والخطر فيها ، وقد رأيت
الطريق كله من مرتفعه إلى منخفضه ، كما طوقت كثيراً حول العالم
بأسره ، وإنا نرى أن تكون هذه الساعة للمحضر والتأمل ، إذ أنت إنما
في العقد والحل ، فلتصعد المبرهه ، حتى تهيب لقومك راد طريقنا ،
ولتشرح رسوم وأداب الملوك ، لأنه لا يمكن اعتماداً على الجهل السلوك ،

(١) طاووس الملك كناية عن الشمس .

فهي قنب كل ما إشكال ، ويلزم للطريق كل دي قلب حال . وعندما
سألك عن مشاكلنا ، فإما نبحو بذلك تشبهات عن قلوبنا ، فأوحد أولاً
الحل لمشاكل قلوبنا ، حتى يكون أكيداً عزمنا ، وذلك لأننا نعلم أن
الطريق حد طويل ، كما لا يتصحح المسور وسط الشهات ، فرد فرع
القلب ، نبدأ المسير ، ونصع رؤوسنا على الاعتنا محيين عن الأحساد
والملوب .

بعد ذلك استعد الهدهد للكلام ، دعني كرسياً وبدأ في الكلام ،
وعندما رتقى الهدهد العرش لس التاج ، فكان سعيد الخط كل من رأى
وجهه ، واصطف مام الهدهد مائة ألف أو يريد من جمعة الطير في
صموف منتظمة ، وتقدم البلس والعمرية معاً ، نيشدا بصوتيهما وما أن
تقدم البلبل والعمرية ، حتى أشدا كمطربين أعذب لأحان . وما أن
تغيا بأحان عذبة في ذلك الرمان ، حتى ترددت أصداً عنانها في جميع
الأوحاد ، وكنت ومن صوتيهما إلى مسامع أي فرد ، تملكته الدهشة ونحل
عن سكوه واستقراره ، وسيطرت على كل فرد حالة ، فكان كل منهم بين
صحو وسكر ، بعد ذلك بدأ الهدهد الكلام ، فرفع الحجب من على وجه
المعاني .

المقالة السابعة عشرة

اعتدار طائر

(١٦٢٩ - ١٦٣٨)

قال له طائر . يا من له السبق ، بأي حق كان لك علينا السبق ؟
أنت تشبهنا ونحن مثلك تماماً ، فلم نشأ هذا التماثل بيننا ؟ أي دسب
افتقرته أرواحنا ، وأجسادنا ، حتى يكون الشرب المصفى من نصيبك ،
ولشئنا من نصيبنا ؟

قال (المدهد) أيها الطائر ، كان سببان ، يديم النظر إلي في كل
أوان ، وما حصلت على ذلك بذهب أو فضة ، وإنما تثنى هذه المكانة من
نظرة واحدة ، وإن تتحقق لشخص هذه الطاعة ، فكم يحاول إبليس
عرقبة تلك الطاعة ، وإن يفعل شخص إن الطاعة غير واجبة ، فستحس
اللثة عليه كل ساعة ، فلا تتحل عن الطاعة لحظة واحدة ، ولا تقم وربما
لا تفرزه من نفسك من طاعة ، فاقصر العمر كله في طاعة ، حتى تحظى من
سليان بظرة ، فإذا أصبحت مقبراً لدى سليمان ، فقد تحظى بأكثر مما
أقول .



حكاية (١٦٣٩ - ١٦٦٣)

قيل إن السلطان محموداً ، تفصل ذات يوم عن جيشه قصـ
وقدراً ، وكان يقود حصناً له سرعة الريح ، هو أي طملاً يجلس على
شاطئ البحر ، وقد ألقى الطفل شبابه في قاع البحر ، فقرأ السلطان
السلام وجلس إلى حواره ، وكان العلام يجلس عاية في الهم والحر ، إذ

كان قلبه حزينا وكانت روحه في وحس .

قال (السلطان) أيها العلام لم تبدو مهموماً ؟ إنني لم أر أحداً
مثلك معموماً .

فقال الغلام له : أيها الأمير ذو العصل الوفير ، إننا صبعة أطفال بلا
ولد في هذا الزمان ، ولك أم مفقودة ، ونحن عدية في المقر دون عائل ،
فمن أجل اسمك ألقى شاكلي ، وكل يوم أقيم هنا حتى المساء ، فإن
أصدد سمكة بكل مشقة ، فهي قوتنا - أيها الأمير - كل ليلة .

قال السلطان : 'تصل أيها الطفل المغموم أن أكون لك شريكاً ؟'

قبل الطفل ، وشاركه السلطان حيث لقي بالشبكة في البحر . وما
أن أمسك السلطان بشبكة العلام ، لأحرم أن صايد مائة سمكة في ذلك
اليوم ، فما أن رأى الطفل السمك وميراً أمامه ، حتى قال : ما هذا
الحظ ؟ إنني أعجب من نفسي ، فكيف أنت سعيد الحظ أيها العلام . إذ
وقع هذا السمك الوفير في شباكك اليوم !

فقال له السلطان : أيها العلام ، من تصل أبداً ، إن كنت على
معرفة بكيفية صيد السمك ، وبني كان حظك في هذا الزمان ، حيث كان
صائد سمكك هو السلطان .

قال هذا ، وامتطى صهوة خواده ، فقال للصغير : لتصعب بصيكتك
على حدة . فقال السلطان : حصاد ليوم لك ، وما يصطاد عدداً يكون
بي ، وصيدنا عدداً ستقوم به وحدك ، حيث لا أعطي صيدى لأحد .

عندما عاد السلطان إلى البلاط في اليوم التالي كان يفكر في أمر
الشريك ، فذهب القائد واستدعى العلام . وأجلسه السلطان على
العرش لماله من حق المشاركة ، فقال صاحب القصور : أيها السلطان إنه

شجاع مسكين فقال له السلطان - مهيا يكن من أمر ، فهو شريكنا ،
وما دمت قد قبلت ، فلا أستطيع رده ، قال هذا ونصبه سبطاناً ، فوجه
سائل إلى الصغير سؤالاً من أين سم لك هذا الكلام في النهاية ؟ قال
لقد أفلح الصرح وولى الحرب ، لأن صاحب الخط قد مر بي

حكاية (١٦٦٤ - ١٦٧٩)

قتل أحد ملوك مجرمات عاقباً له ، وفي مصر الليلة راه صوفي في
البلد ، رآه يبحول باسم في حصة عدد ، كان يبحول مسروراً أحياناً
ومتبجراً أحياناً ، فقال له الصوفي - فقد كنت للدماء سفاكاً ، وكنت يمس
ذليلاً أفاقاً ، فمن أين أحرزت هذه المدة ؟ إن ما فعلته لا يمكن أن يصل
بك إلى هذه المرتبة !

قال عندما سال على لأديم دمي ، مر في تلك الأوبة حبيب
المعجمي^(١) ، وفي الخفاء رمقي الشيخ سعرة من طرف عيني ، فاصت
هذا الشرف ومائة مثله بعرة تلك النظرة عني ، وكل من أصابته نظرة حظ ،
وفعت روحه في خطه واحدة عن مائة سر ، وإن لم يشمك أحد بنظرة ،
فكيف يتم لك معرفة حر يمين عن وجودك ، وإن كنت تكتر من الخلو
وحيداً ، فلن تستطيع قطع الطريق بلا مرشد ، فالطريق يلزمه مرشد ،
فلا تسلكه بمردك ، ولا تسلك هذا البحر عن طريق التحبب والعمى

(١) حبيب المعجمي كان يفرص بالربا في بداية حياته ، ثم تاب على يد حس البصري ،
وورد عن حس البصري أن لسانه كان أعجمياً ، ولم يكن جازياً عن العربية ، وقد
عوقب البصري من الله لأنه رفض أن يصلح وراء حبيب لعجمة لسانه
(انظر تذكر الأولياء ج ١ ص ٤٣ - ٤٨ ، وكشف المحجوب ، الترجمة العربية ج ١
ص ٢٩٧ - ٢٩٨) .

بل لا بد لك من شيخ في المسير ، حتى يكون ملاذاً لك من كل أمر
عسر ، وإن كنت لا تعرف الطريق من البشر ، فكيف يمكنك قطع
الطريق بلا دليل ؟ وليست لك عين بصيره ، كما أن الطريق ليست
قصيرة ، والشيخ في طريقك هو هادي مسيرك ، وكل من يكون في ظل
صاحب الخط ، لا يمكن أن يصبه مكرره في الطريق ، وكل من يسير على
الدوام في ركاب الحد ، يصبح الشوك في يده طاقة ويد

حكاية (١٦٨٠ - ١٧٠٧)

خرج السلطان محمود إلى الصيد ، ووجأه نتحي حاساً عن الجند ،
وكان هناك خطاب من يسوق حماره ، فسقط لخطب منه ووقف حريصاً
يبحث رأسه ، فرآه محمود عن هذه الحال . وقد سقط خطبه ، ووقف ديبلاً
كالخمر ، فتوجه إليه محمود وقال : أريد لمساعدته أيها الكسير السال ؟
قال : أريد أيها المارس ، فإن تساعدني ، فأني شيء في ذلك ؟ أفيد
أن ، ولن تصاب أنت بضر ، إنني أرى التوفيق في وجهك المشرق ، وليس
اللفظ عربياً عن كل ذي وجه مشرق .

ترجل السلطان من كرمه ، وممداً كالورد نحو الخطب ، ووضع
صاحب العظيمة الكومة فوق الحمارة ، وعاد بعد ذلك إلى حسيه مرة
أخرى . وقال بلجد ، إن خطاباً مسناً ، موجود هنا ومع حماره محملاً
بالأحمال . فانطلقوا الطريق عليه ، حتى يقع وجهه على وجهها ، فقطع
الجند الطريق على الشيخ ، حتى سمع بعد أمامه من طريق سوى طريق
السلطان ، فقال الشيخ لنفسه : كيف أقطع الطريق بحمار هربل ،
وأملني جيش عظيم ؟ ومع أنه كان يحشى رؤية لسلطان ، إلا أنه اضطر
أن يسير صوب السلطان .

وأخيراً قاد حمزة الحيل حتى قرب من السلطان ، وما أن رآه حتى
اعتراه الخجل ، إذ رأى تحت الخيمة وحها يعرفه ، فوقف في دلة وصراعة ،
وقال إهمي ، لمن سأشرح حالي ، وقد جعلت محموداً حمالي ؟

فقال له السلطان أيها الشيخ المهموم ، ما قصك ، سردها
أعلمي .

قال أنت تعلمها ، فدع هذه الموربة ، ولا تبدُ كالك 'عجمي ،
وكف عن المداعمة ! إني شيخ فقير أعمل خطباً ، أقضي سهاري ولي في
الصحاري أجمع الأشواك والخطب ، فأبيع الخطب واشتري الخمر
القمطر ، ألا تستطيع أن تكمل لي الرزق ؟

قال السلطان أيها الشيخ الكسير ، ما ثمن خطبك لأفدك إياه
ذهباً ؟

فقال أيها السلطان لا تشتر مني شمس بحسن ، قمر أبيعه
ورخيصاً ، فأعطني غرارة مكيئة بالذهب .

فقال الخلد . الصب أيها لأحمي ، إن هذا يساوي حنني شعير ،
فبعه بأثفه ثمن .

قال الشيخ : إنه يساوي حنني شعير ، ولكن الثمن مختلف لعظم
المشتري .

فحينها وضع السلطان يده على خطبي ، أحال أشواكي إلى مائة
روصة ، فمن يرد شراء هذه الأشواك ، فليشتر أقل شوكة منها بدينار ،
نقد شاكي اليوم بالعديد من أشواكه ، حتى جاء عطمنه ووضع يده على
شوكتي ، ومع أن هذه الأشواك بحسن الثمن ، ولكن بعص يده ، فهي
نيسوي مائة روح .

المقالة الثامنة عشرة

عذر طائر آحر

(١٧٠٨ - ١٧٤٢)

قال له آحر . ' يا المعين والرفيق ، إنني لا أستطيع قطع الطريق ،
إني عديم القوة شديد الوهن ، ولم يعرض هذا الطريق أمامي مطلقاً ،
إنه واد بعيد ، وطريقه عظيم المثلث ، لذا فإنني أموت في أول مرارته .
وما أكثر الجبال المحرقة في الطريق . إن هذا العمل ليس في مقدور كل
مخلوق ، وفي هذا الطريق تصبح مئات الألوف من الرؤوس كرات ، وما
أكثر أنهار الدم التي سالت فيه وفصست ، وفيه عجزت آلاف المقول ،
ومن ذا الذي لا يطأ طيء الرأس أمام السر ؟ وفي مثل هذا الطريق الذي
يسحب الرجال فيه بلا رياء ، وشاحاً على رؤوسهم من الخجل والحياء ،
ماذا يمتأني مني أما الضعيف غير العبار ؟ فإن أعزم على المسير ، أمت من
الألم والحسرة .

قال له اهدهد . يا من سيصيك امرل أكثر من هذا ، إلى مني
سيبقى قلبك في الأمر أكثر من هذا ؟ إذا كان لك حظ عسر في تلك الحياة ،
فسواء مت أم لا ، فكلا الأمرين واحد . الدنيا من أولها إلى آخرها دار
نحاسة ، يموت الناس فيها متعاقبين ، ومئات الألوف من الخلق يموتون
متأوهين ، وذلك من الألم في الدنيا وكأنهم ديدان صغراء . وإن كنا
سموت فيها متأوهين في النهاية ، فهذا أفضل من التألم في عيب
النحاسة . وإذا كان هذا الطلب خطأ منك ومني ، فهذا أمر مقبول كذلك
مني ، حتى ولو أموت من العم . وإذا كنت الأخطاء وميرة في الدنيا ،
فلتحيل أن هذا خطأ آخر كذلك .

إذا كان العشق مبعث سوء سمعة لأحد ، فهو أفضل من حرفي الكاس والحجام . وكثيرون من الخلق قطاع طريق ، يجرون وراء هذه الحيفة الدنيوية ، ولتعتقد أن العشق أقل من السرقة ، حيث أنه أقل غمًا بالنسبة لك من السرقة ، وكيف تجعل قلبك من هذا العشق بحرًا ، إن كنت بالسرقة بعشق الكل ؟ وإن يقل شخص إن هذا العشق عرور ، فكيف تحصل هناك ولم يدركه أحد قط ؟ وإن أقدم روجي في عرور هذا العشق ، يكن هذا أفضل من ربط القنب بالمركب والمتجر . ولقد رأينا كل هذا وبه سمعنا ، ولكن لم نتحل لحظة واحدة عن أنفسنا .

لعد صعب أمرنا بعمل البرية ، فما أكثر تاركي الصلاة الأدلاء منهم ، إن لا تمت عن أنفسنا ونظهر عن الخلق ، فلن نخرج أرواحنا صاهرة من الخلق ، وكل من لا يقطع صلته بالخلق كلية ، موته أفضل حيث لا يكون محرماً لهذه المحبة ، ومحرم هذه المحبة هو الروح البقطة ، ومن يجب بالخلق لا يكون حقيقاً بالطريقه ، فاحط فيه إن كنت خليفاً بأفعال الرجال ، ولا فلكن كالسوء ، وفي النهاية عن كل هذه المشاق تحمل ، وتعلم العلم ايقين ، حتى ولو كان هذا الطلب من باب المحال ، فهو العمل الحق ، وليس شيئاً هيباً ، الثمار تعلقو شجرة العشق فقل لمن توفر لديه العزم ، لترفع رأسك .

وإذا سكن العشق قلباً ، سارع القلب بالسيطرة على روح ذلك الشخص ، والرجل الذي تسيطر عليه هذه الآلام ، يخرج مضطرباً من بين المحبة ، ومن لا ينج لحظة من نفسه ، تقتله نفسه ثم تطالب بالدية ، وإن تعطه ماء ، فما أعطته إلا الأذى والعلة ، وإن تقدم إليه خبزاً ، هل يكون إلا خبزاً معجواً بالدم ، أما من كان في الصعصع أكثر عجزاً من السملة ، أمله العشق كل لحظة بقوة هائلة ، وإن يسمع إنسان في بحر الخطر والهم ، فكيف يستطيع أن يأكل كسرة خبز دون عم ؟

حكاية (١٧٤٣ - ١٧٦٢)

رحل الشيخ الحرقاني ^(١) إلى نيسابور ، فأصابه ألم الطريق كما أصابه الإعياء ، ففقد أسبوعاً داخل زاوية مرتدياً حرقة ، وكان في حاية الخوج دون مثوثة ، وما أن انقضى الأسبوع حتى قال : أيها الخالق ، لتصحني رغيماً ، ووقفني في قطع الطريق .

قال له هاتف : لتكس ولتطع في هذه اللحظة ، ميدان نيسابور عن آخره من الأتربة ، وعندما تكس ثواب الميدان عن آخره . مستجد نصف دانق ذهباً ، فاشتر بعد ذلك الخبز ، وأطعمه .

فقال : إن كنت أمك عربالاً ومكسة ، فلم كانت مشقتي من أجل الخبز ؟ إن كبدي خاوية من كل رمق ، فصحني - يا إلهي - لقوت دون مشقة ، ولا تسفك دمي .

قال الهاتف : إذا كانت الراحة لازمة لك ، فأكس الشراب لأن الخبز ضرورة لك أيضاً !

ذهب الشيخ وتحمل الكثير من المشقة ، حتى استدان من شخص الغربال والمكسة ، ثم كس التراب بسرعة ، وفي أسهابة وجد قطعة للذهب في آخر عربال ، وعندما وجد الذهب سعدت نفسه ، وأسرع صوب الخبار واشترى الخبز ، وما أن أعطاه الخبار خبزاً ، حتى سبي مكسته وضرباله ، فاشتعلت النار في روح الشيخ ، وسارع بالعذو ، وتعالى صياحه ، ثم قال : لا وجود لمن يشبهني في حيرني ، إنني لا أمك دهماً فكيف أدفع عنها دية ؟

(١) الحرقاني اسمه علي بن جعفر ، وكنيته أبو الحسن ، ولد بمدينة حرقان ، توفي عام ٤٢٥ هـ أو عام ٤٢٦ هـ وكان وحيد عصره وقبلة العلماء في زمانه ويسب في مصوره إلى أبي يزيد البسطامي (انظر ترجمة حياته بالتفصيل في تذكره الأوباء للعطار ج ٢ نشر بيكلسون ، طبع لندن عام ١٩٠٧ م . ص ٢٠٦ - ٢٥٥)

وأحيراً أصابه الخنود والولـه ، واعتكف في الخرابـة ، وما أن جلس
بالخرابة مهموماً غموماً ، حتى رأى عرباله ومكنسته معاً ، فرح الشيخ
وقال إلهي ، لم جعلت الدنيا تظلم في وجهي ؟ لقد جعلت خبري سماً
لروحي ، فقل : لسعد روعي ولیمص حزی !

فقال له الهاتف يا سيء الطوية ، لا يطيب الخير من غير إدام ،
فما أن وصعت أنت الحنيز وحده ، حتى زدت أما عليه الإدام ، فكأن
ممتناً .

حكاية (١٧٦٣ - ١٧٧٥)

كان هناك عاشق جياش القلب ، يسير علوريا والناس في أهـي
ثوب ، يقال إلهي ، جد على نجة محكمة ، واحمسي سعيدا ككل
البرية .

صاح به هاتف ، وقال : كي حذرا ، لقد أعطيت شمساً حامية ،
فاجلس فيها .

قال . يا رب ، إلى متى تصيبي بمذابك ؟ إن الجبة لا تعصل
الشمس لديك .

قال (الهاتف) امض ، واصبر عشرة أيام أخره ، حتى أهيك حبة
دون أن تلمظ بحرف آخر .

وما أن انقضت الأيام العشرة ، حتى أحضر إليه رجل ولعان آلاف
الرقاع مخبئة ، لقد أحضر إليه العديد من الرقاع ، لأن ذلك المحسن كان
في فقر مدقع .

وأخيراً قال ذلك العاشق : أيها العالم بالسر ، لقد حطت هذه
الأثمال ، فربما أفادتك ذات يوم ! فهل احترفت ملاسك في خرائثها ،
حتى وجب عليك خياطة تلك الرقاع معا ؟ وإن كنت قد خطت هذه
الأثمال وقمت بوصلها ، فمعنى تعلمت فن الخياكة ؟

العمى ليس سهلاً في اعتابه ، ويلزمك أن تكون تواباً في طريقه ،
وما أكثر الذين وفدوا إلى هذه الديار من بعيد ، فاحترقوا بناره وأصاءوا
بوره ، وما أن وصلوا إلى مقصدهم بعد عمر مديد ، حتى وقعوا في
الحسرة ، دون أن يرو المقصود



حكاية (١٧٧٦ - ١٧٨٧)

سلكت راحة الطريق إلى الكعبة في مسع سوات ، سلكته راحفة
عنى جسها ، فما أعظمها ! إنها تاج الرجال . وما أن اقتربت من الحرم ،
حتى قالت : لقد أتممت في النهاية حجتي ! وفي يوم الحج تمت وجهها
شطر الكعبة ، وقالت : يا ذا الحلال ، لقد قطعت الطريق رحفاً مسع
سوات طوال ، لقد رأيت يوماً كله هموم ، حيث طُرحت في طريقني
أشواك وأشواك ! فلما أن تمحي القرار في محرابك ، وإلا فدعني في
داري

ولعدم وجود عاشق لرابعة ، فكيف يمكن معرفة غدر صاحبة
الواقعة ؟

طللاً تداوم انطراف ببحر الفضول ، فإن الأمواج تتلاطم بين رد
وقبول ، ويُسمح لك أحياناً بالمشول إلى الكعبة ، وأحياناً يوجهونك نحو
الدير ، فإن تخلص رأسك من هذه الدوامة ، تزد راحة بالك كل لحظة ،

وإن تظل هذه السوامة ، فما أكثر ما تدور رأسك كالطلحونة ، ولن تجد لحظة تنعم فيها بالراحة ، إذ سيضطرب وقتك بسبب بعوضة واحدة .



حكاية (١٧٨٨ - ١٧٩٣)

سكن أحد العاشقين المساكين ركناً ، فذهب صوبه ذلك العرير^(١) ذو الشهرة ، وقال : إني أرى هيك كفاءة وفي كفاءتك سعادة وهناة .

قال كيف أجد راحتي لدى أي فرد ، ولا خلاص لي من البراغيث والذباب ؟ كم يؤلني الذباب طوال النهار ، كما لا ينمض لي جفن من البراغيث أثناء الليل لقد استمرت البعوضة في رأس التمرد ، فأصيب عقله بالحيرة ، وقببه بالعم ، فعلى تمرد زماني ، حتى يكون نصيبي من حبيبي عذاب الماموس والبعوض والذباب .



(١) العرير ورد في نفعات الأس الخلفي أن المميز كان أحد المشايخ المتقنين ، وقد جاءت هذه العبارة ، وجعلني يتحدث عن ذي النون المصري « فقد قال : توجه ذو النون إلى العرب صوب العرير وهو أحد المشايخ المتقنين » فقال له العرير إن كنت قد جئت من أجل تحصيل علوم الأولين والآخرين ، فليس هذا مبيولا ، فالخالق وحده يعلمه ، وإن كنت قد جئت لبحث عنه ، فهو موجود في أول حظوه حطوته .»

انظر : نفعات الأس الخلفي ص ٣٥

المقالة التاسعة عشرة

عذر طائر آخر (١٧٩٤ - ١٨٠١)

قال له آخر . لقد ارتكبت العديد من الآثام ، فكيف يستطيع شخص السلوك بهذه الآثام ، وبما أن لدياية ملوثة بلا ريب ، فكيف تليق بالسيمرع في جبل قاب ؟ وإذا أبعد نسان عن الطريق عنوة ، فكيف يستطيع التقرب من السنطون ؟

قال (المدهد) لا تكن يائساً أيها العاغل ، بل اطلب اللطف منه ، فهو دائم النوال ، فإن تلقى ترمك بسهولة وسرعة ، تردد أمورك تعقيداً ، يا من تمشي في غفلة . وإذا لم يحظ التائب بالقبول ، فكيف يصدق الله عليه نعمائه كل ليل ، فإن كنت قد أدبت ، فباب التوبة مفتوح ، فاحلب التوبة ، فلن يعلو هذا الباب . وإن نقبل في هذا الطريق صادفاً ولو للحظة ، تفتح أمامك مئات الفتوح على الدوام .



حكاية (١٨٠٢ - ١٨١٤)

لقد ارتكبت ذلك الرجل العديد من الخطايا ، ثم تاب خجلاً ، وعاد إلى الطريق من جديد ، وعندما شعر بقونه مرة ثانية ، نقض توبته واتبع الشهوات ، وهكذا جنح عن الطريق السوي مرة أخرى ، ووقع في ارتكاب جميع الآثام ، ثم أصيب قلبه بالفهم والكآبة ، وأصبح أمره من الخجل خاية في الصعوبة والشدة ، ولما لم يكن له نصيب إلا الضياع ، أراد أن يتوب ، ولكنه ما استطاع ، وأصبح أثناء الليل والنهار كمنحمة عن

المقلاد ، قلبه مغمم بالار ، وتسيل منه الدماء ، وإذا كان اغبار قد كسا طريقه ، فبدمعة غسل طريقه .

وفي السحر ناداه هاتف ، وأصلح امره وحمله موقفا ، وقال له يقول حائق البرية :

عندما تبت يا فلان أول توبة ، عفوت عنك وقلت منك التوبة ، وكنت قادراً ، ولكنني لم أحذك بالمعقوبة . وعندما نقضت توبتك النصح مرة أخرى ، مسحك مهلة ولم أكن عنك عاضبا ، ومحض خيال . أيها الجاهل - أن ترعب الآن ، في العردة مرة أخرى ، ولكن ، بعد ثانية ، فقد فتحنا الباب ، لقد أذيت أنت ، ونحز قد عفونا !



حكاية (١٨١٥ - ١٨٣٣)

كان جبريل ذات ليلة في السدرة ، يسمع صوت عبد في الخصرة يقول « ليك » ، فقال : إن عبداً يدعو الله الآن ، وأما لا أعرف ذلك الشخص الذي يدعوه ، وكل ما أعسم أنه عبد له مكانته ، حيث ماتت نفسه ، وحيي قلبه .

وأخيراً طلب (جبريل) معرفته في هذه الآونة ، فلم يدركه في السبع سموات ، فطاف بالأرض وركب البحر ، ولم يدرك منه شيئاً في الجبل أو في الصحاري ، فأسرع بالعودة صوت الخصرة ، فسمع مرة أخرى ، من يقول . « ليك » . فملكته الحيرة من شدة الغيرة ، فطاف بالعالم مرة أخرى ، وما أدرك هذا العبد فقال : إلهي ، أرشدني إلى طريقه ، فقال الحق تعالى : توجه صوت الروم ، وامض إلى الدبر حتى تعرفه .

ذهب جبرين ، فرآه هناك ، حيث كان يباحي الأصنام بذلة
وانكسر ، فانطلق لسانه قائلاً : إلهي : لتعرق تلك الحجب ، واكشف لي
ذلك السر . فهل تجيب بلطفك من يكون بالدير يباحي الأصنام ؟

قال الحق تعالى : إن له قلباً أسود ، لذا لا يعرف طريق الصلال
الذي سلكه ، وإذا كان قد أخطأ ذلك الحسيس من لغفلة فلا أسلك
طريق الخطأ معه وأنا في تمام المعرفة ، والأدأه الطريق إلى الخصرة ،
وسيتطلب لطفك له اعتذرة .

قال هذا ، وعدى روحه إلى الطريق ، فلهج لسانه بذكر ربه .

متى تدرك أن أصول تلك المنة ، هي السير إلى الاعتاب بلا عذر أو
علة ، فإن لم تدرك الاعتاب مطلقاً ، فلن يكون أي مقاصد أقل منك
اضطرباً ، إن الجميع لا يسلمون بالزهد ، كما لن يقبل الجميع بحو
اعتابه .



حكاية (١٨٣٤ ١٨٤٢)

كان رجل يسرع في الذهاب إلى بغداد ، فسمع صوتاً في الطريق ،
حيث كان شخص يقول : إنني أمتلك عسلاً وصباً ، وأبيع عاية في
الرحص ، فهل من مشتر ؟ فقال الصوفي : أيها الرجل الصور ، أنعطى
شيئاً بلا ثمن ؟ فقال : أغرب صي ، إنك أيها المجنون ربما غبول ، إذ
كيف يعطي إنسان لآخر أي شيء بلا مقابل ؟

قال هاتف : أيها الصوفي تقدم ، واحط خطوة واحدة من مكانك ،
فقد منحالك كل شيء دون مقابل ، وإن تطلب أكثر نعطك أكثر . . .

الرحمة شمس مشرقة ، ومورها يعم جميع الكائنات ، فانظر رحمة الله فقد
عاقب نبياً من أجل كافر



حكاية (١٨٤٢ - ١٨٥٠)

قال الحق تعالى : « لقد استعكث قارون متلهما حيث قال : « إن كنت
يا موسى مسعياً حملاً » فاجابه موسى : « لن تعطى حملاً واحداً ، إلا إذا
حاطبته خيطه بذله » .

فاستأصلت شاة الشوك من روحه ، وحلعت على صدره
حلقة الدين ، أما أنت يا موسى ، فقد أهكته بالعديد من الآلام ،
وجعلته دليلاً ، ووضعت رأسه في التراب ، فلو كنت حالمة ،
لاستمرأت تعذيبه .

إن من يرحم عذبي الرحمة ، يحمل أهل الرحمة أوبى نعمه ،
فبحلر فصله لا تنصب ، وهو من يصفح عن المسيء إذا أسدى الدم
والنوة ، وكل من يملك هذا العفو والصبر ، كيف يتعير من ارتكاب
معصية ؟ وكل من يعيب مرنكي الذنوب والمعصية ، يجعن نفسه في مقدمة
خيل الخيامة .



حكاية (١٨٥١ - ١٨٧٦)

عندما مات ذلك الرجل العاصي الأثيم ، قيل : احملوا تابوته إلى
قارعة الطريق ، أي رأي زاهد تابوت هذا الفاسق ، احترروا ، حتى لا
يصطر إلى الصلاة على فاسق .

وفي الليل رآه الراهب في المنام ، وقد احتل مكانه في الجنة ، كما بدا
وجهه مسلطاً كالشمس ، فقال له الزاهد : أيها العلام ، من أين لك في
النهاية هذا المقام ؟ لقد غرقت ما حييت في ألامث ، وتوثت بالخطايا من
رأسك إلى قدمك .

قال : لقسوتك رحمى الله ، أنا المصطرب الوله ، فانظر إلى
الحكمة التي تتولد من المحبة ، إنها تصنع الإنكر ، كما تصنع الرحمة
وفي ليله حالكة السواد كجباح عراب ، ترسل حكمته طفلاً ممسكاً بمصباح
وهاج ، ثم ترسل بعد ذلك رجلاً عاتية ، وتقول لها : اطعني مصباحه ،
وامضي ثم تمسك بالطفل وسط الطريق ، قائلة له : لماذا أطفأت
المصباح ، أيها الجاهل ؟

من ذا يمسك بالطفل بحاميه ، فإنه يعانيه بكن شفقة ورحمة . وإن
جاز أن يقتصر عمل الجميع على الصلاة ، لجاز أن تقتصر حكمته على
المجاز ، وإذا كانت حكمته لا تتم إلا هكذا ، فلا جرم أنه بلغ هذه المنزلة
هكذا .

في طريقه نوحه مئات الألوف من مظاهر الحكمة ، وكل قطرة من
تلك الحكمة بحر من الرحمة ، ودورة النهار والليل في هذه الأيام ، تتم
من أجلك ، أيها الغلام ، وطاعة الملائكة من أحلك ، والجنة والدار
صورة من لطفك وقهرك . وقد سجد جميع الملائكة لك ، وعرق الكل
والجزء في وجودك ، فلا تكثر من النظر بادرء إلى نفسك ، إذ لا يمكن
أن يوجد من هو أعظم شأناً منك

جسمك جزء ، أما روحك فهي كل الكل ، فلا تجعل من نفسك
عاجزاً في عين الدل ، فما أن رحل كلك حتى ظهر جزؤك ، وما أن ولت
روحك حتى بدت أعضاؤك . لا يفصل الحسد عن الروح ، ويكون

حرءاً مستقلاً ، ولا تفصل ارواح عن عالم الكليات ، ونكون عضواً مستقلاً . ولما لم يسلك طريق الوحدة كغير عدد ، فلا يمكن القول ببقاء الحرء والكل إلى الأبد ، ومئات القطرات من الرحمة ، تتساقط عليك حتى يزيد شوقه ، وعندما يأتي وقت رمة الكل ، فمن أجلت كانت حبة الكل ، وكل ما قد فعله الملائكة ، قد فعلوه من أجلك ، وهذا حصل القول . وسيشر الله سبحانه وتعالى عليك كل طاعتهم جميعاً

حكاية (١٨٧٧ - ١٨٨٤)

قامت العباسة (١) في يوم القيامة يمر الخلق من الميعة ، ونسود وجوه العصاة ودوي العفلة في ساعة واحدة ، من كثرة اقترافهم المعصية ، وسيبقى من لا يصيد لهم في حيرة ، وسيظل كل فرد منهم في اضطراب وحيرة .

والحق تعدى بطيحه كل الملائكة طوال مئات الألوف من السنين من الأرض حتى السماء التاسعة ، ثم يأخذ الطهر من هؤلاء الاطهار ، ونعم به عن الأدميين ، ويرفع صوت الملائكة صائحين أيها الخالق ، لماذا يقطع هؤلاء الخلق عينا الطريق ؟

فيقول الحق تعالى : أيها الملائكة ، إن كان هذا لن يصيبكم بالمصرة أو انقصة ، فمن الأفصل أب يصيد به الأدميون ، كما يلزم الخير دائماً للمجائعين

(١) العباسة يقول القاصي طباطبائي في تعليقاته على منطق الطهر المقصود به عباسة الطوسية ، والتي لم يرد ذكرها في كتب التذاكر ، ولم أجد ذكراً لها إلا في استنهادين لأقوالها ذكرهما العطاش في الحرء الأول من تذكرة الأروايات ، أتت الحديث عن ربيعة العدوية ، وذلك في صفحتي ٥٩ ، ٦١ . راجع . تعليقات القاصي طباطبائي ص ٣٠٩ من نسخة مطبوع الطهر ، طهران ١٤٣٧ هـ .

المقالة العشرون

عذر طائر آخر (١٨٨٥ - ١٨٩٦)

قال له آخر : دنني بنحت الجوهر ، وفي كل زمان أنقل من غصن إلى آخر ، أحياناً أكون فجراً ، وأحياناً زاهداً ، وأحياناً ثملاً ، وأحياناً أكون موجوداً ومعدوماً ، وأحياناً أكون معدوماً وموجوداً ، وأحياناً ألقى بنفسي في الحانات ، وأحياناً أشعل روعي بالمساجد ، وأحياناً يجيد بي الشيطان من طريقي لأمتع نظري ، وأحياناً تميدني الملائكة إلى الطريق بلا تأخير ، وهكذا بقيت حائر وسط هذين الأمرين ، فماذا أفعل ، وقد بقيت أسير البئر والسجن ؟

قال له المهدد : يا من تملكه الخيرة في الطريق ، هكذا صار حكم الله بالنسبة لجميع الخلق ، إن هذه الخصال موجودة لدى الجميع ، وقبلها وجد إنسان على صفة واحدة وإذا كان جميع الخلق أظهراً منذ البداية ، فلم كان بعث الأنبياء أمراً موعظاً ، وإن تكن ولوعاً بالعصاة فإنك تقبل إلى الإصلاح في يسر وسهولة ، وطالما لا تقوم نفسك أخامعة ، فمن يجد جسده راحة وسعادة .

يا من مكانك تنور الغفلة ، لقد أحاطت بك رغباتك من كل زاوية ، إن الدمع القاني هو أسرار القلب ، أما الشيع فهو صدى القلب ، وإن تكن دائم الاهتمام بنفسك الشبهة بالكلب ، فإنها تكون أصل من انحنت الجوهر .

حكاية (١٨٩٨ - ١٩١٢)

احتفى الشبي " فترة من بعداد ، فسيطر الاضطراب على حال
مريديه ، وبحثوا عنه كثيراً في كل مكان ، فراه شخص في بيت فسق
ومجون . وقد جلس وسط أولئك المعجزة دافع العيبين ، وشقة صادية ،
فقال له أيها العظيم السائح عن السر ، أهدا مكانك آخر الأمر ؟

قال : إن هؤلاء المعجزة المصفة ، سائرون في طريق معسى ،
وليسوا رجالاً ولا نساء ، وأن مثلهم ولكن في طريق الدين ، وليست امرأة
ولا رجلاً أكثر منهم ، لقد ترديت في لؤمي وحسبي . لذا إنني أحصل من
أدعيتي

كل من أثر روحه ، جعل خيته مهرشاً لخوان حبيبه ، واحتار دن
نفسه كالرجال ، وشتر العرة على لمساكين ، لكن إن ترعب في أن يكون
محط أنظار لخلق ، فأنت أسوأ من الصمم ، وإن ينماوت مدحك ودمك
لنفسك ، فأنت صانع صمم ، لأنها تقيم الصمم ، فإن تكن عبداً
للحق ، فلا تكن صانع صمم ، وإن تكن جديراً بالله ، فلا تكن زديراً ،
وليس هناك بين الخاص وانعام ، أفضل من مقام العبودية معام ، فكيف
عبداً ، ولا تدع أكثر من هذا ، وكمن رجل حق ، فالعرة من الله ، فلا
تبحث عنها لدى غيره ، وإن كانت مائة صمم تحتفي في داخلك تحت
الدلق ، فكيف تدعي أنك صوبي أمام لخلق فيأبى البحث لا ترند
أردية الرجال ولا تحمل نفسك مضطرباً على هذه الحال

(١) الشبي أبو بكر حميد ، مالكي الطبع ، كان أول مرة والياً على دومانة ، ثم
انصرف إلى الزهد ، اعتزل فترة بمسكني المحانبين ، وهو من صحاب الشفيعات ، به انتهت
أمرة بلعس كالخلاح عام ٢٤٧ هـ . انظر تذكرة الأولياء للعتاد ج ٢ ، شريكسون ليدن
١٩٠٧ م س ١٦٠ - ١٨٢

حكاية (١٩١٣ - ١٩٢٣)

ذهب شيخان إلى دار القضاء ، إذا كانت بينهما حصومة وجفاء ،
فانتحى سبها القاصي جانبا ، وقال لا يحسن من الصوفيين أن يتحاربا ،
إنكم ترتديان رداء التسليم ، فبادرا أصرونا هذا الخصام ، فإن كننا هن
حقا وحصومة ، فعليكما بالتحرد من هذه الأردية ، وإن كننا أهلا لهذه
الأردية ، فحصولتكما دليل على ما أمتا فيه من جهالة ، ومع أنني قاص ،
وست رجل معني ، إلا أنني أحجل تماما من ارتدائكما هذا الترفع .

من الأفضل لهما وصح قناع عني مرقعهم ، من أن يرتديا هذه
التزقعات ، فإن لم تكن رجلا أو امرأة في طريق العشق ، فكيف يمكنك
أن تحمل أسرار العشق ؟ وإن انتليت بقطع طريق العشق ، فالتق
أسلحتك لما أنت فيه من بلاء ، وإن كنت تدعي انعم عني حوص هذا
اميدان ، فعليك أن تسلم رأسك للريح ، وأن تتحلّى عن الروح ، والآن
لا ترفع رأسك بالدعوى أكثر من هذا ، حتى لا تفل في عرك هكذا



حكاية (١٩٢٤ - ١٩٣٩)

كان في مصر حاكم شهير ، فأعزم بهذا الحاكم رجل فقير ، وما أن
وصل جبر عشقه إلى الحاكم ، حتى استدعى العاشق الهائم ، وقال له
إذا كنت قد أصبحت عاشقا لسلطان ، فعليك باختيار أحد هذين
الأمريين ، إما أن تعادر هذه البلدة وهذا الإقليم ، وإما أن تتحلّى عن
رأسك فداء لعشقي . لقد قلت لك الأمر مرة واحدة ، وإما قطع الرأس
وإما الرحيل !

لم يكن هذا الرجل حليفاً بالأعمال ، لذا اختار الترحيل عن
الدير ، وما أن هم ذلك المقير بالدهاب متحلياً عن عشقه ، حتى قال
السلطان : اقطعوا رأسه عن جسده

فقال الخاجب : إنه لم يرتكب أي جريمة ، فلم أمر السلطان بقطع
رأسه *

فقال له السلطان : إنه ليس بعشيق ، إذا لم يكن صادقاً معي في
طريق العشيق ، فهذا كان يتصرف كالرجال ، لا اختار قطع الرأس في هذا
المحال .

كل من كانت رأسه أعر لديه من الحبيب ، فإن مزاولته العشيق
بالسبة له أكبر دنب ، وإذا كان قد اختار قطع الرأس ، لأصبح أميراً في
هذه المملكة ، ولصير ملك العالم تبعه ، ولتأدب أمت إلى خدمته ،
ولكن ما كان مدعياً في عشقه ، فقطع الرأس علاجه ، وكل من يتشدد
بعشقي ، فهو مدع وعاية في النفاق . وقد مرت بذلك حتى يفلل كل مدع
في عشقنا ، من التفاخر كدماً بعشقنا

المقالة الحادية والعشرون

عذر طائر أحر (١٩٤٠ - ١٩٥٤)

قال أحر له : إن نسي بي حصيم ، فكيف أقطع الطريق ، ورفيقي
لهن زعيم ؟ النفس كالكلب لم تطع بي أمراً مطلقاً ، ولا أعصم متى أحرر
روحي من ريقها . إن دثت الصحراء معروف يدي ، ولكن لا علم لي
بهذا الكلب المدلل لدي ، ولقد تملكسي العجب من عديمة الوفاء
والصحة ، فإلى متى تظل حائمة في طريق المعرفة ؟

أحابه لهدهد خير جواب ، حيث قال : يا من استمررت فبكث
بالسوم ، ويا من جددك الكلب أشد حدع ، حيث وطئت كالتراب تحت
أقدامه ، نمسك حولاء وعرواء ، وهي كلب وكذلك عاحرة وكافرة ، فإذا
مدحك إنسان وأطراك ، فهذا كذب ، ولكن نمسك بسر بهد الكذب ،
فلا داعي لأن نهتم بشبهة الكلب ، إذ أنها تسمن هكذا بالكذب

في البداية يكون الجميع بلا حاصل ، فهم إما طعل وإما عديم
القلب ، وإما عاقل . وفي الوسط يكون الجميع عديمي المعرفة ، ففي
الشباب شعبة الخنوع وفي النهاية عديم يكون الرجل المس حقيقاً
بالأعمال ، تكون روحه قد أصبحت حرفة ، وحسده أسير الهزال . إن
كنت تزين عمرك هكذا بالجهل ، فكيف تود أن هذه النفس الشبيهة
بالكلب ؟ وإذا كانت الغضة من البداية إلى النهاية ، فلا حرم أن تحرج
منها بلا حاصل .

ما أكثر عيد هذا الكلب في هذا العالم ، ولعل نهاية كل شخص

أن يكون عبداً لهذا الكلب ، لقد ماتت آلاف العلوب من العم دائماً ،
وهذا الكلب الكافر لم يمت لحظة

حكاية (١٩٥٥ - ١٩٥٨)

عاش حفار قبور عمراً مديداً ، سأله سائل لتقل لنا أي بادرة ،
لقد قصيت دهرأ طويلاً في حفر القبور ، أما رأيت شيئاً من العجائب
نحت الثرى ؟

كان ما رأيته عجيب كل العجب ، وهو أن نسي الشبهة
بالكلب عاشت سمير عام ، ويا للعجب ، نرى حصر المبر ، ولم نمت
ساعة ، كما لم تطع لي امرأة لحظة

حكاية (١٩٥٩ - ١٩٧٢)

دات ليلة قالت العاسه أهب المحاصرون ، إن الدنيا تغص
بالكافرين ، كما أن جمعاً من الكافرين الضمولىين ، يدعون الإيمان عن
طريق التصديق ، فإن كان حدوث هذا في حيز الإمكان ، فلم كان نحت
الأنبياء العديدين ؟ ولما أن تشع هذه النفس الكافره لإسلام دات لحظة ،
ولما أن يصيها الفناء وما استطعوا من هذا ، وهذا جائر ، وإلا فلم
شئ هذا التماوت بين النفس ؟ طدا نزل في حكم النفس الكافرة ، فلما
نرمي هذه الكافرة في داحلنا ،

هذه النفس الكافرة التي لا تطيع أمراً ، متى يمكن أن يكون قتلها
ميسوراً ؟ وإذا كانت النفس نحت العود من كل جانب ، هل يكون عجباً

أن نريد من انفسنا . الفس فارس هذه المملكة ، ولكن انفس الشبهة
بالكلب يدبته طوال الليل والنهار ، ومهما يسرع الفارس في الصيد ، فإن
الكلب يسرع في إثره . وكل ما استمده الفس من حصرة الأحباب ، قد
استمده الفس كذلك من القلب . وكل من يوفق في قتل هذا الكلب ،
فإنه يوقع الأسد في الشبك في كلا الحدين . وكل من جعل هذا الكلب
حاصعاً له ، لن يدرك أحد قط تراب حدائه . وكل من استطاع أن يفيد
هذا الكلب بقيد متبر ، يكون تراه أفضل بكثير من دماء الآخرين

حكيية (١٩٧٣ - ١٩٩٤)

صار صاحب الثوب المهلهل شيخ هريفة ، فرآه ذلك السطبان
مخافة ، فقال : أيها أفضل ، أن أم أنت ، يا مرتدي المرقعة ؟ فقال
الشيخ : صه أيها الحامل ، إن مدح أنعنا ، انعدم الطريق . فمن يمدح
نفسه ، انعدمت بصيرته . ولكن إن وجت الإجابة ، فأني فرد مثلي ،
أفضل من مائة ألف مثلك بلا ريب . ذلك لأن روحك لم تدق طعم
الدير ، كما جعلتك نفسك حمداً ، ثم سيطرت عليك 'يها الأمير ،
وأصبحت تحت وطأتها وكأنك أسير ، والحمت رأسك أساء النيل
والنهر ، ووقعت في الرعدة إطاعة لما تصدره إليث من أوامر ، ومهما
أمرتك يا عديم المروءة ، فانت تسارع بالقيام بأوامرها ونومها

أما أب فعندما أدركت ما للقلب من سر ، جعلت نفسي
الشبهة بالكلب حماري . وعندما أصبحت نفسي حماري ، ركبها ،
فالفس الشبهة بالكلب تملوك ، وأن أعلوها . وعندما يمتطيك حماري ،
فمن على شاكلتي بعصل من على شاكلت مائة ألف مرة

يا من تطرب من نفسك الشبهة بالكلب ، إنها منلقى فيث نار

الشهوة ، وبار تلك الشهوة تسلك ماء وجهك ، كما تسلب نور قلبك
وقوة بدنك ، ويصيبك العمى والصمم والشيخوخة ، وكذا نقصان
العمل وصحة الذاكرة .

تسير مئات الخيوش واحدا كعبيد خلف أمير الموت ، وطول الليل
والنهار يواصل الجيش المسير ، أي أهم على النوم في إثر هذا الأمير ،
وإذا كان أحيش يتقدم من كل صوب . يستنقذ من الطريق وكذا يمسك
الشيعة بالكلب ، ولقد ربطت سعادتك بالنصر الشيعة بالكلب ،
وتقصي عمرك في عشرينها على الدوام ، فقيدت نفسك بهذه لعشرة ووفعت
كذلك تحت ربقته ، وإن يلتصق حولك سلطان وحشم ، يستنقص عن
الكلب ، وينفصل عنك هذا الكلب ، وإن تنفصلا عن بعضكما هـ ،
فستشقى بالفرقة ! ولكن لا تخزن إن لم تنفصلا هـ سويًا ، وذلك لأنكما
سعيان في النار سويًا .

حكاية (١٩٩٥ - ١٩٩٨)

حين التقى هذان الثعلبان ، تراوجا بعد طول عشرة ، ثم ذهب
ملك إلى الصحراء مصطحبا هذا وصقرا ، ولقى شياكه عن هذين
الثعلبين ، فكانت الأنثى تسأل الذكر . أيها الباحث عن الثقب ،
لتصل ، إلى أين يصل في النهاية ؟ قال . إن كنا لنا من العمر ثمانية ، هي
دكان المراء بالمدينة .

« المقالة الثانية والعشرون »

عذر طائر آجر (١٩٩٩ - ٢٠٠٦)

وقال له آجر : لقد قطع عبيّ إبليس الطريق أثناء الحضور ، بما ألقاه في قلبي من رهو وعرور ، ولأنني لا أستطيع مغالبتة ، فقد ثار الاضطراب في قلبي من عب ، فكيف أستطيع النجاة منه ، وتكون لي حياة من آجر المعنى ؟

قال (لهدد) : ما دامت هذه النفس الشبيهة بالكل أمامك ، فهل يمر إبليس مسرعاً من صدرك ؟ حدّاع إبليس قد أليس عليك ، حتى أن ترواته قد تولدت فيك واحده واحده ، فإن تحقّق لعيسك رعة واحدة ، فإنها تولد بداخلك مائة إبليس والسلام ، وموقد حمام الدنيا الشبيه بالسجن ، قد أصبح كله من إقطاع الشيطان ، فكيف يدرك من إقطاعه ، حتى لا يكون له أي صلة بك عن الإطلاق



حكاية (٢٠٠٧ - ٢٠١٤)

ذهب عاص صوب عابد في صومعة ، واشتكى كثيراً من إبليس ، حيث قال : لقد قطع إبليس عليّ الطريق بنليسه ، كما أفسد على تديبي بوقاحته .

فقال له الرجل : أيها الشاب العرير ، لقد جاء إبليس قبلك أيضاً ، وكان يشنكي وهو مستاء منك ، كما وضع لترااب على رأسه بسبب

طعمك ، وهل : إن الدنيا جميعها إقطاعي ، ومن يعاد الدنيا ، فليس حليماً بي ؛ فهل له : امص في طريقك ، ركع يدك عن إقطاعي ، حتى لا يكون لإنسان قط أي صلة بك ، فكل من نرج من إقطاعي بالتمام ، لا يكون لي معه أي أمر والسلام

حكاية (٢٠١٥ - ٢٠٣٧)

قال ذلك العرير لما لك بن دينار^(١) ، إني لا أدرك حالي ، فهل أنت كذلك ؟ إني أطعم الخبز على حواد الخي ، ثم أهد جميع أوامر الشيطان

قال مالك بن دينار أيها السر الكريم ، لقد صاد الشيطان الكثيرين مثلك ، كما انتزعك الشيطان من الطريق ، فهدمت أحول ، ولم يبق لك من الإسلام غير القول . وقد أصبحت أسير الدنيا لدنية ، وعلا العبار مفرقت وكأنك جهة ، فإن كنت أقول لك تحل عن الدنيا ، إلا إني في هذا الإمان أقول لك . احرص عليها . لقد أسلمتها كل حقد كان لك ، فكيف تستطيع الحل عنها بسهولة من يدك ؟

يا من عرق في بحر الطمع مما به من عفة ، إنك لا تعلم من أجل أي شيء ستعمر . لقد لبس العالمان رداء الماتم ؛ ويدركان الدمع ، وأنت ما رلت تتردى في معصيتك ، لقد سلب حب الدنيا دوق إيمانك ،

(١) مالك بن دينار من كبار مشيخ هذه الطريقة ، ولكنه كان عبداً كانه ، فكان يبهو ويبت كثير كعادة أقرانه ، حتى جاءه هاتف وقال له : مالك مالك لا يوب ، فكف يده عن هذا كله وجاء إلى المحسن البصري وطلب على يديه
راجع ترجمته كاملة في تذكرة الأولياء ج ١ ص ٣٦ - ٤١
وفي كشف المحجوب للهجويري ، الترجمة العربية ص ٢٩٨ - ٢٩٩

كما سلب الطمع في هذا وداك رويحت .

ما الدنيا إلا وكر للحرص والطمع وهي ما تبقى عن قرعور
والنمرود (١) . أما قارون فقد مضى وولى . كما أصيب شدداد بالشدة
واسحة . وقد كان الحق تعالى إن اسمها المانية ، إلا أنك تردت في
شباكها ، وطما لحمتك أدى هذه الدنيا الدنية ، فسكون خيفة في هذه
الفانية ، وكل من يصيبه الضياع في درة من هذه المانية ، منى يستطيع أن
يكون حليماً بالرحلة ؟ وستفى طوان الليل والنهر حائراً ثملاً ، حتى
تدك الفانية بأي عور ، ولكن من يتحد لحظة مع الدب ، يصبه النقصان
كثراً في الدنيا . .

ما عمل الدنيا إلا مطالة ، وما البطالة إلا أسر لجميع ، وما الدنيا
إلا نار موقدة ، إذ تحرق العديد من الخلق في كل لحظة ، وعندما يرداد
لهيب هذه النار ، فمهما كان الرجل شجاعاً ، فهو يولي منها المرار . فكس
شجاعاً وأعمص عيك عن هذه النار ، وإلا فأحرق بصيت كالصراشه بهذه
النار ، وكل من عبد النار كالمرشة ، فحدير نال الممرور الشمس أن
يحرق ، وهذه النار تحييت من كل جهة ، وسحترق بها كل لحظة ،
هانظر حتى تعرف أين مكانك وحتى لا تحرق مثل هذه النار رويحت



(١) النمرود بن كنعان من نسل نوح عليه السلام ، وهو الذي برزت في
حقه الآية الكريمة : ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله خلتاً وهو نللاه من
لجأت وهم الذي أمر بإحراق إبراهيم الخليل بعد تحطيمه صنمهم ولكن الله أنجاه من تلك
النار
راجع حصص لأسياء للشعالي . وتلويح لمن الأثر . وحصص الأسياء خلف عبد العادر
ص ٣٩ - ٤٥

حكاية (٢٠٣٨ - ٢٠٤٦)

قال أحد السادة وقت الصلاة ، إلهي ، امحى التوفيق والرحمة .
فسمع والده هذا القول منه ، وقال . إنك تعمل في الرحمة على عمل منه ،
إن الدنيا لا تتسع لك من فرط دلالك ، كما أنك في كل زمان تبختر مدفع
من كبريائك ، لقد شيدت قصراً يناطح الملك ، وريست جدرانہ الأربع
بالذهب ، واتخذت عشرة غلمان ، وعشر جوار ، فكيف تكون الرحمة بين
هذه الخشب الكثيفة ؟ فتنبه ، فعلى الرغم من كل هذه الأعمال ، فلك
حق طلب الرحمة ، فليملكك الخجل . وإذا كان نصيبك مثلي رعيماً
واحداً ، ففي تلك الأونة يكون لك حق في الرحمة ، وإن لم تحول وجهك
عن الملك والمال ، فلن تنفي لك زهرة واحدة بأي حال ، فأشع بوجهك في
هذه الساعه عن الكل ، حتى تصرغ كالرجال من الكل .

حكاية (٢٠٤٧ - ٢٠٥٠)

كان رجل متدين ، إن جماعة من السملة قد حولوا وجه أحدہم أثناء
احتضاره إلى القبلة . قبل ذلك كان يحب أن يحول وجهه ذلك الخهل إلى
القبلة على الدوام ، إذ ما جدوى أن تررع الغصص في الحريف ؟ وكذلك
ما جدوى أن يحول الوجه الآن إلى القبلة ؟ لأن من يحول وجهه في تلك
الأونة ، يمت جنباً ، فلا تبحث عن الطهر لديه .

المقالة الثالثة والعشرون

عذر طائر آخر (٢٠٥١ - ٢٠٧٨)

قال أحمر له : إني أعشق الذهب ، حتى أصبح عشق الذهب في جسدي كاللهب ، وإن لم تكن في يدي ورده ذهبية ، فإني لا أستطيع الاستقرار كوردة متفتحة ، فعشو الدنيا وذهبها بالسوسة لي ، جعلاني مفعماً بالدعوى خلياً من المعنى

قال (أهدد) : يا من تملكته الحيرة من الصورة ، لقد احتفى من فلك صبح الصفا لقد بقيت في عمى ليلا وسهراً ، كم بقيت كالجملة للصورة أسيراً ، فكأن ربح معي ، ولا تردد في عالم لصورة ، فابعدى هو الأصل ، وعدم تلك الصورة ولذهب ما هو إلا حمر طلي بلون ، لذا فأنت طفل ابتلي بالنور والذهب الذي يشعلك عن الرب ، ما هو إلا صتم ، فكأن حبرا ، وألقه في التراب

إذا كان الذهب لا تقاً بكان ما في لهاية ، فهو لائق مقفل فرح البس ، إن الذهب لا يتيح لك فرصة مصادقة أحد ، كما يسلك أي صبر ، وإن تعط مقدار حبة ذهباً إلى صوي ، فلما أنك تقتنه بذلك ، وإما أنك تقتل بذلك نفسك ، ونحب عليك ألا تشبه بعمر أو يزيد ، لأنك لو تعطي مقدار حبة ، لدمك مقام الخنيد (١)

(١) الخنيد كنيته أبو القاسم ولقبه قواريري ورجاج وحراز ، حيث كان والده يعمل بصناعة القوارير والرجاج والخرز ، أصبه من نهاوند ولكن مولده ومشاء في بغداد ، رحل من الدنيا عام ٢٩٧ هـ أو ٢٩٨ هـ ، أو ٢٩٩ هـ ، صاحب كلا من سري السقفي وحارث الجاسبي ومحمد المصباح ، مثل ذات مرة ، من العارف ؟ فقال من يطق عن شرك وأنت في مدينت

يكومة ذهب تصادق الخلق ، وهذه الكومة تكون لصاً موسرم
 الكف^(١) ويلرمث أن تدفع إيجار متحرك كل شهر ، ولكن أي محزن
 ذهب يلرمث ؟ لقد منى عمرك الغالي وكذا روحك العذبة ، حتى تكسب
 قدساً واحداً من دكانك ، فيما من يعطي كل شيء بلا مقابل ، هكذا أوفقت
 قلبك على الكل ، ولكن يلرمني العصر ، فإن الرمان بلا شك ، سيسحب
 سلحك من أسفل المشقة ، أنت غريق في الدنيا ، وكان يلرمث أن تكون
 غريق الدين ، ولن تلتقي أيها العزيز الدنيا مع الدين مطلقاً ، إنك
 تبحث عن الفراغ في دار المشقة وعندما لا تجده ، متصبات بالعمه
 والمهوم . .

أنفق كل ما نملك ، وفي كل اتجاه ، فلن نالوا البر حتى تنفقوا ،
 ويجب التحلي عن كل ما هو موجود ، بل يجب التحلي عن الروح كذلك ،
 فإن لم تستطع التحلي عن الروح ، فلن تستطع التحلي عن المال والملك ،
 حتى ولو كان محمدك من ثوب خلق ، فهو بالسبب لك عقبة في الطريق ،
 فأحرق هذا الثوب أيها العارف بالحق ، وإلى متى تخضع الحق بدوئله
 الثوب الخلق ؟ فإن لا تحرق ذلك الثوب ما خوفاً عليه ، فكيف تصل في
 العد عالياً إلى ساعة اخشع العظيم ، فما أكثر ما تتعلق به في الدنيا ،
 وسيصبح كل منها حجراً حاداً مصوباً إليك

ويل لكل من أصبح أسير نفسه ، حيث يضيع في الحشرات من
 رأسه إلى قدمه ، أيها الغلام إن كلمة (او) تتكون من حرفين هما الألف

^(١) انظر فصحى الأس لحسن طبع طهران ١٣٣٦ هـ ص ٨٠ - ٨٣ ، والرسالة القشيرية طبع

الماهرة ١٣١٩ هـ ، ص ٣٠ - ٣١ :

(١) من عادة العرب رسم النصوص على اكتشافهم - جنوساً دي قسبي الرحمة

الفرنسية تطلق الطير ، طبع باريس عام ١٨٦٣ م هامش ص ١١٢ ، ويضيف باللا
 وكانت الحال كذلك في فرنسا إلى عهد ليس بالحميد .

والوار : وأنا أرها في كلمتي « حاك » و « حون » ١١ عن الدوام . فانظر
الوار وقد استقرت وسط كلمة « حون » ، وانظر الألف وقد استقرت ذليلاً
وسط كلمة (حاك) .



حكاية (٢٠٧٩ - ٢٠٩١)

ملك أحد المريدين الحديد قليلاً من الذهب ، وكان يخفي عن شيخه
هذا الذهب ، لكن الشيخ كان يعرفه ، ولم يقل شيئاً ، طالما ظل الذهب
في الخفاء ، ثم ذهب المريد وشيخ الطريق معاً في سفر ، بدأ واديهما
أمامهما جد مظلم ، ثم وصح في هذا الوادي طريقان ، فتعلك الخوف من
ملك الذهب ، حيث جمعه الذهب يبدو كذليل مضطرب ، فسأل
الشيخ لم وصح أمامنا طريقان ؟ وأي طريق نسلك في هذا المكان ؟

فقال (الشيخ) : تحمل عن كل معلوم ١٢ لديك ، لانه خطأ ، وأي
طريق نسلك فهو مقبول جائز ، فإذا كان لإنسان أن يعادي الفضة ،
فسرعان ما يمر الشيطان خوفاً منه ، ولكي تتبين ما الخردلة من الذهب
الحرام في يوم الحساب ، يلزمك أن تكون دقيقاً دقة من بقدر الشعرة وقد
عدت ثمانية إلى الدين كحجار أعرج ، ووضعت يدك تحت الأحجار بلا
جدوى ، وإن تقبل على السرقة ، فأنت شيطان ، وإن تقبل على الدين ،
فأنت سلطان وكل من قطع الذهب الطريق عليه ، ضاع في الطريق .

(١) حاك : يحس ترابه وحرك : يحس دم .

(٢) المقصود من مصطلح « المعدم » لدى الصوفية ، وأمل العرمان هو الذهب والفضة
وكل ملك في الدنيا . وهذه كلمة كثيرة الاستعمال على ألسنتهم تعليقات القاصي طباطبائي
ص ٣١٠ من نسخة مطبوع الطير طبعة ١٣٤٧ هـ .

وظل معيداً أسير البئر ، فباثبيهاً بيوسف تحبص من هذه الشر العميقة ،
ولا تنطق بحرف ، فهذه الشر لها فوهة عجيبة .



حكاية (٢٠٩٢ - ٢١٠٥)

ذهب شيخ البصرة^(١) عبد رابعة ، وقال . يا من أبت في
العشق صاحبة الواقعة ، قولي طرفة لم نسمعها من أحد ، ولم تفرئها عن
أحد ولم تشاهدتها ، فلك بهاء أكثر منا أجمعين ، فها نوب ، فكم
تشوقت روحي .

قالت رابعة . يا شيخ الرمان ، لقد سجت حبلاً مرات ومرات ،
وحكته وبعته ، هسر قلبي ، إذ كانت حصيلتي خرهمين من قصة ، وما
أمسكت بالأنثى معاً في قبضة واحدة ، بل أمسكت أحدهما في هذه اليد
والأخرى في تلك ، ذلك لأنني خشيت إذا اجتمعت نطعتا القصة ، ألا أدام
خرفاً من اللص .

عابد الدنيا قلبه وروحه مليشان بالمهموم ، وتعرض طريقه مثاب
الآلوف من العقبات الحسام ، ودواماً تبحث يده عن إحرار قطعة ذهب
عن طريق الحرام ، وما أن تصل يده إلى إدراكها ، حتى يموت والسلام
ثم يكون الذهب لوارثه حلالاً ، أما هو فقد يظل الذهب بالسبية له
وبالآل .

(١) المقصود به حسن البصري وهو أبرز شخصيه في مدرسة البصرة التي كانت متأثرة
بلى حد بقلقة عند ولاسيما في الناحية العلمية من التصوف ، ولد بعدد عن الاشتغال
بالسياسة انظر - التصوف الثوري الروسي في الإسلام ، للدكتور أبي العلا عيسى ،
ص ٨٧ ، راجع ترجمته كاملة في تذكرة الأولياء للعطارد ١ ص ٢٢ ٣٥

يا من يعب السيمرغ بالذهب ، سيحترق القلب كالشمعة بحرق
الذهب ، إذا كانت هذه الطريق لا تتسع لشعرة واحدة ، فكيف تتسع
للمسرة والذهب والفضة ؟ وإن نضع قلبك في الطريق ، يا شبيهاً
بالحملة . فمن العسير عليهم أن يتزعوا شجرة واحدة من رأسك ، وإذا
لم تكن هناك بادرة أمل في رؤية الأحة ، فليس لشخص قدرة على البقاء
هذه اللحظة .



حكاية (٢١٠٦ - ٢١١٩)

ذلك العابد الذي مال السعادة من الله ، قد ظل أربعاً وثلاثين سنة في
عبادة الله ، حيث امرل الخلق ، كما كان يحدث الله بالسر الخفي من وراء
الحجب ، فكان الحق قريبه ، ولا قرين له غيره ، وكما أن الحق كان
قريبه . .

وكان لهذا العبد بستان تتوسطه شجرة ، وقد اعتش طائر عن هذه
الشجرة ، وكان الطائر عذب الألحان جميل الصوت ، وكل لمن يحيط بمجاعة
سر ، فوجد العبد في جمال صوته ، بعض الأس في صحبته

أخيراً أوحى الحق لرسول ذلك الزمان ، بأن يقول لحدث الخلق
بالأعمال : ألي الهية وب للعجب ، جعلت طاعتك هكذا أساء الليل
والنهار ؟ كنت تحرق السير شوقاً إلي ، حتى بعثني في النهاية بطائر . إذا
كان الطائر غاية في العطنة والذكاء ، فقد خدعت في النهاية بصوته ، أما
أنا فقد اشتريتك وعلمتلك ، فإذا بك تبغي نتيجة الحسنك ، ولقد
أحرقك بيد الأوس والألفة فبمن تعلمت هذا الوفاء ؟ إنك تبغ غاية في
الرخص ، فلا تعمل ، وقد أصبح رفاقاً لك ، فلا تكن بلا رفيق



« المقالة الرابعة والعشرون »

عذو صائر آخر (٢١٢٠ - ٢٢٢٩)

قال له آخر : إن عيني مغمم بالنار ، وذلك لأن مسقط رأسي مكان جميل ، إنه قصر مطلق بالذهب ، يبعث في القلب المسرة ، كما أن النظر إليه يمسك الخلق البهجة ، وما أتمتع به من سرور يانع كله منه ، فكيف انزع القلب منه ؟ لقد أصبحت منك أطير في ذلك القصر الشاهق ، فكيف أتحمل في النهاية هذه المشاق ؟ فإن أتنازل عن كل هذه السطنة ، فكيف أعيش بدون مثل هذا القصر ؟ وأي عقول تخلى عن جنة إدم ، ليختار في السفر المشقة والألم ؟

فقال (اهدد) يا عديم الممة ، وعديم الشهامة ، ما أنت إلا كلب فوق موقد ، فماذا يتأني منك ؟ وما الدنيا إلا هذا الموقد ، وما قصرك إلا جزء من هذا الموقد ، وإذا كان قصرك جنة الخلد ، فقد تحوّل مع الأجل إلى سجن المحنة . وإن لم يكن الموت مسلطاً على الخلق ، لكان استقرارك في هذا القصر من اللائق .



حكاية (٢١٣٠ - ٢١٤٤)

شيد ملك قصراً مطبياً بالنصار ، وألفى عليه الكثير من الدنانير ، وما أن أصبح ذلك القصر شبيهاً بالحنة تماماً ، حتى نظمه بالفرش والتحف ، وكن من قدموا إلى القصر من جميع الديار ، أهلت عليهم

الخدمات من كل جانب ، ثم استدعى السلطان الحكهاء والندماء
واجلسهم أمامه ، وحلس هو على العرش ، وقال إن قصري على أي
حال ، لا يوجد ما يشوبه في عالم الحسن والجمال . .

فألوا جميعاً . إنهم لم يروا ، ون يرى أي فرد ، مثل هذا على وجه
الأرض ، ولكن زاهداً هض وقال أيها السعيد الحظ ، لقد بقي به
عيب ، وهو عيب جد حطير ، فإن لم يكن في هذا القصر ذلك العيب ،
لكان كقصر من قصور الفردوس .

قال السلطان . ولكي لم أرفيه أي عيب ، فلعلك تعرض أيها
الجاهل على الفتنة !

فقال الراهب . يا من يتعالى بالسلطنة ، عيبه أن عرثيل
سيمره . فإذا أنت فاعل مع هذا العيب الكبير ؟ وإلا فأية قيمة لقصرك
ونلجك وعرشك ؟ إذا كان هذا القصر شبيهاً بالجنة حساً ، فسيجمله
الموت يردد في نظرك قبهاً لن يحسد شيء قط ، وإذا كان هذا المكان
موجوداً الآن ، فلن يجلد أبداً ، فهل لهذا الأمر من حيلة ؟ فلا تماحر
بقصرك كثيراً ، ولا تركض جواد كبريائك وهو محوح وإذا كان هناك
شخص لا يقول لك عيبك ، وذلك هيبه من سلطانك ومكانتك ، فالربيل
لك .

حكاية (٢١٤٥ - ٢١٥٠)

شيد تاجر معتون ، قصرأ عالياً وقد طلاه بالذهب ، وما أن انتهى
من تشييده ، حتى دعا الجميع لمشاهدته ، فدعا خلقاً عديدين تنبه

وعُجِب ، لبروا قصره الجميل ، وفي يوم الدعوة كان الرجل المفتون يسرع
 الخلى هنا وهناك ، فرأه مجذوب قصاء وقدرأ ، فقال له
 إنسى أرغب في الإسراع لآلقي نظرة على قصرك ، يا عديم النصح ،
 ولكنني مشغوب ، فالتمس بي عذراً ، قال هذا ، ثم قال لا تنع نفسك
 كثيراً . .



حكاية (٢١٥١ - ٢١٧٢)

أرايت عكبوتاً لا يقر لها قرار ، إذ تفضي الوقت سابحة في عالم
 الخيال ؟ إنها تصنع شبكة عجيبة من هوسها إذ ربما تسقط ذبابة في
 حبالها ، وعندما تتردى ذبابة في هذه الحالة ، فإنها تقتصر دعاء شرايين
 تلك العريسة ، ثم تجدها في مكانها ، حيث تتخذها طوال فترة طعاماً
 لها . وبعاءة يهض صاحب الدار وقد أمسك بعصا في يده ، فيقوض في
 لحظة دعائم بيت العكبوت وكذا الذبابة . .

الدنيا ومن يرتزق فيها ، أشبه بذبابة داخل بيت العنكبوت ، فإن
 دامت لك الدنيا كلها ، فسرعان ما تصيب منك في غمضة عين ، وإن كنت
 بسلطتك في كبر وتعال ، بما أنت إلا طفل في الطريق تنلهي بحبال
 الظل ، فلا تطلب الملك ، إن لم يكن لك عقل حمار ، إذ يعطي الملك
 لندواب ، أيها الجاهل .

كل من يملك طلاً وعلماً ، ليس درويشاً ، إذ ليس له من عمل عبر
 الريح والصوت ، الريح في العلم ، والصوت في السطيل ، وتلك الريح
 وهذا الصوت لا يساويان أكثر من نصف دانق ، فلا تركض كالأبلق
 السحف هكذا ، ولا تتدلل في عرور سلطتك هكذا ، وسيسلخ النمر في

النهاية ، كما شئلت من نفسك بلا توان ، وإذا صح الحال في محيط
الرؤية ، فالضياع أفضل ، وإلا فالانتكاس رأساً على عقب ليس في
إمكانك التعالي والغرور ، فاخفض رأسك وإلام المخاطرة ؟ فيما أن
تطاطيء الرأس ولا تتظاهر بالسيادة مرة أخرى ، وإما أن تمتنع عن
المقامرة ...

يا من فصرك وحديثك هما سجنك ، إن ثروتك هي بلاء روحك ،
تخس عن الدنيا العرور ، وإلام تحوب الدنيا المليئة بالفجور ؟ فافتح عين
الهمة وتمحص الطريق ، وانظر إلى الاعتاب ، وامض في الطريق ، وإذا
ما أوصدت روحك إلى تلك الحضرة ، هل تشع الدنيا لك ، لما أنت فيه
من العظمة ...



حكاية (٢١٧٣ - ٢١٨٤)

كان رجل بحيل مهم يبحث الخطى ، قاصداً الصحراء حتى وصل
إلى صوبي هناك ، فقال : كيف تملك ، أيها الصوفي ، زمام أمرك ؟
قال : عن أي شيء نسأل في النهاية ؟ لتلتزم الحجل ، لقد عشت في
ضنك هذه الدنيا ، حتى ضاقت بي دنياي في هذا الرمان .

قال الرجل : إن ما قلته يجلي الحقيقه ، فهل ضاقت بك الصحراء
الشاسعة ؟

قال (الصوفي) : إن لم يكن هذا المكان صيقاً ، لما وقفت على ما
مطلقاً . إن وضعت وعوداً عديدة براءة ، فهذه علامة على أنه سيلقى بك
في النار المحرقة ، وما يترك إلا الدنيا ، فأبتعد عن هذه الذر ، وافعل كما
فعل الأنطال ، وكن حذراً من هذه النار . وإن تخيب عنها ملكك زمام

قلبك ، بعد ذلك يكون قصر السرور في متناول يدك الدار في المقدمة ،
والطريق حد طويلة ، والحسد ضعيف ، والقلب أسير ، والروح باهرة ،
أنت خالي الوفاض من كل شيء ، فأقبل على العمل واجتهد فيه .

إذا كنت قد حسرت الدنيا ، فقدم روحك بشاراً ، فمن تجد من
الدنيا اسماً أو أثراً وإن تركت الكثير ، فلن ترى شيئاً مطلقاً ، ومادام
أقول بعد كل هذا ، فلا يملكك الغضب مطلقاً

حكاية (٢١٨٥ - ٢١٩١)

كان هناك ' ملك مات مدة كده ، فعدم العصر والراحة والاستقرار
عنده ، وسار صاحب الماتم حلف للعش لا يقرر له قرار ، ثم صاح
متأوهاً . ولدي ، يا من مضيت ولم تر الديق ، كيف رحلت عن هذه
الدنيا ؟

سمع مجذوب هذا القول ورأى هذا الفحل ، فقال : لقد رأى
الدنيا مائة مرة ، وأنت إن ترعب في حمل الدنيا معك ، فتكون كمن لم
يرها كذلك ، وإلام تظن تطمع في هذه الدنيا ؟ لقد نصي العمر ، فمتى
تصعب دواء لهذا الداء ؟ وإن لم تتخلص من نفسك الخسيسة ، فسيفي
روحك العالية في السجاسة . .

حكاية (٢١٩٢ - ٢١٩٣)

كثيراً ما كان يحرق ذلك النافل الأحماد ، ثم يطلق في كل مرة زهرة
طرب واستحسان . فقال ذلك العرير المشهور لذلك الرجل : إلام تطلق
الزهرة والعود يهترق ألد ؟

« المقالة الخامسة والعشرون »

عذر طائر آخر (٢١٩٤ - ٢٢١٩)

قال آخر له : أيب الطائر العظيم القدر ، إذ عشق المحبوب القاني في الأسر ، فقد اعترض عشقه طريقى ، فسلبى عيلى ، وفعل معى فعله ، وأصبح خيال وجهه قاطع طريقى ، وأضرم النار في كل بيدري ، وبدونه لا يمكن أن يقر لي قرار لحظة ، والصبر عن هذا المعشوق كفر عني ، وإذا كان قلبي قد احترق بين الآلام والأحزان ، فكيف أستطيع سلوك الطريق أما الوهان ...

إذا كان هناك واد يجب سلوكه ، فهناك مئات البلايا يجب تحملها ، وبدون وجه ذلك الفمري الوجه ، كيف أستطيع سلوك الطريق ؟ إن دائي لا دواء له ، وأمرى خارج عن نطاق الكفر والإيمان ، وكفري وإيمانه من نتائج عشقه ، كما أن النار في روحي معش عشقه ، وإن أعدم المعين على هذا الغم ، فلا رفيق لي في العشق غير الغم ، وعشقه القاني وسط التراب والدم ، وأخرجني زلفتاه من عالم الحجب ، وعندما عدت القدرة معه ، فيأني لا أستطيع الصبر لحظة دون طلعتة ، ولقد غرق تراب طريقى في الدم ، فماذا أصنع ؟ وهذا هو حال قسبي ، فالآن ماذا أصنع ؟

(قال المدهد) : يا من بقيت أسير الصورة ، ويا من طللت أسير الهم من الرأس إلى القدم ، إن عشق الصورة ليس عشق المعرفة ، بل هو اللعيب بالشهوة ، يا حيواني الصفة ، إن أحمال الذي يؤرل إلى انفصال ، يكون في عشقه ليرحل كل خسران ، والصورة التي تزين بالأحلام والدم ، تسمى بعد ذلك بقمر التم . ولكن إذا هبت ألوان تلك

الصورة ؛ لما وجد أقيع منها في هذا العالم . ومن يكن حسنه من الأخلاق
والدعاء ، فأنت تعلم كيف تكون نهاية هذا الحسن .

ما أكثر ما طعت حول الصورة تبحث عن العيوب ، أما الحسن
ففي عالم الغيب ، فابحث عن الحسن لدى العيب ، وإذا سقط الحجاب
من أمام العمل ، فلن تبقي الديار ولا الدهار ، وتنسحق صورة الألفان
جميعها ، ويتبدل عز الجميع إلى ذل ، وعشق الصورة ، يأمن يبحث عن
اللعن ، يعادي بعضه بعضاً . أما من يعشق عالم الغيب ، فهذا هو
العشق الحق ، إذ يحلو من كل عيب ، فإن يقطع شيء غير هذا العشق
الطريق عليك ، فلي يكون هناك إلا قدم كثير بصييك . .



حكاية (٢٢٢٧ - ٢٢٢٨)

كان أحد المهومين يبكي أمام الشيلي ، وسأله الشيلي : لم هذا
البكاء ؟ فقال : أيها الشيخ ، لقد كان لي حبيب سلسي السروح ،
وبالأمس توفي ، فميت هماً وكمداً عليه ، وأصبحت الدنيا بمنونه عجالة
بالسواد أعمى . . .

قال الشيخ : إن كنت قد فقدت قلبك بسبب هذا ، فالنتيجة هذا
العم ، ولا يلحق بك أكثر من هذا ، وما عليك إلا أن تتخذ حبيباً آخر ،
حبيباً لا يموت حتى لا تموت عليه كمداً ، فالمحبة التي يصيبها نقصان
باللوث ، صدقتها تجلب للروح المهوم والمشقة . .

كل من اتل بعشق الصورة ، تخلف به المصائب من هذه الصورة ،

وسرعان ما تخرج تلك الصورة من يده ، فتتملكه الخيرة ، ويبقى أسير
حرته وكمنه ...



حكاية (٢٢٢٨ - ٢٢٢٩)

ملك أحد التجار الكثير من الأموال والعقار ، كما كان لديه جارية
شبهتها في حلاوة السكر ، ومعجاة باعها فرحلت عن الديار ، فتملكه
اليأس والفضول والصغار ، فذهب إلى سيدها وهو لا يقر له قرار ، ذهب
ليشربها ثانية ، بثمن يريد ألف دينار ، وقد أصيب بالحرقه أسمع هذه
المرغبة ، ولكن سيدها لم يبيعها ثانية ، فكان التاجر يهيم في الطرق على
الدوام ، وهو يثر التراب على رأسه ، وأخذ يوح قائلًا إن غمي لجد
عظيم ، ومن ذا الذي ابتلي بمثل هذا الغم ، إذ تملكته الحياقة ، وأغلق
عينه وعقله ، وباع بديار معشوقته ؟ كم زيتها نفسك يوم السوق ،
وطلبت لنفسك المصرة والمشاق ! .

كل نفس من أنفاس عمرك جوهر ، وكل ذرة منك لدى الحق بمثابة
مرشد ، ونعماء الحبيب تشملك من أولك إلى آخرك ، فأحص نفسك
نعماء حبيبك ، حتى تعلم عمن بعدت ، وتعلم أنك صبرت كثيراً على
الفراق ! لقد خلقت الله غاية في العز والدلال ، أما أنت فقد نقيت مع
العير ، مما بك من جهل ..



حكاية (٢٢٤٠ - ٢٢٦٠)

ذهب أحد المذوك إلى الصحراء للصيد ، وقال لمرب الكلاب
أحضرك الكلب السلوقي ..

كان للملك كلب مدرب ، له رداء محيط من الحرير والأطلس ،
وطوق مرصع بالخواهر تدل من عنقه لرببة والصحر ، ووضعت في رجليه
ويديه خلائل ذهبية ، كما وضع في رقبته محيط حريري ناعم الملمس ،
وكان الملك يعامل كلبه بركة ، فأمسك بحيط الكلب وتقدم الملك ، فبسه
الكلب مسرعاً ، ثم اعترض طريق الكلب بعص المضم ، مما تحل الكلب
عن مكان المعظم

بطل الملك حيث توقف لالكلب ، فاشتعلت نار اعيره في رأس
الملك ، اشتعلت نرها لأن الكلب قد صل الطريق ، فقال أفي النهاية
مع ما لمثلي من سلطان يمس النظر إلى عيري ؟ فقطع ذلك لسلطان
الحيط ، وقال : أطلقوا سراح هذا الخدع في الترو والحال لوطعم لالكلب
مائة ألف إبرة ، لكان هذا أفضل من هذا العمل الشائن !

قال مدرب الكلاب : إن الكلب مردان بالخواهر ، وقد فكت جميع
قيوده ، فإذا كان هذا الكلب قد أصبح بالصحر والعيالي أليق ، والحرير
والذهب والخواهر بنا أليق

قال الملك : أتركه على ما هو عليه وامض ، وطهر قلبك من الذهب
والفضة وامض ، حتى يد عاد إلى رشده ، رأى نفسه مرداناً هكدا ،
فيذكر أن كان له صاحب ، وأنه قد انفصل عن ملك مثلي . . .

يا من صادقت ديقاً في البداية ، ثم عن طريق العفلة انفصلت عنه في
النهاية ، صم قسعت في طريق العشاق الخفيقي تماماً ، وأشرب الكأس مع
التنانين كالرجال ، ومهما مثنت التنانين بالطريق ، فعلى العشاق سبك
جمائهم . ومن يؤد روح إنسان ، تكرر انتنانين مجرد غملة أمام إيدائه ،
وإذا كان عاشقوه واحداً أو مائة ، فإنهم يفضلون في طريقه متعطشين
لدمائه . .

حكاية (٢٢٦١ - ٢٢٧٢)

عندما علق الخلاج " على الأعواد في ذلك الزمان ، ما ردد سانه عيرقونة (أما الخلق) ، ولما لم يفهم الخلق قوله ، قطعوا أوصاله ، وما أن عرف اندم منه عرير ، حتى علا الأصفرار وجهه ، إذ كيف يظل احمرار وجه الإنسان في ذلك الموقف ؟ وذلك الذي له مسك الشمس ، سرعان ما حك وجهه القمري بيده المنطوعة ، وقال :

إذا كانت الحمرة التي تزين وجه الرجال هي الدماء ، فقد جعلت الآن وجهي أشد حرة نثلث الدماء ، وذلك حتى لا يبدو أصفر في عين أحد ، فما أكثر حاجتي أن يكون وجهي مشرباً بالحمرة ، لأنني لو بدت لأحد أصفر اوجه ، فربما طن أن أخوفها قد تملكني ، ولما لم يخامرني أخوف قيد شعرة ، فلا بد وأن يكتسي وجهي بالحمرة ، وحيما يوجه الخلاج رأسي نحو المنيقة ، فسيكون تجاه أسد في الشجاعة ؟ ولما كانت دنياي كحلقه خرف الميم ، فكيف يتملكني الخوف في هذا الموقف ؟ ومن استطاع أن يرقد ويطعم مع الحية ذات الرؤوس السعة في شهر تموز ، قد صادف الكثير من هذه الترهات ، وأقل شيء أصابه هو النس

حكاية (٢٢٧٣ - ٢٢٧٩)

تكلم اجسد قدوة الدين ودك البحر العميق ، ذات ليلة في

(١) ويد علاج حوالي عام ٢٤٤ هـ بالقرب من ابيضاء من أعمال فارس ، اتهمه الممثلة بالشموه ، وقد قضى بالسجن لثاني سنوات ، ومثل عام ٣٠٩ هـ ، وقد استحسن علاج القتل كي يرى العطار لأنه أمضى اسره لا لأنه كان مخطئاً في قوله المشهوره (أما الحق)

انظر تذكرة الأوباء لمطاز ج٢ ص ١٣٥ - ١٤٥ نشر بيكسون بلندن ١٩٠٧ م

بغداد ، فدفع سموكلمائه السماء للركوع على أعتابه صادية القلب ،
وكاد للمجيد ابن مماثل الشمس في الجمال والخصن ، فقطعت رأس ذلك
الابن ، وألقيت بين الجمع في ذلة وانكسار ، وعندما رأى المجيد تلك
الرأس العاهرة ، لم ينطق بحرف ، وأسلم قلبه للجمع مرة أخرى ، ثم
قال .

ذلك القدر العظيم الذي وضعته الليلة من الأسرار القديمة ، إذا كان
في احتياج لنار تطلوه ، فليس يحتاج إلى أقل من هذه ولا أكثر !



« المقالة السادسة والعشرون »

عذر طائر آخر (٢٢٨٠ - ٢٢٩٤)

قال له آخر . إنني أحشى الموت ، والطريق طويل وقد علمت الراد والقوت ، وهكذا يرهب قلبي الموت . إن روعي مستزهي في أول مرحلة ، حتى وإن أكن الآن سيد الأهل وذاحول وطول . وإن يحل الأجل ، أمت مثلاً مثاوها ، فكل من يعال الأجل بقوة السيف ، تصبح يده قلباً ، ويتحطم ما بيده من سيف . وأسفاه ، لن يبقى في هذه الدنيا من اليد والسيف غير الأسى ، فواحمرته .

قال له اهدد : أيها الضعيف العاجز ، إلى متى ستبقى حفة من عظام ؟ قيا من ستحتلظ بمعصها البعض ، ومن سيدوب عقله في عظامه ، أنت لا تعرف هل يطول عمرك أو يقصر ، وما الباقي من العمر إلا لحظات ، إلام يعيشها ؟ كما أنك لا تعرف أد كن فرد من بني البشر ، مأكله التراب ، وكل ما بيده مستذروه الرياح ، فلقدر ريت لموتك ، ويعتث إلى الأرض من أجل حهلك .

ما القللك إلا طست مقلوب ، ويخص هذا الطست كل ليلة بالدم من الشفق ، فإذا مرت الشمس سيوف أشعتها ، فإنها تلقى كل هذه الرؤوس المدببة في طستها ، وإن كنت قد أقبلت ملوثاً أو ظاهراً ، فما أنت إلا قطرة ماء وسط الثرى ، وإذا كانت قطرة الماء كلها آلام ، فكيف تستطيع منارلة البحر في عراك وخصام ، حتى ولو كنت ذا حول وطول طوال عمرك في الدنيا ، فتسبم روحك بكل حرقه وأسى



حكاية (٢٢٩٥ - ٢٣٢٨)

القفص النادر طائر جذاب ، ومقر هذا الطائر بلاد المسد والبجاب ، له منقار صلب طويل عجيب يشبه الناي ، وله العديد من الثقوب ، فيه ما يقرب من مائة ثقب وفتحة ، ولا روح له إلا يعيش في عرلة ، ولكل ثقب نعمة مساية ، وراء كل نعمة أسرار معابرة ، فإن يبح بكل الثقوب متاوماً ، يُنقذ السمك والطير رحلتها واستقرارها ، ويسيطر الصمت على جميع الطيور ، وتصبح إزاء صوته فاقدة الشعور ، وأمام مكانته هذه هام به فيلسوف ، وتعلم الموسيقى من صوته العذب

وكان عمر القفص قد ناهز الألف أو اقرب ، لذا وضح أن موعد أجله قد قرب ، وعندما حان وقت انتزع قلبه وموته ، إذا به يجمع حوله من خطب مائة كومة ، ويظل لا يعرف الرحلة ولا استقرار وسط الخطب ، ويواصل لسواح بحرقة واضطراب ، فكان كل ثقب يرسل بفعل روحه الطاهرة ، نواحاً مسايماً يحمل الأسى والحرقه ، وعندما ينوح بكل الثقوب ، يكون لكل ثقب لحس عتيد ، وفي وسط النواح كانت فرائصه ترتعد ، خشية الموت وكأنه ورقة شجر

أمام هذا الصراح وذلك الصوت ، كانت الطير جميعها ، وكذلك الحيوانات المفترسة ، تقبل صوته تشطره ، وقلوبهم قد تحلت عن الدنيا لشدة أحزنهم ، وفي ذلك اليوم وبسب ما به من عم ، ما أكثر الحيوانات التي تسلم الروح أمامه ! وبصبح الكل حيارى من النواح ، ويصير البعض من العجور فاقدى الأرواح

وأعجب الأيام يومه ، فهو يرف دماً من آلام قلبه ، وعندما يصل عمره إلى آخر زهرة يرفرف بجناحيه إلى الأمام والخلف ، ومطاطير البار من حياجه ، بعد ذلك تصبح البر كل حاله ، وسرعان ما تنفط النار في

اخطب ، فتهرق خطبه وهو في قمة السرور ، ويصيح الطائر والخطب كلاهما هرة من نار ، ثم تتحول الحجرة بعد ذلك إلى رماد . . وما أن يختفي كل شيء ، حتى يبدو القفس من بين الرماد . إن السار تحيل الخطب رماداً ، فكيف يعاود القفس الظهور من بين الرماد ؟

ما حدث هذا الإنسان قط في الحياة ، ومن ذا الذي يبدأ أو يولد بعد الممات ، وإن تمح عمراً مديداً كالقفس ، فلماذا أن تموت ، ولماذا أن تكلف بالمريد من الأعمال ، كم ألم الاضطراب بالقفس خلال الألف سنة ، فكثيراً ما كان يوح حرقاً على نفسه ويطلق الأهات ، وقد قصي تلك السنوات حبس الأحرار والغمة ، بلا ولد ولا زوجة ، حبس الوحدة والعزلة ، كان عديم القرابة في جميع الأرجاء ، وقد استرح من محنة الأولاد والنساء ، وعندما حل به الأجل في آخر حياته ، أصبحت ذرات رماده شادراً في مهب الرياح . .

لعلك تعلم أنه بسبب محب الأجل ، من يستطيع فرد إيقاد روحه ، ولو بشئ الخيل وفي جميع الأفاق ، لا وجود للإنسان لمن يدرك الموت ، وانظر إلى هذه العجائب ، إذ لا حيلة لأي شخص حيالها أو قوة ، ومهما كان الأجل طامناً قاسياً ، فليكن أن يطأضيه له الرأس راصباً ، وإذا كانت أمور كثيرة أنت سا ، فهذا الأمر أقسى منها وأشد بالإنسة له .



حكاية (٢٣٢٩ - ٢٣٣٤)

كان أحد الأطفال يتوجه صوب قسر أبيه وهو يدرب الدمع ، ويقول أبي ، إن هذا اليوم الذي أصاب روعي بالآلام ، ما أصابي مثله من قبل طوال أيامي .

فقال له صوفي . من كان لك أب ، ما مر عليه مثل هذا اليوم
مطلقاً ، وليس أمراً ذابال ما أصاب الامل ، ولكن لأمر عاية في الإشكال
بالنبة للأب

فما من أتيت إلى الدنيا فاقداً فدمت ورأسك ، ستظل الريح تنثر
التراب على رأسك ، حتى ولو تجلس في صدر المملكة ، فسترحل وما في
يدك غير قبض الريح .



حكاية (٢٣٣٥ - ٢٣٤٤)

عندما أسرع الموت صوب عازف الناي ، سأل أحد الأشخاص ، يا
من هو في عين السر ، كيف حالك وقت الشدة ؟ قال . لا يمكن التعبد عن
حالي مطلقاً ، فقد كنت طوال حياتي كالريح عاتياً ، وسرت في الهبة
صوب التراب وليس لي من داء غير مواجهة الموت ، فقد نصبت نصارة
وجهي من الحرقعة

لقد ولدتا جميعاً من أجل الموت ، ولن يخلد الروح لذا أسدما
القلب ، ومن ملك العالم تحت إمرته ، صار في هذا الزمان رماداً تحت
الثرى ، ومن وجد الفنك برعده ، سرعان ما أصبح كماً مهملاً في الحده ،
ولقد رقد الجميع تحت التراب ، وهم عاية في الاضطراب

انظر إلى الموت ، فما أصعبه من طريق ، وما القبر إلا أول مراحل
هذا الطريق ، ولو تعلم شيئاً عن مرارة موتك ، لسيطر الاضطراب والهم
على روحك .



حكاية (٢٣٤٥ - ٢٣٥٩)

شرب عيسى ماء من نهر عذب ، فكان طعم الماء يفوق في عذوبته ماء الورد ، وملاً شحصر آخر حرة من هذا النهر ومضى ، فجاء عيسى وشرب من ماء الحرة ، فأصبح منه عاية في المرارة من ماء الحرة ، فعاد وقد تملكته الدهشة والحيرة ، وقال : إلهي ، إن ماء الحرة وماء النهر كلاهما من ماء واحد ، هي السر ؟ ولم يبدو ماء الحرة عاينه في المرارة ؟ ولم يبدو ماء النهر يفوق العسل بلصفي حلاوة ؟

جاءت تلك الحرة صوب عيسى تحدثه ، فقالت : يا عيسى إنني كرجل مسّ أصابه لوهن ، فقد عشت عمراً مديداً تحت فية الأفلاك التسعة ، فصرت كاساً وجرة وعرارة ، وإن تجعلوني جرة ألف عام ، فلن يكون لي إلا مرارة الموت والهم ، وسأظل أشعر بالمرارة من الموت على الدوام ، كي يظل طعم مائي مسبب هذا الهم مرأً على الدوام .

أيها الغافل لتبحث عن الأسرار في النهاية لدى الحرة ، ولا يتمكنك العجب والدلال من العجلة أكثر من هذا ، ولقد أميت نفسك ، يا من تبحث عن السر ، وفلذلك كانت بك روح باحثة عن السر ، وإن لا تجد حياتك مرة أخرى ، فكيف يكون في مقدورك عندما غمرت معرفة سرّك ؟ ولن تستطيع بفطنتك معرفة أي حبر عن نفسك ، كي لن يبقى لك أي أثر بعد موتك ، لحي ماله الصفاء وراء أشياء تافهة ، فقد ولد خليفاً بالأدمية ولكنه حاد عنها بعد ذلك ، ثمثات الألوف من الحجب تقف في طريق ذلك السالك ، فكيف يستطيع إدراك نفسه بعد ذلك ؟



حكاية (٢٣٦٠ - ٢٣٦٤)

عندما كان بقراط^(١) في النزع الأخير ، كان معه تلميذه ، فقال
أستاذي الكبير ، كيف نكفك ونطهر جسدك ؟ وفي أي مكان من الأرض
نضعك ؟

قال إن كنت ترغب في العثور علي مرة أخرى ، فادفني في أي
مكان ترغب . ولكنني عشت عمراً مديداً ، ولم أجد نفسي ، فكيف
تجهزني أنت بعد موتي ؟ فإذا ما رحلت ، فهذا وقت الفناء ، حيث لن
تعرف شعرة واحدة من شعر رأسي ، أي جبر عني ! .

(١) بقراط الاسم الذي أطلقه العرب على هيبوكراتس الطبيب اليوناني الذي عرف بالحكمة
ونقلت عنه إلى العربية ، ويقال إنه عاش قبل الإسكندر بسبع مائة عام . نظر دائرة
المعارف الإسلامية ج ٤ ص : ٣١ ، ٣٢ .

« المقالة السابعة والعشرون »

عذر طائر آحر

(٢٣٦٥ - ٢٣٧٦)

قال له آحر . يا طاهر الاعتقاد ، لم تمر بي لحظة واحدة وفق المراد ، فقد قضيت عمري كله في غم دائم ، كما كنت نائساً في هذا العالم ، وكم أنا مهموم إذ غص قلبي بالأحزان ، وأعيش في مائمه دائم بسبب هذه الأحران . وعشت على الدوام في عجز وحره ، وأكون ككفرأ لوأى شعرت بالسرور لحظة ، وبسبب كل هذا عشت أسير المشقة ، وسيصيبني العناء والضياع إن تقدمت في الطريق خطوة ، فإن لم تكن هذه المهموم قدري ، لكان القلب عاية في السرور بهذا السفر ، ولكن إذا كان قلبي مفعماً بالأحران ، فماذا أفعل ؟ وقد نصصت عليك حالي ، فماذا أفعل ؟

قال (المدهد) . أيها المعرور ، لقد أقببت معتوناً وطأ ، وغرقت من أولئك إلى آخرك في الهوى ، عليك بالتخلي للحظة عن كل ما هو مرغوب ومكروه في هذه الدنيا ، فكل من يتخل عن هذه الأشياء لحظة ، فإنه يتخل عن عمره بدون ذلك الخنون .

إن تتحل عنك الدنيا ، فتخل عنها أنت أيضاً ، واتركها دون أن تعبها اهتمامك مدأ . وكل من يربط قلبه بشيء غير باق ، فلن يظن قلبه حياً على الإطلاق



حكاية (٢٣٩٢ - ٢٤٠٥)

كان يوجد ملك حسن الطوية ، وقد أعم ذات يوم على علام
هاكة ، فكان العلام يأكل فاكهته سهم ، وقال : لم أكل ما هو أفضل
منها وأطعم . ولحسن ما كان يأكل لعلام ، تولدت لدى الملك دعة في
الاقتسام ، فقال : أيها العلام ، أعطني نصيبها ، فما أطيب ما تأكله من
علام !

أعطى العلام العاكهة للملك ، وعندما تذوقها ذلك الملك ،
وحدها مرة فقطب الحين ، وقال : إن ما فعله ، لا يمكن حدوثه مطلقاً .
إذ كيف يصبح هذا الشيء المر حلواً يؤكل ؟

قال العلام يا ملك الملوك ، لقد أنعمتني بالآلاف التحف من يدك ،
وإذا كانت العاكهة حامتني من يدك مرة ، فلا أستطيع إعادتها ثانية ، إن
كنت تنعم على بالكور في كل لحظة ، فكيف يصيبني شيء واحد من بأي
غصة ؟ وإن كنت أعيش في كنعك ، فكيف أشعر بالمرارة من يدك ؟

إن أصابتك مكاره كثيرة في طريقه ، فاعلم يقيناً بأن ذلك كسر ،
وكفى ! وأمره بأحد من البداية إلى النهاية ، فإذا أنت صانع ، إذا نهد
أمره ؟ وما أن عزم المحكون على المسير ، فما طعموا لقمة دون غصة أو
الم ، وكلها جلسوا ليطعموا خيراً أو ملحاً ، فما كسروا كسرة حبز قمار بلا
حزن أو ألم .



حكاية (٢٤٠٦ - ٢٤١٣)

قال أحد العظماء لسوفي ، كيف تمضي أيامك ، يا أخي ؟ قال :

كنت أقيم في موقف حمم ، وقد أقيمت فيه صادي الشفة مصطرباً ، ولكنتي
ما نصمت رعباً واحداً بالموقف ، حتى لا تقطع ريشتي

إن كنت باحثاً عن السعادة في هذا العالم ، أو مستسلماً للنوم ،
فكلاهما سواء ، ولكن إن تبحث عن السعادة فعلياً بالاحتياط ، حتى
تصل كالرحال إلى هذا الصراط . لا وجه للمسرة في هذا العالم كله ، إلا
تساوي المسرة قيمة شمعة واحدة ، أي نفس موجودة شبيهة بالنار ، ومن ذا
عاش سعيداً في كنفها ؟ فإن تطفئ بالديب كالفرجار ، تجرد السعادة نقطة
واحدة لم يلحظها أحد



حكاية (٢٤١٤ - ٢٤١٩)

قلبت تلك العجور لشيخ مهنة^(١) ادع لي بالسعادة ، فقد تحملت
المكاره قبل هذا ، ولم تمد لي طاقة أكثر من هذا ، فإن تعلمني دعاء
السعادة ، فيكون بلا ريب ، ورداً لي كل يوم

قال لها الشيخ : لقد انقضت فترة من الزمن ، وأنا راقع على هذا
الحال ، وكثيراً ما أسرعت إلى ما تظنين ، فلم أرد مرة واحدة ، ولم أجد ما
تظنين ، فإن لم يظهر دراء لهذا الداء ، فكيف تبدو السعادة للمرء ؟



(١) الشيخ أبو سعيد مينة ، ولد بقرية ميهه من أعيان حاوران عام ٢٥٧ هـ ، وتوفي عام
٤٤٢ هـ ، وهو أول من أبدع الشعر الصوفي ، وأول من استخدم من الرباعي في
الأغراض الدينية ، يرجع لدراسة حياته بالتفصيل إلى « سرار التوحيد » [الترجمة
العربية لإسعاد بخيل ، القاهرة ١٩٦٦ م] وكذلك « حالات وسحان أبي سعيد »
وكذلك « تذكرو الأولياء لمطارحة » ٢ شريكسون بلندن عام ١٩٠٧ ص ٣٢٢ .

حكاية (٢٤٢٠ - ٢٤٣١)

جلس سائل أمام الجنيد ، وقال : يا من أصبح سيدها الله بلا أدنى قيد ، كيف يحصل الإنسان على السعادة ؟

قال : في نفس الساعة التي يكون فيها واصلًا . وطالما لا تمتد إليك يد السلطان بالوصل ، فجزاك عدم التوفيق .

إنني لا أرى ذرة هائلة تنعم بالاستقرار ، إذ لا طاقة لها بوصول الشمس ، وإن تفرق الذرة في بحار الدم ، فمتى تتحرر من هذا الهم ؟ الذرة ذرة مهما كان نوعها ، وكل من يقول بعبر ذلك معرور ، فإن يقلبوها ، لا تبقى على جاتها ، فهي ذرة وليست عبثاً لامعة ، وكل من يشأ من الذرة أولاً ، يكون أصله في الحقيقة الذرة نفسها . وإن لم نفس كلفة في شمسها ، فأبى ذرة حظيت بحلودها ؟ إنها ذرة سواء أكانت غاية في الحسن أو عيبة في القبح ، ولو تحركت عمراً ، ما خرجت عن أصلها ، وأبى أيتها الذرة تسيرين كالشمس ، على أمل أن تصبحي في دورانك كالشمس ، ولكنني أتنزع بالصبر ، فيا من لا يفرك قرار كالذرة ، متى ترى عجزك واضحاً جلياً ؟



حكاية (٢٤٣٢ - ٢٤٤٥)

قال الخفافش ذات ليلة . إن شعاع الشمس لا ينفذ إلى من أي منفذ ، وأعيش عمري مشوباً بالذلة ، وكأنني أغيبه دفعة واحدة ، فهل أقضي السنين والشهور مطبق الميثاق ، حتى أصل في النهاية إلى ذلك المكان ؟ (أي حيث توجد الشمس)

قال له من يتمتع بقوة الابصار : أيها الثمل المفتون ، إن الطريق
بيك وبينه يحتاج إلى آلاف السنين ، وكيف يكون الوصول في هذا الطريق
أمراً هيناً بالنسبة لك ؟ وكيف تستطيع السلة القابعة في بئر الوصول ولر
إلى القمر ؟

فقال (الخفاش) لا خوف يعتريسي ، وسأواصل الطير ، حتى
تصبح لي نتيجة هذا العمل

قضى الخفاش سنوات ثمناً فلقد الوعى ، وقد عدم القوة والخصاح
والريش ، حتى أصبح في النهاية دابل الخسد ، محترق الروح ، وألم به
الضعف والوهن ، ولما لم يصله أى خير من الشمس ، قال ، ربما أنني
تجاوزت الشمس .

قال به أحد العقلاء إنك في صبات عميق ، فكيف تخطو وأنت لا
ترى الطريق ؟ والآن نقول . لقد تجاوزتها ، بدأ أبدو ضعيفاً عاجزاً !

أشعر هذا الكلام الخفاش بالدلة ، وهذا كل ما تبقى منه ، ثم اتجه
إلى الشمس معترفاً بعجزه ، وفي الحال بدأ يتكلم بلسان الروح ، حيث
قال . لعنك أدركت طائراً بصره حديد ، فلا تتعدي عه قيد أملة بعد
هذا .

قال هذا الكلام عما به من حرقه وألم ، فحادت الشمس عنه
تحقيق الأمل ، وأصبح الضياء من نصيب الصرير ، وأقبل الحظ فأحال
المسكين غنياً .



المقالة الثامنة والعشرون

سؤال طائر آخر

(٢٤٤٦ - ٢٤٥٦)

سأله آخر قائلاً : أيها المرشد ، ماذا يكون الحال ، إن أبعث الأوامر ؟ إني لا يمكنني العمل مع تحمل الآلام ، لذ سأظل في انتظار أوامره على الدوام . ومهما كان الأمر ، فسأنقذه بروحي . وأن أعص الأمر ، فعلى الغرم

قال (المدهد) : لقد أحسنت صنيعاً أيها الطائر بسؤالك هذا ، ولن يبلغ إنسان مرتبة كمال أكثر من هذا ، كيف تكون هناك صاحب روح وأنت تحتفظ بها ، فصاحب الروح هناك من يطيع الأمر بروحه فمن يطع الأمر ، ينج من الخذلان ، ويتخلص يسر من كل مشقة ، وساعة في طاعة الأمر بالسبب بك ، أفضل من أن تقضي العمر كله في طاعة بلا أمر صادر إليك .

كل من يتحمل الكثير من الشدائد دون أمر ، مجرد كلب وليس من بني البشر ، فالكلب يتحمل الكثير من الشدائد ، ولكن أي نفع في ذلك ؟ لا شيء غير الضرر ، لأنه لا يطيع الأمر ومن يتحمل قليلاً من الشدائد طاعة للأمر ، فسيملأ ثوبه هالماً واسعاً .

العمل هو تصديق الأمر ، فامتثل للأمر ، وما أنت إلا عبد ، فلا تقدم بفردك على التصرف .

حكاية (٢٤٥٧ - ٢٤٨٢)

كان أحد الملوك عائداً إلى مدينته ، فإردان الخلق بأهلي ربة ، فقد استعد كل فرد بما يردان به ضد أحد ، أما لمساكين ، فم يكن في حوزتهم غير السلاسل والقيود . كما كانت لديهم بصعة رؤوس مقطوعة . وأكاد همزة ، ثم تخلوا عن الأيدي والأرجل ، اتريوا جد كله .

وعندما عاد الملك إلى المدينة ، وجدها كمردوس محبوة وبه أهلي ربة ، وما أن وصل إلى موقع السجن ، عسرعان ما ترجل عن الحصان ، وسمح للمساكين بالثول ، وأنعم عليهم من الذهب ونقصة بالشيء الكثير

كان للمدك جيس طلعته ، فقال . أيها السطان ، لتفضل لي هذا السر ، لقد رأيتم مئات الألوف من الزيت أو يريد ، كما رأيتم لمدينة مكسوة بالدياج وحرير ، وكانوا يلقون الجواهر والذهب على لأرض ، ويثرون المسك والعبر في الهواء ، رأيتم كل هذا ونحرتهم ، ولم نعبرو أيأ منها اهتمامكم ، ولكن لماذا طاب لكم التوقف بيات لسجن ؟ الرؤية الرؤوس المقطوعة ؟ ولم كان تصرفكم هذا ؟ فلا شيء ما يصرح للقلب . ولا وجود إلا للرؤوس المقطوعة وكذلك الأيدي والأرجل . بهم جميعاً سماكودماء ، وقد قطعت أيديهم ، فلي ذاوجب التوقف في عيظهم ؟

قال الملك . إن ربة الآخرين ، ما هي إلا لعبة للاعبي ، وإذا كان كل شخص قد عبر عن نفسه بأسلوبه ، فمهم قد عرصر ما لديهم . ولقد أخطأ جميع الخلق عدا أهل السحر حيث أوفوي حقي . وإن لم يكن أمر ي باهأهت ، فأين إذن تفصل الرأس عن الجسد ، واحسد عن الرأس ؟ وقد وجدت أمر ي ها باهأهت ، فلا جرم أن أثنت عبا هومي واليوم جميعاً قد اهتتهم نعمهم ، واستسلموا لمراحة نتيجة

غروورهم ، أما أهل السجن فقد اضطربوا ، وتملكتهم الحيرة من حراء قهري وبطشي ، وأحياناً يحاطرون برؤوسهم وأحياناً بأيديهم ، وأحياناً يكونون في شدة ، وأحياناً في لين ، وقد جلسوا منتظرين ، فلا عمل ولا مسئولية ، حتى يساقوا من السجن إلى المشنقة ، فلا جرم أن أصبح هذا السجن روضة ي ، لئلا كانوا مخلصين في صاعهم فلزم أن انحاز إليهم وموقع أمر ذوي الصيرة بتنهيدهم الأمر ، فلا جرم أن يذهب السلطان إلى السجن !



حكاية (٢٤٨٣ - ٢٥٠٠)

كان هناك أحد السادة من نسل الشيخ أكاف^(١) ، وكان قطب العالم وكذا طاهر الأوصاف ، وقد قال لقد رأيت فحاة في المنام ، كلاً من يزيد والترمذي^(٢) في الطريق ، رأيتهما يبديان لي كل عظمه واحترام ، وقد اتحدتهما من قبل مرشدين لي . بعد ذلك علمت تفسير ذلك ، ولماذا يكن هذان الشيخان في المزيد من الاحترام

وتفسير ذلك أنه في وقت السحر ، خرجت من كبدي أمة دون قصد ، فواصلت آهني المسير حتى يفتحوا الباب لي ، وكانت نظرق

(١) الشيخ أكاف يدور أنه يقصد ركن الدين ب القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أحمد ابن علي أكاف البسابوري الذي كان من فقهاء ورهدة عصر السلطان سحر السلجوقي بعد تولي عام ٥٤٩ هـ . .

(أنظر تعليقات القاسمي طباطبائي ، منطق العلي طهران ١٣٤٧ ش ص ٣١٩ - ٣٣٠)

(٢) الترمذي كان فقه في رواية الأحاديث والأخبار ، وإليه سبب الطريقة الترمذية وكان يعرف بحكيم الأولياء . تذكرة الأدياء للعلطار ج ٢ ص ٩٦ - ٩٩

الأبواب حتى يسمح لي بدخول الاعتاب . وما أن بدا لي فتح الباب ،
حتى جعلني الخطاب بلا لسان :

إن هؤلاء الشيوخ ، وأولئك المريدين ، طلبوا ما طلباً ، عدا
بابريد ، وبابريد من زمرة الرجال الموفقين في الطريق ، فقد طلبوا نحن ،
ولم يطلب منا أي شيء .

ما أن سمعت هذا الخطاب في تلك الليلة ؟ حتى قلت : إن هذا
وذلك ليسا على صواب .

كيف استبجح سؤالك الإحسان ، ولا أثقل الملك ؟ أو أن أبحث
عنك ولا أكون رحلك ؟ كل ما تأمرني به هو غير اراد ، وموفق أمري
بتنفيذ أمرك ، ولا يهمني الاعوجاج أو الاستقامة ، فمن أكون حتى تكون
في رعية ؟ وليس للعبد إلا السير وفق ما يؤمر به . فيكفيني ما تأمرني به

لا جرم أن هذين الشيخين اعترف بالسبب في عيبهما بهذا القول .

وطالما كان العبد مطيعاً للأمر ، ففي استطاعته محادثة الله بالروح ،
وليس عبداً من بتماخر دولماً بالعبودية جرافاً ، فأيها العبد لقد أتى وقت
الامتحان ، فتقدم حتى يظهر الدليل للعيان .



حكاية (٢٥٠١ - ٢٥١٠)

قال الخرقاني : ساعه خروج الروح إلى الشعة في نزعها الأخير .
للمعجب ، لينهم شقوا روحى ، وفتحوا قلبي المشبوب ، ثم أطلعوا العالم
عن قلبي ، وشرحوا هم سبب اضطرابي ، حتى علموا أن عبادة الحسم لا
تليق مع معرفة السر ، فلا تكن معوج السير .

هكذا تكون لعبودية ، وغيرها جنون ، فاعبودية تعني السجني عن الكل ، يا عديم المروءة ، وإن تسرع إلى الألوهية لا إلى العبودية ، فكيف تكون لله خاضعاً ، فتحل عن نفسك وكن عبداً ، بل كن عبداً متخلياً عن الكل ، وعش هكذا . فإذا أصبحت عبداً ، فكس ذا حرمة ، بل وكن ذا حمة في طريق الحرمة ، فإن يتقدم أي عبد لسبوك الطريق بلا حرمة ، تسرع ما يبعده السلطان عن ساعده ، ولقد أصبح الحرم حراماً على من لا حرمة له ، فإن تتصف بالحرمة ، فهذه هي النعمة الثامنة



حكاية (٢٥١١ - ٢٥١٥)

أبعم أحد الملوك بخلمة على أحد علمائه ، فخرج الغلام بالخلمة إلى الطريق ، واستقر عيار الطريق على وجهه ، فأسرع بإزالته بكم حلقته

فكان أحد الوشاة لملك . أيها السلطان ، لقد نطف العلام عيار الطريق بحلقتك .

استكر الملك مه تلك القحة . وفي الحال علق ذلك المصطرب على الخصلة .

ألا تعلم أن من لا حرمة له ، في بساط السلطان لا قيمة له



المقالة التاسعة والعشرون

سؤال طائر آخر

(٢٥١٦ - ٢٥٣٠)

قال طائر آخر : كيف يكون الطير في طريق الحق يا طاهر الرأي ؟
إن قلبي مشغوب دائماً ، وهو عبي حرام ، وكل ما أملكه ، أشره على
الدوام ، وكل ما يصل إلى يدي أصيبه ، وأصبره كانه قرب في اليد ، ولا
أربط نفسي بريقة شيء مطلقاً ، وأثر كل ما يقع في حوزتي ، وأتطهر في
محراه ، فمتى أرى - وأنا في طهري هذا - وجهه ؟ .

فان الهدد : إذا تقدم إنسان في الطريق ، وجب أن يكون الزهد
زاده ، وكل من تطهر من كل ما يملك ، مضى مستريحاً في طهره أيها
الأح ، لا تخط مرقعة ، بل أحرق كل ما تمتد حتى شعر الرأس ، وعندما
تحرق كل شيء بأنة محرقة ، فاحم رماده ، واجلس عليه إذا فعت
ذلك ، تخلصت من الكل ، وإلا ، فتحمل أشدائد طائنا تعلقت بالكل
إن كنت لا تموت وتنقص عن كل شيء ، فمتى تصع قدمك في هذا
البهو ؟

إذا لم يكن في الإمكان البقاء طويلاً في هذا السجى ، فعليك
بتحبيص نفسك من الكل ، فما أن يقبل وقت الموت ، حتى يصبح جميع
ما تملك ، سافكاً لدمائك قابلاً لك ، فاقصر يدك عن نفسك أولاً ، ثم
اعقد العزم على المسير ثانياً ، وإن لم يتم لك في البداية التطهر ، فليس
أهلاً لهذا السفر .

حكاية (٢٥٣١ - ٢٥٣٧)

تحدث شيخ الترك^(١) عن نفسه ، فقال إنني أوثر شيئين ، أحدهما حصان ألق . أما الثاني فهو ابني ، فإذا جئني نعي ولدي ، أهب فرسي شكراً لهذا الخبر ، ذلك لأنني أرى الاثنين ، كمعبودين أمام عين روعي

وحتى لا تحترق ونصبح كالشمع ، فلا تنموه بالطهر أمام الجمع ، وكل من يكثر القول عن التطهر ، ينسم أمره بالأضطراب حتى يتطهر ، والمتطهر الذي يأكل سهم ، حراؤه في تلك الساعة الصرب على القفا



حكاية (٢٥٣٨ - ٢٥٥٢)

الشيخ الخرقاني الذي كان العرش له مقراً ، تشوق ذات يوم للسادنجان ، فبرمت أمه برغبته الملحّة ، وأعطته نصف باذنجانة بعد جهد ومشقة ، وما أن أكل نصف الباذنجانة حتى قُطعت رأس ابنه في الترو والحل ، وعندما أقبل الليل ، وصبح العائل رأس ذلك الابن الطاهر على أعتابه ، فقال الشيخ :

ألم أقل ألف مرة بأنني منحوس ، بما أن أكل هذا المسكين نصف باذنجانة ، حتى وحيث صرية قاصمه لقلدة روحه ، وكم كانت الروح

(١) يختلف في حقيقة هذا الشيخ فقد ذكر العامي مياطيني في تعليقاته على مطلق الطير بأنه غير معلوم من يعنى العطر بهذا اللفظ ، في حين ذكر محمد جواد مسكور في تعليقاته عن نسخة مطلق الطير طبع شهرن عام ١٣٤٧ ش . أن المقصود بهذا اللفظ هو حبيب العجمي الذي سبق الإشارة إليه (منطلق الطير ص ٢٣٠ تهران عام ١٣٤٧ ش)

مشبوبة في كل أوقاتي ، وما كان أمره معي سهلاً ميسوراً ، وكل من يزامله
في العمل لا يستطيع أن يجادته لحظة .

أمر شاق ذلك الذي وقع على كواهلنا ، فقد وقع أشد قسوة من
الحرب والنزال ، ولم يبق لدى متعمم عدمه وراحته ، فقد سقط أمره مع
كل هذا العلم وفي كل زمان يقبض أحد الصيوف ، وتصل قائمة لأداء
الامتحان ، وإذا كانت مشات المموم نصيب اسروح العريرة ، عماد ،
سيحدث بعد ذلك ؟

لقد طهر كل ما كان في صي الكهان ، وحسبك الدماء بكل شدة
وعنفوان ، وقد تحمل آلاف العشاق الآلام من أحله ، ونثروا الأرواح
إيثلاً لنقطرة دم منه ، وتصاب الأرواح جميعها بهذا ، حيث تسمعك
أرواحها متأنة متأوهه .



حكاية (٢٥٥٣ - ٢٥٦٩)

قال ذو النون (١) . كنت أنجول في ليادية ، أنجول متوكلاً بلا
عصاة ولا راوية (٢) ، فرايت في الطريق أربعين من لاسي الخرقه ، وقد
أسلم الجميع أرواحهم في بقعة واحدة ، فشر الاضطراب في عملي
الوماني ، وثارت النار في روعي المصطربة ، فقلت : يهي ، ما نهاية هذه

(١) ذو النون اسمه نومان بن إبراهيم ركبته هو القرض ولقبه ذو النون . وقد ما بهم
بجهر . تتلمذ عن مالك بن أنس ، رحمه أحد مدحه . وقيل إنه بعد موته اضطرب هذه العبوة
بخطه ميراثي على يده (ذو النون حبيب الله ، من الشوق قليل الله) وكلهم تم ، نحوها ، كتبها
وحدوها مكتوبة في اليوم التالي . انظر صفحات الأنس خامي طبعه طهران من ٣٢ - ٣٧ ونذكره
الأوليه للمعار

(٢) ولوية . البعير أو البغل أو المعيار الذي يمشي عليه . .

الحال ؟ وما أكثر ما جندلت العظماء !

فقال هاتف : إسا ندرك هذا الأمر ، فحين نقسهم ونُدفع ما يستحقون من دية ، فقلت . وكم سقتل في اسهاية ؟ قال : ما دمت أملك دية ، صافعل هذا الأمر ، وطالما بقيت في خزائتي دية ، فأقتل ، حتى تبقى لي التعزية ، ومن أقتله أسحبه مدرجاً وسط دماائه ، وأطوب به العالم مكسة رأسه ، وبعد أن تفنى جميع أوصاله ، وتفنى رأسه وجميع أجزائه ، أظهر شمس طلعتة ، ومن جمالي أحلج عليه خلعتة ، وأجعل من دمه حمرة ترين حده ، وأدفعه إلى الاعتكاف على تراب تلك المحلة ، فأجعله ظلاً في محلته ، بعد ذلك أظهر شمس وجهه ، وعندما تشرق شمس وجهه ، فكيف يبقى ظل في محلته ؟ وإذا انمحي الظل في لشمس ، فقد سار كلا ، والله أعلم بالصواب .

كل من فنى في الحق تخص من نفسه ، لذا لا يستطيع أن يكون عابداً لنفسه . فامض إلى الفناء دون التحديث عن العناء كثيراً ، وتخل عن الروح ، ولا تبحث عن التعلي كثيراً ، ولا أعلم مسعادة لأي إنسان ، أكثر من أن يفنى عن نفسه .



حكاية (٢٥٧٠ - ٢٥٧٤)

لا أعرف إنساناً في الكون ، وجد حظ سحرة فرعون ، فقد أدركوا هذا الخط في ذلك الزمن ، لايمان الناس بهم أعظم إيمان ، وقد استطاعوا التخل عن الروح لحظة ، وما أدرك إنسان قط مثل هذا الخط ، فقد وضعوا قدماً في طريق الدين ، وأخرجوا الثانية من طريق الدنيا ، فلم ير شخص قط ، هو أفصل من هذا العدو والرواح ، وما رأى أحد عصناً أعظم ثمرة من هذا . . .

المقالة الثلاثون

سؤال طائر آخر (٢٥٧٥ - ٢٥٨١)

قال له آخر : يا من يتصف بعد النظر ، هل لنهضة في هذا الطريق أي أثر ؟ مع أسي أندو في الصورة عاية في الضعف ، فإن لي في الحقيقة همة عاية في الشرف ، وإن لا أنسم بالطاعة العائفة ، فإسي أنسم باهمة الرائدة .

قال المدهد : إن الهمة العالية هي مغاطيس أسرار الست ، وهي التي تكشف سر كل موحود ، وكل من يتمتع بالهمة العالية ، سرعان ما يجد مفتاح كلا العالمين وكل من يتمتع بدرة همة ، يجعل الشمس ذليلة بهده الدرة ، والهمة أساس ملك العوالم ، واهمة جشح الروح وريش طائرها .



حكاية (٢٥٨٢ - ٢٥٩٦)

حينما كان يوسف يعرض للبيع ، كان المصريون يتحرقون شوقاً إليه ، وعندما ترايد هذه البشريات ، أرتفع ثمنه إلى عشرة أمثال وزنه من الذهب ، فاضطربت عجور بسبب ذلك ، وجدلت حيوط وصنعت منها حلاً ، ثم جاءت وسط اجمع صائحة ، وقالت : لنهضة لي أيها الدلال الكنعاني ، لقد تمكنني الاضطراب شوقاً إلى هذا العلام ، لذا جدلت عشرة حبال ثمناً له ، فحد مني هذه ، ونه لي ، وبلا مناقشة صعب يده في يدي .

صحت الرجل وقال : أيتها اللهاء المعضومة ، لا يلين بك أن
تخوزي هذه الدرة اليتيمة ، إنه يفوق مائة كرز عد القوم ، فمن أنت ؟
وما هذا الحبل أيتها العجوز ؟

قالت العجوز . إنني على يقين من أنه لن يتقدم أحد لشراء العلام
بمثل ما تقدمت به ، ولكن يكفيني أن يقول الصديق واحدو ، إن هذه
المرأة كانت من مشترية

كل قلب خال من اهمه العلية ، لن يدرك السعادة اللانسانية ،
ومن ارتفع همته إلى مصاف الملوك ، سرعان ما تشتعل النار في ملكه ،
وإن كان أحد الملوك قد أصيب بالكثير من الخسران ، فما أكثر الملوك
الذين أصابهم ذلك . ومن تعمل همته في مجال الطهر ، فإنه لا يتأذى
مطلقاً من هذا الملك النجس ، وإذا كانت عين الهممة متمنعة برؤية
الشمس ، فكيف ترضى بمجالسة الدرة ؟



حكاية (٢٥٩٧ - ٢٦٠٦)

كان هناك رجل عائب عن نفسه ، وكان دائم الشكوى من فقره ،
فقال له إبراهيم بن أدهم ^(١) : أي بني ، لعلك اشتريت فقرك بثمن
بحس ! فقال الرجل إن هذا لقول هرل ، فهل يشتري إنسان الفقر ؟
لتكرم حد الحجل .

(١) إبراهيم بن أدهم - واحد مشهور من بلخ ، مات ما بين سنتي ١٦٠ - ١٦٤ هـ ،
كان أميراً ثم هاجر إلى الشام ، وأكل من عمل يده ، ويقال إن الخضر كان يرويه
كثيراً ، ويلقى عليه درساً في العلم ، وقد شبهه البعض بهذا ، انظر التصوف بخارن
للدكتور محمد غلاب ومعظم كتب التذاكر

قال (إبراهيم بن أدهم) : إنني أقلت عليه ذات مرة بالروح ، ثم اشتريته بعد ذلك بمثلث العالم ، والآن اشتريني منه لحظة واحدة بمائة عالم ، وهذا الثمن أقسم أي لحظة منه الآن ، فما أن وجدت أمانة الدين رخيصة ، حتى ودعت السلطنة كليه ، فلا جرم أنني أدركت قدره ، أما أنت فلا ، بدا ألهج في شكره ، أما أنت فلا .

جاءت أهل الهمة بالروح والحسد ، وقصوا سنوات عديدة في حرقه وبكده ، وأصبح طائر همتهم للحصرة قريباً ، وطرحوا عنهم الدين والدين . فإن لم تكن حليفاً هذه همه ، فابتعد أيها الكسوف ، فليست ولياً للنعمة .



حكاية (٢٦٧ - ٢٦١٩)

ذهب الشيخ الغوري ^(١) الذي صار بالكل كلياً ، مع جمع من الواهين تحت قنطرة ، وقضاء وهدر مرهم سنجر ^(٢) صاحب العظمة ، فقال . من هؤلاء القوم الذين تجمعوا تحت القنطرة ؟

قال الشيخ . لقد فقد الجميع رؤوسهم وأقدامهم ، وحالنا لا يخرج عن أحد اثنين . فإن تصادقنا يوماً ، فسرعان ما نخلصك من الدنيا

(١) الشيخ أحمد الغوري لم يرد ذكره في أي كتب من كتب الترحيم أو التذكار

انظر تعليمات القاضي طباطبائي منطق الطير ، شهران ١٣٤٧ م ، ص ٣١٣

(٢) سنجر - آخر سلاطين السلاجقة الأعظم في إيران ، حكم أكثر من خمسين عاماً بين أمير الخراسان ، وسلطان عام لكل دولة السلاجقة - وحدثت في أواخر حكمه عدة فتن منها فتنه لعمرو ، وقد قص مدته من حياته في السجن ، وأخيراً استطاع لعمرو ولكنه لم يفلح في إعادة الحيلة والوحدة إلى دولة السلاجقة - مات عام ٥٥٢ هـ راجع بن كثير ، أحداث عام ٥٥٣ - ٥٥٠ هـ

تحملاً ، وإن تعددا ولا تصادقنا ، فسرعان ما نرفع هذا الأمر عن دينك ،
فتمحص جيداً أمر مصادقتنا ومعادتنا ، وتقدم خطوة لتتري نفسك
مفصوحاً ، فإن تتقدم خطوة تحت القنطرة ، فسرعان ما تتخلص من هذه
العظمة وتلك الأمانة .

قال منحر : إني لست شبيهاً بكم ، كي أن حيي وبهمني لا
يوافقكم ، لست صديقاً لكم ولا عدواً ، وإنما سرت هذا حتى لا يخرق
بيدري ، ولن يلحقني فخر أو عار من جرائكم ، ولا صلة لي بحسنكم
وقبحكم

أقبلت المهمة كهاتر سريع الطيران ، وهي في سيرها عدية في السرعة
في كل زمان ، وإن نظر فلن يكون ذلك إلا عن بصيرة وإدراك ، وإلا
وكيف توحد بين حلمه ، وسرها يعمو أفاق الوجود ، لأنها أسمى من
الصحر والسكر .



حكاية (٢٦٢٠-٢٦٢١)

بكى رجل والده في منتصف الليل بكاء مرأ ، وقال : من أكون في
هذا العالم ؟ إننا حقة مغلفة فيه ، ونقبل بجهلنا على العشق فيه ، فإن يُرفع
غطاء هذه الحقة بفعل الأحل ، فيظل كل من يملك حاحاً يواصل لطير
حتى الأزل ، أما من عدم الحاح فيسكون طعمة للساء ، وسيظل مستلباً
بالبقاء داخل الحقة .

لتمنح - أيها السالك - طائر المهمة حاحاً بالمعنى ، واسلم القلب
للعقل ، واحمل الحبال للروح ، وقيل أن يُرفع غطاء هذه الحقة ، كن
صائر طريق ، وتزود بجناح وریش ، وإلا فاحرق جاحك وریشك وكما
بمسك ، حتى تكون في مقدمة الجميع كذلك .

المقالة الحادية والثلاثون

سؤال طائر آخر (٢٦٢٧ - ٢٦٣٤)

قال له آخر : كيف يكون الإنصاف والوفاء ، عند الشك في حضرة ذلك السultan ، لقد أنصفتي الحق تعالى كثيراً ، كما لم أجح إلى عدم الوفاء مع أي شخص ، فإن تجتمع لدى إنسان هذه الصفة ، ماذا تكون منزلته في طريق المعرفة ؟

قال (اهدد) . بالإنصاف أساس انجاة ، ومن يتصف به ينج من الترهات ، وإذا وصل إنصافك إلى حير الوجود ، فهذا أفضل من قضاء عمر مديد في الركوع والسجود . ولا أريحية لك في الدنيا والأخرة ، أفضل من الإنصاف في السريرة . ومن ينصف في العلانية ، يلزمه التحلي عن الرياء والبراءة ، والرجال لا يطلبون الإنصاف من أحد ، ولكنهم كثيراً ما يبذلونه طواعية



حكاية (٢٦٣٥ - ٢٦٤٢)

كان أحمد بن حنبل ^(١) إمام العصر ، وشرح فصله يخرج عن نطاق المحصر ، وكلما كان ينتهي من درسه ، كان يسارع بالمسير صوب بشر

(١) أحمد بن حنبل هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، ولد ببغداد عام ١٦٤ هـ . صنف كتابه المسند وكان ذا طاهر الكرامات ، ولكنه حرص للاستعداد في حياته وجماله ، حيث اتاه المعتزلة حتى يقر بخلق القرآن ولكنه رفض ، كما أداه أشبهه وأسندوا إليه أباطين هو يرى منها . توفي ببغداد عام ٢٤٠ هـ . راجع تذكرة الأولياء ج ١ ص ١٨٠ - ١٨٣ ، كشف الحجب (الترجمة العربية) ج ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٠

الحاقى (١) ، فإن يجد أحداً لدى بشر ، كان لا يكف عن ملاقاته ، فكان
(بشر) يقول :

إنك آخر إمام للعالمين ، ولن يأتي من هو أعلم منك ، ومهما
يقول العالمون فليست ملزماً بسياحه ، ولك أن تمضي أمامهم حاسر الرأس
حافي القدم .

فكان الإمام أحمد يقول لقد حرت قصب السبق في الأحاديث
والسب ، ومع أن علمي عظيم ، فإني أتعلم منك الحسن والظهر ، كما
أنت تعرف الله أفضل مني .

يا عديم الإنصاف كم تتردى في الجهل ، فانظر ولو للحظة واحدة
إنصاف المحنكين !

حكاية (٢٦٦٣ - ٢٦٤٣)

كان لليهود ملك من وقع أسيراً في يد جند محمود (٢) ، وما أن
حمله اخذ إلى محمود . حتى سارع ذلك الملك بقبول الإسلام ، ثم
حصل كل أساليب المعرفة ، كما تخرج من جميع العالمين ، بعد ذلك جلس
وحيداً في الخيمة ، وتخلّى عن قلبه ، واستمر في محراب المحبة ، حيث كان

(٢) بشر الحافي كنيته أبو نصر ، وقيل إنه من بعض مري مرو ، ولكنه أقام في بغداد ،
وظل فيها حتى رحل عن الدنيا عام ٣٢٧ هـ . وقيل إنه دبر أحاديث بينه وبين أحمد بن
حل . انظر قصص الأسس لحسن ، طهران ١٣٣٦ هـ ، ص : ٤٨ - ٤٩

(١) ي محمود المروني .

يقضي ليله وبهاره في بكاء وعويل ، وكان ضاره أسوأ من ليله ، وليله أسوأ من بهاره . وما أن زاد عويله ونحيبه ، حتى أجبر محمود بأمره ، فاستدعاه محمود للمثول أمامه ، حيث قال :

يمكنني أن أمحك مائة مملكة أكثر مما كان لك ، وأنت ما زلت ملكاً ، فلا تنع حالتك بسبب هذا الأمر ، ولا تنحرف في البكاء أكثر مما أنت فيه .

قال ملك الهند أيها السلطان العظيم ، إنني لا أدكي من أجل انك ووجه ، ولكنني أبكي خشية أن يسألني الله عز وجل يوم القيامة سؤالاً ، فيقول : أيها الخاهل سيء العهد عديم الوفاء ، لماذا ررعت مع من مثلي بدور الخفاء ؟ إذا لم يأنك محمود بعالم عاص بالمرسان والحدود ، ما تذكرني ، فكيف كان هذا ؟ إن هذا بعيد عن الوفاء لهذا أوجعت تحرك الجيش من أجلك ومن أجل الآخرين ، وبدون هذا الجيش ، ما جاءتك مني تذكرة ، فهل أدعرك صديقاً أم عدواً ، وإلى متى يكون الوفاء مني ومنك اخفاء ؟ فهذا الصنيع منك لا يحسن في الوفاء

إن يأتني هذا الخطاب من الحق تعالى ، فكيف أجيب على ما صدر مني من عدم الوفاء ؟ وكيف أواجه هذا الخجل ، وذلك الاضطراب ؟ ولهذا يبكي الشيخ أيها الشاب ، فاسمع كل حرف يقل عن الإنصاف والوفاء ، واسمع جيداً لما يلقي في محيط الدرس ، وإذا كنت وهياً ، فاعزم على سلوك الطريق ، ولا فارص بالفسود ، وكف يدك عن هذا الطريق ، وكل ما يخرج عن حيز الوفاء ، لا يليق بباب البرودة .



حكاية (٢٦٦٤ - ٢٦٨٧)

طلب أحد الغزاة مهلة من كافر ذي همة ، طلب مهلة ليؤدي الصلاة ، وما أن وافق الكافر ، حتى أدى العازي الصلاة ، ثم عادت الحرب بعد ذلك إلى مجراها ، وكانت للكافر صلاته كذلك ، فطلب مهلة هو الآخر ، واستحب من المحاربة ، واحتار الكافر ركناً أظهر ، ثم وضع رأسه على التراب أمام الصمم ، وما أن رآه العازي واصعاً رأسه على الأرض ، حتى قال ، لقد وائمتي الفرصة في ذلك الوقت . فإراد أن يضربه بسيفه ، فجاءه هاتف من السماء صائحاً .

يا من تسم كلك سوء العهد ، عليث بالتمسك بالوفاء والعهد ، إنه لم يصر بك بالسيف وقد أعطاك المهلة أولاً ، فإن تصر به بالسيف ، فكم تكون جاهلاً ! يا من لم تقرأ « وأوفوا بالعهد » ^(١) ، لقد أصبحت حائثاً للعهد ، إذا كان الكافر قد أحسن صعباً قبل هذا ، فلا تكن عليهم المروءة أكثر من هذا . لقد فعل الخير ، وأنت تفعل السوء ، فافعل مع الخلق ، ما تعله لنفسك . كان لك الوفاء ولأمن من الكافر ، فأين وفائك إذا كنت مؤمناً ، فبأيها السلم لقد جئت بعيداً من التسليم ، حيث كنت قل وفاء من الكافر .

تحرك العازي من مكانه بعد سماع هذا الحديث ، وتملكه الخجل وتصيب عرقاً من الرأس إلى القدم ، وما أن رآه الكافر متجنباً هكذا ، حتى وقف حائراً والسيف في يده ، وقال - لماذا نبكي ؟ ملتعل حقيقة ما حدث !

قال (العازي) . لقد عوتيت في هذا الرمال سييك ، ووصفت بعدم الوفاء من أجلت ، لذا فأنا حائر هكذا بسبب نهرك .

(١) سورة الأعراف ، آية : ٣٤

ما أن سمع الكاهن هذا القول الصريح ، حتى أطلق صيحة عالية ، ثم انهمر في البكاء ، وقال : أهكذا يعاتب الله الخبار بحسبه من أجل عدوه البغيض ، فإن يعاتب هكذا في الوفاء ، فإنا أصبح يوم الحساب ، وقد عديم الوفاء ؟ لنعرض الإسلام حتى أسارع بالدخول فيه ، وأحرق الشرك ، وأنتح شريعة البقيس ، وأسأله أن كُيِّل قبسي هكذا ، وأصبحت عديم المعرفة بربي هكذا

يا عديم الأدب ، ما أكثر عجائباتك للوفاء مع مطلوبك طواس الليل والنهار ، ولكسي سأتدبر بالصبر ، حتى يواجهك طاس الفلك بأفعالك واحداً ، واحداً



حكاية (٢٦٨٨ - ٢٧١٦)

أصاب القحط الإخوة العشرة بالنعمور ، فجاءوا إلى يوسف بعد طول مسير ، وشرحوا حاسم وما أصابهم من ذلة ، وطلبوا المون بسبب القحط في هذه السنة ، وكان وجه يوسف مقعاً بحجاب ، وأعلمه طاس في ذلك الوقت ، هم أن طرق لطاس بيده ، حتى انهمر الطاس في بكاء ونحيب ، فقال يوسف في الحال : يا من تدركون الحكمة ، ألا يعرف أحدكم صوت مد الطاس ؟ فناطق الإخوة العشرة أمام يوسف مقرين بمعجزهم في هذا الوقت ، حيث قالوا : أيها المزير لعالم بالحق ، كيف يعرف الشخص أي صوت صادر عن الطاس ؟

فقال يوسف في التو : إنني أعرف تماماً ما بهو به ، ولكم واهون فالتعاس بقول . لقد كان لكم من قبل ، أخ له من الحسن أكثر مما لكل ، وكان اسمه يوسف ، كما كان يعوقكم في مراتب الحسن والكمال ثم طرق الطاس مرة أخرى ، وقال : كما أنه يقول : لقد

ألقىتم يوسف في البئر ، ثم اتهمتم ذنباً بريئاً . وطرق الطاس مرة ثالثة ، فأحدث الطاس أصواتاً أخرى ، فقال : يقول الطاس : إنكم أصبتم الولد بالحرقه ، حيث بعتم يوسف القمري الوجه . فهن يعمل الكفر ما فعلتموه مع أحبيهم ؟ فليصحبكم الخدلان من الحق ، أيها الحاضرون .

تملك هؤلاء الإخوة الحيرة من هذا الكلام ، وتصيب الجميع عرقاً ، مما ألم بهم من نحجل ، وعلى الرغم من أنهم باعوا يوسف في ذلك الوقت ، إلا أنهم أصابوا طريق الحياة أمله في ذات الوقت ، وبأن القوة في البئر ، حتى سقطوا جميعاً في بئر ابلاء .

عديم البصيرة من يسمع هذه القصة ، ولا يأخذ منها العبرة . لا تنظر إلى هذه القصة بلا بصيرة ، فهذه كلها قصتك أنت ، أيها الجاهل . كل ما فعلته من عدم وقته ، قد فعلته دون إدراك لصور العرفة ، وإن يطرق إنسان الطاس من أجلك ، فستجد أفعالك القبيحة تفوق كل هذا ، فلتظل كما أنت حتى يوقفوك ، ثم يمسروك وأنت في طابعك السيئة . وليبق إلى البعد كل نجاتك ، وليبق لك كل كفرتك وأخطائك ، فسيعرض كل ذلك واحداً واحداً ، وسيحصي عليك كل ذلك واحداً واحداً ، وإلام يصل صوت الطاس إلى لأدن ؟ إنني لا أعلم إلى متى يبقى العقل والإدراك .

يا شبيهاً بالحملة العرجاء في مزاوله كن أمر ، هكذا أصبحت في قاع الطاس كالأسير ، وما أكثر ما طمعت حول الطاس مكساً ، فامض فإن هذا الطاس حاص بالدماء ، وإن تظل وسط الطاس مبتلياً ، فسيأتيك بصوت جديده في كل لحظة فارفع الرأس وأمن النظر يا علماً بالحق ، وإلا فتصبح مضوحاً من صوت الطاس .



المقالة الثانية والثلاثون

سؤال طائر آخر (٢٧١٧ - ٢٧٣٢)

سأل آخر قائلًا : أيها الرائد ، هل الحرية مقبولة في تلك الحصرة ؟
إن كنت الحرية متوفرة ، فمن أين يتولد الخوف والرهبة ؟ فلنقل ، كيف
تكون الحرية هناك ، واشترط المعاني ، وأطلق بالسر

قال (المدهد) : كل من تتوفر لديه القدرة والكفاءة ، يكون
موضع الأسرار الإلهية ، فإن يظهر الحرية ، محبوبة منه ، لأنه حليق بأسرار
السلطان على الدوام ، ولكن كيف يتحرر العالم بالسر الحافظ له ، متشبه
بالخسوف الوقح ؟ ومن يضع الأدب في كفه الأيسر ، واحترمة في كفه
الأيمن ، مقبول منه أن يتجاسر لحظة أما ذلك الذي يعيش في
الصحراء ، كيف يمكن أن يكون لدى السلطان صاحب أسرار ؟ ولو تحرر
كامل السر ، سيظل بعيداً عن الإيمان والروح ، وكيف يستطيع فاجر من
الجن ، إعلان جراته أمام السلطان ؟

ولو فرض أن تقدم عبد اعظمي في الطريق ، فإنه يتحرر فرحاً
وتبهاً ، إنه يعرف الرب جملة ولكنه لا يمير (رَبِّ) من (رَبِّ) ، فإذا ما
تحرراً من فرط الحب ، ثم يصير كالمجنون من شدة العشق ، كما يسير
فوق الماء من شدة الشوق ، وما أجمل جراته ، ما أجملها ! فقد جعلت هذا
المجنون شبيهاً بالنار .

ولكن متى وجدت السلامة في طريق لسان ؟ ومتى وجه لوم
لمجنون ؟ فإذا كانت آثار الخون قد بدت عليك ، فكل ما تقوله ، يقل



حكاية (٢٧٣٣ - ٢٧٤٧)

بالت حراسان خطأ عظيماً ، إذ ظهر في حراسان عميد (١) ، وكان له من الغلمان مائة من الترك لصباح ، وكانوا ذوي قممات سرورية وسواعد نصية وشعر فاحم ، وفي أدب كل غلام درة مضيئة بالليل ، ومن يريق هذه الدرر يصبح النيل شبيهاً بالنهار ، وكانت لهم قلاص لامعة وأطواق ذهبية ، وهم صدور مضية وأواسط ذهبية ، وكل منهم يعقد حول وسطه حراماً مرصعاً بالجوهر . وتحت كل منهم جراد أبيض ، وكل من يحاول النظر إلى أحد العلماء ، سرعان ما يسدم القنب ، وتضي روحه .

وقضاء وقدرأ رأى وله غيبة في الفقر مهلهل الثياب حافي القنعين ، ذلك العدد الكبير من العلماء من عميد ، فقال : من هؤلاء الجور ؟ فأجابه أحد سادة المدينة بأن هؤلاء علماء عميد مديننا ، وما أن سمع ذلك الولد هذه القصة ، حتى زاد ولطه وجونه ، وقال :

يا ذا العرش المجيد ، لتتعلم تربية عبيدك من العميد !

إن كنت ولها به ، فتعلم الحراة ، ويجب أن تكون غصناً مورقاً ، فإن تعسم أوراق هذا الغصن ارتفع ، فلا تنجراً بعد ذلك ، ولا تضحت على نفسك .

(١) لعل المقصود عميد الملك الكندري وزير طبريز السلجوقي ، واسمه بالكامل أبو نصر محمد بن محمد الكندري ، وهو من رجال سابور ، قتل عام ٤٥٦ هـ أيام سلطنة أب أرسلان انظر تاريخ دولة آل سلجوق لعماد الدين الأصفهاني ، ص ٢٩ .

ما أجل جرأة الواهين ، وما أحملهم وهم كفراشات يحترقون ،
ولكن لن يستطيع هؤلاء إدراك الطريق ، ومعرفة أهو حسن أو سيء إلا إذا
أنعم عليهم قوا العرش بالسوفيق .

حكاية (٢٧٤٨ - ٢٧٥٣)

كان وله يسير في الطريق عاري الخسد ، وقد اشتد به الجوع ،
وكان البرد قارساً والمطر مهنراً ، فأصبح عريق النظر والبرد ، ولم يكن
له غما أو منزل ، صابر حتى التجأ إلى خرابة ، وما أن توقف عن السير
وولج الخرابة ، حتى سقطت على رأسه من السقف أجرة ، فشجت رأسه
وسالت الدماء كنهر ، فرفع رأسه إلى السماء قائلاً .

إني متى تدق طبول السطة ؟ الأفضل من هذا ألا تستطيع الصرب
بالأجر !

حكاية (٢٧٥٤ - ٢٧٦٥)

وجد فقير معدم في بلدة كاريز^(١) ، وقد استعار حملاً من جاره ،
فذهب صوب طاحونة ونام هائئاً البالي ، وسرعان ما ولى الحمير في
الصحراء ، فغرق ذنب ذلك الحمار وأكله ، فطاله صاحبه في اليوم التالي
بديته وأخيراً سارعا بالعودة حتى يمثل أمام أمير كاريز ، وقصص قصتها
على الأمير بكل أمانة وصدق ، وسأله عن من تحمل العقوبة ؟

(١) سم بر ذكرها في معجم البلدان

قال الأمير : كل ذئب وحيد ، يعيش في الصحراء والفيافي جوعان ،
ثابتة عليه هذه الحياة بلا ريب ، فعليكما بالبحث عنه ومطالبتة بالدية .
فلو قدر أن وجد مائه حمار بل أكثر من مائة ، فسيمرقهم واحداً واحداً كلاً
في إثر الآخر ، لقد خلق الله الذئب لهذا البلاء ، أيها الجاهل ، ملا داعي
للتعجب .

إلهي ، لماذا يستبيح الجريمة من لا يدفع دية ما يفعل ؟ . وكيف
كانت حالة ساء مصر ، عندما مر بهم أحد مخلوقيك ؟ وأي عجب أن
يدرك عبثون حالاً من السعادة ؟ لأنه إذا ظلنا قد الوعي في تلك الحال ،
هل ننظر مطلقاً إلى الأمام أو إلى الخلف ، ولكن يظل الكل يتكلمون عنه
ويجادثونه ، كما أنهم يواصلون البحث عنه ، ومن أجله يبحثون .



حكاية (٢٧٧١ - ٢٧٦٦)

هم مصرق محمد فجائي ، فتساقط الناس مصرعي وهم يطالبون
بالحفز ، وتساقط الناس مرتي في كل طريق ، حتى كاد أنصاف الأحياء
يطعمون أجساد أنصاف الموتى ، وعندما رأى أحد العلماء الوهابين هذا
الفعل من الغضب ، ورأى الناس يموتون بلا طعام ، قال .

يا مالك الدنيا والدين ، إن كنت لا تملك رزقاً ، فقلل من الخلق

كل من يتجرأ في هذه الاعتاب ، سيطلب المعذرة عندما يثوب إلى
رأسه ، وإن يحطى القول ، ولم يوفق في تلك الاعتاب ، فإنه يعرف كيف
يمتدح ، حيث يقدم اعتذاره برفقة ولطف .



حكاية (٢٧٧٢ - ٢٧٨٥)

كان هناك شخص قلبه كله هموم ، إذ كان الأطماع يقذفونه بالأحجار ، فذهب في النهاية إلى ركن بموقد الحطب ، حيث توجد كوة هناك ، فتناثر البرد من خلال تلك الكوة على رأس ذلك الوالد ، ولأنه لم يعرف البرد من الأحجار ، فقد أكثر من الهراء والثثرة ، كما أطلق العديد من السباب ، قائلاً : لم تقذفوني بالأحجار والمدر ؟

وفجأة فتحت الريح باباً للموقد ، فعم الصياد جميع أرجاء الموقد ، وهذا عرف البرد من الحجر ، فاصبغ قلبه لما أصدره من سباب ، وقال

إلهي ، كم كان الحطام مطلقاً ، لذا بدرت السباب مني سهواً ، فإن يصدر هذا القول عن والد ، فلا تعاقبه بسبب رعونته هذه ، ومن كان ثملاً لا يعقل ، فلا قرار له ، كي أنه بلا راحة ، فاحفظ لسانه عن التمدح بهذه الأساليب ، والتمس المعدة للعاشق المجذوب ، فإن تنظر إلى سر من أظلمت قلوبهم ، ستجدهم جميعاً ممن تلمس المعدة لهم .



حكاية (٢٧٨٦ - ٢٧٩٢)

سار لواسطي^(١) حيران مشوش الخاطر والبال ، حتى أصبح لشدة حيرته عديم المأوى والمال ، سار حتى وقع نظره على مقبرة لليهود ، فأدام

(١) الواسطي اسمه محمد بن موسى ، وكان يعرف باسم الفرقاني ، من أصحاب السعيد والسري ومن علماء قومه كان مبرراً في علوم التصوف ، كما كان عالماً بأصول العلوم الظاهرة وبفروعها ، رحل في شتائه من بغداد إلى مرو وظل بها حتى توفي عام ٣٢٠ هـ . نظر مجلات الأسس لمسي . طبع طهران ١٣٣٦ هـ من ١٢٥ - ١٧٧ هـ

النظر إليها ، وقال . إن هؤلاء اليهود معدورون جداً ، ولكن لا يمكنهم قول هذا السر لأحد أبداً .

سمع أحد القضاة هذا القول ، فبد عليه المصعب ولما كان القول لا يروق للقاضي فقد استكره ، فقال له انواسطي :

إذا كان هؤلاء الموتى ، عبر معدورين أمام حكمك ، فهم جميعاً معدورون في هذا الرمان أمام حكم الله علام الغيوب

لمقالة الثالثة والثلاثون

سؤال طائر آخر

(٢٧٩٣ - ٢٨٠٥)

قال احمرته : ما دمت حياً ، فإن عشقه بطل لانها وعجباً إليّ لقد
قطعت صلتني بالكر ، وانفجر دواماً بعشقه المتصل وما أن رأيت جميع
الخلق في هذا العالم ، حتى أسرع بقطع صلتني عن كل ما اتصلت به ،
وشعلي الشاعل هو عشقه فقط ، وهذا العشق ليس في مقدور كل إنسان ،
ولقد أقبلت على عشو الحبيب بكر روجي ، وإذ حدث وتفاعست
الروح عن العشق ، فقد جاء الوقت لأوقفها عند حدها ، حتى أحصى
بكأس أحسنه على طلعة الأحة ، وبجمال أصيبي عير الروح ، وأعانه
في وصال ..

قال (المدهد) . لا يمكن الادعاء والكذب بمحاولة السيمرغ على
جبل قاف ، فلا تتشلق بعشقه تيهاً في كل لحظة ، إن ذلك ليس في متناول
أحد من البرية ، ولكن إذا ما هت سائه احظ ، فإنها تطرح الحجب عن
وجوه الأعمار والأفضل لك أن تسلك الطريق إليه ، وأن تجلس وحيداً
في حلونه ، فإن كان لك ادعاء في هذا المكدر ، فلب تلك الدعوى هو
المعنى الحقيقي لك أما صداقتك هذه ما هي إلا أدى وخرقة ، وتكن
محبة شغفك الشاعل ..

حكاية (٢٨٠٦ - ٢٨٢٠)

عندما ودع با يريد دار الحياة ، رآه مرید في منعه في نفس الليلة ،
وسأله أبا الشيخ الكبير ، كيف استطعت الخروج عنك وبكبر ؟

قال . عندما وجه هذان شهيران إلي أنا المسكين سؤالاً صادراً من
الخالو تعالى ، قلت هما : لا داعي لهذا السؤال ، فلن نصلا أنفسنا ولا أما
إلى حد الكمال ، لذا فإن اكتف بالقول بأنه إلهي ، لقد هذا القول مني
صبراً من الحنون ، ولكن عوداً إلى ذي الحلال وأسأله عن الحال ، فإن
يدعي عبداً ، فهذا عين المراد ، وكهني أن أكون عبداً لله المتعالي ، أما
إذا لم يجعلني من عبده ، فإنه ستركب مكبلاً بعبود نفسي ، فإن لم تكن
الصلة به ميسورة ، فما حدودي أن أدعوه إلهي ، وإن لم أكن أسير
عبوديته ، فكيف أتباهى بالوحيته ؟ وقد صاغت رأسي اعترافاً بالرهيته
فوجب عليه أن يدعوني عبده . .

إن يانر بالعشق من جانبه ، فإنك تكون حد لائق بعشه ، أما
العشق الصادر منك ، فاعلم أنه يليق بوجهك فقط . وإن يتلاطف
معك ، فلنك أن تكون كالنار من عشقه ، الأمر له وليس لك ، يا عديم
البصر ، وأنتى للجاهل أن يدركه عه أي حبر ؟



حكاية (٢٨٢١ - ٢٨٣٤)

كان هناك شيخ يبكي من فرط العشق ، وكان كالنار لا يقر له قرار
من شدة المحبة ، وقد احترقت روحه من حرارة العشق ، كما اتعقد لسانه
من حرقه الروح ، وسرت النار من روحه إلى قلبه ، فأصبح أمره غاية في

الشدة ، وأخذ يمشي في الطريق لا يفر له قرار ، وظن يتشب ، وينطق
بهذه الأقوال :

« لقد أحرقت الروح والقلب بدار وقاحتي ؛ وطالما بكيت حتى
ضخت مياه عدامي » .

فجاءه صوت الهاتف قائلاً : لا تتحدث هكذا وكف عن التباهي ؛
ولم ألقيت إليه بكل قول جزاف ؟

قال : عندما أحادث أحداً ، فإنه يحادثني بلا شك ، ولكن طالما
كان لمن مثي هذا اللب والقشور ، فكيف أستطيع عشق من هو مثله ؟ ماذا
فعلت أنا ؟ إن كل شيء قد فعله هو ، لقد أصبح القلب كالدم بسببه .
فهو من أهاج القلب وأدماه وحده . .

إذا كان قد لاحظك مرة ، فلا يكن أسير الكبير ، بل كن حذرًا ، فمن
تكون حتى نستطيع رأيت في هذه البشر السحيقة ، أن تخرج قدمك ولو
للحظة من تحت حافك ؟ وإن كان يعشقك أيها الغلام ، فهو يمارس
العشق مع صنعه على الدوام ، أما أنت فلا شيء على الإطلاق ، ولا سند
لك ، فكف عن هذا ودع الصبح لصباح ، فإن بدا لك وجود في الوسط ،
فإنك تكون خارج نطاق الروح وكذا بعيداً عن الإيمان .

حكاية (٢٨٣٥ - ٢٨٦١)

ذات ليلة كان قلب محمود مغمماً بالخرقة ، فنزل ضيفاً على عامل
موقد الخيم المتصف بالنعطة ، فجلسه العامل عن الرماد وهو عابة في
السرور ، وكان يقذف بالنشارة في الموقد وكله حور ، ثم وضع كسرة خبز

جافة أمله ، فمد السلطان عمود يده وأكلها ، وقال : إن يغلب الوقاد عطام مني في هذه الليلة ، فسرعان ما أقطع رأسه عن جسده .

وأخيراً ، عندما عزم السلطان على الرحيل ، قال له الوقاد : لقد رأيت هذا المكان ، كما رأيت مرقدي ومطعمي وإيوائي ، فقد نزلت علي ضيفاً بلا دعوة ، لأن فكرت في ذلك مرة أخرى ، فلتسرع بالعدوم ، وأسرع الخطى ، وعجل بالمجيء ، أما إذا كانت رهوساً غير جديدة بك ، فلا تقم لذلك بالأ ، وقل : أيها الوقاد ، أنثرها كالنشارة في الموقد ، فأنا بالنسبة لك لست شيئاً تافهاً أو عظيماً ، ومن ذا أكون حتى أمثل أملاك ؟ ..

سرسلطان الدنيا من حديثه ، ونزل ضيفاً سبع مرات عليه ، وفي اليوم لأخيراً قال السلطان للوقاد : ألا تطلب شيئاً من السلطان بعد كل هذا ؟

قال : إن يقل المسكين حاجته ، فلم يستسيخ السلطان منه تلك الحاجة ..

فقال السلطان لنقل حاجتك ، أتريد أن تكون ملكاً ، لنقل إنك نبي التخلي عن موقد الحمام !

قال : بل حاجتي تتمثل في مجيء السلطان ، ضيفاً علي من أن إلى أن ، لملكي في لقائك وكفى ، وتاج معرفتي يتمثل في تراب طريقك وكفى . وما أكثر من نصبتهم ملوكاً ، ولكن موقد الحمام لا يليق بهذا المنصب ، وإن يمالك الوقاد في الموقد خير له من أن يكون سلطاناً بدونك في روضة . وإن يتحقق وصلي معك في هذا الزمان ، فكيف أستبدل ذلك بملك العالمين ؟ وإذا كان حظي قد أقبل من موقد الحمام ، فرحلي عن هذا المكان بعد كفرأ . وما أكثر أن عم الضياء الموقد بورك ،

هماذا يعصده حتى أطلقك منك ؟ فليكن موت الروح لهذا القلب الرهبان ،
إن بفضل عنيك أي شيء مطلقاً ، وأبناً أطلقك جاهلاً ولا سلطاناً ، وكن
ما أطلقه منث هو أنت ، فأنت السلطان وحدث ، فلا تنهسي سلطاناً ،
بل تعال لزيارتي كل فترة من الزمان . .

عشقه مبرورة لك ، وهذه هي الحقيقة ، أما عشقك له فمن وهم ،
إن كان لك عشقه ، فاطلبه هو أيضاً ، ولا تكف يدك عن هذا الطلب
مطلقاً ، فالعشق القديم يرعب في عشق جديد ، كما تطالب الكوز
بالمزيد من الدراهم ، والقلب يحرص على كل ما يحصه بلا شك ، كما أن
السحر المتلاطم الأمواج يرعب في كل قطرة جديدة .



حكاية (٢٨٦٢ - ٢٨٧١)

سار أحد السقاة حاملاً الماء على الكف ، فرأى ساقياً آخر يتقدم
الصف ، وفي الحال ، ذهب من يحمل الماء على كفه ، إلى الساقى الآخر
وطلب منه ماء ، فقال له الرجل : أيها الجاهل ، ما دمت تملك هذا الماء ،
فاشرب منه شيئاً ، فقال : حذار أيها العاقل ، وأعطني الماء ، فقد عاف
قسي ما معي من ماء .

كان لأدم قلب شبع من كل قديم ، وأملأ في الحديد تعلق بحب
حبة ، فباع كل قديم لديه بحبة قمح واحدة ، وأحرق كل ما يملك رغبة
في حبة قمح واحدة ، ونهرى ، وسيطر الحرد على قلبه ، وجاء العشق ،
فطرق حلقه بابه ، وعندما تلاشى كل شيء في صياها العشق ، تلاشى
القديم والجديد ، كما تلاشى هو أيضاً ، ولما لم يبق له شيء ، توافق مع
العدم . وأسلم كل ما كان في حوزته إلى العدم ، وكثيراً ما كان انتزاع
القلب من النفس وانوث ، ليس أمراً ولا أمر أي شخص ! .

« المقالة الرابعة والثلاثون »

سؤال طائر آخر (٢٨٧٢ - ٢٨٩٣)

قال آخر له : يمول في ظمي وحيالي ، أسي وصلت إلى حد لكمال ، فقد فعلت كل ما يؤدي إلى الكمال ، واكثرت من ممارسة الرياضة الشاقة ، فإن كنت قد حصلت على مرادي هنا ، فذهابي من هذه الدار ليس أمراً مهنياً ، وهل رأيت شخصاً يتخلى عن كبر ، ليتحمل المشاق في الجبل والصحراء ؟ .

قال (الملهد) : يا إبليس الطبع ، ويا شديد الغرور ، نحن عن أنتيتك وانقر من رغباتك ، لقد أقبلت معروف ساعاً في حياك ، كما أقبلت محققاً خارج فضاء المعرفة ، وسيطرت نفسك على روحك ، وتسلط الشيطان على عقلك ، كما أصبحت أسير طنونك ، إذ اكتنفتك الظنون من أولك إلى آخرك . وإن كان لك نور ، فهو نورك بالطريق ، وإذا كان بك فوق هو ظنونك ، لذا فإن وجدك وذوقك ليسا أكثر من حياك ، وكل ما نقوله ليس أكثر من محال . .

لا تكن معروف بريق الطريق هذا ، وظالماً كانت نفسك قرية لك فلا تكن إلا حدرأ ، إذ كيف يستطيع أي شخص التخلص مناً ، وفي مواجهته حصم عبيد شاهر سيمه ؟ وإذا بدا لك نور نابع من النفس ، فقد ظهر الكرفس من أجل لدعة العفرب (١) ، فلا يملكك الغرور بهذا

(١) يقال إن الكرفس نصح به بعد الأدوية ذات الطعم والرائحة الشديدة والنعانة لإدخاله قرب العفرب من هذه المادة ، تأثرت برائحته وطعمها ، صابها العسل والأمراض التي تؤدي بحياتها (نقلاً عن تعليقات محمد حماد بشكور ص ٣٣٠ نقلاً عن كتب عبيات اللغات) .

النور النجس، وإن لم تكن شمساً، فلا تكن إلا درة . ولا تياس من ظلمة الطريق ، ولا تحاول بسوره أن تتساوى مع الشمس .

طلنا نتردي في ظنوك أيها العزيز ، فكل جهدك لا يسوي دافقاً ، وعندنا تتحلى عن ظنون الرجود ، فسيبتعد عنك فرجار الوجود وإذا توفر لديك صن الرجود ، فهو عدم ، وإن يكون لك من العدم إلا العدم . وإذا كان لك أن تطمع في الوجود لحظة ، فما لك إلا الكفر وعبادة الصم ، وإن تد في عالم الرجود لحظة ، تصيبك السهام والطعان من كن ماضية ، وما دمت حياً ، فليتحمل حسدك آلاء الروح ، وليتلق عقبت لطمات الزمن . وإن كان لك وجود في عالم الوجود ، فسيهيك الرمن بالعديد من اللطمات



حكاية (٢٨٩٤ - ٢٩١٢)

خرج الشيخ أبو بكر البسابوري^(١) ، مع أصحابه من الخانقه إلى الطريق ، وكان الشيخ يمتطي حماراً ، ومن حمله الأصحاب ، ووجاه صرط الحمار ، فأصيب الشيخ من هذه الضرطة بحالة هياج شديد ، وصاح بأعلى صوت ، كم مزيق الأردية . أما جميع المريدين ومن رأوه على هذه الحال ، فلم يتقبل أحدهم منه هذا العمل . ثم وجه أحدهم إليه هذا السؤال : أيها الشيخ لم فعلت في النهاية هكذا ؟

قال . كثير ما تحررت وتمعت ، ثم سلكت الطريق بمفردي بعيداً

(١) أبو بكر البسابوري . معروف القاصي طباطبائي في تعقيقاته على منطق العبد (لم أجد ذكراً لهذا الشيخ بين كتّاب التذكار كلها) .
راجع نسخة منطق الطير طبع بهران ١٣٤٧ ص ٣١٤ .

عن الأصحاب ؟ وفيل ان أكون مريداً ، وبعد ذلك ، كنت أقول في نفسي . « حقاً إنني لست أقل من بايزيد . إنني اليوم أخرج إلى الطريق متسوفاً بايزيدين ، وقد بدوت في أبهى زينة ، أما في الغد ، فساكون بلا ريب ، مشتمعاً بالسعادة والعز ، إذ سأضي في صحراء الخشمر مروع الرأس . والآن عندما فكرت هذا التفكير ، اتفق أن صرط الخمار ، ويعني أن كل من يتشقق بهذه الطريقة ، سيحييه الخمار هكذا على الهراء ، واضطربت النار في روحي حيث كان الوقت وقت حالي ، واستغرقت في الحال .

طالما كنت في عجبك وغرورك ، فستظل جاد بعيد عن الحقيقة ، فتخلص من عجبك وأحرق غرورك ، وإذا كان حضورك وليد نفسك ، فأحرق حضورك ، يا من تتلون بطون معابر في كل لحظة ، إن في داخل كل شعرة منك فرعون آخر ، وطالما بقيت منثورة واحدة ، فالوان التفلق للعديدة فيك نافية ، وإذا كان لك أن تجد الأمن من الأنايه ، فلك أن تعادي كلا العالمين ، وإن تغن نفسك ذات يوم ، فستصبح ذا برين وخبياء مهم أظلمت الليالي ، فلا تقل (أما) ، يا من وقعت من الأنايه في مئات البلايا ، حتى لا تصبح بإيليس محتلياً



حكاية (٢٩١٣ - ٢٩١٨)

قال الحق تعالى في الخفاء لموسى ، ابحث عن رمز لدى إيليس . فما ان رأى موسى بالطريق إيليس ، حتى بحث عن السر لديه ، فقال له إيليس .

تذكر دائماً هذه العبارة ، لا تقل « أنا » حتى لا تصبح على

شاكتني ، وإن كنت متعلقاً بالحيلة ولوقيد شمعة ، فأنت أسير الكفر لا
العبودية ، وللطريق نهاية عما دها اليأس ، وصيرتني طيب السمعة في سوء
السمعة ، لذا فمن يرغب أن يكون موفقاً في هذا الطريق ، عليه أن يحطم
الأنانية في لحظة واحدة .



حكاية (٢٩١٩ - ٢٩٢٥)

قال أحد المتقين . الأفضن للمبتدئ أن يتردد في الضلعة ، ثم يفني
كلية في بحر الجود بعد أن يتخلى عن كل قيد في الوجود . وذلك لأنه إن
يظهر عليه شيء ، يتملكه الضرور ، وفي ذلك الوقت يصبح كافراً

كل ما لديك من حسد وغضب ، تراه أعين الناس ، لا عينك
أنت . وفي داخلك موقد حمام مليء بالناسين ، ولكنها في غفلتك انطلقت
من جحرها ، وكنت طوال الليل والنهار ترببها ، كما كنت مفتوناً بأكملها
وبومها ، فإن كنت ترى سوء طوبى لك ، فسم كنت تجس هكذا عبثاً ؟



حكاية (٢٩٢٦ - ٢٩٣١)

مر كلب نجس بأحد الشيوخ ، فلم يتحوز الشيخ من ذلك ، فسأله
سائل : يا عظيم الظاهر ، لم لم تحترز من الكلب ؟

قال يبدو هذا الكلب في الظاهر نجساً ، ولكنه في الباطن لا يبدو
لي هكذا ، وذلك الذي له في الظاهر عيان ، له خفي في اساطر ، وما لي
دخولتي مثل ما للكلب في ظهره ، فكيف أهرب منه وهو ملازمي .

مهما كانت لنجاسة قليلة في دحلك ، فهذه العلة تساوي مائة
نجاسة بلا غش ، وإذا قطع شيء نافته عليك الطريق ، فسواء بالنسبة
لك أن كان شيء عظيمًا أو تافهًا



حكاية (٢٩٣٢ - ٢٩٤٥)

وحد عابد في عهد موسى الكليم ، وكان مشغولاً بالعبادة ، والقيام
بالليل والنهار على الدوام ، ولكنه لم يدرك ذرة ذوق واحدة أو توفيق ،
ولم يدرك صدره صوءاً من نور الشمس ، وكانت لهذا الرجل العابد
لحية كبيرة ، وكان يحسها من أن إلى أن .

ما أن رأى العابد موسى من بعيد ، حتى أقبل صريره قائلاً : يا
عظيم الطور استحلحك بالله ، أن تسأل لي الحق سؤالاً ، وهو لماذا لا
يكون لي ذوق أو حال ؟

وأخبراً عندما صعد موسى جبل الطور ، أعاد توجبه هذا السؤال ،
فقال الحق : كف عن السؤال ، فمتى كان من أصبح مسكيناً بسبب الآلام
وصلنا ، مشغولاً بلحيته على الدوام ؟

جاء موسى ، وأخبره مضمون القصة ، فتمسح العابد بلحيته وانهمر
في البكاء ، ولكن حيريل سارع بالمجيء إلى موسى قائلاً : إنه مشغول
بلحيته في هذا الوقت أيضاً ، فهو عندما يزين لحيته ، يكون أسير
الاضطراب ، وعندما يتفك لحيته ، فهو مشغول باللحية كذلك

إنخراج رفرة واحدة بدون خطأ وأي خطأ ، سواء كنت بسية في

اضطراب أو سعادة . يا من لم تفرج من حيث : لقد عرفت في حضم
بحر الدماء الواسعة ، إن تتحرر من حيثك أولاً ، سيصدق عزمك في هذا
الخصم ، وإن تسلك هذا الخصم في معية حيثك ، فسرعان ما تفنى بسبب
لحيثك .



حكاية (٢٩٤٦ - ٢٩٥٩)

كان لذلك الأب له لحيه كنه ، وفجاء سقط في مياه البحر ، فراه رجل
فاصل يقف على الشاطئ ، فقال له . اصرح لمخللة عن رأسك ، قال
إنها ليست مخللة ، بل لحيي ، إنها ليست لحيه ، بل سبب اضطرابي
قال الرجل أحسست ، لك اللحية ولك الأمر افاطرح لحسد ،
إذ سيصيبك بالأكلم والتحرر .

يا شبيهاً بالنيس ، ألا تخجل من لحيثك ؟ لتخلق لحيثك ، ألا
تستحي ؟ وما دامت لك نفس وشيطان ، فهي داخلتك فرعون وهامان .
وتحل عن لحيثك كما تحل موسى عن الدنيا ، ثم أمسك بلحية فرعون ،
وعاركه في تجادب اللحي عراك الرجال .

اسلك انطريق وتخل عن اللحية ، وامض قدماً فلألام تهتم
باللحية ؟ إذا كانت اللحية تصيبك دواماً بالاضطراب ، فلا ينبغي أن
تهتم بها لحظة . ومن لا يملك مشطاً لحيته ، يكن حصيماً في طريق
الدين ، فكن حذراً من لحيثك ، من جعلها معرناً لخوان انطريق ، ولن
تدركه إلا بالسمع المهمر ، ولن تدركه إلا بحرقه القلب ، ولن يرى أحد

الشمس ، حتى ولو كان عسلاً ، ولن يرى أحد صفحة الماء ، حتى ولو كان دهقاناً

حكاية (٢٩٦٠ - ٢٩٦٥)

كان أحد الصوفية كلما غسل ثوبه بين الحين والحين ، اكتمهر وجهه العالم وتكاثر السحاب ، ودأت مرة ارداد الثوب اتساحساً ، كما بدا السحاب وقد أصيب بالعديد من الهموم ، وما أن توجه الصوفي صوب البقال لشراء الصابون ، حتى تبلد الجو في الحال بالعيوم ، فقال :

لم بدوت أيها الغمام ؟ امض ، فلنني ذاهب لأشتري زيباً إنني اشتري الريب ولست أشتري الصابون ، فلم تأت ؟ كم من صابون نسقط مني على الأرض بسبك ؟ وما قد غسلت يدي بالصابون ، فأنا أظهر منك .

« المقالة الخامسة والثلاثون »

سؤال طائر آحر (٢٩٦٦ - ٢٩٧٤)

قال له آحر . حبري أيها المشهور ، ما الذي يجعلني أشعر في السفر بالسرور ؟ فإن تخبرني ، فل اضطرابي ، وبقي لي بعض الرشد في سيري ، إذ لا بد من الرشد للرجل في الطريق الطويل ، حتى لا يضر من المسير ، وإن حرمت من القبول ورشد العيب ، فأنسي أورد الخلق عن نفسي بكل عيب .

قال (المدهد) : ما حمت موحوداً معه ، فلتسشعر السرور ، وكس حراً ، حتى ولو كان الجميع عبيداً ، فإن تسطع روحك أن تسعد به ، فسارع بجعل روحك لمهمة بالغم سعيدة به ، وسرور النفس في كلا العالمين متعلق به ، وتستصاف قبة العلك متعلق به ، ولتعش بعد ذلك متمتعاً بسعادته ، وكس كالفلك دواراً شوقاً إليه . تكلم يا عديم المروعة ، فأبى شيء أعظم منه ، حتى تكون سعيداً معه ولو للحظة واحدة



حكاية (٢٩٧٥ - ٢٩٨١)

صباحاً ! لقد كان أحد المجانين يعيش في القفار ، وكان يستقر مع النمرود بالليل والنهار ، وأحياناً كانت تسيطر عليه حالة جنونه ، فيضي عن نفسه . وذات مرة استمرت هذه الحالة عشرين يوماً ، وتبدلت حالته إلى حالة أخرى ، وقد نهى العشرين يوماً من الصباح حتى المساء في رنص دائم وحديث لا يقطع ، حيث كان يقول :

كلما كنا نحن الإثنيين بمفردنا بعيداً عن الجميع ، ساد السرور كله
واختفت الهموم .

كيف يموت من قلبه متعلق به ، فأسلم القلب به ، فهو يحب حبيب
القلب ، وإذا ابتلى قلبك بالشوق إليه ، فلن يكون الموت من نصيبك
مطلقاً .



حكاية (٢٩٨٢ - ٢٩٩٠)

كان أحد العاشقين يبكي ساعة موته ، فسئل : لم هذا البكاء ؟

قال . إنني أبكي بكاء سحابة الربيع ، إذ يجب الإحساس بالآلم
في هذه اللحظة ، كما يجوز لي السواح الآن ، إذ كيف يموت قلبي وهو
متعلق به ؟

قال له أحد جلسائه : إذا كان قلبك متعلقاً به ، فإن تمت ، كان
الموت فضلاً وحيراً . . .

فقال العاشق : كيف يموت كن من تعلق قلبه بالله ؟ وكيف يكون
للموت من نصيبه ؟ وإذا كان قلبي في وصال دائم معه ، فإن موتي يكون
غاية في المحال . . .

إن سررت بهذا السرحطة ، فليس لهذا الكنز مثيل في هذه الحياة ،
وكل من تملكه السرور من وجوده ، انمحي من الوجود وتحرمه ، ولكن
ليتملكك السرور من حبيبك على الدوام ، حتى لا تتساوى مع الطين في
داخلك . . .



حكاية (٢٩٩١ - ٢٩٩٧)

قال الحرير : لقد ممت سبعون سنة ، حتى عمى السرور
والعبطة ، إذ كان هذا الحُسر هبة لي من الله ، وذلك لأنني عمي وصال مع
الله . .

إن كنت مشغولاً بالبحث عن العيب ، فكيف تستطيع أن تكون
مسروراً بمحاسن العيب ؟ فيا باحثاً عن العيب ، كيف تستطيع رؤية
الغيب بعين منقبة عن العيب ؟ تتحرر من عيبك أولاً ، ثم انعم بالسرور
بالعشور المطلق للعيب . إنك تدفق في تفصي عيوب الآخرين ، ولكبك في
عمى عن إدراك عيوبك ، فإن تشغل بعيوب نفسك ، فستقبل كل معيب
مهما كانت هيوبه ! .



حكاية (٢٩٩٨ - ٣٠٠٧)

كان هناك نمل عابه في السكر ، وقد حرت كل شئونه بفعل
السكر ، ومن كثرة تعاطيه الخمر الصافية المعتقة ، فقد وعيه كلية بما سيطر
عليه من سكر ، فتصاقب منه رجل عاقل ، ووصعه داخل غرارة ، وأمسك
به حتى يسوقه إلى داره ، فتقدم إليه نمل آخر في الطريق ، وكان لثمل
الأحر يشيع الاضطراب مع الجميع ، وعندما رأى الثمل الموجود في
الغرارة ذلك الثمل الأحر ، تملكه الهم والاضطراب ، وقال :

أيها الثمل فلل ما أنت فيه ، حتى لا تفقد حريتك مثلي ! فما رآه ! وما لم
يره ، هو حالنا ، وليس أكثر منه !

أنت تبحث عن العيب لأنك لست عاشقاً ، ولهذا لا تلتق بك هذه

المخاض ، ولكنك إذا خربت العشق ولو قليلاً ، فسرى العيوب كلها
أفضالاً .

حكاية (٢٠٠٨ - ٢٠١٩)

كان هناك رجل شجاع القلب شديد البأس عشق امرأة طوال خمس
سنوات ، وكان على عين تلك المرأة الفتاة الشبيهة بالصمم^(١) عشوة بيضاء ،
ومع أن الرجل قد أكثر من النظر إليها ، إلا أنه لم يرتك العشوة على
عينها ، لأن العاشق إذ كان ولها في عشقه ، كيف يتأتى له أن يترك عيب
معشوقه ؟

وبعد فترة ، أصاب الرجل في عشقه الضور ، ووجد الدواء ،
وصعب عشق تلك المرأة في قلبه ، وهان أمرها على نفسه ، وهنا رأى
الرجل عيب عين المعشوقة ، فقال : متى بدت هذه العشوة ؟

قالت له . في تلك الساعة التي قل فيها عشقتك ، أصاب العيب
عيني في التو والحال ، وما أن أصاب النقصان عشقتك ، حتى بدا العيب
ل عيني ، ولقد فعلت ذلك لما سيطر على قلبك من اضطراب ، فلننظر إلى
عيب واحد لك ، يا أعمى القلب .

ما أكثر ما بحثت عن عيوب الآخرين ، فبحثت ذات مرة عن
عيبك أولاً ، وما دام عيبك عنك ثقیلاً ، فليس لك أن تهتم بعيوب
الآخرين . .

(١) شبيه امرأة بالصمم في الأدب العربي ، تشبه حمول يهر عن حال أحد ،
وحسن يهرى كل وصف

حكاية (٣٠٢٠ - ٣٠٢٣)

كان المحتسب يضرب ذلك الرجل النمل أياً ضرب ، فقال النمل
قبل أيها المحتسب ، فكم أنت مضطرب . ولكثرة انمال احرام في هذه
الأعقاب ، جئت نملاً تلهث ثم سرت في الطريق ، لذا فأنت أكثر سكرأ
معي ، ولكن لم ير أحد هذا السكر ، فلا تتباد في الحفاء معي أكثر من ذلك
أيضاً ، وكن عادلاً معي ولو قليلاً أيضاً . . .



« المقالة السادسة والثلاثون »

(سؤال طائر آخر ٣٠٢٤ - ٣٠٣٠)

قال له آخر : يا قائد الطريق ، ماذا أطلب منه ، إن أصل إلى أعتابه ؟ وعندما تشرق الدنيا أمامي بفضل ، فلا أعرف ماذا أطلب منه ، فإن تبصرني بأفضل شيء ، أطلبه منه عندما أصل إليه .

قال : « المهدد » . أيها الجاهل ، أنت لست عالمًا به ، فإن ترعب في شيء ، اطلبه منه . ومن يحط بفحة من أريج تراب داره ، كيف يرتد عن داره مقابل رشوة ؟ وكل من يحط بالثول في خلوته ، يحظى بالمعرفة ، والأفضل للرجل أن يطلب المعرفة ، لأنها أفضل من أي شيء يطلبه . فإن وجدت المعرفة في كل العالم ، فإنك ستطلب منه ما تريد أن تعرفه .



حكاية (٣٠٣١ - ٣٠٤٤)

عندما حانت وفاة أبي علي الرودباري (١) ، قال : ونفت روضي على شمتي انتظاراً للرحيل ، ففتحت أبواب السماء على مصراعها ، ووضع لي مسد في حنطة ، كما غنى الملائكة بأعذب الألحان وصاحوا :

(١) الرودباري : اسمه أحمد بن محمد بن القاسم بن المنصور من أبناء رؤساء النوراء ، ويصل سبه حتى كسرى لسمح إلى الجليد ذات مرة في المسجد فتجلى عن كل ما يملأ وانقطع للطريق ، حفظ الحديث كما كان عالمًا فقيهاً وإماماً وسيد قومه ، حتى قال أبو علي الكاتب عنه : ما رأيت أجمع بعلم الشريعة الحقيقية من أبي علي الرودباري رحمه الله عليه أقدم في مصر وأعتبر شيخ شيوخها . توفي عام ٣٣١ هـ .
(أنظر : نصحات الأنس لجلبي من ٢١٠ - ٢١٣)

« أقبل أيها العاشق ، والهج بالشكر ، ثم سر منسجراً سعيداً ، فما رأى
أحد قط هذا المقام ، . ومع كل هذا الإنعام وذلك التوفيق ، فإن روجي لا
يد طولاً لها في التحقيق . .

لذا كان يقول دائماً : لم أبقيتني عمراً طويلاً في خضم هذا
العمل ، وأظلت انتظاري ؟ إنني لست واهناً حتى أطلطم إمامة كاهل
الشهوه أمام أقل رشوة . فقد امتزج عشقك بروجي ، لذا لا عزم لي بالنار
ولا بلجنة . وإن تحرقني كالرماد ، فلن يكون لي معين آخر غيرك ، وأما
أعرفك أنت ، ولا علم لي بالدين أو الكفر ، ولن أحيده عن ذلك ، وأنت
ما أعرف ، وأنت مني بمثابة الروح ، وروحي خالصة بك . وأنت
حاجتي في كلا العالمين ، وأنت دنيائي في الأولى والآخرة ، فحقق لهذا
القلب الرقيق كالشعرة حاجه ، وكن معي على وفاق ، ولو للحظة ، وإن
ترتمع روجي من أجلك ، وليس تحررها مني إلا أملاً في وصالك .



(حكاية ٣٠٤٥ - ٣٠٥٦)

قال الحق تعالى : يا داود الطاهر ، قل لعبادي . يا حفة التراب ،
إن لم تكن لي جنة أو نار ، لما كانت العبودية مستهجنة لدي . ولو انعدم
النور والنار ، لما كان لكم أي عمل معي ، ولأنني أستحق هذه المثلثة
الرفيعة ، بأنتم تعدونني لا دغية ولا دهب ، وإذا لم يكن الرخاء والخوف
يكمسان حلف ذلك ، فكيف يكون لكم معي أي صلة بعد ذلك ؟ وما
دعت أما الإله ، فجدير بكم عبادتي بلأرواحكم على السوام

أيها العيد ، كف يدك عن الغير ، واعبدني بكل استحقاق وتقدير ،
واطرح بعيداً كل ما عداني . وحطم كل ما تطرح ، وبعد أن تحطم كل
العلائق تخلص منها وأحرقها ، ثم اجمع رماذها ذات يوم وانثره ، حتى لا

نقى رايح البحر ها اي اثر ، وإذا فعلت ذلك سيخرج لك من بين الرمال
ما نطلبه ، أما إن كنت مشغولاً بالخلد والخور ، فاعلم يقيناً بأنها أبعدتك
عن نفسك .

حكاية (٣٠٥٧ - ٣٠٨١)

نادى محمود اياز ، وأجلسه على عرشه ونصبه ملكاً ، وقال :
منحك الملك كما أن الجند لك ، فكن ملكاً ، وهذا الأقليم بك ، إني
أرغب في أن تكون سلطاناً وتسيطر على البر والبحر .

ما أن سمع أحمد هذا القول ، حتى اكشهرت عينا كل واحد منهم
حسداً وغيرة ، وقالوا : ما احترم سلطان علاماً في السب هكذا مطلقاً

أما اياز فقد انحرط في بكاء كله حرقه من فلة لسلطان هذه ،
فقال له الجميع : هن أصابك مس من الجنون ؟ أم أنت جاهل حرب
العمل ؟ لقد وصلت إلى مرتبة السلطنة أيها الغلام ، فلم هذا البكاء ؟
يجب أن يعملك المرح والسرد وفي الحال أجاهم يار قاتلاً

كم أنتم عن طريق الصواب بعيدون ، ولستم مدركين أن سلطان
الجميع قد أقصاني بعيداً عنه ، فقد أعطاني مصباً حتى أشعل بالحد
بعيداً عنه ، قلل أغيب عنه لحظة واحدة ، حتى ولو جعل ملك الدنيا
بلسرها تحت إمرتي ، وكل ما يأمر به بمكسي نصيه ، إلا أن أبعد عنه
لحظة ، وماذا أصنع بملكه ، فكفاني صلته من مدث

إن كنت طالباً والله عارفاً ، فتعلم كيف تكون العبودية من اياز .
ويا من بغيث في سموك ليلاً ونهاراً ، وبنيت أسير حطوتك الأولى ، في
كل لينه تنزل عليك اللغات من الله يا أبا الفضول . إنك كمن لا حلاق

له حيث لا تتقدم خطوة من مكاث لا باندين ولا بالنهار ، فقد جئت من
أوح العرة ، ولكيك تقهمرت إلى الورا ، ملتزماً حد الاحترار

والسعا ، إنك لست حليفاً بهذا ، وإلى من تستطيع التحدث عن
هذه الآلام في النهاية ؟ وما دامت الحنة والنداء مائلتين في طريقك ، فأني
لروحك أن تدرك هذا السر ؟ ولكيك إن تخرج من كلا العالمين تماماً ،
فسيشرق صبح هذا الخط من بين ظلمة الليل ، وليست الحنة من نصيب
هؤلاء الأصحاب ، وإنما هي للمعينين أولى الألباب ، فأمرع بالتحلص
من الخمول في هذا وذاك ، وامض ولا تعلق قلبك بهذا ، وروحك سداك .
وإذا عبرت كلا العالمين بمفردك ، فستكون شبيهاً بالرحال حتى ولو تكون
امراً ؛ وستكون جديراً برويته دواماً ، كما تكون في قرنه صباح مساء



حكاية (٣٠٨٢ - ٣٠٨٩)

كانت رابعة تقول : يا علياً بالأسرار ، لتسهل أمور الأعداء في
الدنيا ، أما الأصدقاء ، فاصحبهم الآخرة على الدوام . وذلك لأني المحرر
من كلا الاثنين على الدوام ، وإن كنت قد أفلست من الدنيا والآخرة ،
فإن غمي يتلاشى إن أصبح أنيستك ولو للمحطة ، ويكفي هذا الإفلاس
ملك ، إذ أنك تكفيني عن الدوام وحك . وكم أكون كافرة إن أنظر
صوب كلا العالمين ، أو أن أطلب شيئاً سواك

إنه لكل والكل له ، والبحار السبعة تحت قفطته ، وكل ما كان ،
وما سيكون ، له شبه إلا الله العزيز ، وكل ما تبحث عنه ، تجد له نظيراً إلا
هو ، فهو دائم بلا نظير ، ولا يد من وجوده هو .



حكاية (٣٠٩٠ - ٣٠٩٩)

وجه خالق الأفاق من فوق الحجاب ، إلى داود النبي هذا الخطاب ، فقد قال كل شيء في هذه الدنيا ، سواء أكان حساً أم قبيحاً أو كان ظاهراً أم باطناً ، له عوض إلا أنا ، فليس تجد لي عوضاً ولا قريناً . ولما كنت بلا عوض فلا تكن بدوني ، ويكفي روحك ، فكن روحاً ولا تكن جسداً ، وأنت ، أيها الأسير ، لا غنى لك عني مطلقاً ، فلا تكن غافلاً عما هو واجب الوجود ، ولا تطالب بالبقاء لروحك ولو بالحظة بدوي ، وكل ما يعرض أمامك عيري ، لا تطلبه .

يا من أقبلت طالباً الدنيا ، مستظلاً مشغولاً بالأم هذا العمل لئلاً ونهلاً ، إنه مقصودك في كلا العالمين ، كما أنه معبودك من قبل الامتحان ، واجبك أن تبيع الدنيا لقانية ، لا أن تبيعه بمقابل أى شيء في هذه العانية ، وحسم كل ما تعضله عليه ، وكافر أنت إن تمضل الروح عليه .



حكاية (٣١٠٠ - ٣١١٦)

وجد عسكر محمود في معبد سومات ^(١) ، ذلك الصم المعروف

(١) سومات : أكبر أصنام الهند ، حرص الهنود على 'لا تحطمه محمود الغريوى ولكن عموداً صمم على تحطيمه لأنهم كانوا يعتقدون أن جميع الأصنام التي حطمتها محمود تم تحطيمها لأن سومات غاصت عبيها ، فتقدم محمود بجيش كثير العدد والعدة ، واعتدوا أدرك الهنود أن محموداً متمسكاً بحالة ، حرصوا عليه الكثير من الذهب والأسوار ولكنهم رفضوا ، وقتلوا من حصانه حتى نقلت على الهنود وحطم سومات فوجد بداخله من الذهب أصناف ما عرصة الهنود ولذلك حقق نصرأ دينياً وديوياً عظيماً ، وكان ذلك عام ٤١٦ هـ .
(راجع ابن الأثير ، حوادث عام ٤١٦ هـ) .

باسم اللات . وقد هب اهتود من أحل الصسم ، وطلبوا دفع دية له تساري وزنه ذهباً ، ولكن السلطان رفض بيعه بأى ثمن ، وأشعل فيه النار ، وأحرقه في الحال . فقال له الجميع : لا يجب إحراقه ، بل يجب بيعه ، لأن الذهب أفضل منه ؛ فقال :

كم أخشى أن يقول الخالي ، أمام الجميع يوم الحساب ، أصعوا جميعاً إلى أدد وعمود ، فذاك ناحت الصسم ، وهذا بانه

وما أن أشعل محمود النار حتى أحرق صسم عماد النار ، وتساقط من داحطه عشرون مائاً في الذهب ، وهكذا نال ما عرض عليه بلا مشقة أو عوص ، فقال السلطان .

هذا الإحراق يبيق باللات ، أما هذه المكافأة فتنمة من الله .

لتحطم كل ما تملك من أصنام ، حتى تجد بحاراً من الجواهر موصاً عنها ، وأحرق نفسك الشبيهة بالصسم ، شوقاً إلى المحبوب ، بما أكثر الجواهر التي ستساقط من جرابها . وإذا ما ترامى إلى أذن الروح صرت ألسن ، فلا تقصر في التصديق ، واجعل عهد ألسن مثلاً أمامك ، ولا تشح عن « بلي » أكثر من هذا . إن كنت أقررت به أولاً ، فكيف يصح الإنكار به بعد ذلك ؟

ويا من أقررت ، « ألسن » أولاً ، أنكر ألسن آخر ؟ وإن كنت قد عقدت ميثاقاً أولاً ، فكيف تصبح عاقباً أخيراً ، إنه لا غنى لك عنه ، فكن ملازماً له على الدوام ، وكن وفياً لكل ما قطعت من وعود ، ولا تكن نثراً معوجاً . .



حكاية (٣١١٧ - ٣١٣٨)

قيل ، عندما تقدم محمود شيع الملوك ، من خزائن قاصدا بحارية
الهنود ، رأى جيشا عظيما للهنود ، فامتلا قلبه بالغم من هذا الحشد ، ونظر
السلطان العادل في ذلك اليوم نذرا ، حيث قال : إن أظفر بهذا الجيش ،
فكل غنيمة اغتنمها في هذا المكان ، سأوزعها كلها على فقراء الطريق

في النهاية أدرك السلطان النصر ، وأحاط بغنائم تفوق المحصر ،
فكل جزء واحد من الغنيمة ، فلق كل ما يجول بخاطر أي حكيم مائة
مرة ، وما أن غنموا غنائم تفوق كل الحدود ، وحقت الهزيمة بأولئك
السود ، حتى قال السلطان لأحد معاونيه في الحال : احمل هذه الغنائم
للفقراء والمساكين ، حيث نذرت ذلك لحق منذ البداية ، وذلك لكون
صاحقا في عهدي وميا به . .

قال الجميع : كيف يمكن إعطاء هذا الذهب الوفير وذلك المال
الكثير لخنة من الصعاليك ؟ . إما أن تعطوها للجنود حتى يكفوا عن
الغضب ، وإما أن توضع في الخزانة :

ظل السلطان يفكر مليا في ذلك وتملكته الحيرة بين هذا وذاك ،
وكان أبو الحسين (١) رجلا حكما ، كما كان ولما مجذوبا . وكان يمر بين
الجند فلما أن رآه السلطان من بعيد ، حتى قال ، إني أطلب استدعاء

(١) أبو الحسين : لعنه شيخ الشيوخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر البسابودي
المعروف بين صلبه ، وكان من كبار مشايخ الصوفية في فارس في أواخر القرن الرابع الهجري
وأوائل القرن الخامس توفي عام ٤١٤ هـ (مما يحسنه معاصرا بسلطان محمود الغزنوي ٣٨٧ -
٤٢١ هـ) ودفن في بيضاء فارس .

انظر . شد الاراد في حكايا الاراد عن زوار الزوار حسين الدين أبو قاسم جمد
الشيرازي ، تصحيح محمد قروي وعباس اقبال طهران ١٣٤٧ هـ . حواشي ، ص ٤٧٦

هذا المجنوب ، لأسأله ، وما فعل ما يفتي به فهو متحرر من السلطان
والجند ، وما يقوله سيكون بعيداً عن الأغراض ، وهكذا استدعى
السلطان الرجل المجنوب ، وطرح القصة عليه أمام الجمع

قال المجنوب - أيها السلطان ، فقد وصل أمرك إلى هذه الديار
بدانعين ، فإن ترعب في ألا تكون على صلة به ، فلا تفكر في هذين
الدانقين أيها العزيز ، وإن ترعب في أن يكون لك به صلة مرة أخرى ،
فلا تقلل من أمر الدانقين بعد ذلك ، وليتمنك الخجل وإذا كان الحق
قد نصرك ، وجعل أمرك موفقاً ، فقد فعل ما خصه ، فأين ما يحصلك
أنت ؟

وفي النهاية نثر محمود ذلك الذهب ، وفي النهاية أصبح محمود ذلك
السلطان الموفق .

المقالة السابعة والثلاثون

سؤال طائر آحر (٣١٣٩ - ٣١٤٨)

قال آحر له : يا من سلكت الطريق إلى الحصرة ، أي بصاعة يكون في ذلك المكان رائحة ؟ فإننا مسحمل ما هو أكثر رواحاً هناك ما دمنا قد تعلفنا بهذا الشوق . ويجب أن تكون لتحنة نفيسة تلك التي تقدم لمسوك ، ومن يتقدم بلا هدية ، فهو بلا ريب عدية في البخل والحجة

قال (اهدد) أيها لسائل ، إن تطعم الأمر ، فلن يكون هناك شيء ناقص حتى تحمله ؟ وإذا كان كل ما تحمله من هذا موجود هناك ، فكيف يكون حمله حيلة لك ؟ هناك العلم والأسرار ، كما أن طاعة الملائكة هناك متوفرة ، فكذلك حمل حرفة الروح والآلام القس ، وليس شخص أن يعطي غير هذا ، فإن تصعد رمرة واحدة من الألم ، فإنها توصل رائحة الكند أمام الحصرة . ولرب روحك هو المكان الخاص . أما نفسك العاتية فما هي إلا فتور لروحك ، فإن تخرج زفرة واحدة من المكان الخاص ، فسرعان ما يصيب الغناء الرحل في التو واللحان



حكاية (٣١٤٩ - ٣١٦٧)

لما كانت زليخا تعجم بالصولة والعزة ، فقد ذهبت واعتزلت يوسف بالسجن ، ثم قالت لأحد الغلمان : اطرحه أرضاً في هذه الأونة ، ثم اصبره خمسين عصا محكمة وارفع عليه ذراعك بكل قسوة ، حتى أسمع

آهاته من مكان بعيد في تلك الأوتة .

أقبل العلام وامتنع عن تنفيذ المهمة مدة طويلة ، فعلم رأى وحى يوسف ، لم يطلوعه قلبه ، وأحبراً رأى ذلك الرجل الخير معطفاً ، بهوى يده بكن شدة ، وصرب المعطف ، وكلها صرب الرجل المعطف بضربة قوية ، تأوه يوسف وناح بشدة ، وعندما كانت ريح تسمع السواح من بعيد ، كانت تقول : اصربه واحدة أخرى أشد أيها العلام الجلد

قال الرجل يوسف ، يا من له طمعة الشمس ، إن تلق رليح نظرة عليك ، ولا ترى عليك أي حرج من اثر العصا ، فلا ريب أنها ستسلمي إلى العدم ، فكشف عن كتفك وتمسك بالشجاعة ، وتحمل ضربة عصا مبرحة ، حتى ولو أصابتك لضربة بحر حرج ، فإن نظر إليك ، تجد أثراً للضرب .

تعزى يوسف في ذلك الوقت ، عذرت الاضطرابات في السموات السبع ، ثم رفع الرجل يده وهوى بضربة قرية ، طرحته أرضاً . وعندما سمعت زليخا الآهة هذه المرة ، قالت :

كفى ، فهذه آهة صادقة ، قبل هذه كانت الآهة مصطعة ، أما هذه الآهة صادرة عن روح مضطربة .

إد كان بالمئات مائة ناك ، فأهة صاحب المصاب هي المؤثرة وحده ، ولو تخلق في مئات مائة محرون ، فصاحب الماتم هو مصر تلك الحلقة ، وإن سم تكن رجل آلام ، فليس تكون رجلاً في مصاف الرجال ، وكل من تسيطر عليه آلام العشق وحرقة ، كيف يجد الراحة والسكينة في ليله أو نهاره ؟ ..



حكاية (٣١٦٨ - ٣١٧٦)

كان لأحد السادة علام زنجي جميل اسجيا ، وقد ظهر يده من أمور الدنيا ، وكان العلام الطاهر في كل لية ، منهمكاً في الصلاة حتى الصبح ، فقال له سيده . أيا لعلام الحبيب ، أيفظي عندما تستيقظ بالنيل ، حتى أتوضأ وأصلي معك .

أجابه لعلام قاتلاً . إن انراعب في آلام الطريق ، لا حاجة به لم يوقظه ، فمن يكن ذا ألم فانب في بقطة ، كما أنك في عمل متصل طوال الليل والنهار ، ولست متعطلاً ، وإن كان يلزمك أحد يوقظك ، فيلزمك آخر يكمل لك عملك .

كل من لم نصبه هذه الحسرة وتلك الآلام ، فليحسب ، لا يس رحلاً . وكل من عجز بآلام القلب ، فقد امحب النار بالنسبة له وكذلك الحية . .



حكاية (٣١٧٧ - ٣١٩٥)

كان أبو علي الطوسي^(١) شيخ زمانه ، كما كان سالكاً لوددي الجهد والجهد ، وما وصل إليه من عر ودلال ، لا أعرف أحداً وصل إليه بآي حال ، وقد قال :

(١) أبو علي الطوسي المازندي شيخ حجة الإسلام ، غزالي اسمه الفضل بن محمد بن علي المازندي ، ومارمذ من نري طوس ، لذا عرف بالمازندي أو بالطوسي . وكان شيخ شيوخ خراسان ، وتلميذ للإمام القشيري ، ومربداً بشيخ أبي القاسم الخرخاني نوري عام ٤٧٧ هـ . وقبره في طوس انظر سمية الأولياء ، ص ٧٥ ومجموعات الأنس ، ص ٣٧

غداً يتأوه أهل النار بكل شدة وحرقة ، عندما يرون أهل الجنة
مائلين أمامهم ، وميكثرون من الحديث عن حالهم وكذا عن جمال
الجنة ، ودوق الوصال ، أما أهل الجنة فيقولون في ذلك الزمان : لقد
أنحى جمال الفردوس ، ففي الجنة الملية بالكمال ، بدت لنا شمس ذات
الجمال ، وما أن اقترب منا جماله ، حتى اظلمت الحجب الثماني حجلاً
مه ، ولم يبق للمخند أي اسم أو اثر أمام نور هذا الجمال الذي تقدم
الروح تشرأله . . .

بعد أن شرح أهل الجنة حالهم ، يحییهم أهل السار فائلين : يا من
فرغوا من فردوس الختان ، كل ما قلموه هو مكذا ، وحيث أسا من
أصحاب المكال انهموم فحن غارقون في النار من أولنا إلى آخرنا ،
وعندما بدا وجه الحبيب واضحاً أمامنا ، فملكنا الحسرة والمعجز من وجه
الحبيب . وما أن أدركنا أننا قد أخطأنا ، وعن مثل هذا الوجه افترقنا ،
حتى أنستنا نار الحسرة المتأججة في قلوبنا المحروون نار جهنم ، وبلاشت من
ذاكرتنا .

في أي مكان تضطرم هذه النار ، فبئس تحسرق أرواح العشاق
وأكبادهم ، وكل من أصيب بالحسرة في طريقه ، قلما استطاع التخلص من
الغيرة ، وتلزمك الحسرة والآفة والجراح ، كما يلزمك الذوق والراح في
الجراح ، فإن كنت قد جرحت في هذا المنزل ، فإن روحك تكون محرماً
للحلول ، وإن كنت مجروحاً ، فلا تنطق بكلمة واحدة عن الدواء واكر
جرحك ، ولا تنظر بحرف .



حكاية (٣١٩٦ - ٣٢٠١)

طلب رجل عاية في العجز من الرسول ، أن يسمح به لأداء الصلاة
على مصلى الرسول ، فلم يسمح الرسول له بذلك ، وقال له : إن الرمل
والتراب ساحتان في هذا الوقت ، قصع وجهك على الرمل المتحد وعلى
براب المحلة ، فلكل عاشق إلهي أثر جرح في وجهه ، فإن تر جراحة
الروح فمن الأفصل أن يكون الرسم بادياً على وجهك ، وإن كنت لا
تستطيع تحمل حرقه القلب ، فكيف تجذب أنظارنا نحوك ؟ ولتظهر رسم
القلب ، ففي ميدان الألم ، يعرف أهل القلوب ، الرجس م به من
ألم .

لمقالة الثامنة والثلاثون

سؤال طائر آخر (٣٢٠٢ - ٣٢١٢)

قال آخر يا علماً بالطريق ، إن العن لتسود في هذا الوادي ،
والطريق يبدو كأنه موء بالأهوال ، لما طول هذا الطريق ، أيها الرفيق ؟

قال (المدهد) : إن لنا في الطريق سبعة أودية ، وإذا عبرت
الأودية السبعة كانت لأعتاب العلية ، ولم يعد من سلوك الطريق أحد
في الدنيا حتى الآن ، لذا فلا أحد يعرف طول هذا الطريق ، فإن كانوا
يفنون فيه كلبة ، فكيف بخروثك بحصيفته ، أيها الحاهل ؟

أول الأودية هو وادي الطلب ، ثم يأتي بعده مباشرة وادي
العشيق ، ثم الوادي الثالث وهو وادي المعرفة ، ويأتي بعده الوادي الرابع
وهو وادي الاستعلاء عن الصفة ، وبعده الوادي الخامس وهو وادي
التوحيد الطاهر ، ثم الوادي السادس وهو وادي لحرة الصعب ، أما
الوادي السابع فهو وادي المقر والقضاء ، وبعد ذلك لن يكون لك سلوك
بالطريق ، فإن تدرك نهايته ، يتلاش مسيرك ، وإن تكن لك قصرة ماء ،
فإنها تصبح بحرأ خضياً . .



(بيان الوادي الأول)

وادي الطلب (٣٢١٣ - ٣٢٢٨)

عندما تتقدم إلى وادي الطلب ، سيعترض طريقك في كل رمم مائ

تعب ، فهناك مائة ملاء في كل لحظة ، وهناك تصبح سمعك العلك مجرد
ذمة ، وهناك يلزمك الجهد والاحتهاد عدة سوت ، وذلك لأن الأحوال
انقلبت رأساً على عقب ، وهناك يلزمك طرح المال جديداً ، كما يجب عليك
هناك أن تدع أهلك جانباً . . .

عليك أن تتقدم محصباً بالدماء ، بل عليك أن تتقدم متحياً عن
الكل ، وإن لم يبق لك علم بشيء ، هو حرك أن يتطهر قلبك من كل
شيء ، فإن يتطهر قلبك من الصفات ، فسرعان ما يسجد من الخضرة نور
الذات ، وما أن يتضح هذا النور للقلب ، يصبح يطلب مرة واحدة في
قلبك الهماً ، وإن تد النار في طريقه ، أو ندمائة واد رهيب ، فتسجد
نفسك من الشوق إليه كاللجئون ، وتلقي بنفسك في النار وكأبك فراشة ،
ويصح طلبك نابهاً من اشتياقك إليه ، فتطلب جرعة من ساقبه ، وعلمها
تسير لك شربة من حمرة ، يتم لك سبيل كلا العالمين ، وتبقى صادي
الشعة وأنت عريق في البحر ، كما مسطبت من الحبيب سر الأجابة ، ولي
تحشوا لتنايل العناكة في اندفاعك معرفة السر ، وإن يجتمع الكفر والإيمان
أمامك مستقبل كليهما حتى يفتح لك الباب ، وحيث يفتح لك الباب ،
يتسلى الكفر والدين ، حيث لم يبق هذا ولا ذاك .



حكاية (٣٢٢٩ - ٣٢٥٣)

قال عمرو بن عثمان المكي^(١) الذي دون كتابه الكنج نامه^(٢) في

(١) عمرو بن عثمان المكي كنية أبو عبد الله ، وكان أستاذ الحسين بن منصور
الإعلاج ، اتصل بلجيجا وصاحب الخزانة ، وكان من أهم سبب ، كان عالماً في علوم العقائد ،
أصله من اليمن ، وأقام فترة في مكة ثم رحل إلى بغداد حيث توفي فيها عام ٢٩٦ هـ أو
٢٩٧ هـ (انظر مطبوعات الأنس على طبعة طهران ١٣٣٥ ش ، ص ٨٤ - ٨٥)
(٢) كنج نامه ، أي كتاب الكفر

الحرم . عندما نفخ الله الروح الصاهرة في حسد آدم المكون من ماء وتراب ، طلب ألا يدرك الملائكة كلهم أي خبر عن الروح أو أي أثر ، ثم قال يا ملائكة السماء اسجدوا لآدم في هذا الزمان ، فسجد الجميع حيث وصعوا جباههم على الأرض ، لذا فما أدرك أحد منهم ذلك السر الأكبر ، ولكن إبليس قال في النور والخيال ، لن يرى مسي أي شخص سحلة من يقطعوا رأسي عن جسدي ، يكن ذلك أهون علي من السجود ، إني أعرف أن آدم ليس ترائياً ، لذا فأتى على استعداد لأن أصحى برأسي لأعرف السر ، مهما كانت العواقب

وهكذا أدرك إبليس السر الخفي ، لأنه لم يضع رأسه على الأرض فقال الحق تعالى له : يا جاسوس الطريق ، لقد كنت لصاً سارقاً في هذا المجال ، وما أنك رأيت ذلك الكنز الذي أخفيته ، فسلقتك حتى لا تمشي في الدياسره ، وذلك لأن الملك إن أراد إحصاء كنز بعيداً عن علم جيشه ، فلا شك أنه يقتل ذلك الذي يطلع على مكان كنزه . وأنت رأيت الكنز فمن الضروري مجاراتك بقطع الرأس فإن لم أفصل رأسك عن حسدك في هذه اللحظة ، فسوف يكون العالم بلا ريب تحت إمرتك .

قال إبليس . يا إلهي ، لتسهل هذا العبد ، وتتمس سحلة من سقعد . فقال الحق تعالى لقد أمهلتك ولكسي صوفت رقتك بطوى البعثة . وسأطلق عليك لقب الكذاب ، حتى تنظر إلى يوم القيامة منها .

قال إبليس بعد ذلك إن كان الكبر الظاهر قد بدا لي واضحاً ، فأني خوف يعتريني بعد ذلك ؟ البعثة صادرة عنك وكذا الرحمة ، وانعبد عندك ومك الخط والقسمة ! فإن كانت اللعنة من نصيبي ، فلا خوف يعتريني ، وما دام الله ياق موحداً ، فلا بد من وجود السم . فما أن رأيت الخلق يطلبون رحمتك ، حتى أثرت أن أحظى أما عديم الخلق

لعمرك ، أوليس لعمتك عبيد مثلي لرحمتك ؟ إنني عبد لعمتك لذي لا يتحلل عنها مطلقاً .

إن كنت طالباً ، فهكذا يكون الطلب ، ولكنك لست طالباً وإنما يطلب عنك الادعاء قرن لم تدركه ليلاً أو نهاراً ، فليس معدوماً هو ، وإنما هناك نقص في الطلب .



حكاية (٣٢٥٤ - ٣٢٦٨)

صدما حانت وفاة أبي بكر الشبلي الذي لم يقر له قرار ، أعلق عييه وظل قلبه في انتظار ، وكان قد عقد حول وسطه ريار الخيرة ، كما كان قد جلس على كومة الرماد ، فكان يدرم الدمع على الرماد أحياً ، ويشتر الرماد على رأسه أحياناً ، فسأله سائل . في أي وقت رأيت شخصاً قد عقد الزنار ، مثلما فعلت ؟

قال . إنني أحترق ، فماذا أفعل ؟ وكيف أنصرف ؟ وإذا كنت أدوب من الغيرة ، فكيف أنصرف ؟ إن روحي قد انصرفت عن كلا العالمين لتحترق غيرة من إبليس في هذا الزمان ، فنكلمنا حظي باللعنات ، كلما أصابني ذلك بالخسرات ، لقد طل الشبلي كسير القلب ، عترق الكبد ، أم ذلك الآخر (إبليس) فإنه يحظى بالجديد في كل وقت

إن كان هناك تفاوت لديك بين ما يأتيك من الله ، سواء أكان حجراً أو جوهراً ، فلست رجل طريق ، وسواء أكنت بالحراهر عريزياً ، أو بالأحجار ذليلاً ، فليس لله بك أي اهتمام ، فلا تعد لأحجار أو الجواهر ، كما لا تصادقها ، وانظر على أنها من صمغ يده دون يدهك

للمشوق الشيران بحجر ، فهذا أفضل من أن قال جوهرة من غيره ،
وعلى الرجل أن يكون في مجال الطلب والانتظار ، نائراً روحه في الطريق
في كل زمان ، وألا يسكن لحظة عن الطلب ، وألا يستريح لحظة ، وإذا
وهر عزمه عن الطلب زمناً ، فهو في هذا الطريق يكون مرتداً ، عديم
الأدب .



حكاية (٣٢٦٩ - ٣٢٧٣)

رأى الحريري المجنون ^(١) مهموماً ، حيث كان يسجل السراب في
الطريق ، فقال : أيها المجنون ، عم تبحث هنا ؟ قال : أبحث عن ليل
هنا ، فقال (الحريري) : وأنتى لك أن تجدها في التراب ؟ ومتى كان
الدر الطاهر كامناً في تراب الطريق ؟ قال : إسي أبحث عنها في كل
مكان ، لعل يدي تصادفها بعنة في أي مكان .



حكاية (٣٢٧٣ - ٣٢٨٣)

كان يوسف ، همداني ^(٢) إمام العصر ، كما كان علياً بأمرار الروح ،

(١) يقصد بالمجنون فيس بن المنوح وهو من يعرف باسم « مجنون بيلي » وشخصيته تكاد
تكون خرافية ويقول بروكلمان أنه توفي قبل عام ١٧٠ هـ ٦٨٩ م) نظر تاريخ
الأدب ج ٢ برادون - ترجمة د. السوربي ص ٥١٦ - ٥١٨ طبع القاهرة ١٩٥٤ م
(٢) يوسف همداني إمام عالم عارف رباني ، صاحب لاجول والذواهب خريفة
والكرامات والمقامات بجليك وتوجه في البداية من همدان إلى بغداد ولزم مجلس الشيخ أبي
سحق الشيرازي ، وعلا جمعه على كل قرانه ، ثم نقل بين مجالس العلم في كل من بغداد
وأصفهان وسمرقند ، وأخيراً نقل عن الكل . محمد طربز العبداني والرياضات
والمجاهدات توفي وهو في الطريق من همدان إلى مرو عام ٣٢٥ هـ
انظر : منتخب الأسس لخاني ، طبع طهران ص ١٢٣٦ ش ٣٧٥ - ٣٧٧

بعبد النظر . قيل إنه كلما نظر إلى شيء من أعلى إلى أسفل ، تحولت كل ذرة فيه إلى يعقوب آخر ، يسأل عن يوسف الذي افتقده .

لا بد من الألم في حريقه وكذبت الانتظار ، حتى ينقص عمر في هدير الأمرين وإن لا تجد لك عملاً في هدير الأمرين ، فحذار أن تخفي فكرك من هذه الأمرار إذ لا بد للرجل من الصبر في الطلب ، ومتى كان صبرك لاثقاً بأهل لاسم ؟ ولترد من صبرك ، سواء أكت راضياً أم لا ، فاعلمك تدرك الطريق بمساعدة آخر أنت شبيه بطفلس في بطن أمه ، فاحس وحيداً وسط خصم الدم ، ولا تخرج عن طبيعتك لحظة . وإذا كان الخير ضرورة ، فاطعم ادم لحظه ، فطعام الخيل الدم وكفى ! به أفضل من كل ما هو خارج البصر ، فاطعم الدم وتحمس الألام وتندرع بالصبر كالرجال ، حتى تحقق الأيام ما تصبو إليه من آمال

حكاية (٣٢٨٤ - ٣٣٠٠)

المُ بشيخ مهنة^(١) صيق عظيم ، فمضى إلى الصحراء بقلب مغمم بالآلم ، وعين دامية الدمع ، فرأى من بعيد شيخاً قروياً ، يسوق ثوراً ، ويشع منه النور ، فاتجه صوب الشيخ وقرأه السلام ، ثم شرح له حال ضيقة بالتمام ، وما أن سمع الشيخ ذلك ، حتى قال :

يا أبا سعيد ، إن ينلى العالم من لأرض المحفضة إلى امعرش امحيد بالذرة ؛ لا يكومة واحدة ، بل بمئات من الكومات ، وإن يوجد صائر ينتقط ذلك الذرة مدة ألف عام ، وحتى ولو تكررت ذلك لأرصة

(١) يقصد بذلك [الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير]

عديدة ، وجاءت مئات الطيور ، فلن نجد الروح . يحاً من يابه حتى ذلك الوقت ، فلم العجلة يا أبا سعيد الآن ؟ إذ لا يد من الصبر المديد للصائرين ، وليس كل طالب ينفرع بالصبر ، وإن لا يسع الطلب من الأعماق ، فن يظهر اسلك من الدم في اسرة ، وإن يسع من الأعماق ، فمهما كانت الأفلاك فستفوص في اللعنه

من لا طلب له ، يظل أسير الخيرة ، بل حاشي لله أن تكون به صورة حيوان ، ومن عدم الطلب ، فهو جيفة ، وليس على قيد الحياة ، بل مجرد حائط أصم ، وإن بصلك كسر من الجواهر ، فلتكن أكثر حماسة في الطلب ، أما من منع بالكثرة والجوهر ، فقد أسر نفسه بقيد الكنز والجوهر ، ومن تعلق بأي شيء في الطريق ، أصبح صممه ذلك الشيء ، فليها بصمه ، وإن كنت وهي اللب ضعيفاً ، فسرعان ما تصبح ثملاً بالشراب ، فأفقد عقلك ، فحذار ! ولا تكرر في النهاية بكأس واحدة . بل داوم الطلب ، ما دام الطلب بلا نهاية



حكاية (٣٣٠١ - ٣٣١٠)

دات ليلة سار محمود بلا جند ، فرأى رجلاً ينخل التراب على قارعة الطريق ، وقد كوم أمامه عدة كومات من التراب ، فيما أن رآه السلطان حتى ألقى بسواره ، ألقاه وسط كومة من التراب ، ثم ساق حصانه الشيب بالريح في السرعة ، وفي الليلة التالية عاد محمود ، فوجده مشعولاً كالبارحة ، فقال له :

إن ما عثرت عليه البارحة ، يساوي عشرة أصعاف حراح الدنيا ، فلم تعود اليوم لتنخل التراب ثانية ؟ لنكن سلطاناً ، فقد أصبحت بلا هاقة

فقال سحل التراب له إن ما وجدته بين التراب يعد كسراً خفيفاً
عظيم القيمة ، فإذا كان حظي أصبح مراتباً من هذا العمل ، فس أُنقلى
منه ما دامت روحي في جسدي ، فكن رجلاً هذا الساب حتى يفتح لك ،
ولا تشح برأسك عن الطريق حتى ينضج لك ، وليس لك إلا إعلاق
عبيك على الدوام ، وامص مجتهداً في الطلب ، فما أُنقلى الباب بعد

حكاية (٣٣١١ - ٣٣١٢)

قال أحد الوامين محامداً الله : إلهي ، لتفتح بواباً أُنقلى في النهاية
لعمل رابعة كانت تجلس هناك ، فكانت : أيها العاقل ، ومتى أُنقلى
هذا الباب ؟ إن الباب مفتوح ، أيها العلام ، وعليك أن توجه وجهك
نجاهه وتبحث عن مرادك على الدوام .



المقالة التاسعة والثلاثون

في وصف وادي العشق (٣٣١٣ - ٣٣٣٤)

بعد ذلك يتصح وادي العشق ، ومن يصل هناك يعرق في الحرقه ، فلا تحمل يا إلهي أي فرد في هذا الوادي بلا حرقه ، ولا تجعل عبث من لا يتردى في الحرقه سعيداً مسروراً ، فالعاشق من يكون في نير وحرقه ، كما يكون متقد القلب ملتهباً ذائراً ، العاشق من لا يصكر لحظة في العاقبة ، إنما يكون عذوقاً في النار كبرق السبا ، وفي لحظة لا يعرف الكفر ولا الدين ، كما لا يعرف نره من شئ أو يقين ، الخير والشر متساويان في طريقه ، فإذا جاء العشق نفسه ، فلا وجود هذا أو ذاك .

يا من تكثرث ، إن هذا الكلام ليس لك ، فأنت مرتد ، وهذا اللوق لم يتوهو لروحك ، فكل من يتطهر ، يطرح المادة جسد ، ثم يقامر بروحه في وصال الحبيب ، لقد وعد الأحرار بالعد ، أم هو فياحد حسبه في التو واحال ، وطالما لم يحرق نفسه دفعة واحدة ، فكيف يستطيع التخلص من الآلام والهموم ؟ وطالما لم يحرق خواهر في وجوهه ، فكيف يمكن أن يصيء عليه فرحاً وسروراً ، إنه يخلج دائماً في حرقه وانصهر ، حتى يعود أدرجه مرة أخرى ، كالسمكة إذا ما انتزعت من الماء إلى اليابسة ، تملكها الاضطراب ، عليها تلقي في البحر ثانية

العشق نير هناك ، أما العقل مدخان ، فما أد يقبل العشق حتى يفر العقل مسرعاً ، والعقل ليس أسناداً في مجال العشق ، وليس العشق وليد العقل ، وحتى لو منحت حق الاطلاع على عالم الغيب ، فمن يدرك من أين يبت هناك أصل العشق ، وكل ورقة في عالم العشق ، ستطرح رأسها على كف احتها ثملة بالعشق ، وإذ منحت فرصة الاطلاع على

الغيب مرة أخرى ، أصبحت ذرت الدب قريبه لك

ن ننظر إلى الأمور بعين لعقل ، فسترى العشق لا أول له ولا
آخر ، وهو ضرورة لكل حبيب ، كما أن العشق ضرورة لكل حر ،
ولكنك لست حبيباً ولا عاشقاً ، إنما أنت ميت ، فكيف يكون للعشق
لائقاً ؟ ولا بد من رجل حي القلب هذا الطريق ، حتى يقدم مائة روح
بشاراً في كل لحظة .

حكاية (٣٣٣٥ - ٣٣٤٤)

هم أحد لسانه على وجهه بعيداً عن أسرته ، وساءت حالته من
عشق صبي يبيع الفقاع ، ومن فرط عشقه ، داعت قدة السوء عنه ،
ركانت له ممتلكات وضياع ، فاعها واشترى بشمها الفقاع ، وعلى الرغم
من تخليه عن كل ممتلكاته وترديه في الفقر ، إلا أن عشقه كان يرداد
و ينصاع ، وعلى الرغم من توفيرهم لخيرته على الدوام ، إلا أنه كان في
جوع دائم ، حيث كان تشبعه من الروح دواماً ، وذلك لأنه كان يشتري
فقاعاً بكل ما يوصله من حيز ومير ، وكان يمضي وقتاً طويلاً أسير للجوع ،
ودلك حتى يتجرع مائة كأس من الفقاع .

وسأله سائل : أي حزين المصطرب ، ما هو العشق ؟ لتوضح لي
سره فقال هو أن تباع مائة عالم من المتاع ، مقابل كأس واحدة من
الفقاع ، وإذا لم يرق هذا العمل للأدبي ، فكيف يعرف العشق والألم ؟

حكاية (٣٣٤٥ - ٣٣٦٧)

لم يكن أهل ليلى يسمحون للممحمون ، باخضور إلى قبيلتهم ولو للحظة ، ونصادف أن كان أحد الرعاة يجلس في تلك الصحراء ، فأخذ الممحمون التمل منه فروع حروف ، ثم انحنى وألقى الفروع على رأسه ، فبدأ شياً بالخروف ، فقال للمحارس استحلكت بالله ، أن تتركني أسير وسعد القطيع ، ثم سبق القطيع وأنا وسطه صوب ليلى ، حتى أخذ ذات لحظة - ربح ليلى ، وإنني أنجى عن الغير تحت هذا الفروع ، لكي أنعم بالحبيب ساعة .

إن بصبك ألم مثل هذا ولو للحظة ، تكن رجلاً ونعم الرجل ، وللأسف لم نصبك ألام الرجال ، إذ لا بد من الألم للرجل ، أما أنت فلا علم لك به .

وأخيراً تخفى أنجون تحت العراء ، وسار إلى محلة المحبوبة مع القطيع ، سارعية في السرور بعد أن تملكه الاضطراب أو الأمر ، سار وقد فقد عقله واتزنه نشوة في نهاية الأمر ، وما أن هاج عشقه ، حتى تصب عرقه ، فأخذ الراعي وحمله إلى الصحراء ، وألقى الماء على وجه ذلك التمل الشوان ، حتى ينظمه أواد تلك النار بفعل الماء .

بعد ذلك ، جالس الممحمون التمل ذات يوم ، جمعاً من الأهل بالصحراء ، فقال أحد أقربائه لقد طبلت عارياً فترة طويلة ، يا عالي الهمة . . . أى رداء تفصله ، أنيك به في التو إن نطبه .

قال (الممحمون) ليس كل رداء يلبق بالحبيب ، ولا رداء عندي أفصل من الفروع ، إنني أطلب ردائي من ذلك الخروف ، كما أحرق البحور من أجل عين السوء ، وعلى الرغم من أن الممحمون حدير بأن يرتدي الأطلس والحرير ، إلا أنه يطلب أي رداء يفصله ليلى . لقد رأيت

وحه احبب وأما في هذا لقرو ، فكيف اتعد رداء غير هذا القرو ؟ لقد
أدرك القسب سر احبيب عن طريق القرو ، فليكن لي رداء إن أفقد
العقل .

العشق صرودة حتى يحرك من عملك ، ثم يبذل صفاتك
ويعحوها ، وأهل شيء في عحو صفات ، هومة الروح وترك الترهت ،
سلك الطريق إن كتب داهمة ، إذ لا مجال فيه لعب ، بل كله مخاطرة



حكاية (٣٣٦٨ - ٣٤٠٥)

أصبح ذلك المعدم عاشقاً لا ياز ، وانتشر هذا القول في كل مجلس ،
فإذا مضى ياز منطقاً حواده ، أسرع وراءه ذلك المسكين العارف لقدره ،
وإن أقبل ذلك المسكين الراضحة إلى الميدان ، ما نظر المحبون إلا صوب
فقط ، فأعبر محمود ، بأن هذا المسكين أصبح عاشقاً لا ياز ، وفي اليوم
التالي عندما حضر الاعلام ، أسرع صوبه ذلك الواله وهو ميم في لعشق ،
فكان يديم النظر إلى كرة ياز ، وكان في متابعته ككرة صربها الصولجان

وفي الخفاء أمعن السلطان النظر إليه ، فرأى وجهه كدرات تيس ،
وروجه كحبة شعير ، وكان ظهره مقوساً كمصا الصولجان ، كما كان
كالكرة مضطرباً ، وكان يسرع الخطى نحو كل مكان في الميدان كالكرة ،
فناداه محمود قائلاً : أيها المسكين ، أترعب في أن تكون مدبياً للسلطان ؟

قال المعدم : سواء أكنت مسكيناً أم لا ، فليست أقل منك في
مصرر العشق ، العشق والإفلاس قريبان ، وهما ثروة من لا ثروة له ،
فالعشق يستمد مسحه من الإفلاس ، والعشق يليق بالفلسر بلا شك .
أنت سلطان الدنيا ولك قلب مشرق مرقح ، ولكن بنزم العشق مشوب

القلب مثلي ، إن أسبب الوصل وفيرة لذيذ ، وكفى ، فلتصبر خطة على
آلام الحجر ، وما أكثر ما يفعله من أجل الوصل ، فيجب عليك أن
تتحمل الحجر إذا كنت عاشقاً .

قال له السلطان : أيها الخائن بفعل نكر . فإذا تديم النظر إلى
الكرة ؟

قال : إن الكرة حائرة مثي ، وأما مثلها مضطرب ، إنني تعرف
قدري كما عرف قدرها ، وكل من كرة في صوحانه وكل ما قد ونع
أسير الخيرة والاضطراب ، وقد وقفنا على روحنا ، حيث عدما الأرجل
والرأسين إياها يعرفني ، وأنا أعرفها ، وهوول دواماً مرحي بالمريد من
لحم ولكن كرة الطريق أسعد خطأ مي ، فالخصان أحياناً يملأها
بعمه ، ومع أبي عدمت الرأس والقدمين كالكرة ، إلا أبي أفوق الكرة
في تحمل المحن ، فهذا كانت الكرة تتحمل لخروج من الصوخان ، فإن
هذه المسكين اعطى قلبه من آلام روحه ، وإن يخرج الكرة كثيراً ، فإن يار
يسرع صوبها في النهاية ، ومع أبي أجرح أكثر منها ، فهو لا يسعى في
إثري على الرعم من أبي قريب منه وكثيراً ما نعت الكرة بالحضور
معه ، أما أنا لمسكين فمبعد عنه عن الدوام ، فإن تغم الكرة بالحضور
فإنها تشعر بالسرور من حمر الوصال ، وأنا لا أستطيع عقد الأمل في
وصاله ، بينما يتم الوصال للكرة ، لذا فهي تفصلني .

قال له السلطان : أيها الفيلسوف ، لقد ادعيت الإفلاس أصمى ، وإن
لم تكن تتحدث كذباً ، أيها العاجز ، لكان لك من إفلاست خير شاهد

قال : ما دامت الروح باقية ، فست مخلصاً ، وإن كنت مدعياً ،
فست رجلاً حليماً هذا المجلس ، ولكن إذا نثرت روحي في العشق ،
فإن نثر الروح علامة الفيلسوف . أما أنت يا محمود ، ما معنى العشق

لديك ، عليك بشتر روحك ، وإلا فلا تدع العشق .

قال هـد وبأضرب روحه من الدنيا ، واسلم روحه للأحبة ، وما أن
أصم ذلك لمعدهم روحه على تراب الطريق ، حتى اسودت ديب محمود من
الغم .

إد. كان قد حاطر بروحه على مبرة مك ، فتفقه أب لترى هل
توفر وإذا قبل لك تقدم ساعة ، فتقدم طالما تسمع أصواتاً نابغة من
الطريق ، وهكذا تغل لا أول لك ولا آخر على الدوام ، حيث تقامر به
كله على الدوام ، فإن تدرج فيه وتتم لك المعرفة ، فسرعان ما يضطرب
العقل والروح ويصبحان في ارتفاع والخفاص .

حكاية (٣٤٠٩ - ٣٤٢٧)


رحل أحد الأعراب إلى بلاد العجم ، فتمكنه العجب من تقايد
العجم ، وتحوّل هذا الحمار شاهد الخلق ، فوقع بصره على بيت
الفلندرية ^(١) ، فرأى جماعة السكارى لا أول لهم ولا آخر ، وقد تخلوا
عن كلا العالمين بلا كسمة واحدة ، كما أحس كل منهم ماله وتخلّى عن كل
ما يحميه ، وكم كان كل منهم يهوى الآخر في التكاسل والتراحي ، وقد
أمسك كل منهم بكأس خمره ، ونجّرع الجميع ما بها من خمر ، فحل بهم
السكر وعندما رأى هؤلاء الصوم ، مال إليهم ، وسخار عقله وروحه إلى

(١) الفلندرية المراد من الفلندرية الحريد من الكوبن والتريد من الدارين ،
والمرق بين الفلندري والملائي والصوي هو أن الفلندري يعتبر انكسار في التعرّب والتجريد ،
ويجتهد في تخريب العادات ، والملائي يجتهد في كتم العبادات أما الصوي فعليه أصلاً غير
مشعور بتخلّي (برهنت مصطلحات عرفاً ، فضلاً عن تعديت الدكتور جواد مشكور
انظر منطق الطير نسخة طهران ١٣٤٩ ش من ٣٣٤) .

شروع سيلهم .

عندما وجدته القلندرية وسطهم ، وقد سلبت الخمر عقله وروحه ،
قالوا جميعاً له : تقدم يا مجنون الصويّة ! فدخل ! وهذا ما حدث دور
مقص أو زيادة . فتمل الأحمق من كأس واحدة ، وققد وعيه وحارت
عريمته ، وكان معه الكثير من المال والمتاع والمصّة والذهب ؛ فسلبه إياها
رحل في لحظة ، ثم جاءه قسدرى آخر ، وزاده سكرأ ، ثم ألفى به خرج
دار القلندرية فسار الأعرابي حتى بلاد العرب ، سار عاري الحسد
مفلساً صدى الروح جاف الشفة ، فمان له أهله

أي اضطراب هذا أصابك ؟ وأين ذهبك وفصتك ؟ لعلك عملت
عنها ! لقد ولى ذهبك وفصتك رحل مكابها الاضطراب ، فهل كان
ذهابك إلى بلاد المعجم شؤماً عليك ؟ وهل قطع لص الطريق عليك ؟
ولا ، فأين مالك ؟ اشرح ما حدث حتى نعرف حقيقة حالك .

قال : لقد سررت متبختراً في الطريق ، رفجأة ملت إلى دار
القلندرية ، ولا أعلم شيئاً بعد ذلك ، إلا أن ولى الذهب والفضة ،
وأصبحت عطيماً 

فقال (أحد أهله) : صف لي حادثة القلندرية ، قال : هذا هو
الوصف ، ثم قال : هيا ادخل . .

وقد ظل الأعرابي في ضلّته ، وأحد يردد مولة هيا ادخل
تقدم ! وإلا فالو رأسك وامض ، واشتر روحك ! وإلا فاحرص
على روحك وامض ، وإن تقبل بروحك أسرار العشق ؛ فانشر الروح في
مضمار العشق ، وليكن لك نثر الروح ، ثم تعر بعد ذلك ، وليبين لك
قوة هيا ادخل من جميع الأقوال .

حكاية (٣٤٢٨ - ٣٤٤٢)

عشق شخص ينسم بالهمة والكمال ، فتاة عاية في الجبان ، وفصله
وقدراً دهم المرص فلب المعشوقة ، فأصبحت نحيلة كعود الرعمران ،
مصهرة الوجه ، وأصبح النهار الشرق مظلماً على عيها ، وحدها الموت
من بعيد ، واقترب منها . . .

حبر العاشق بذلك ، مهرول مسرعاً ويده سكين ، وقال : أريد
قتل الحية ، حتى لا تموت المعشوقة بفعل الموت نفسه .

فقال له الخلق : إنك في عاية الاضطراب ، وأي حكمة ترها في
هذا القتل ؟ لا تسمك دمه ، وكف يدك عن هذا القتل ، لأنها منمت
ميتة طبيعية هذه الساعة ، فإن لم تمت ، فليكن القتل ، ولا يقطع رأس
الميت إلا جاهل !

قال : إن أقدم على قتل المعشوقة بيدي ، فسأقتل نصصاً لها ،
وعندما تقوم الساعة ، فأمام الجميع يحرقونني كالشمع ، إما أن أقتل اليوم
بسبب تعلقي بـ ، وإما أن أحرق عدأ بسببها ، فكل رعني ها أو هناك
أن يكون اسمي المحروق أو المقتول بسببها .

يتقدم العشاق إلى الطريق مضحين بأرواحهم ، يتقدمون وقد
قصر أيدهم عن العالم ، وتحملوا وسط ذلك لأم الروح ، كما حنصوا
القلب من الدنيا كلية ، وما أن حنصوا أرواحهم من الكل ، حتى
أصبحوا في حلوة مع الحبيب . .

حكاية (٣٤٤٣ - ٣٤٥٥)

عندما كان خليل الله في الزرع الأخير ، لم يسلم الروح لعرراييل بسهولة وبسر ، فقد قال له : عد مرة أخرى . وقل لله لا نقبض في النهاية روح حبيبتك فقال الحق تعالى . إن يكن الخليل حقاً ، فاترك الروح تسدك طريقها إلى حبيبك ، لا يبق بث أن نقبض روحك بعد السيف ، ومن ذا يندم على تسليم روحه لخليله ؟

وقال له أحد الحاضرين . يا شمع الدنيا ، لم لا تسلم روحك لعرراييل ؟ إن العشاق يضحون بأرواحهم في الطريق ، فلم تحافظ أنت على روحك في الهبة ؟

فقال : كيف أقول شرك الروح الآن ، وقد تدخل عرراييل بيتي ، فقد جاءني جبريل ساعه إلغائي في النار ، وقال . أيتها الخليل ، قل لي حاجتك ، فلم أمره إلتفاتة في ذلك الوقت ، لأن طريقي اعقبت نجاهه ، ولم تفتح إلا لي نجاه الله ، فإذا كنت قد أشعبت براسي عن جبريل ، فكيف أسلم الروح لعرراييل ؟ لذا لا أستطيع شر الروح ، حتى أسمع من الله الأمر بتسليم الروح . فإذا جاءني الأمر بتسليم الروح ، فإن الدنيا لا تساوي بالنسبة لروحي نصف دائق ، وكيف أسلم روحي لأي شخص في كلا العالمين ؟ إنني لن أسلمها إلا بأمره ، وهذه هي القصة ، وكفى ١



« المقالة الأربعون »

بيان وادي المعرفة (٣٤٥٦ - ٣٤٨١)

بعد ذلك يتصحح أمام نظرك وادي المعرفة ، وهو واد لا بداية له ولا نهاية ، ولا يرحب شخص قط في هذا المقام يشك في طول الطريق ، وفيه يختلف كل طريق عن الآخر ، وفيه يختلف السالك بالحسد ، عن السالك بالروح ، وفيه تدوم الروح والجسد الترقى والزوال ، وذلك عن طريق التقصان والكمال . . . فلا حرم أن أوضح الطريق لكل سالك قدر طاقته إذ كيف يكون العكس المتلى رقيقاً للقليل في هذا الطريق الجليل ؟ فسلوك كل شخص مرهون بكماله ، ويتم قرب كل شخص حسب حاله ، فمن نظر بموضة هناك بكل قوتها ، فكيف تستطيع أن تساري الريح الصرصري قوتها ، فلا حرم إن كان السير فيه مختلفاً ، فلن يصير كل طائر فيه سالكاً . .

وهنا تنفوت المعرفة ، حيث يدرك هذا المحراب ، ويدرك ذلك الصمم ، وصدمما تضيء شمس المعرفة من منك هذا الطريق العالي الصفة ، فيصبح كل فرد مصراً قدر استطاعته ، ثم يجهد صبره في الحقيقة ، وعندما يشرق سرزاته عليه ، يصبح موقد حمام الدنيا روضة لديه ، ويرى له في دخيلته لا في جسده ، كما لن يرى نفسه لحظة ، حيث يرى الحبيب وحده ، ومهما يرى ، يسرى وجهه على الدوام ، ويسرى محله حرة حرة على الدوم ، وستظهر مئآت الألوف من الأسرار وجهها له كالشمس من تحت النقاب ، وسيضيء آلاف الخلق دواماً ، حتى يتضح سر واحد تماماً . . .

لا بد لهذا الطريق من إنسان كامل ، حتى يعوض في هذا البحر العميق ، وإن يظهر دوق من الأسرار بك ، فسينولد في كل زمان شوق

جديد لديك ، وسيسود الظلم الكل هنا ، وسنمك مشات الألو من
الأرواح حلالاً هنا ...

كي تصل إلى العرش المجيد ، لا تكف مطلقاً عن ترديد : هل من
مزيد ؟ وأغرق نفسك في بحر العرفان ، وإلا ، فأقل شيء هو أن تنثر
التراب على مرقك . وإن لم تكن أيها العاقل من أهل التهته ، فلم لا
تعزي نفسك ؟ وإن تعدم السعادة في وصل الحبيب ، فلا أقل من أن تقيم
مأتم الحجرات ، وإن تحرم من جمال محبوك ، فاهض ولا تجلس ، وداوم
الطلب بحثاً عن الأسرار ، وإن تجهل الطلب ، فليملكك الخجل ، وإلام
تظل كالخمار بلا زمام ؟ ..



حكيدة (٣٤٨٢ - ٣٤٩٨)

كان بحبال الصين رجل مشغول بحطيم لأحجار ، وكانت عيناه
تدرفان الدمع على الثرى ، وكانت دموعه تتساقط على الأرض بحرارة ، ثم
تنحول إلى حجارة ، ولو سقط حجر منها في يد السحاب ، لما طهر منه عبر
الأسى حتى يوم الحساب . ولدى هذا الرجل الصادق عدم نافع ، فبحث
عه حتى ولو تسافر إلى الصين ، وكل شيء في هذه الدنيا القانية ظلام في
ظلام ، ولكن المعلم لديه يشبه مصباح الهداية .

في هذه الدنيا المظلمة ، الروح هي المرشد ، وجوهر العلم يسمى
بروحك ، وأنت في هذه الظلمة قد عذمت الرأس والقدم ، كما
أصبحت كالإسكندر عديم المرشد ، وإن تجمع الكثير من الجوهر .
فستجد نفسك أكثر الناس ندماً ، وهذه الدنيا وتلك لا قيمة لها في عالم
الروح . فالروح حفية عن الحسد ، والجسد حفي عن الروح . وعندما

خرجت من القبة انخلت إلى القلة أيضاً ، لأن هذه لثروة خاصة بالأدعي فقط . .

إن تصل هناك إلى هذا المكان الخامس ، فتحد في كل لحظة مئات الأسرار ، وإن تطل في هذا الطريق ، فالويل لك ، حيث تعنى في انكسار من أولئك إلى أحرك ، لا تم بالليل ، ولا تشعل بالأكل في النهار ، فربما يظهر هذا الطلب فيك ، فاطلب حتى بصييك الطلب بالغاء ، وإلا فسيفييك الأكل مهراً واليوم ليلاً بالغاء !

حكاية (٣٤٩٩ - ٣٥٠٩)

أصيب عاشق بالاضطراب من فرط لعشق ، فنام على التراب في دلة وانكسار ، ثم مر به معشوقه وهو في مرقده هذا ، فرآه نائاً وقد غلب عن وعيه ، فكتب ورقة تليق به وربطها على كم عاشقه ، وما أن استيقظ عاشقه من نومه ، وفرا ابورقيقة ، حتى سيطر الحزن عليه ، وكان المكتوب يقول :

أيها الرجل الخامل ، إن كنت تاجراً للفضة ، فانقص ، واسخ ، وإن كنت زهداً ، فتعبد بالليل ، وعش في تضرع حتى النهار ، وكن لله عابداً ، وإن كنت عاشقاً ، فليترك الخجل ، فحتى حارسين العاشق أن تمام؟ فالعاشق كالريح بالنهار ، وفي الليل يبدو في حرقة كالقمر ، ولما كنت يا عديم الضياء لا هذا ولا ذاك ، فقلل من التماحر الكاذب بعشقا ، فإذا نام العاشق في الكفر ، أما أنت فعاشق لنفسك وإن كنت بالعشق جاهلاً ، فاهداً باليوم لأنك لست للعشق أهلاً

حكاية (٣٥١٠ - ٣٥٣٧)

كان أحد الحراس عاشقاً وفياً ، لا ينام الليل ولا يقر به فرار
بالنهار ، فقال صديق حميم للعاشق المسهد : يا من لا تنام ، لتسم في
النهاية لحظة من الليل

فقال (العاشق) لقد أصبح العشق قريين بالحراسة ، فكيف ينام
من له هذان الأمران ؟ ومتى كان النوم بالحارس لا نقياً ، وبخاصة إذا كان
هذا الحارس عاشقاً ؟ فإن كان الإنسان يحاظر أبداً ، فكشراً ما يسمع كل
أمر الإنسان إلى أمر آخر ، وكيف يستطيع النوم لحظة ، وأما لا يستطيع
استعادة النوم من أحد ؟

في كل ليلة كان العشق يعقب الحارس امتحاناً ، حيث يجعه
مشغولاً بالحراسة ، فكان يمضي هناك صارماً بالعصا ، وأحياناً يصرب
وجهه ورأسه حرقاً ، وإذا عفا لحظة هذا المسهد الخائف ، رأى العشق في
منامه ، فكان الخلق جميعاً في سبات طول الليل ، أما هو فأسير النوح
والأبى .

فقال له حبيب : يا من قصيب الليل كله في حرقه واضطراب ، لم
لم تنم لحظة ؟

قال : ليس للحارس أن ينام ، ولا يروا لوجه العاشق إلا بالنوم ،
فطبيعة الحارس عدم النوم ، وطبيعة العاشق شحوب الوجه ، وإذا كان
النوم يهمر من العين وهي موضع النوم ، فكيف يمكن له أن تكتحل
بالنوم ؟

لقد اتفق العشق والحراسة ، وسلبا النوم من عينيه ، وألفياه في
البحر . وقد حاصب العاشق الحارس بكلام عذب ، فوقع أمر مسهده

موقعاً حسناً في عقله . فمن يسر للسهاد وبطرب ، لا يمكن لليوم أن يسطر على رأسه وله ، فلا تسم أنها الرجل إن كنت طالباً ، أو لينعم عليك الله باليوم اهاني ، إن كنت بالقول متشدقاً . وكس على الدوام حارساً في غريب القلب ، في أكثر اللصوص المتربصين بالقلب ، وقد انتزع القلب الطريق من أيدي اللصوص ، فإذا تم لك التحلي بصفة احراسة ، في أسرع ظهور العشق في المعرفة ، فهي هذا البحر المليء بالدم ، سنبثق المعرفة للرجل من عدم اليوم ، وكن من يتحمل كثرة لسهاد ، سيمضي إلى الحضرة ميهط القلب . فعدل من اليوم وكن في القلب ، إذا كنت من السهاد يقط القلب ، ويجب العود أنه حينها يعرق جسديك ، لن تخلصك الاستعانة من الغرق

لقد مضى العشاق السابقون ، ورددوا جميعاً سكارى بالهجة ، فاضرب رأسك ، حيث يستعد السابقون كل ما وجب فعله ، ومن بدا له ذوق العشق ، فسرعان ما وجد مفتاح العالين ، فإن توجد امرأة في طريق العشق ، تصبح رجلاً مهيئاً ، وإن يوجد رجل في هذا الطريق ، يصبح رجلاً عميقاً



حكاية (٣٥٣٩ - ٣٥٥٠)

قالت العياضة لأحد الرجال : ليس العشق إلا ذرة تقع على من يشرق عليه اسم العشق ، فإن كان رجلاً تُحب المرأة منه ، وإذ كان امرأة ، فحسبها أنها سجت الرجل . بعد علمت أن امرأة من سن آدم ، وألم تعلم أن الرجل من سن مريم ؟ وإذا لم يظهر ما يجب أن يكون تما ، فإن الأمر لا يمكن أن يتضح لك تماماً ، وعندما يتضح الملك ، ويتم بحصيله لك ، فسينم كل ما يصبح حاصلاً في قبلك ، واعلم أن هذا هو

الملك ، وتلك هي السعادة ، واعتبر أن ذرة من هذا العالم ، ما هي إلا
قبس من الدين ، وإن تمتع بملك هذه الدنيا ، مستظل صائغاً إلى الأبد ،
أما السلطنة الدائمة فهي المعرفة ، فاجتهد حتى تحصل على هذه الصفة ،
وكل من يكون مثلاً بعالم العرفان ، يكون بالنسبة لخلق الدنيا جمعاً بمثابة
السلطان ، ويصبح ملك العالم ملكاً له ، وتصبح الأفلاك انتسعة فلكاً في
بحره ، وإن يدرك ملوك الأرض طعام جرعته واحدة من ذلك البحر
للأنهار ، فإنهم يجلسون جميعاً في مائمه ، لما اعتراه من ألم ، وما رأى
بعضهم رجوه بعض من شدة هذا الألم .



حكاية (٣٥٥١ - ٣٥٥٧)

مضى محمود صوب حراية ، فرأى هناك مجوساً ولها ، وقد طامطاً
الراسم مما به من عزم ، وقصم ظهره من كثرة ما اعتراه من هم . وما أن
رأى السلطان ، حتى قال : ابتعد ، وإلا ألحقت بك أذى كبيراً ،
فابتعد ! أنت لست سلطاناً ، لأنك عديم أهمية ، كما أنك كاهن بما مسحك
الله من نعمة .

قال له محمود : لا تنهمني بالكفر ، وتل في لعظاً واحداً ولا تكثر

فقال : لعلك تعلم أيها الجاهل ، عن من ابتعدت ، يا عديم
القدر ، فأنت لست إلا تروماً ورماً بالتمام ، وستصب النار على رأسك
على الدوام .



« المقالة الحادية والأربعون »

في وصف وادي الاستغناء (٣٥٥٨ - ٣٥٨٠)

بعد ذلك يأتي وادي الاستغناء ، وهو حال من كل دعوى ومعنى ، وفيه تسرع الريح العاتية مما هو من قوة ، حيث تشمل كل إقليم في لحظة والبحار السبعة ما هي إلا بركة ماء هنا ، والكواكب السبعة ما هي إلا ومضة ضوء هنا ، وتكون فيه الحبات السبع في موت مطبق ، كما تصبح النيران لسبعة فيه كالثلج المتجمد ، وعيد تصبح بالنملة ويا للعجب ، قوة مائة فيل بلا أدنى سبب ، ولكي يصبح العراب ممتلئ الخوصلة ، على يبقى أحد قد عوى قيد الحياة من مائة قافلة ، ولقد احترق مئات الألوف من الملائكة حتى أصاب مصراع لآدم وحلب آلاف الأجسام من الروح ، حتى أصبح روح مجرداً في تلك الحصرة وهجم العديد من البعوض على الجيش ، حتى سما إبراهيم فوق الجميع وسفك دم العديد من الأطفال ، حتى أصبح كلهم الله صاحب رؤية . وعقد مئات الألوف من البشر الرزق ، حتى أصبح عيسى محرم الأسرار . واصطرت مئات الألوف من الأرواح والقلوب ، حتى أدرك محمد ذات ليلة المعراج .

الجديد والقديم هنا لا قيمة لهما ، فلا ترغب في شيء هنا مطلقاً ، وإن كنت قد رأيت الدنيا مكتوبة القلب ، فما رأيته ليس إلا حلماً ، وإذا سقطت آلاف الأرواح في هذا البحر ، فكأنها فطره لدى سقطت في هذا البحر اللانهائي ، وإذا استسلمت مئات الألوف إلى النوم ، فمنهم يصبحون بفعل الشمس كثرة مع انطق ، وإذا تساقطت الأفلاك والأنجم قطعة قطعة ، فكأنما سقطت ورقة شجر واحدة في هذه الدنيا ، وإذا أصححت الدنيا من البحر إلى القمر عدماً في عدم ، فكأنما عرجت نعمة في داء بشر ، وإذا خرب العالمان دفعة واحدة ، فهب أن حبة رمل قد انعمت من

الأرض . وإذا سم يبق أدنى أثر للناس والشيطان ، فكأنما سقطت قطرة
مضر واحدة ، وإذا سار الكل إلى التراب ، فأى بأس إن احتسبت شعرة
كائن حي واحدة ، وإذا صاع الجرة والكل لها ، فقد نقصت ورقة من
واحدة من عني وجه الأرض ، وإذا نقصت هذه لأملالك النعمة مرة
واحدة ، فما نقصت غير قطرة ماء من البحار السبعة

حكاية (٣٥٨١ - ٣٥٩٤)

كان في قرينتنا شهاب في حمان البدر ، فسقط هذا البدر الشبيه بيوسف
في البئر ، وبعال عليه الكثير من التراب ، وأخرج في اسهابة أحد
الأشخاص ، فاضطرب حاله ، كما أصابه الزمان بالمديد من
المصائب . كان اسم هذا الشاب الطيب المحند « محمد » وهكذا تسمى
بعد فدومه إلى الحياة مباشرة . وقد قال له الوالد حين رآه مضطرباً يا
ولدي ، يا نور العين ويا روح الوالد ، يا محمد ، تنطق مع أبيك ،
وتطلق بكلمة واحدة ، فقال في النهاية « الكلمة » ومن محمد ؟ ومن
العلام ؟ ومن الإنسان ؟ قال هذا وأسلم الروح وهذا ما حدث
وكفى .

انظر أيها السالك ، يا من يتصف بعد النظر ، أين محمد ؟
وأين آدم ، وتسبب اسم أين آدم ، وأين ماله من دريات ؟ وأين
أسماء الحريات والكليات ؟ وأين الأرض ؟ وأين الخيال والخيال ؟ وأين
العنك ؟ وأين الملائكة والشياطين ؟ وأين الخلق والمذك ؟ وأين الآن
الألوف المؤلفة التي وادها التراب ؟ وأين لأن الملائكة لأظهر ؟ وأين من
أسموا الروح في اضطراب ؟ وأين الإنسان ؟ وأين الروح والجسد ؟
وأين العسم ؟ فإن تتحل كلا العامين ومائه مشبهها ، وتغربها ، فمن تجد
أي شيء في المربال ، ما دامت الحياة قد أقبلت عليك مصطربة مختلة

حكاية (٣٥٩٥ - ٣٦١٥)

كان يوسف اعمداني يأمل في المسير، وكان له صدر طاهر وقنب كبير، وقد قال : لتسم دائماً فوق العرش ، ثم هبط بعد ذلك تحت العرش فكل ما كان وما يكون وما سيكون سواء أكان حسباً أو سيئاً ، فليس إلا درة ناعمة ، وهذا كله مجرد قطرة من بحر لوجود ، فلا جدوى من وجوده أو عدمه ، وليس هذا الوادي هكذا بسيطاً سهلاً ؛ يا سديم العقل ، بن أنت الذي تعسره سهلاً بجهلك ، يا سديم العقل ، حتى ولو أصبح البحر غاصاً بدماء قلبك ، فلن تستطيع قطع سوى مرلة واحدة منه فقط ، وإن نتحل عن الدنيا في كل خطوة ، فستكون لك الخطوة الأولى إن تمحى النظر ، وما رأى شخص قط نهاية هذه الطريق ، وما رأى شخص فطروا لهذا الداء . فإن تتجمد كالخجر في الحياة فأنت حية أو ميت ، وإن تسرع وتطل في عدود دائم ، فلن تسمع صوتاً يدعوك للدخول مطلقاً ، وليس للإسراع مفعولاً منك ، ولا التوقف كذلك ، وليس الموت أفصل لك ، ولا الولادة كذلك

صعب ذلك الأمر الذي نحن بك ، فما المائدة ؟ يا أمرك صعب مشكل ، فما جدوى توقفك ؟ وسواء أكنت حاصباً أو مطيعاً ، أيها الخامل ؛ وسوء تهيئة عن العمل أو اجتهدت فيه ، وسواء قلت بترك العمل أو بالسعي فيه ، وسواء أكان عملك قليلاً أو كثيراً ؛ فإليك تراول العمل طالما العمل موجود ، حيث يلزمك لعمل على الدوام ، وإن لا يتقدم أى شخص لمعالجة الأمر ، فما أطول ما أنت فيه من سقالة . واترك الأعمال التي كنت تعملها سلفاً ، فسرء فعلتها أو متعت عنها وكيف تدرك العمل ، وهو أمر لا يمكن إدراكه ، حتى ولو أدركته فمضى تستطيع مراولة العمل ؟

تبين حقيقة عدم الاحتياج ، وأمن النظر إلى الاستغناء ، سواء

كنت مرحاً أرسماً وما أن أضوء برق الاستعباد هكذا ، حتى حرق
لهيه مائة دينا في لحظة واحدة ، وستهار المائة دينا ، وتحد إلى التراب ،
وأبي خوف لو تلاشت الدنيا في هذا الوادي ؟

حكاية (٣٦١٦ - ٣٦٢٦)

لعلك رأيت ذك الحكيم ذا العقل الكبير ، وقد أحصر أمامه لوحة
تربية ، وقد أحد يربن اللوحة بالكثير من النقوش والرسوم ، حتى بذت
عينيها الثوابت والسيارة ، ويبس عليها كذلك الأفلاك والأرض ، فكان
يوجه أوامره لهذه تارة وتلك تارة أخرى ، وأظهر عليها النجوم والبروج
كذلك ، كما وصح عليها الأقول والعروج ، ورسم عليها علامات
الحس والسعادة ، وصور فيها مرتبة الموت والولادة ، وعندما يحسب
الحس يتولد السعد منه ، لذا برم جوار هذه اللوحة .

إنك تقول : دع هذا المراء الذي لا يحدث مطلقاً ، هذه النقوش
والرسوم لا توجد مطلقاً إن صورة هذا العالم المضطرب شبيهة بصورة
تلك اللوحة ، ولن تستطيع تحمل كل هذا فتحير الكنز ، وقيل الطراف
حول العالم ، والرم ركنك فقد أصبح جميع الرجال نساء هنا ، بعد أن
عجروا عن معرفة أي شيء عن هذين العالمين ، وإن تعجز عن سلوك هذا
الطريق فس تساوي قشة تبن حتى ولو تزن جبالاً !

حكاية (٣٦٢٧ - ٣٦٣٨)

قال ذلك الرجل الذي بعد من أهل السر : لقد أتكتشف النعاب عن

عام الأسرار ، وجاء الهاتف قائلاً : أسرع أيها الشيخ ، واطلب كل من
نعمي ، وانطلق بسرعة ، فقال الشيخ : إنسي أرى لآلئيه مبتلين دائي
ويحيط بهم اللاء ، وأينما تكثر المموم والسلايا تجد لآلئيه مباحين إليها ،
فإذا كان البلاء من نصيب الآلئيه ، فكيف تدرك الراحه هذا الشيخ
العريب ؟ فليست بطامع في عرة أو ذلة ، وليتك تتركني أسير عجري !

إذا كان مصيب العظماء المنصائب والوائب ، فكيف يستطيع الصغار
إدراك الكبر ؟ الآلئيه دائماً في اضطراب ، أما أنا فلا أستطيع تحمل كل
هذا ، فادفع يدك عني إذا كان كل ما أقوله تابعاً من روحي ، فأني
جلوي منه ؟ وإن لم يرق لك الأمر ، فأني جلوي عما يصدر عني ؟
لو كنت قد سقطت في بحر الخطر ، فأنت تشبه بطله صعيمة
الخناع ، وإن يتمكنك الخوف من تمساح الفهر ، فكيف يروق بك سلوك
هذا الطريق ؟ ومستظل في البداية لا يفر لك قرار عما بك من تفكير وحواف ،
فإن تسقط ، فكيف تستطيع روحك الوصول إلى الشاطئ ؟



حكاية (٣٦٣٩ - ٣٦٥٢)

كانت ذبابة تطير باحثه عن طعام ، فرأت خلية عسل في زاوية ،
فاضطرب قلبها شوقاً إلى العسل ، وصاحت قائلة : أين ذلك الرجل
الحر ؟ لعله يأخذ دانقاً مني أنا المسكينة ، ويجلسني داخل الخلية ، وإن
يشرف فرح ووصل هذا ، فما أهل أن نكون جذوره في العسل .

أخيراً يسر شخص لها ما أرادت ، وأدخلها الخلية بعد أن أخذ منها
دانقاً ، وما أن دخلت الدبابة إلى العسل ، حتى كبيل العسل يديها
ورجلها ودهنت مفاصلها من الاختلاج ، واشتد فيدها كلما رادت
حركتها ، فصاحت قائلة :

يا سوء ما وقع لي ، لقد أصبح العسل أثقل على نفسي من السم ،
إن كنت قد أعطيت دائقاً ، فلأن أعطى دائقين ، لعل أخرج من هذا
المازق ، وأخلص من هذه الدلة .

إلهي ، لا تجعل إنساناً في فراغ لحظة في هذا الوادي ، ولا تحرم إنساناً
من بلوغ المراد ، لقد اضطربت زماً أيها القلب ، وإلام تقضي السمر
غفلاً ؟ فانهض واقطع هذا الوادي الصعب ، وتخلص من الروح ،
واقطع صلتك بالقلب ، وذلك لأنك إن نطل رقيقاً للقلب والروح ،
فإنك مشرك ، بل أكثر غفلة من المشركين . فابذل الروح في الطريق ،
وقدم قلبك ثاراً ، وإلا فابعد عن طريق الاستغناء .



حكاية (٣٦٥٣ - ٣٦٦٩)

كان هناك شيخ صوفي مشهور ، قد شغفته بست الكلاب حباً ،
وأصبح واحداً في عشق تلك المعشوقة ، كما تلاطمت الدماء في قلبه كامواج
البحر ، وأملأ في رؤية وجهها ، كان ينام ليله مع كلاب محلتها ، ففعلت
والدة الفتاة لتلك الحيلة ، وقالت للشيخ أي ضلال هذا ؟ إن كنت
صادقاً في هذا الحب ، فعملنا هو تربية الكلاب ، وحسب . فإن تكن
على شاكلتنا ، وتقم بتربية الكلاب ، نعقد قرانك بعد عام ونقم حفل
للعرس .

ولما كان العشق متعمكاً من قلب الشيخ ، لقد أنقى الخرقه ، وبادر
إلى مراوطة العمل ، وذهب إلى السوق بمصاحبة كلب ، وقضى قرابة عام
على هذا العمل .

وكان يصادقه صوفي آخر ، فعندما رآه هكذا ، قال له : يا حليم

المروءة ، لقد قضيت ثلاثين عاماً رجلاً ، وعم الرجل ، فلم فعلت هذا ؟
ومن فعل هذا ؟

قال : أيها لعافل ، لا تطل الحديث ، حتى لا يرتفع الشتر عن
هذه القصة . إن الحق تعالى يعلم هذه الأسرار ، وبإمكانه إصابتك مثل
ما أصابي ، فإن يستمر لومك لي ، فقد ينقل الكلب من يدي إلى يدك .

ما أكثر ترددي الأقوال حتى دمي قلبي من آلام الطريق ، وما تقدم
أحد للسلوك ، وما أكثر ما تكلمت دور جدوى ، حيث لم يتقدم واحد
مكم بحثاً عن الأسرار ، فإن نصحوا عابدين بأسرار الطريق ، تدركوا في
هذا الوقت مقدار آلامي حتى ولو تكلمت أكثر من هذا في وصف
الطريق ، فالجميع في سبات عميق ، وأين السالك الحق ؟

حكاية (٣٦٧٠ - ٣٦٧٢)

قال مريد لشيخه : لفضل لنا نكتة عن الخصور ، فقال الشيخ
ابتعد ، فإن تغسلوا وجوهكم في هذا الزمان ، أقدم النكتة أثناء ذلك .

ولكن أي جدوى من العطر في المجاسة ؟ وأي جدوى من أن تقول
نكتة أمام السكران ؟

المقالة الثانية والأربعون

في وصف وادي التوحيد (٣٦٧٣ - ٣٦٨٠)

بعد ذلك يأتيك وادي التوحيد ، فيقل عليك منزل التجريد والتهريد ، وعندما تسحب الرجوه من هذه الدنيا إلى صحراء التيه ، فسيرفع الجميع رؤوسهم من فتحة واحدة ، وسواء رأيت كثرة أم قلة ، فيكون الكل واحداً بلا شك ، فإن يكثر تداحل الواحد في الواحد دواماً ، فسيتوحد الواحد في الواحد تماماً ، ولن يتم لك هذا الفرد الواحد لأن ما يتم لك هو الفرد المتعدد ، وإذا خرج ذلك عن الحد والعد ، فاقطع النظر عن الأزل والأبد ، وإذا تلاشى الأزل ، فالأبد حالد ، ولا أهمية هما معاً في حد ذاتهما ، فإذا كان الكل عدماً ، فهذا كله عدم أيضاً ، وما هذه كلها إلا عدم في الأصل



حكاية (٣٦٨١ - ٣٦٨٥)

قال رجل عظيم لذلك الواله ، ما هذا العالم ؟ وما تلك الدار كذلك ؟

قال إن هذا العالم غاصر بالشهرة والسمعة ، وهو كحبة من شمع مردانة بألوان عدة ، فإن يحك أحد هذه الحبة بيده ، فإنها تتحول إلى قطعة شمع بلا شك . وإذا كان الجميع شمعاً ، ولا شيء غير ذلك ، فبعض لأن هذه الألوان لا تساوي فرهماً ، فإذا كان أحدياً ، فلا يمكن أن يكون ثانياً ، كما لا يخرج من هذا الأنية ولا الأنتية



حكاية (٣٦٨٦ - ٣٧١٨)

مضت تلك المحوز إلى أبي عبي (١) ، وكانت تحمل صحيفة من ذهب ، فقالت : حد هذه مي ، فقال الشيخ : إني على عهد ، وهو ألا أحد شيئاً قط إلا من الله لا من أحد ، فقالت المحوز في الحال : يا أبا عبي ، من أين لك في النهاية هذا الحول ؟ إنك لست رجل حل وعقد في هذا الطريق ، فكيف ترى الغير إن لم تكن حول ؟ ليس في عين الإنسان هنا إلا شيء واحد ، حيث لا وجود هنا للمكعبة أو الدير .

إذا وصل السالك إلى حد القلب ، ووصل في الطريق إلى تلك المرتبة ، فإنه يسمع منه كلاماً نبياً ، ويبقى وجوده به دواماً ، ولن يرى أحداً قط غيره لحظة ، ولن يعرف أحداً خالداً سواه . ويكون دائماً فيه ومته ومعه ، ولكنه خارج عن نطاق الثلاثة كلها .

كل من لا يضيء في بحر الوحدة ، غير حليق بالأدمية ، حتى ولو كان آدم نفسه ، وكل من كان من أهل المصل ، أو من أهل الميب ، له شمس في جيب الميب ، وسيأتي يوم في النهاية ، وتضمه الشمس إلى حوزتها وترفع القلب ، وكل من وصل إلى شمس ، اعلم يقيناً أنه تخلص من كل حسن وقبيح .

إن فني أدرك العشق والمحبة ، كما تدرك الحس هناك ، وتمتحن عن سوء هنا ، لكن إن نظر في وجودك ، فسترى الحس والسيء في هذا الطرين الطوين ، بما أن حث من العدم إلى لوجود ، حتى جئت أسير وجودك ، في ليتك تكون الآن كما كنت أولاً ، حيث كسب عن الوجود معطلاً ، فظهر نفسك كدية من الدية ، ثم أسلم هذه النفس إلى

(١) ليس من المعروف من هو أبو علي هنا ، حيث يوجد كثير من المتصوفة يكونون بأبي

الريح بعد ذلك وارهبا التراب ، وما بداخلك من حسد وضجر تراه أعين
الرجل ، لا عيك أنت ، ومن أين لك أن تعلم ما بداخلك ، سواء
أكان مبرداً أو موقداً ؟ فحي داخلك موقد مليء بالنارين ، وقد حررتها
وأنت في حفلة ، ثم اختفى النيران وانعقوب تحت حجبك ، حيث نعا
وأخفا نفسيهما ، فإن تفسح لهما المجال فيد شمرة ، فإتلك تجعل كل واحد
منهما بمثابة مائة نين .

لكل فرد نار مبيتة بالنارين ، فطالما تتوقف عن العمل ، فالسار
تواصل العمل وإن تخصص بها وتنظهر ، تصبح سعيداً في رقتك
بين الثرى ، وإلا فستظل العقارب والنارين تلدعك تحت الراب لدعاً
شديداً حتى يوم الحساب .

وأنت يا عطار ، متى تتخلص من هذا الكلام المجازي ، ونعود إلى
سر أسرار التوحيد ؟ عندما يصل أسالك إلى ذلك المكان ،
يتلاشى الرجل والمكان من الطريق ، يتلاشى لأنه هو وحده الظاهر
والبادي ، ويلزم الصمت ، لأنه وحده المتكلم واساطق ، وفيه الجزء ،
ويبقى الكل ، ثم يمسى الكل والخرء معاً ، وتبدو الصورة مثيرة للعجب ،
وقد في العضو ، كما فت الروح ، وتولد كل أربعة ، من كل أربعة
وتخرج مائة ألف من مائة ألف ، وترى في مدرسة هذا السر العجيب أنه
قد صليت شفاء مائة ألف نجيب

ما قيمة العقل هنا وقد وقف بالبيت عاجزاً ؟ كما ظل كطفل صرير
أصم ، وقد صاع منه كل سر حصله عن هدين العالمين ، ولست إلا شعرة
من هذا الشخص ، فكيف ينأى سر من شعرة في الدنيا ، فإن اتعم هذا
الشخص بالكل ، فالكل هم هذا الشخص ، وعراء كان العدم أو
الوجود ، فهذا الشخص موجود .

حكاية (٣٧١٩ - ٣٧٣٠)

قال لقمان السرحي (١) : إلهي ، إنني شيخ هرم ولهان فضلت الطريق ، وإن العبد الطاعن في السر يكافأ بوثيقة عتقه وإطلاق سراحه ، أما أن فلما زلت عبداً لك يا إلهي ، وقد ابيض شعري لأسود ، إنني عبد تحمل الكثير من الغم ، فامحني السعادة ، لقد أصبحت شيخاً ، فأنعم علي بوثيقة العتق والحرية .

قال له هاتف : يا من يعد من خواص الحرم ، إن كل من يطلب الخلاص من العبودية ، عليه أن يفني عقله وتكليفه معاً ، فتحل عن كلا الاثنين ، وسر في الطريق .

فقال : إلهي ، إنني أطلبك أنت على الدوام ، وليس لي بالعقل والتكليف أي اهتمام

وأخيراً حرج عن حدود العقل والتكليف، وظل يرفض عما تملكه من جحون ، ويقول : إنني لا أعرف الآن ، من أنا ، فإن لم أكن عبداً ، من أنا ؟ لقد انمحت العبودية ، وانعدمت الحرية ، وما تبقت ذرة هم أو بارقة سعادة في القلب ، وهل عدمت الصفة ؟ أم أنني أنسم بأي صفة ؟ وهل أنا عارف ؟ أم أنني عندي المعرفة ؟ ولا أعلم أأنا أم أنت ؟ أنا ؟ لقد قيت فيك وتلاشت الأنية .

(١) لقمان السرحي : جاهد كثيراً في بداية سلوكه الطريق ، ورجاء أنعم عليه بالكشف وولى به العقل ، وقد وردت هذه الحكاية في (أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد) وذكرت أن لقمان سمع بعد تعرضه من يقول له : « يا لقمان قد اعتصمك » ويقول مؤلف أسرار التوحيد ، إن الدليل على عتقه أن أخذت العقل والتكليف انظر : أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد : محمد بن منصور من أبي سعيد ترجمه : إسعد عبد الحمادي : ص ٤٠ - ٤١

حكاية (٣٧٣٩ - ٣٧٣٨)

ما أن وقع أحد المعشوقين قصاء وقد رأى في الماء ، حتى أسرع عاشقه وألقى بنفسه في الماء ، وعندما اقترب كل منهما من الآخر ، سأل المعشوق العاشق قائلاً : أيها الجاهل إذا كنت قد سقطت أنا في هذا الماء الجلوي ، فلم ألقيت نفسك في الحنّ ؟ فقال لقد ألقيت بنفسي في الماء ، لأنني لم أعرف نفسي من نفسك ، فقد مضى وقت بلا ريب حتى أصبحت أنا أنت ، وأنت أنا ، وأصبحنا واحداً ، فهل أنت أنا ، أم أنا أنت ؟ وإلام كانت الثنائية ؟ فلما أبت أنت ، أو أنك أنا ، أو أنك أنت أنت ، وعندما تكون أنت أنا ، رأنا أنت على الدوام ، يكون جسدنا واحداً والسلام وإذا كانت الثنائية بيننا ، فالشرك قد أصابك ، وإذا التفت عينا الثنائية ، فالتوحيد قد أدركك .

أمن نفسك في الله ، فهذا هو التوحيد ، وأمن العباد نفسه ، فهذا هو التفريد .



حكاية (٣٧٤٠ - ٢٧٧٨)

كان يوماً كله بمن وسعادة ، يوم أن قام جيش محمود بالعرض ، فقد صار صوب لصحراء عدد كبير من القبيلة والحدود ، وكانت هناك رسة اعتلاها السلطان محمود ، ومصطفى رفقة إياز رحس^(١) ، واستعرض ثلاثتهم ذلك الحشد ، وأصبح وجه العالم من كثرة القبيلة والحشد ، كطريق سدته النبال والحراد ، وما رأت عين العالم مثل ذلك الجيش ، وما رأى شخص قط جيشاً كثيف العدد كهذا الجيش ، وبدأ لسلطان الحديث

(١) حسن الميمنى ورير السلطان محمود العربي

قائلاً بسلامه إيار ، أيها الغلام ، لتكن هذه العيلة وأولئك الحسد تحت
إمرتك ، فأنت السلطان بالسيرة لهم ولي .

ومع أن السلطان العظيم قال هذا الكلام ، فإن إيار
لم يأنبه به ، ولم يحرك ساكناً ، ولم يوجه أي شكر للسلطان ، ولم يقل
غير : ماذا قال لي السلطان ؟

اضطرب حس ، وقال : أيها الغلام ، إن كان السلطان يبالغ في
احترامك ؛ فلم نحس هكذا بلا أدب ؟ ولم لم نحس ظهرك وتقدم
للسلطان الشكر ؟ ولم لا نحترمه الاحترام اللائق به ؟ فما فعله لا يليق
أعني السلطان .

عندما سمع إياز هذا الخطاب كرهه ، قال : إن القبول يرد عليه
بجوابين ، أما الجواب الأول : إن هذا الشخص الوديع ، إذا أراد أن
يقدم الشكر لسلطان ، فلما أن يركع بخضوع أمامه ، وإما أن يتكلم
بذلة أمامه ، وصواء أكثر من هذا أمام السلطان أو قلل ، فإن ذلك
سيكون نابعاً من جهله أمام السلطان ، فمن أكون أنا حتى أقوم بهذا
العمل ؟ ومن أكون حتى أشعر بأنني حدير بتقديم الشكر ؟ فإلعم
عبيد ، والتشريف تشريفه ، فمن أكون أنا وأمر الجميع أمره ؟ إن ما
يظهره السلطان المظهر كل يوم لإياز ، ومنه ذلك الكرم الذي أظهره اليوم
لإياز ، لا أعني كيف يكافأ عبيد ، غير أن كلا العاملين يدعوان له ، وأي
مكانة لي في هذا العرص حتى أبدو فيه ؟ ومن أكون حتى أظهر فيه ؟ ولا
أستطيع تقديم أي خدمة له أو شكر ، كما لا أمثل أمامه ، فمن
أكون حتى أكون حديرأ به ؟ من لا أستطيع تقديم أي خدمة له ، حيث
قد قلعت كل ما عندي وهو أبي ربيت قلبي وروحي في مصباح عشقه .

عندما سمع حس هذا القول من إيار قال : أحسست يا إياز يا عالماً
بالحق ، ومن الإنصاف القول بأن كل لحظة من أيام السلطان ، جدرة

بمئات الإنعام لهذا السلطان ، ثم قال له حسن : لتصل الجواب الثاني

فقال : ليس من الصواب قوله أمامك ، حيث لا أقوله إلا إذا
امررت بالسلطان ، إذ لا بد لهذا القول من محرم يحافظ عليه ، ولما كنت
غير محرم لذلك ، فكيف أقوله لك ، ولست أنت السلطان ؟

ثم أبعد السلطان حساً عن عمله ، لمضى حسن حتى توسط
الجند ، ولما خلعت الخلوة ، من (نحن) ومن (أنا) ، ولما كان حسن
كشعرة ، فقد ولي ، فقال السلطان : إننا في خلوة فقل السر ، وقل لي ذلك
الجواب الخاص .

قال (إياز) . في كل أونة يشمكتي السلطان بلطمه وعطمه ، ويعم
علي أنا البسكين بنظرة ، ففي ضياء شعاع تلك النظرة يحس وجودي
كلية ، وقد تظهورت في تلك الساعة من الطريق حياء من شمس عظمة
السلطان ، وما دمت سافني كلية من عالم الوجود ، فكيف أشكرك
بالانخراط في السجود ؟ فإن تر أحداً في ذلك الزمان ، فليس هذا
الشخص أنا ، إنما هو السلطان ، وإن تتلف معي مرة أو مائة مرة ،
فأنت تفعل هذا مع نفسك ، والظل الذي يحتمي في الشمس كيف يقدم
أي خدمة من أي صنف ؟ وإياز ظل في محرابك ، وهو يتلاشى أمام شمس
طلعتك ، فإذا فنى عبد عن نفسه ، فمر فان ، وافعل ما يعين لك ، فأنت
تسلم أنه فان .



(المقالة الثالثة والأربعون)

في صفة وادي الحيرة (٣٧٧٩ - ٣٧٩١)

بعد ذلك يأتيك وادي الحيرة ، وفيه تصاب بالعمل المتواصل والألم والحسرة . وهنا يكون كل نفس مبيهاً مصوباً إليك ، وهنا تحمل كل حطة الأسي إليك ، وفيه تكثر الأهاب والحركة والألام ، ويكون النهار والليل لا ليلاً ولا نهاراً كذلك ، وفيه يتحيل الشحوص أنه بقطر دماً ، لا من السيف ، ولكن من جذر كل شجرة ، ويا للعجب ! والنار تؤلم رجل هذا الوادي ، فيحترق في الحيرة من آلام هذا الوادي ، وعندما يصل ارجل الحيران إلى هذه الاعتب ، يظل في حيرة ويضيع منه الطريق ، كما يضيع منه كل ما حصله روحه من توحيد .

وإذا قيل له : أنت موجود أم لا ؟ ألا يليق بك أن تقول ، اموجود أنت أم لا ؟ أنت بين الخلق أم خارج عنهم ، أم تتخذ منهم جانباً ؟ أنت حفي أم ظاهر ؟ أنت فان أم باقي ، أم كلاهما معاً ؟ أم أنك لست الاثنين ؟ أنت أنت ، أم أنك لست أنت ؟

فإنه يقول : إنني في الحقيقة - لا أعرف كنتي . كما أنني لا أعرف نفسي ، إنني عاشق ، ولكن لا أعرف من أعشق . ولست مسلماً ولا كافراً . فإد أكون ؟ ولكنني لست عبداً بعشقي ، ولا أعرف أقسي مليء بالعشق أم أنه خلومه .



حكاية (٣٧٩٢ - ٣٨٧١)

ذلك الملك الذي كانت الأفاق تحت إمرته ، كانت لديه فتاة جميلة كالقمر تعيش في بلاطه ، كانت كملاك رائع الخيال في الحسن ، أو كالسربيع والسرو في الملاحاة والحسن ، وكم جرحيت مثلت القلوب بطرتها ، فكل شعرة منها عرق ترتبط به روح ، ووجهها يبدو كالقمر دوس ، كما يبدو حجبها وكأنه القوس ، ولما كانت السهام تنطلق من هذا القوس ، فقد أقبل قلب قوسين مثباً عليها ، أما عينها لشبيهة بالرجسة الثملة المحاطة بأهداب شوكية ، فقد أردت الكثيرين من أهل الحجاز والعقل ، ووجه الشبيهة بالعدوان هذه ، في جمال شمس الفلك ، بل إنه يضرق في الحسن بذو الصنك ، ودرها وياقوتها ومما قوت الروح ، قد جعل الروح القدس في دهشة على الدوام ، وإذا تبسمت شفاتها ، مات ماء الحياة صادياً ، وطلب الإحسان والإنعام من شعيتها ، وكل من أدم النظر إلى دمعها ، سقط منكس الرأس في قعر بونها ، وكل من أصبح أسير وجهها القمري ، سرعان ما ترمى في نونها بلا رسم .

أخيراً مثل أمام السلطان غلام في جمال الدر ، لبسوا الخدمة ، وما كان يتمتع به هذا الغلام من الجمال ، قد أصاب الشمس والقمر بالحق والروال ، وفي بساطه عال له لا فرب له ، وفي الحسن الفتان لا مثيل له ، ومثات لألوف من الخلق في السوق والمحلة ، قد سهرهم ذلك الوجه كالشمس .

وقضاء وقدرأ رأت تلك الفتاة ذات يوم وجه غلام السلطان ، فصعدت السيطرة على قلبها وغاصت في الأحزان ، وتوارى عقلها وراء الحجب ، لقد ذهب العقل واشتد بها لعشق ، وأصيبت ررحها بالمرارة والألم ، وتغلكتها التمكر والتدسر وقتأس الرمن ، وفقدت في النهاية الراحة والاستقرار . وديب شوقاً ، كما احترقت بألم العراق ، وغص قلبها

بالآلم بسبب الذوبان والحرقه والاشتقاق ، وكان ما عثر مطربات من
الجواري الحسن ، وكن على مرتبة عالية في ترديد الأعاني ، فكان في
العرف كالليل ابلح ، ولجهر الداودي كان يسعد الأرواح ،
فشرت من حالها في الترواح ، وأقرت بمساء الاسم والشهرة
والروح ، فكل من يتضح له عشق الأوبة ، كيف نستطيع روحه
الاستقرار في موضعها ، وقالت :

إن أفصح للعلام عن عشقي ، يكن خطأ كبيراً ، لأن هذا بعيد عن
الصواب . كما أن اخشمة تصبني بالكثير من المضار ، وأنى هذا العلام
أن يصل من مثلي ؟ وإن لم أفصح عن قصتي ، أمت حلف الحجب مثالة
متاوهة ، لقد قرأت رهاء مائة كتاب أملاً في الصبر ! فماذا أعمل ؟ لقد نفذ
صبري كي أصبحت عاجزة . وما أغني من سروري القد ، أدرك أنه لا
عدم له به ، فإن يتم تحقيق مقصودي هذا ، فإن أمر روعي يكون وفق
مرادى .

عندما سمعت المطربات هذا لقول ، قل لها : لا تحزني ! بالليل
نحضره حمية أمانك ، ولن يكون لديه أي حبر عن ذلك

وأخيراً ذهبت إحداهن متحفية أمام الغلام ، وقالت : الآن أعلم
له الخمر والكأس وأضع لي الخمر دواء مذهباً للعقل ، فلا جرم أن يسري
في أوصاله فقدان الشعور .

ما أن احتسب الغلام ذلك الخمر ، حتى فقد صوابه ، وهكذا كل
سعي تلك الخلوية العائنة بالنجاح ، وظل العلام العشي الصدر ثملاً لا
يعرف شيئاً عن كلا العالمين ، وذلك طوال اليوم حتى المساء

ما أن أقل الليل حتى جاءت الجواري صوبه في حذر واضطراب ،
ثم وضعت في فراشه ، وحملته حفية إلى تلك الفتاة ، وسرعة أحلسته عن

عرش ونثرن عليه ماء الورد والمسك .

وفي منتصف الليل عندما بات الغلام نصف نقيف ، فتح عينيه
الشبهتين بالنرجسة عن أحدهما ، فرأى قصراً يشبه الفردوس في روائه ،
ورأى عرشاً ذهبياً يحيط به ، وقد اشتعلت عشر شموع عنبرية أكثر مما
تشتعل أعواد الخطيب ، وشعلت لعتيات بالطرب والإشاد ، حتى ودع
العقل الروح ، وودعت الروح الجسد . وكانت الفتاة تجلس وسط الجمع
كأنها الشمس بفعل نور الشمع ، فجلس الغلام يتمسكه السرور
والفرح ، وفقد نفسه أمام طلعة الفتاة ، وغل حائراً عاقداً العقل
والروح ، بعيداً عن إدراك هذا العالم أو ذاك ، وامتلا قلبه عشقاً ،
وعجز لسانه عن لفظ ، وأدركت روحه الخال من الذوق ، وتعلمت
حينها بوجه الفتاة وأنصت أذنه إلى صوت الألحان ، وتسنمت مشامه
رائحة العبر .

وأخيراً خرجت أنفاسه أكثر لهيباً من النار ، فأسرعت انقاة وأعطته
كأس نمر في الخال ، كما جعلت القبلة نُقل أشرب (١) ، فظلت عيه
معلقة بطلعتها ، ودهمت الخيرة من التطلع إلى وجهها ، ولما لم يطق لسانه
بكلمة ، ذرمت الفتاة الدمع ، وحكت رأسها جزعاً ، وهكذا ظلت الفتاة
العاقنة تذرف الدمع غريراً منساباً على وجنتيها ، كما كانت تقبله قبلة
كالسكر أحياناً أو تضع الملح في القبلة بلاشفقة أحياناً ، وأحياناً تداعبه
بطرتيه المضطربتين ، وأحياناً تفقد نفسها في عيبه الساحرتين

طل الغلام الثمل أمام الفتاة الجذابة محققاً عينيه ، لكنه ليس في
صحو ولا غيبة ، وظل الغلام عن هذه النظرة ، حتى أقبل الصبح

(١) كما يقول الشاعر العربي :

وشربنا من الدمام كحوساً وجعلنا الضيفل نقل الشراب

بإشراق تامة . وما أن أقل الصبح وهبت نسائم الصبح ، حتى فقد
الغلام كل وعيه مما به من سكر ، وما أن نام الغلام العالي المنزلة ، حتى
أسرهن بحمله إلى مكانه مرة أخرى .

ما أن ثب الغلام الفضي الصدر إلى رشده آخر الأمر ، حتى غلظه
الاضطراب ولم يعلم حقيقة ما حدث له ، وكيف حدث ما حدث ، ولكن
أي جنوى له من الاضطراب ؟ وعلى الرغم من أنه لم يصب بأي آلام أو
مضرة ، فقد تصيب عرقاً من الرأس إلى القدم ، ف ضرب بيده ثوبه ومرفقه ،
واقطع شعره ، ونثر لثراب على رأسه ، فسألوه عن القصة فقال :

إنني لا أستطيع ترديد ما حدث ، لأن ما رأيته وأنا مثل نشوان ،
لا يمكن أن يراه في مله أي إنسان . وذلك الأمور التي تركتني في وحدتي
حيران ، لا أعلم أنها حدثت للإنسان ، وما رأيته لا أستطيع التعبير
عنه ، ولا يوجد سر أعجب مما حدث .

فقال الجميع : لب إلى رشدك في النهاية واذكر ولو قليلاً من
الكثير الذي رأيته .

فقال : لقد ألم بي المعجز كأي مضطرب ، ولا أعلم هل رأيته
كل ذلك ، أم رأيته شيئاً آخر ؟ كما أنني لا أعلم هل رأيته مما به سكر ،
أم سمعته وأنا في صحو ورشد ؟ وهل سمعت كل شيء أم لم أسمع
شيئاً ؟ وهل رأيته كل شيء ، أم لم أر شيئاً ؟

فقال له أحد العللاء : لقد رأيته حيناً ، فلم يملكك
الاضطراب والجنون ؟

قال : لا أعلم إذا كان ما رأيته في عالم انهم أو في عالم البقعة ،
ولا حال أعجب من هذا في الدنيا ، فهذه حالة لا واضحة ولا خفية ، ولا
أستطيع القول ، كما لا أستطيع الصمت ، وأنا في دهشة بين هذا

وذلك . ولن يجي ذلك الرمان من روعي ، كما أنني لا أجد حرة تدلني عليه ، لقد رأيت صاحبة جمال ، لا يضاهيها أحد في كمالها بأي حال ، وليست الشمس أمام طلعتها إلا ذرة ، والله أعلم بالصواب ، وكيف أتكلم أكثر من هذا وأما لا أعرف حقيقة ما حدث ، وعلى الرغم من أنني قد وبتها من قبل ، ولكن لا أعلم هل رأيتها أو لم أرها ؟ وهالدا مضطرب بين هذا وذاك !



حكاية (٣٨٧٢ - ٣٨٨٤)

كانت إحدى الأمهات تقف على قبر ابنتها تبكيها ، فظفر إليها أحد السالكين ، وقال : لقد أحررت هذه المرأة السق على لرحال ، إنها ليست مثلاً ، بل إنها تعرف تمام المعرفة من الذي اعتقدته وأصبح بعيداً عنها ، ومن الذي سب لها هذا الخرج الشديد . إنها موفقة لأنها تدرك حالها ، وتدرك من أجل أي شيء يكاد السكاه .

أما أما فقد اعترائني أهم ، وقد جلست أكابد الأحرار طول الليل والنهار ، ولا أعلم لماذا يملكني الغم ، وعلى من أنكي وأدرف النعم . ولست أعلم شيئاً ، لذا وقعت في الحيرة ، ولا أعلم عن من انتعدت ، وأصبحت روعي واهنة . إن هذه المرأة لها السق على ألف من أمثالي ، لأنها تعرف جيداً من اعتقدته ، أما أما فلا أعلم شيئاً ، وهذا يسبب لي احسرة ، بل يكاد يقضي علي ويقتلني بالحيرة

في مثل هذا المرس لا يظهر أثر للقلب ، بل إن المرل لا يظهر هو الآخر كذلك ، وقد أصيب العقل بالروال ، ومُسي الضمير بالأصمحلل ، ومن يعمل إلى هنا يدركه الفناء ، ويفقد أحراره الأربعة ، وإذا أدرك أحد طريقاً هنا ، فقد أدرك تمر الكل في لحظة واحدة .

حكاية (٣٨٨٥ - ٣٨٩٨)

كان أحد الصوفية يصي في طريق ، فسمع صوت شخص يقول
لقد فقدت مفتاحاً ، فمن ذا وجد مفتاحاً في هذا المكان ؟ إن الباب
معلق ، وقد جئت على ترب الطريق ماذا أفعل ، لو طل الباب
موصداً أملي ؟ وكيف أنصرف ، لو استمرت هذه الآلام ؟

فقال له الصوفي : من قال لك ابتس ؟ فما دمت تعرف الباب ،
فامض إليه ، وقل : لتظر معلقاً فإن تكثر الخبوس أمام الباب اعني ،
فسيتمحه شخص ما يدور أدنى شئ ، أن أمرك يسير ، أما أمري
فمسير ، لأن روحي تشتعل من النحر ، وليس لأمري بداية ولا نهاية ،
ولا باب له ولا مفتاح على الإطلاق .

ليت هذا الصوفي قد أسرع ، ووجد باباً معلقاً أو مفتوحاً ، فليس
بلاذميٍّ سوى الخيال ، وليس لأي إنسان أن يعلم حقيقة هذا الحال

كل من تردى في وادي الخيرة ، تردى كل آونة في مائة عالم من
الخسرة ، فالأم أتحمّل الخسرة والاضطراب ؟ وإذا كان هؤلاء قد صلوا
الطريق ، فكيف أدركه أنا ؟ ولا أعلم وليشي أعلم ! فإن أعلم أسقطني
الخبرة ، وهما بحق لرجل أن يستعذب الشكاية ، فقد صار لكفر إيماناً ،
وصار الإيمان كهرأ



حكاية (٣٨٩٩ - ٣٩١٢)

أصابت الألام الشيخ نصر آباد^(١) ، وقد حج أربعين حجة متوكلًا على الله ، فلما أعظمه من رحل ! وبعد ذلك ابصر شعره وبحل جسده ، ثم رآه أحد لأشخاص عاري الجسد إلا من إزار ، حيث كان قببه معمي بالحرقفة ، وروحه غاصة باللهيب ، فعقد الربار ، وسط كفه ، وأقبل منحنيًا عن كل كذب ورياء ، واسمعت في الطواف حول معبد البار

فقال ذلك الشخص يا عظيم العصر ، أي فعه هذه تسمى منك ؟ ألا يملكك الخجل في أحر الأمر ؟ لقد أديب فريضه الخج كثيرًا ، وحررت أسباب السعادة ، فهل يكون الكفر هو النهاية ؟ إن هذا العمل لا يتم إلا عن جهالة ، وبسببك أصيب أهل القلوب بسوء السمعة ، وأي شيخ طاف بهذا الطريق ؟ ألا تعلم أن هذا هو معبد البار ؟

فقال الشيخ : لقد اشتد بي الخجل ، وأصابت البار جسدي وكل ما أمك ، واسمعت البار كل حصادي للريح ، كما أسمعت إليها كل شهرتي وسيرتي ، وتملكني الخيرة والولؤه من أمري ، ولا أعلم حيلة لما اغتراني . وإذا كانت تلك البار قد سيطرت على روحي ، فكيف يبقى لي اسمي وشهرتي لحظة واحدة ؟ وعندما أصبحت أسر هذا العمل ، مللت كل من الكعبة والكيسة ، وإن نصبت درة من الحبرة هكذا ، فستصعب بمئات الخسرات مثلي !

(١) الشيخ نصر آباد اسمه إبراهيم بن محمد بن محمود ، ولد في بساطوري وأقام بها ، وكان شيخ زمانه في الحقائق وعلوم التصوف . تعلم على إبراهيم الشباني ، ورأى الشباني والوسطي ، وصديق كلا من أبي علي ألم ودماي والمرتضى وأبي بكر طاهر الأهرى ، وفي نهاية عمره رحل إلى مكة وسكن بها حتى ماتت روحه هناك عام ٣٧١ هـ . (انظر تصانيف الأنس طبعة طهران ص ٢٣٠)

حكاية (٣٩١٣ - ٣٩١٩)

كان لمريد حدث قلب وضاء كالشمس ، فرأى شيخه ذات ليلة في
معه ، فقال له : لقد سيطر الحزن على قلبي من الحيرة ، فحيرني كيف
مضوا أمرك هناك ؟ لقد احترق قلبي لفراقك ، واحترقت من الحيرة
لبعادك ، وأصبحت من حسرتي أبحث عن السر ، فحيرني كيف يكون
أمرك هناك ؟

فقال الشيخ : لقد سميت جائراً ثملاً ، وأعص أنامل غبطة ، وما
أكثر ما وقعت في قمر هذا السجن والشر ، فتنحني في هذا المكان أكثر حيرة
مكم وندرة واحدة من الحيرة في العفوى ، تكون عندي أكبر من مائة جيب في
الدنيا

المقالة الرابعة والأربعون

في صفة وادي الفقرء والنساء (٣٩٢٠ - ٣٩٣٦)

وبعد ذلك يأتي وادي الفقرء والنساء ، ومتى حار الكلام هنا ؟ فعين هذا الوادي هي السيان والبكم والصم ودهاب العقل والوجدان ، وسترى منات الطلال الخالده تلاثى امام شعاع واحد من شمسك لوصفة ، وإد ، هاج وماع البحر الكلى ، فهل تقى نقوش على صفحة ديك البحر ؟ وكلا العالمين محرد نقش على سطح هذا البحر ، فكل من يقول لا ، كلامه هراء ، وكفى وكل من أصيب بالنساء في بحر الكلى ، فقد فسي غمماً وأصابه البلى ، والقلب في هذا البحر المليء بالنساء ، لا يجد شيك سوى النساء ، فإد مع النساء ثانية ، أحاط علي بالخلق ، وتكشفت له أسرار كثيرة

حيثما تبص السالكون الجربون ، وعظام الرجال إلى ميدان ذلم .
يسون في أول خطوة ، وأي تقدم بعد ذلك ؟ لا جرم ألا يكون للإنسان خطوة ثانية بعد ذلك . وإن أصابهم النساء من أول خطوة ، فاعتبرهم من الجناد ، ولو كانوا من الخلق ، فعندما تلقى الأعواد الخضب إلى النار ، تتحول كلها معاً إلى رماد ، ويظهر لك الانسان صورة الواحد ، مع ما يسو لك من فروق في صفاتها .

وإن يمن نجس في بحر الكل ، يسقط إلى القاع دليلاً بصداه ، ولكن إن يزل إلى هذا البحر رحل طاهر ، فيسمى ماء حقيقياً ، ولن يبقى له أثر ، حيث تصح حركته هي حركة البحر . وعندما يمس ، يكون عروقاً في مجال الحس والطهر ، وإن يحدث هد ، يكن حياً ومو موخود ، وهذا يخرج عن نطاق الخيال والعقل



حكاية (٣٩٣٧ - ٣٩٥٧)

ذات ليلة كان الشيخ معشوق الطوسي^(١) بحر الأسرار يقول لأحد المريدين : لتدب دائماً ، حتى تنفي نفسك في العشق تماماً ، وتصبح كالشجرة مما بك من ضعف ووهن ، وعندما يصبح شخصك بحيلة كالشجرة ، فلنكأن الأليق بك طرفة المعشوق ، فكل من يصبح شجرة في محرابه ، يكون بلا ريب شجرة من شجرة .

إن كنت مبصراً نامذا البصيرة ، فتتذكر هذه الشجرة من تلك الشجرة . وكل من مضى بين الجمع ، فهذا هو الماء ، وإن هي عن الفناء ، فهذا هو لبقاء ، وإن كان لك هذا القلب المرتجف ، فامض على الصراط مخلاً تلك السار المتقدة . ولا تنعم بالنار من الريح ، وسيظهر من التنديل مساح أسود كجناح الخراب . وأنى للنار أن تزداد لهيباً إذا أمد الريح عنها ؟ فإن تشتعل فبمعل الزيت .

إن تسيطر النار المحرقة على الطريق ، فاصبح مداداً من ساحها تسيطر به آيات القرآن ، وإن ترعب في الوصول إلى هناك ، فإنك تصل إلى هذه المرتبة العالية ، فتخلص من نفسك أولاً ، ثم امنط براقاً من العدم ، وارقد كذلك قباء العدم ، واشرب كأساً مليئة بالفناء ، واضرح عنك ذات مرة خرقه (ع كان) ، وتعمم بطيلسان (لم يكن) ومر في طريق الفناء متحطياً العدم ، وسق حصان لعدم بعيداً عن العدم ، واعمد على وسطك العمد ، وتمتطو على غير وسط عظيمة من (لا شيء)

(١) معشوق الطوسي : اسمه محمد وكان من عتلاء المغانين ، عاش بمدينة طوس ٣٧٠ هـ من عصر ، الشيخ أبو سعيد ميهه وحدثت بينهما لقاءات وأحاديث ، قال عنه عبيد القصة الحميداني ، كان محمد معشوق العوسي لا يصلي ، ومع هذا فقد سمعت من محمد حموية وأحد الترابي رحمه الله إن الصديقين يوم القيامة بشعور أن يكونوا مراباً بطوفه قدما معشوق ذات يوم .

(انظر تفهيمات الأس . ص ٢٠٩)

واطمس عييك ، ثم اتضحها بسرعة ، وبعد ذلك كحل عييك بكبح
العدم ، وليصبت الاصحلال ندرجياً ، ولتقل من كل العلائق ، ثم
لنكن كلية بعد هذا الاصحلال ثم امض هكذا في يسر وسهولة ، حتى
تصل إلى عالم القلة والعدم ، وإن يتق لك قدر شعرة من أثر من هذا
العالم ، فليس لك قدر شعرة من علم بذلك العالم . وإن تبين شعرة من
وجودك فستمتلئ البحار السبعة بدنسك



حكاية (٣٩٥٨ - ٣٩٧٥)

اجتمع جمع من المراهشات ذات ليلة ، وكانوا في حديق يسعون في إثر
شمعة ، وقال الجميع يجب على واحدة منا ، أن تأتي بحير ولو بسيط عن
مطلوبنا ، فطارت فراشة حتى وصلت إلى قصر بعيد ، فرأت في ردهات
القصر نوراً من شمع ، فرجعت وفتحت دفترها ، وبدأت في وضعه على
قدر هبها ، فقال لها ناقد ذو مكانة بين الجمع : إنك لم تحظي بمعرفة
الشمع

وطارت فراشة أخرى إلى حيث النور ، وطافت حول الشمع ،
وهكذا حقت حول أشعة المطلوب ، حتى أصبح اشمع هو الغالب
وهي المملوب . ثم عادت وقصت عليهم بعض الأسرار ، وأعادتهم عليهم
شرح ما سم لها من وصال ، فقال لها الناقد ، إن هذا ليس دليلاً مقنعاً ،
أيتها العريضة ، فقد قدمت أدلة كالتي قدمتها المراهشة السابقة .

هضت ثالثة وأسرعت ثملة بشواعة ، وعى وهج النار استقر
ولهانة ، فاحترمت كلها في النار ، وأهنت نفسها كلية ، وهي في عاية
السرور ، وما أن احتوتها النار ، حتى اهرت أعصاؤها وتلونت بلون
النار ، في أن رآها ناقصهم من بعيد ، ورأى ما فعلته الشمعة بها ، وما

تدلل إليه لومها ، حتى قال . لقد أصابت هذه ، وكفى ، والشخص الذي يعرف ، هو من لديه الخبر ، وكفى ! ومن أصبح بلا أثر وبلا جبر ، هو الذي يعرف الخبر من بين الجميع .

وطالما كنت حاملاً بالحسم والروح ، فكيف تدرك أي خبر عن الأحبة في أي وقت ؟ وكل من أشار إليك إشارة صفيمة ، قد سبب بروح مثات الآلام ، وليست هذه المثرة كمحرم للنفس ، وهذا المكان لا يتسع لأحد من الناس .



حكاية (٣٩٧٦ - ٣٩٩١)

كان أحد الصوفية بمضي في طريقه ، فإذا بجاهل يصمعه صفعة قاسية على قفاه ، فالتفت خلفه ، وقال وهو محزون القلب : إن من صرت عن قفاه ، قد مات منذ قرابة ثلاثين عاماً ، ومضى ، هذا سلث عالم الوجود إلى نهايته ، ومضى .

فقال له الرجل : يا من يتنطق بالدعوى دون فعل ، متى كان الميت يتكلم ؟ فليصحبك الله بالخجل

ما دمت تنطق ، فلست رقيقاً ، وما دم لك وجود ، فلست محرماً للأسرار . وإن توجد شعره واحدة فيما بينكما ، تكن كهيئة عالم من المسافات فيما بينكما ، وإن تبلغ الوصول إلى هذا المنزل ، فكم تتألم لو بقي من وجودك شعرة . . ففي كل ما غللك أشعل النار ، حتى رباط القدم أشعل فيه النار ، وعندما لا يبقى أي شيء ، تفكر في الكفن ، وألق نفسك عارياً وسط النار ، وعندما تصبح رماداً ، وكذا مناعتك ، فيصيب النقصان تفكيرك ، فلو كنت كعيسى ، ونفيت عنك ولو إبرة واحدة ،

فاعلم أنه ما زال في طريقك مائة لص ولكن لو كنت كعيسى وقد تملى
عن متاعه ، لحاطت يثرته عدة غرز على القبة .

عندما يبدو الحجاب في هذا المكان ، يصبح حجابك المال والملث
والسلطان ، فكل ما تملك تحل عنه واحداً واحداً ، ثم يبدأ بالخلوة مع
نفسك ، وإذا ما انصم قلبك في الوجد فإليك المخرج عن نطاق الحس
والسوء ، وعندما يعدم الحس والسيئ تصح عائقاً ، ثم تصير بهاء
العشق لاثفاً

حكاية (٣٩٩٢ - ٤٠٩٧)

كان هناك ملك كالقصر صبيه ، وكان الشمس عظيمة ، وكان له ابن في
جمال يوسف ، ولم يكن لشخص فطاس في حسه ، كما لم يحط إنسان قط
بمثل عمره ومكائنه ، فقد أصبح الجميع عاشقي تربيته ، وأصبح السادة
كلهم عبيد طلعه ، وإذا ظهر بالليل من بين الحجب ، فكان شمساً
جديدة قد أرسلت أشعتها في الطلح ، ولا مجال لوصف وجهه ، فالهجر
لا يرفى إلى مكانة شعرة واحدة من وجهه ، وإذا فعل من طريقه السوداوين
رسماً ، تساقطت مئات الألوف من القلوب في الشر . . وهذا الشبيه
بأشعة ، قد شغل العالم طويلاً بطرقته المحرقة لكل ما في العالم ،
إذ أن وصف طرة الشبه بيوسف في الحيا ، لا يستطيع أحد سرده في
حمس عام ، وعيه الشبيهة بالرجسة ، إذا حركها أشعل النار في الديب
بشرها وإذا ما تناثر من سمته لسكر ، فقد تفتحت - دون ربيع - مئات
الألوف من الأزهار ، ولا يعلم أحد قط أي حر عن فمه ، حيث لا يمكن
التحدث عن المعلوم وإذا بدا من حلال الحجب . أثارت كل شعرة منه

آلاف النخس والمصاب ، فقد كان ذلك الأمير متة لسروح والديا ،
حيث كان يفرق كل ما أقرله عنه ، وإذا ساق فرسه صوب الميدان ، نزع
سيفه وحركه في كل اتجاه ومكان ، وكل من كان ينظر صوب هذا الأمير ،
مرعان ما يبعدونه عن الطريق . .

وكان يوجد شيخ مسكين ول ، شغف بالأمير حباً حتى أصابه
الوهن ، ولم يحظته إلا بالمجر والاضطراب ، حتى فقدت روحه القدرة
على الكلام ، ولما لم يجد ملاذاً يحميه من تلك الآلام ، زرع في قلبه
وروحه بذور الغم ، فكان يجلس طوال الليل والنهار في محنته ، وقد أعلل
عبيه عن خلق العالم كله ، وظل يبكي دون أن يطلق بحرف واحد عن
هذا المم ، وكان يذبل من عدم الأكل والشهد ، ولم يكن له أي محرم في
هذه الدنيا ، لذا كان يحس همومه في الكتمان ، وأصبح وجهه أثناء الليل
والنهار في صفرة لذهب ، تنسب عليه دموع فضية ، وقد جلس منظر
القلب . وهكذا عاش المسكين القلق ، لعل الأمير يمر من بعيد من وقت
إلى آخر . .

إذ بدا لأمير من بعيد ، امتلأت جميع الأسواق بالصياح والهياج ،
وثارت في الدنيا مئات الاضطرابات ، حيث تدافع الخلق وتدفقوا من كل
صوب ، فأحاط به الجيود من كل حبيب ، وسعكو دماء مائة شخص كل
لحظة ، وعلت الأصوات من الأرض إلى السماء ، واصطف الجيود رهاء
فرسح . .

2 ما أن سمع ذلك المسكين صوت الفائد ، حتى تملكه الاضطراب
وتعثر قدمه ، ووقع مغشياً عليه ، وثارت أشجانه ، وخرج عن وجوده
وقد شعوره ، وكم يلزم العين في تلك الأوتة مئات الألوف من الدموع ،
حتى تبكيه بحرقه وتلوه ، وكان يدرف الدمع غزيراً كالنيل أحياناً ،
وتسلب الدموع من عبيه دماً أحياناً ، وأحياناً تجمد أهته الدموع في

مات فيها ، وأحياناً تحرقه دموعه مما به من حسد ، لقد أصبح نصف مقتول ،
نصف ميت ، كما فقد نصف روحه ، ولم يعد يملك نصف رغبته لما حل به
من فقر مدقع . وهذا الشخص قد أصابه ما أصابه بسبب هذا الأمير ،
ومع أن هذا الجاهل قد أصبح كنصف ذرة من حل ، إلا أنه أراد أن يصم
الشمس إلى صدره !

ودات يوم كان الأمير يسير وسط اخند ، فصاح المسكين بأعلى
صوته ، ونظف منه الصيحة ، وفقد شعوره ، وقال . لقد احترق
روحي ، كما احترق قلبي من قبل . وكم أردت أن أحرق روحي بسبب
ذلك ، إذ لم يعد لي صبر أو حاقة أكثر من ذلك . .

قال المسكين هذا الكلام ، وأخذ يمس رأسه بالحجر ، مما به من
الأم . قال هذا وفقد عقده ، ثم سالت الدماء من عينه وأبغى .

وأخيراً فطر قائد جيش الأمير إلى ذلك ، وعزم على سفك دمه .
واجبه صوب الملك ، وقال : لقد وقع فاسق ولهان ، في عشق ابنك ، أيها
السلطان . .

دهش الملك مما به من عيرة ، واضطرب عقله مما به من حرقه ، وقال
انهض واصليه على الأعواد ، ثم قيئه ونكسه .

وأخيراً سارع الجيش وتخلق حول المسكين ، ودفعوا به نحو
الأعواد ، فتملك لحرر جمعاً من الخلق لما حل به ، ولكن لم يكن أحد
يدرك مقدار آلامه ، كي لم يستطع أحد طلب الشفاعة له . وما أن
أحصاه الوزير تحت العود ، حتى انطبقت منه رفرة عالية مما به من حسرة ،
وقال : بالله عليك ، أمهلي قليلاً ، حتى أسجد سجدة واحدة تحت
المفصلة . .

أمهله ذلك لورير الغصوب ، حتى وضع وجهه على التراب . وفي

وسط السحرة قال : يا رب ، لم يريد السلطان قتلي دون ذنب ؟ وإن أكن قد فقدت الروح قبل ، فاطلعتني ذات يوم على جمال ذلك العلام . فإن أردت مرة وجهه ، أقدم مائة ألف روح فداؤه ، إلهي ، إن عيذك لتتصرع إليك قد أصبح عاشقاً وقتيل أعتابك ، وبيروحي أصبحت أسير عشقتك ، وطالما كنت عاشقاً ، فليست كافراً ، إنك تسبي مئات الألوف من الأميات ، ليس لي أمري وحقق لي رغبتني .

ما أن طلب ذلك المعلوم بالطريق ما به من حاجة ، حتى أصاب سهمه هدف والغاية ، فقد سمع الرزير ما كان يخفيه واعتمت نفسه للآلام فبك المسكين ، فذهب إلى السلطان وانتحب ، وشرح به حال ذلك السلوب القس ، وتكلم عن تصرعه في المناجاة ، كما قال حاجته وسط الصلاة ، فاعتم السلطان بسببه وتفرق به ، وعزم قلبه على العفو ، وفي الحال قال السلطان لابنه الأمير :

لا تصد عنك هذا الذي خر صريعاً ، بل اهتم في التوسر حتى الأعواد ، صر إلى ذلك لمسكين الحسير ، وادع صريعك إليك ، ورد عليه قلبه فقد أصبح عاشقتك ، وتلطف معه فقد تحمل قهرك ، واشرب معه العسل فطال تجمع النسم بسبيك ، وحد بيده ، وامض به صوب روضة ، وحيثما ترجع فليمثل معك أملي .

ذهب الأمير الشمسيه يوصف في الخيال ليجالس المسكين ويتم الوصال . ذهب ذو الوجه المتقد كالشمس ، حتى يكون في حلوة معذرة . ذهب ذلك البحر العاص بالجواهر ليكون في وصال قطرة ، ولكم أن تفرحوا في هذا المقام لما تملككم من سعادة ، ولكم أن ترقصوا وتصفقوا لما اعتراكم من مسرة ، ففي النهاية سار الأمير صوب الأعواد ، وهنا ثارت الفتن والعواء وكأنه يوم الميعاد ، ولكنه وجد أن المسكين قد وهن . وجده وقد نكس رأسه على التراب ، فأصبح التراب طياً من دماء عيبيه ،

وعمت العالم كله الحسرة عليه . لقد أصابه الهزال ولصعب والوهس .
وأى شيء أسوأ من ذلك ؟ .

ما أن رأى الأمير ذلك المدرج بالدعاء ، حتى فاضت عيناه بالدمع
والدعاء ، وأراد أن يهوي دموعه عن الحسد . ولكن هبات أند تنطلق رفرة
دون دمع فاهمرت دموعه كالطر العزير ، فأحدث ذلك الكثير من
الالام بين الجمع الصغير .

كل من كان صادقاً في عشقه ، تساوى بديه العاشق والمعشوق ،
وإن يظهر لك العشو الصادق ، فأت عاشق ، وسيليك معشوق . .

وأخيراً نادى الأمير الشبيه بالشمس ذلك المسكين في رقة وهمس .
ولم يكن المسكين قد سمع من قبل صوت سلطان الجبال ، ولكن كثيراً ما
رآه من بعيد ، فما أن رفع المسكين رأسه من تراب ذلك الطريق ، حتى
رأى في مواجهته وجه سلطانه إن النار المحرقة لا تقدر على شيء مع بحر
غاص بالدم ، وقد كان ذلك المسكين الوهان بارأ ، لم أحمل أن جاءت
سقطته على مقربة من بحر ، وثرافست روحه على شفثيه ، وقال أيب
السلطان ، كيف نستطيع أن تقتل ضعيفاً مثلي يا الوهان ؟ لا حاجة بك
إلى هؤلاء الحدود البواس قال هذا ، وما نطق بعدها مطلقاً ، بل أطلق
صيحة وأسلم الروح . ومات ، فكان كشمعة تبسمت ثم ماتت ، فعندما
أدرك الوهان مع الخبيب في ماء مطلقاً ، وأصبح عندما

يدرك السالكون في محيط لألم ، ماذا يصع ماء العشق مع
الرجال ، في من احتلظ وعودك بالعدم ، واختلطت لدائك بالألم ، ما لم
نقص فترة في ألم واضطراب ، فكيف تدرك أي حر عن وعودك ؟ لقد
قمرت كالرق فائجاً يدك ، ولكنك توقفت أمام كومة من الشج . بأي عمل
هذا الذي تفعله ؟ تقدم بشماعة ، وأحرق العقل وتقدم كالمجنون . فإن

ترعب في فعل هذا السر ، فتقدم ذات مرة متحصلاً ولسو لحظة ، لقد
أكثر من التفكير ، فتحل عن نفسك مثلي ، وافقد الشعور بانذات
لحظة ، حتى تصل في النهاية إلى الفقر ، وتصل في كمال الدوق إلى
الماء ..

من أكون أنا ؟ لا بقاء لي ولا لعيري ، فشرى أعظم من العقل
وأعظم كذلك من حيوي . لقد فئت في بصي دفعة واحدة ، ولا حيلة لي
غير اللذة والسكنه ، وما أن أشرفت أمامي شمس الفقر ، فسرعان ما
أدركت أن كلا العالمين عديما الفينة ، وعندها رأيت شعاع هذه الشمس ،
أصبني الفناء ، وهكذا عاد الماء إلى مجاريه ، وكل ما حملته زكل ما لعبت
به ، ألقيت به كله في الماء الأسن ، لقد فئت وصرت إلى العدم ، وما
بقيت مطلقاً ، وأصبحت طلاً ، وما بقيت في حرة واحدة حائرة وكنت
قطره ، فسييت في بحر الأسرار ، ولا أجدر اليوم تلك القطرة مرة أخرى ،
ومع أن الماء ليس في مساوئ كل إنسان ، فقد فئت ومثلي كثيرون ، ومن
دا الذي لم يصيبه الفناء من بين ساكني العالم من الأرض إلى السماء ؟
فلا بد من الفناء هم جميعاً ، وسواء فشرت حياتهم أو طانت ، لا بد لهم
من الفناء

حكاية (٤٠٩٨ - ٤١٠٣)

سأل أحد الصالحين النوري^(١) هذا السؤال : كيف يكون الطريق

(١) النوري اسمه أحمد بن محمد وقيل محمد بن محمد ، وهذا أصبح ويعرف باسم بن
البحري لأن والده من مدينة بضمير التي كانت تقع بين هراة ومرو ، وكان مولده ومثلاً
في بغداد ، وصاحب مرقى السقطي ومحمد بن علي القصاب وأحمد بن الخواي ، كما أي
دا البر ، وكان من أقران الخيد وعبدما باب ، قال الخيد : ذهب نصف هذا العلم
بحرث البروي . انظر صفحات الأس من ٧٨ - ٧٩

بالسبة إليها حتى يتم الموصل ؟ قال : إن لك سبعة بهجار من نور ونار ، ولا بد من سلوكك طريق طويل طويل ، وعدما تعبر تلك البحار السبعة ، ستجد بيت السمكة " في لحظة ، وهذه السمكة التي تنفس من صدرها ، هي التي تجذب الأولين والآخرين إليها " ، إنها كحوت لا يدايه له ولا هاية ، وهي مستقرة وسط بحر الاسماء ، وعدما تجذب الشبهة بالتمسح هذه كلا العاسين ، فإنها تجذب في لحظة واحدة كل الخلق أجمعين

(١) سورة الله والسيد المسيح كما عرضها المسيحيون الأولون هي صورة السمكة - نظر ترجمة
مطلق انطون الفرنسيه هاشم ص ٢٨٩

(٢) راجع سفر متى (اصحاح ٢٠) آية ٨ وما بعدها بملأ عن نفس المرحم السابق وهن
الصفحة

« المقالة الخامسة والأربعون والأخيرة »

في سلوك الطير الطريق

صوب السمرغ

(٤١٠٤ - ٤١٥٣)

وبعد سماع هذا الكلام كله ، سارعت جميع حيور الرادي ،
بتكيس الرؤوس في دماء الأكباد ، وعلمت جميعها ، أن هذه القوس
الصعبة ، لا تقوى عليها سوا أعد حمنة من العجزة ، ولم تجد أرواحهم
الاستقرار بسبب هذا القول ، وما أكثر ابدين ماتوا من العجز في ذلك
المنزل ، وأما الطيور الأخرى التي اندفعت إلى المسير ، بفعل ما سيهر
عليها من تعب ، فضب سوات منتقلة بين مرتفع ومنخفض ، وقضوا في
طريقهم عمراً مديد ، وكيف استطاع شرح وتفسير كل ما وقع لهم في
المسير ، فإن تسلك الطريق ذات يوم ، فستلاحظ عقباته واحدة واحدة ،
وستعلم ما فعله الطير ، وستضع لك كيف تحملت لالام والهموم .

٤١٥ في النهاية استطاع نهر قبيل من بين ذلك الحشد قطع الطريق إلى

الحضرة ، فقد وصل نفر قليل من كل أولئك العظيم ، فهناك يصل واحد من بين كل عدة آلاف . لقد غرق البعض في البحر ، كما أصيب البعض بالحمى ، وأسلم البعض الأرواح عطشى ، وذلك على قسم الخيال من شدة الحرارة والآلام ، وأصيب البعض من وهج الشمس باحتراق الأجنة وشواء الأواح ، وأصيب البعض بالسهة والبهانة ، مما بالطريق من أسود وغمر ، ومات البعض من التعب في صحراء صادية الشفة ، وقتل البعض أنفسهم كالفرشة ، من أجل تعافهم بالخرب ، وأصاب الألم البعض وكبد السوء ، مما دهمهم بالتحيف والحزان ، وتوقف البعض أمام عجائب الطريق ، فلزم كل منهم موقعه ، وأسلم البعض أجسادهم للطرب وكفوا بعد ذلك عن الطلب . .

وأخيراً لم يتقدم إلى هناك إلا نفر قليل من بين مئات الألوف . وذلك الخمج العمير من الطرب لم يصل منه إلا ثلاثون طائراً . وصل الثلاثون وقد عمدوا الأحقة والريش ، وألم بهم التعب والوهس . وصلوا محطتي العلوب فاندب الأرواح ، سفهمي الأحساد ؛ فرأوا الحضرة دون وصف أو صفة ، رأوها تسمو على الإدراك والعمل والمعرفة ، وما أبصروا الاستملاء حتى أحرق مائة عالم في لحظة واحدة ، ورأى الجميع عدداً وفيراً من الشمس المعتبرة ، ورأوا عدداً كبيراً من الأقمار والجوهر الراهرة ؛ فوقعوا جميعاً في حيرة ، وظلوا كدرة مضطربة حائرة ، وقالوا جميعاً :

إذا كانت الشمس تبدو كدرة فانية بجانب ذلك السلطان الأعظم ، فكيف يبدو نحن في هذه لأعتاب ؟ يا بالحسرة على ما تحملناه من آلام بالطريق ! لقد قطعنا الأمل من أنفسنا ، ولكن لم نقطع الأمن من الهدف المشود ، وإذا كانت مئات العوالم مجرد درة من تراب هناك ، فأي حزن إن وجدنا ، أو أصابنا العدم ؟

عندما جاءت تلك الطيور سهوكة القوى ، جادت كطائر نصف
ديبح ، وقد أصابها الصفاء والسكر ، وظل يحيط بهم حتى ذلك الوقت

وأخيراً جاء حاجب العرة ، من الأعتاب العلوية صفاء ، فرأى أمامه
ثلاثين طائراً غاية في العجز ، وقد أصبحت مجرد ريش وأجحة بلا أرواح ،
كما أصاب اهزل أجسامهم ، وتلكتها الخبرة من أولها إلى آخرها ، ووهت
حائرة القوى شديدة الزهن ، فقال :

أيها القوم ، ثوبوا إلى رشدكم ، ومن أي مدينة أقمتم ، ومن أجل
أي شيء إلى هذه الأعتاب جئتم ؟ وأنتم أيها الجهلة ، ما أسوأكم ؟ وأين
تكنم راحتكم ؟ وبم يصمكم الإنسان في الدنيا ؟ وأي فعل يمكن أن
يتأتى من حمئة من المحزنة ؟

قال الجميع : إنا حصرنا إلى هذا المكان ، ليكون السيمرع لنا
السلطان ، ونحن جميعاً حيارى في هذه الديار ، وقد أصبحنا عاشقين لا
يقر لنا قرر ، لقد انقضت مدة مديدة حتى حثنا من هذا الطريق ، ووصدنا
إلى الأعتاب ثلاثين بعد أن كنا ألقاً ، وقد جئنا من طريق بعيد وكنا رغبة
في أن نحظى بالحضور في هذه الحضرة ، فمضى برضى السلطان عما كان ينادى
من تعب ، حتى يرعانا في النهاية بانعطاف والحدب ؟

قال حاجب الحضرة أيها العجزة ، يا من تنوونم بدماء القلب
كالوردة ، إن تكوسوا أولاً تكوسوا في العاصم ، فهو السلطان المطلق
الدائم ، ومائة ألف عالم مليئة بالحد والحشم ، ليست إلا عملة على باب
هذا السلطان الأعظم ، ولن يتج عنكم في الهبة إلا الألم والرحير ،
ممودوا أدراجكم ، أيها الجميع الخفير

ينس كل واحد من هذا القول ، وأصبحوا بلا حرك كالنوى ،
وقال الجميع كيف بهم علينا هذا السلطان المعظم بالذل في نهاية

الطريق ؟ فليس لأحد أن يحظى بالدل منه مطلقاً ، ولو حدث هذا ،
فليس الدل منه سوى عز ومؤدد .

حكاية (٤١٥٤ - ٤١٦٣)

قال المختون : إن يمدحي اجميع عن وجه الأرض كل لحظة ، فإن
لا أريد مدح أحد مطلقاً ، بل لتجعل يا إلهي مدحي ، هو هجاء ليلى لي
فقط ، فقدح واحد منها يفصل مائة مسح ، واسمها كذلك أفضل من كلا
العالمين ، ولقد قلت لك مذهبي ، أيها العزيز ، فإن كانت ترعب في
إدلاي ، فلها ما أرادت ..

وقال : عندما يظهر برق العرة ، يمدح الدمار بالأرواح كلها ،
وأي حدوى من إحراق الروح بكثرة الألام : وأي حدوى من لعنه والذلة
في تلك الآونة ؟

ثم قال ذلك اخشد المصطرب لقد اشتعلت أرواحا وكذا النار ،
فمنى تنهر المرأشة من النار ؟ إنها في حضور على السوم مع النار

مع أن لا يحظى بالوصول مع الحبيب ، فهو يحرقنا ، وما أعظم
هذا من صبح ! وإن لم يتم الوصول إلى عتات الحبيب ، فليس من سبيل
إلا تقبيل الأرض ..

حكاية (٤١٦٤ - ٤١٧٥)

جميع طيور الرمان ، كانت ها قصة مع تلك المرأشة ، حيث قالت
جميعها للمرأشة : أيتها الصعيفة إلام تحاصرين بروحك الشريفة ؟ ما دمت

لا تحقّقين مع الشمعة أى وصال ، فلا تحصرى بروحك جهلاً ، مادام
هذا محالاً .

تملت الفراشة هذا الكلام واشتت ، وأحابت على الطير سرعة ،
حيث قالت : تكفينى أما الوهانة على الدوام ، أب أصل إلى المعشوق
و دور حوله على الدوام ، وإذا كان الجميع يصيبهم الموت في عشقه ، فقد
أقبلوا وهم عرقى في الآلام ، ومع أن الاستعداد يفوق كل إحصاء ، فإن
لطفه كان ذا جلة كدك ، فقد جاء حاحب اللطف ، وفتح الباب ، وأراح
في كل لحظة مائة ححاب ، فظهرت الديب بلا حجاب ، ثم واصلت
إظهار في نور النور ثم أجس الخاحب الجميع على مسد القربة ،
أجلسهم على سرير العرة والهيبة ، ووجع رقعة أمم جميع ، وقال
أقرءوها كلها من آخرها وما أن عدم النور ما يهد الرقعة ، حتى تملك
لاضطراب أحوالهم

حكاية (٤١٧٦ / ٤١٣٢)

يوسف الذي أحرقت الأنجم لبخور من أخيه ، قد ناعه أخوته
العشرة . وعندما اشتراه ملك مصر ، طلب منهم وثيقة ، وأن يشتريه بثمن
بحس ، وقد أخذ الوثيقة من هؤلاء القوم ، حتى يكون معه الدليل ضد
الأخوة العشرة . .

ما أن اشترى عزيز مصر يوسف ، حتى كان المحط في ركاب
يوسف ، وفي النهاية بعد أن أصبح يوسف عزيز مصر ، جاء أخوته العشرة
إلى مصر ، ولكن لم يتعرفوا على وجه يوسف ، مع أنهم مثلبوا أمامه ،
وطلبوا لأنفسهم أسباب الحياة ، ورفعوا نقاب الحياة طلباً للحبر .

فقال يوسف لصديق : أيها الرجال ، إن لدي وثيقة حطت بالعبرية ولم يستطع أحد من حاشيتي قراءتها ، فإن تقرأوه أمحكم حبراً وفيراً . .

وكان الأحرار كلهم يعرفون اللغة العبرية ، فوافوا سرور ، وقالوا . اجلس الوثيقة أيها السبطان . أعمى الله قلب ذلك الذي هبأ له العرور ، ألا يسمع قصته وهو دائم الحضور .

أعطى يوسف وثيقتهم إليهم ، فترعدت جميع أوصالهم ، وما استطعوا قراءة لعظة من الوثيقة ، كما لم يقدرُوا على النطق بأي كلمة ، وسطر عليهم العم وانحرفوا في تقديم لأسف ، وطبوا مهمومين لما ارتكبوه مع يوسف ، لقد حرصت أسنتهم جميعاً ، وصاقت الحال بأرواحهم جميعاً .

فقال يوسف لم تملكتمك الدهشة ؟ ولم لرمتم الصمت أثناء قراءة الوثيقة ؟

فقال اجميع له الموت . أفصل من قراءة هذه الوثيقة ، وكذلك صرنا العنق^(١) .

وعندما نظر الثلاثون طائر الصعاف في حط هذه الرقعة المميسة ، وجدوا أن كل ما كانوا قد فعلوه ، قد سطر فيها عن آخره . وحين أمعن هؤلاء الأسرى النظر ، وجدوا كل ما ارتكبوه من أخطاء ، فقد كانوا قد مصوا وشفوا طريقهم ، ثم ألغوا يوسف نفسه في البشر ، وأحرفوا روح يوسف بما الحقوا بها من دلة ، ثم يدعوهم بشم من حسن

(١) بعض الطبعات تجعل نهاية الحكاية عند هذا الحد وتضع حواشياً حديد كفيها وهو دعاب الطير صوب السيمرخ ، ومثول السيمرخ تلك الخصرة .

ألا تعلم ، أيها المسكين عديم المروءة ، أمك يبيع بوسعي في كل لحظة ؟ وعندما يصبح يوسفك سلطاناً ، فسيصير رائدك في هذه الاعتاب . أما أنت فاصبح في النهاية شحاذاً جائعاً ، ومثلي أمامه عارياً . وإذا كان أمرك سيشرق بفضل ، فلم حق لك بلا ثمن بيعه ؟

فت أرواح تلك الطيور فناء محصاً ، وذلك من الحبء والحجل ، كما أصبحت أجسادهم زرقاء كالتوتيا ، وما أن تطهرت جميعها من كل الكل ، حتى وجدوا أرواحهم جميعاً من نور الحضرة ، فعادوا عبيداً لروح الحديد ، وتمسكتهم حيرة من نوع جديد ، وانمحي من صدورهم كل ما صمعه وما لم يسمعه ، وأصاءت من جباههم شمس القرية ، فأصاءت أرواح الجميع من هذا الشعاع ، وفي تلك الأونة رأى الثلاثون طائراً طلعة السمرغ في مواجعتهم ، وعندما نظر الثلاثون طائراً على عجل ، رأوا أن السمرغ هو الثلاثون طائراً فوقعوا جميعاً في الحيرة والاضطراب ، ولم يعرفوا هذا من دأك ، حيث رأوا أنفسهم السمرغ بالتمام ، ورأوا السمرغ هو الثلاثون طائراً بالتمام ، فكلموا نظروا حول السمرغ ، كان هو نفسه الثلاثين طائراً في ذلك المكان ، وكلموا نظروا إلى أنفسهم ، كان الثلاثون طائراً هم ذلك الشيء الآخر ، فإذا نظروا إلى كلا الطرفين ، كان كل منهما السمرغ بلا زيادة ولا نقصان . . فهذا هو دأك ، وذلك هو هذا ، وما سمع أحد قط في العالم بمثل هذا .

وأخيراً غرقوا جميعاً في الحيرة ، وانغرضوا في التكبير بلا عقل ولا بصيرة ، ولما لم يدركوا شيئاً من هذا الحال ، سألوا صاحب الحضرة بلا حروف سؤالاً ، حيث طلبوا كشف هذا السر القوي ، وعلموا معرفة الأنية والأنية .

جاءهم الخطاب من الحضرة قائلاً بلا لفظ ، إن صاحب الحضرة مرآة سطعة كالشمس ، فكل من يقبل عليه يرى نفسه فيه ، ومن يقبل بالروح

والخسد ، ير اخسد والروح فيه ولانكم وصلتم هه ثلاثين طائراً ، فقد
بدونم في هذه امرأة ثلاثين طائراً وإذا حصر أربعون أو خمسون طائراً فإيهم
يرفعون الحب عن أنفسهم . وإن تردوا إلى هه أكثر عدداً ، فإنكم
تروون أنفسكم ، وهه قد رأيتم أنفسكم .

ليس لعليم المروءة أن تدركنا عيه ، وكيف تدرك عبر العمة نور
الثريا ؟ وهل رأيت علة حملت سداً ؟ وهل رأيت بعوضة حملت بير
فكيها ميلاً ؟ كل ما أدركته وما رأيته أنت ليس هو ذلك الشيء ، وما قلته
وما سمعته أنت ، ليس هو ذلك الشيء ، وتلك الأودية التي كان كل منكم
قد سلكها ، وهذه الرجولة التي كان كل منكم قد أباها ، قد تمت كلها
من أجلنا ، وهكذا كسستم وادي الذات والنصف . وما أصحتم ثلاثين
طائراً حائراً ، يقيم بلا قلوب عديبي العسر ، فقلدى الأرواح .

نحن السابقون إلى السمرغ ، لذا فتحس الجوهر الحقيقي
للسمرغ ، فامحوا أنفسكم فينا يكن عز ودلال ، حتى تجدوا أنفسكم
ليد . وهكذا انمحووا فيه على الدوام ، كي يمحى الضل في اشمس
والسلام ..

كنت أتكلم ، ما داموا يسلكون ، ولكن ما أد وصروا ، حتى لم
يعد للقول بداية ولا نهاية ، فلا جرم أن نضب معين الكلام هنا ، حيث
هي السالك والمرشد والطريق ..



حكاية (٤٢٣٣ - ٤٢٤٠)

قبل إنه عندما أشعلت النار في الحلاج ، واحترق عن آخره ، أقل
عاشق يحمل عصاً في اليد ، وجلس على كومة الرماد ، ثم أخذ يتحدث

وقد اضطرب كالسور ، حتى جعل الرماذيموح ويشور ، فكان يقول في ثلث الآونة : قولوا الحق ، أين من نطق بمؤلة (أما الحق) ؟

كن ما قلته وكل ما سمعته ، وكذ كن ما عرفته وكل ما رأيت ، لا يعدو أن يكون كنه حرافة ، فاعبه كنه إذا لم يكن مكانه هذه الحرافة .
يجب أن يكون الأصل هو الاستعلاء والتطهر ، ولا خوف إن وجد الفرع أو انعدم ، فوجود الشمس حقيقة قائمة على الدوام ، حيث لا بقاء للمدة أو لظل ، والسلام .

حكاية (٤٢٤١ - ٤٢٦٢)

عندما مضى أكثر من مائة ألف فرس ، كانت قرون بلا بداية ، ولا نهاية ، ولا رسم ، وبعدما أسلمت الطير أنفسها إلى السماء الكئي بكل سرور وما أن غاب الكل عن رشحهم ، حتى ثابوا ثابتة إلى رشحهم ، فقد وصلوا إلى البقاء بعد البقاء ، وليس لأحد قط من المحدثين أو القدماء ، أن يتحدث عن ذلك البقاء وذلك البقاء وهذا الأمر بعيد بالنسبة لك عن مجال النظر ، لأن شرحه بعيد عن الوصف والخبر ، ولكن في طريق مثل طريق أصحابنا هل يمكن شرح البقاء بعد البقاء ؟ وأين يمكن إتمام ذلك ؟ إن هذا يلزمه كتب جديد ، ولكن من ذا الذي يدرك أسرار البقاء ؟ ومن ذا يكون جديراً بها ؟

وأنت ما دمت موحوداً في حير الوجود والعدم ، فكيف تستطيع التقدم خطوة في هذا المحتدم ؟ وإذا عدم هذا وذاك البقاء في طريقك ، فكيف يطيب النوم أيها الأبله لك ؟ أنظر ماذا تكون البداية والنهاية ، وإن تعرف النهاية ، فأي حدود من تلك النهاية ؟ فالبداية كانت نقطة تربت وسطها ورعاية ، حتى أصبح هذا العاقب وذلك الموفق ، ثم مسح

الوقوف على أسراره وأينته بالمعرف على أموره ، والتهية أن يصيبه الموت
ويسمحي كل شيء ، فيسحدر من أرح العرة إلى هاوية الذلة . بعد ذلك
يتحور إلى ترب بالطريق ، وهكذا حتى إلى درات ، ووسط هذا الغناء
فيلت له مثات الأسرار ، فيلت له ولكنها قبلت بدونه . بعد ذلك مح
البقاء كله ، كما بال العرة بدلاً من الذلة . .

ماذا تعرف حتى تمك ما يوجد مامك ؟ عتب إلى رشذك ، وفكر
ملياً في نهايتك ! وإن لم تصبح روحك في خدمة السلطان ، فكيف تكون
في هذه الألعاب مقولاً من السلطان ؟ وإن لم يصبك القصاص في البقاء ،
فلم ترى السلامة مطلقاً في البقاء . وفي الطريق تدمع بالذلة في البداية ،
ثم ترتقي صفاة بالعره . فامص إلى اعدم حتى تدرك الحية في إثر ذلك ،
ولكن ما دمت موجوداً ، فكيف تصل الحياة إليك ؟ وإن لم يصك المحو
في الذلة والقناء ، فكيف يصلك من العر إثات البقاء ؟

حكاية (٢٦٣) (٤٤٢٣)

كان هناك سلطان ، العالم كله ملك له ، والأقاليم انسعة كلها
نحت إمرته ، وكان شبيهاً بالإسكندر في حكمه ، وتمتد من قاف إلى قاف
جيوشه ، وكان جاهه للصمر خدين ، كما وضع القمر وجهه على الأرض
إكراماً لهذا السلطان ، وكان لهذا السلطان وزير عظيم ، حيث كان عالماً
بمئات المسائل ، حميف الرأي . كما كان لهذا الوزير دي المصل حتى ،
حسن العالم كله وقف على وجهه ، فلم ير ساد قط في مثل حاله ، ولم ير
أحد قط جميلاً ذا عره مثله ، وما استطاع أحد مطلقاً الحجة والخلاص من
جمال وجهه الخذاب !

إذ بدا هذا البدر ذات يوم ، ثارت في أسجال مائة قيمة ، ولن يوجد

من بين الشريعة من يكون محبوباً أكثر منه إلى الأبد : فلهذا الفنى وجه كالشمس ، ولطرنه لون اسك الأزهر وكذا رائحته ، ومظلة شمس كانت من بسك ، وماء الحياة صايدى الشفة بلا شمته ، وسط وجهه القتان الشبه بالشمس ، فم دقيق في دمه الدرة ، وهذا الصم مدقن الخلس كلهم ، وقد أطلق على ثلاثين بحمة بداخله ، فكيف تظهر بحمة في الدنيا ، وقد احتفت ثلاثون بحمة دح من دمه الدقيق كالدررة ؟

أما الطرة فقد اسدلت على ظهر ربيع القدر ، اسدلت على ظهره في رفعه وتكس ، ركن طيه في طرة ذلك المصبي الصدر ، قتلت في لحظة واحدة مئات الأرواح من سي الشر ، وكثيراً ما اسدلت طرته على وجهه ، فكانت في كل شعرة منها مائة تحمة . وكان له حاجب على شاكلة القوس ، ومن ذا يقدر عن استخدام هذا القوس ؟ وله في محال الحب عين ساحرة ، وقد صنع كل هذب مائة لون من ألوان السحر ، وشمته أصل عين ماء الحياة ، وهي حلوة كالسكر ، وأكثر بصارة من البسات ، ومن ذا الذي لم يصب بالحنون من أسنانه ؟ ومن ذا الذي حظى من الله بمثل هذه الجواهر ؟ ومسك حال نقطة حيم الخيال ، وبسه يصبح الماهي والمستقل أسيري الحال ، وإن أوقف عمري كله على جمال هذا العنى الخداب ، فأنى بي أن أصل إلى الإحاطة به ؟

وأحيراً ثعل السلطان به ، وأصابه لحجر من بلاء عشقه ، ومع أن السلطان كان عالى القدر والمقام إلا أنه أصبح حياً كالللال لا تحمل من هموم مبعثها ذلك البدر ، وهكذا أصبح مستغرقاً في حب العنى ، ولم يعد يدرك شيئاً من وجوده ، وإن لم يمثل لعلام لحظة أمامه ؛ أصاب الاضطراب قلبه الوله ، ولم يعد يقر له بقرره بدونه لحظة ، ولا صبر له على هذا الحنون لحظة ، وما استراح لحظة بدونه بالنهار أو بالليل ، حيث كان مؤنسه الدائم بالنهار وبالليل ، فكان يحبس طوال النهار حتى انسه إلى

جواره ، وبحكى هذا القمري الوحش كل أمزجه ، وإد ما نشر الليل
الظلام ، لم يكن يقر للسلطان قرار أو ينام ، أما الغلام فكان ينام أمام
السلطان ، فكان السلطان يرمو إليه بكل إمعان ، وهكذا كان ينام ذلك
الفتان طوال الليل على ضوء الشموع في حراسة السلطان .

أما السلطان فكان يديه النظر إلى ذلك القمري لوجه ، وهو يذرف
الدموع دما ضوا لليل ، وكان أحياناً ينثر الورود على وجهه ، وأحياناً
ينفص الغبار عن شعره ، ومن شدة عشقه خرف دمعاً كمطر منهمر على
وجتيه . . .

كان السلطان يقيم أحياناً مجلس بلطرب مع ذلك البدر ، ويشرب
الأندلس ، وهو متطلع إلى وجهه ، كما كان لا يتركه لحظة واحدة ينسحب
مجلسه ، حيث أصبح وجوده ضرورة له ، فكان الغلام يداوم إحلووس حرقاً
مما للسلطان من بأس ، فإذا عاد جواره لحظة ، فصل السلطان رأسه عن
جسده من العبرة ، وكم كانت أمه وكذلك أبوه يريان رؤية وجه ابنهما ولو
للحظة ، ولكن لم تكن لدهما القدرة خرقاً من بطش السلطان .

ظل الحال كذلك حتى وصلت القصة إلى دروتها حيث كانت تجاور
الحاكم فتاة له وجه الشمس ، وكأنها التمثال فأصبح الغلام عاشقاً
لطبعته ، كما أصبح كالنار مضطرباً في أمره ، وذات ليلة جلس معها ،
فبدأ المجلس حذياً كطلعتهم ، جس معها خفية من السلطان ، حيث ثعل
في تلك الليلة السلطان .

وفي منتصف الليل عندما أصبح السلطان بين الصبح والسكر ،
لفز من مكانه شاهراً الخنجر ، فبحث عن الغلام ولم يجده ، وأخيراً أسرع
إلى حيث وجهه ، ورأى فتاة تجالس ذلك الفتى ، وقد شمنت كل منهما
بالآخر عشقاً وهياماً ، فما أن رأى السلطان ذو الشهرة ذلك الحال ، حتى
سيطرت عليه نار العيرة في الترو والحال . سيطر الحنون على السلطان

العاشق الثمل ، إذ كيف يتوحد مع معشوقه مع آخر ؟ وحدث السلطان نفسه
فقال :

إني السلطان ، فكيف يختار من هو مقرب مني آخر ؟ إن ما فعلته
من أجله لا يمكن أن يفعله من أجله شخص آخر ، فهل يجازيني بهذا
العمل ؟ حتماً لقد فعل ، كما فعلت شيرين مع محطم الجبل^(١) ، لقد
كانت معانجج الكنور بيده ، كما كان سادة العالم أدنى مرتبة منه ، وكان
في الصديق والرفيق معاً وكان في الداء والدواء معاً ، ثم يجلس في الخفاء مع
هذه النافذة ، سألخص الحياة معها في هذه الساعة . .

قال هذا ، ثم أمر بإحكام وثاق انفتى ، وصرع حسنه في ثراب
الطريق ، حتى أصبح في ررقه النيل من صرب السلطان ، بعد ذلك أمر
السلطان بصليبه على الأعواد ، وتعليقه وسط السوق ، وقال ليصلح
جلده أولاً ، ثم يصلب مكشاً على الأعواد ثانياً ، لأن من أصبح أهلاً
للسلطان ، لا يحق له أن ينظر إلى آخر حتى نهاية الرمال

سحبوا الفنى بعنف ودله ، ليعلمو رأسه الثمل على المفصلة ،
وعلم الوريث بحال ولده ، فوضع الثراب على معرقه ، وقال : يا روح
الوالد أي حذلان اعتسرض طريقك ؟ وأي قصاء جعلك عذر
سلطانك ؟

كان عشرة من علماء السلطان قد نوحهوا في تلك الأوبة للقصاء
عليه ، فاقبل الوزير بقلب معم بالآلم والخسرة ، وأعطى كل فرد منهم

(١) محطم الجبل كناية عن فرهاد ، وتمثلي الأساطير الإيرانية القديمة أن فرهاد هذا أقدم من
هم أحد أجيال أملا في الظفر بقلب شيرين معشوقته ، وبعد أن نجح في تحطيم
الجبل ، حششت شيرين بوعودها وتخلت عن فرهاد ، ثم دبعه إلى أن يصرب رأسه بمس
العاس التي يستخدمها في تحطيم الجبل ، وكانت النتيجة أن أسلم الروح دون أن يحصى
بمعشوقته .

درة برفاهه . وقال لهم إن السلطان الليلة ثمل ، وله يرتكب هذا العلام
أي دس ، فإن يفر السلطان اعطيه من سكرته ، يسيدم على فعلته ،
ولن يبقى بلا ريب على أي فرد من قتلته .

قال العلماء كلهم في تلك الآونة إن يقتل السلطان ولا يجد أحداً
قط ، فإيه يسمعك دماغه !

وأخيراً أحضر أبو ير سباحاً من السحس ، وسلح جلده كاشوم ، ثم
نكسه ورفعته على المفصلة . وهكذا تحوّل التراب طيباً من دمه ، وأصبح
أحمر اللون كالورد ، وأضحى لوزير مراه ، حتى يستطيع أن يعيش متحجباً
في الدنيا . .

وما أن أفاق السلطان في اليوم التالي ، حتى كانت كنده تحترق مما
سيطر عليه من غضب . ثم استدعى السلطان أولئك العبدان ، وقال
لهم : ماذا فعلتم مع هذا الكلب من تعذيب وجفاء ؟ فقال الجميع لقد
عاملناه بكل شدة وقسوة ، ورفعناه على الأعواد وسط لسوق ، وسلحنا
جلده عنه ، وهو مصوب الأية على المفصلة . .

ما أن سمع السلطان هذه لإجاة ، حتى تملكه السرور بما قاله
هؤلاء العلماء العشرة ، وأبعم على كل واحد منهم بحلقة عاجرة ، وحاز
كل منهم منصباً ورفعة . ثم قال لهم السلطان : اتركوه هكذا ذليلاً خائفاً
على المفصلة ، إلى ما لا نهاية ، حتى يعتبر خلق الرمان من فطنة هذا الوقح
الحببان . .

عندما سمع أهل المدينة هذه القصة ، عمهم اخرون من أحله ،
وحصر جمع كبير من النظارة ليروه ، ولكن لم يتعرف عليه أحد قط ، فقد
رأى الجميع لحماً عريقاً في دماغه ، وقد نكس بعد أن سلح جلده . ومن
رأه على هذه الصورة ، عطياً كان أم حقيراً ؛ ذرب الدموع دماً ؛ ولكن في

الخفاء ، واستمر ماتم ذلك البدر من الصباح حتى مساء ؛ وقد عيب
الأحرار جميع البلاد ، كما رادت احسرت عليه وكذا لأهات

ولكن بعد عدة أيام قصاها السلطان بلا معشوقه ، تلكه خمر
والأسف من فعلته ، وضعف عصه واشد به العيش ، وأصبح الشبه
بالأسد في ضعف السمة من شدة العشق ، فقد كان يحالسه طول ليل
والنهار ، وكان مع الشبه ببرس عبة في السرور ، كما كان ثملاً على
الدوام من شراب الوصل ، فكيف يعرف الآن الاستقرار في حذر بحر ؟
وهكذا لم يعد يطيق العراق لحظة ، وتعامم الأمر ، واحترقت روحه من
ألم العراق ، وأصبح عديم النصر لا يقر له قرار من الاثنيان ، كما سيطر
اليوم والأسى عليه ، وامتلأ عيه دمع دموي ، ونثر لثراب على رأسه ،
وأحيراً أصبح ثوباً أررق ورتداه ، وسيطرت الأحرار واهموم على دياه ،
ولم يعد يستسيع طعاماً بعد ذلك أو شرباً ، كما تطاير اليوم من عيه حرعاً
واضطراباً . .

وعندما أقبل الليل خرج السلطان قاصداً المقصدة وقد نحي عن
الكل ، فقد ذهب وحيداً إلى مقصده اعلام ، مهاجته ذكرى ذلك العلام ،
وما أن حاجته ذكرى حاله معه وحدة وحدة ، حتى أطلقت كل شعرة منه
صيحة وآهة ، وقد سيطر على قلبه ألم بلا مهاي ، حتى كان يعهد ماتماً
جديداً في كل لحظة ، وكم كان يش ويوجع على روح العقيد وكم اكتسى
وجهه بالدم من الألم والكمد ، وكان ينقي نفسه وسط ثراب الطريق .
كما كان يعض من العيط طهر كفه ، وإذا قدر وحصي شخص ما درف من
دمع ، لكان أكثر عزارة من مائة مطر مسمم ، وظل يصلي له تكمله وحيداً
حتى الصباح ، وكان كالشمعة بعيش بين الدموع والاحترق

وكما هب سائم لصباح ، توجه السلطان صوب أسيره ، وكان
يمضي الرمد والأتربة ، وتهال المصائب عليه في كل لحظة ، وما أن

انقصت عن هذا الحال أربعون ليلة ويوماً ، حتى أصبح السلطان العالي
القدر بحيل كالشجرة ، فضع على نفسه مشغولاً بحاله ، وأصبح عبداً من
فرط عنايته بأمر معشوقه ، ولم يوت أحد القدره طوار الأربعين شهراً
وليلة ، على عهدة السلطان بلعطة ، ولكن بعد انقضاء الأربعين ليلة بلا
شراب أو طعام ، رأى السلطان ذلك انعتى ذات لحظة في المنام ، رآه وقد
عرق وجهه القمري في الدموع ، كما عرق في الدماء من الرأس إلى
القدم ، فقال له السلطان أيها الرفيق المعش بلقلب ، لماذا عرقت هكذا
في بحر الدماء من الرأس إلى القدم ؟

قال لقد عرقت في دماء من مودتك ، كما أصابني هذا من عدم
وفائك ، لقد سلخت جلدي دون ذنب أو عصيان ، فهل هذا هو الوفاء
أيها السلطان ؟ وهل هذا ما يجعله الخيب في النهاية ؟ كم أكون كافراً إن
يقدم كافر على هذه الفعل ؟ ماذا فعلت حتى تصلني ؟ وماذا فعلت حتى
تقطع رأسي وتكسي ؟ والآن أشبح بوحشي بعيداً عني ، وأطلب ديسي
حتى يوم القيامة منك ؟ وإذا ما انقضت المحكمة الإلهية من أجلي ،
فياحد الله منك حقاً :-

ما إن سمع السلطان هذا الخطاب من الشبيه بالفرس ، حتى هصر
من النوم ، وقلبه مغمم بالحلم ، وسيطر الحزن على روحه وقلبه ، وتماقمت
في كل أوتة همومه ومشككته ، وألم به الحزن وفقد زمام نفسه ، ورد
نحوه ، وتضاعف عنه وانخرط في الحبيب بكل شدة وحرقة ، وقال

يا روجي ، ويا قلبي ، ها أنا حالي الوفاص ، لقد دمي فسي
وروجي بسبب ما ألم بك من اضطراب ، ويا من قتلت شرقلة بسبي ،
ومن بقيت في الشدائد بفعلتي ، من ذا حطم نفسه بنفسه مثلي ؟ ومن ذا
صنع بيده ما اقترفت من فعل ؟ لم قتلت معشوقي وأصبحت جديراً
بالأحران والمهموم ؟ فانظر ما أصابني في النهاية أيها الفتى ، ولا تقطع

صلوات ابود والمحية ، أيها الفتى ، ولا تفعل السوء ، وذلك لأنني ارتكبت
مع نفسي كل هذا السوء . وهكذا تمكنتني الحيرة والغم سبيك ، كما
وضعت التراب على رأسي سبيك ، فأين أبحث عنك يا حيي ؟ لنكن
رفيقاً قلبي المضطرب .

إن كنت قد رأيت جفوة مني أما عديم الوفاء ، فكأن وياً مني ، ولا
تسلك طريق الجفاء ، وإن كنت قد أرقبت دم جسدي بحباله ، أيها
الغلام ، هي أكثر ما تسعك دماء روحي ، أيها الغلام . لقد نعلت ، فسر
مني هذا الخطأ ، فماذا فعل وقد قدر القضاء عليّ هذا الخطأ ؟ فإن مصيت
من أمني على الدوام ، فكيف أحيا بدوك في هذا العالم ؟ وإن كنت لا
تقوى لحظة على فراقك ، فلي أمتطع الحياة أكثر من لحظة أو لحظتين
بدوك ، لقد سغت روح السلطان شفته لفراقك ، وذلك لكي يشر روحه
دية لدمائك ، وأما لا أخشى الموت والتحلي عن جسدي ، ولكن ما أحشاء
هو جفوتك . حتى ولو ظلت روحي حادثة تطلب العذرة ، فلي نستطيع
إيجاد العذر لتلك الحرية ، فيا ليت حلمي قطع بالسيف ، لتقل هذه الآلام
والأسى من قلبي .

أيها الخالق ، لقد احترقت روحي في هذه الحيرة ، كما احترق
جسدي كله من الحسرة ، لا صاف لي ولا قدرة على هذا العراق ، وما أكثر
ما احترقت روحي من الاشتياق ، فلتعلم عليّ يا إلهي العادل ، بقبض
روحي حيث فقدت الطاقة للتحمل .

قال هذا ، ثم لرم الصمت ، وفقد العقل في هذا الصمت ، وأخيراً
أدركه رسول العناية ، فأخذ يلهج بالشكر بعد الشكاية ، هي أن فاق
آلام السلطان كل حد ، حتى أسرع الورير بالاختفاء في تلك الآونة ،
وأظهر ذلك الغلام حية ، ثم أرسله أمام سلطان الدنيا ، فخرج من
حلف الخلفاء كما يخرج القمر من بين السحاب ، ومش أمام السلطان

نحمل كماً وسيفاً ، وسقط على الأرض أمام السلطان وبكى بكاء مرأى ،
وساقت دموعه كالقطر .

عندما رأى سلطان الدنيا ذلك البدر ، لا أعلم ماذا أقول في هذا
الزمان ، فقد وقع السلطان على الأرض ، كما تدرج العلام في الدم ، ولا
يعلم أحد قصه ، كيف وقعت هذه المحائب فكل ما أعوله بعد ذلك لا
يصح قوله ، فإذا كان الدر في القاع ، لا يمكن ثقبه ، وما أن أدرك
السلطان من براقه لخلاصه ، حتى ذهب سرياً إلى الإيوان الخاص ، وبعد
هذا لم يبق أحد قط على الأسرار ، لأن ذلك المنكر ببس موضعاً للأعيان ؛
فأني للأعمى أن يرى ولأصم أن يسمع ما كان يطق به حدهما ، وما
ينصت إليه الآخر ؟ ومن أكون أن حتى أستطيع شرح ما حدث ، وإن
أشرح ذلك ، أسبب الآلام لروحي ، إذ كيف أشرح ما لم أقف عليه ؟
لذا يرمي الصمم ، حيث أصابني العجز في ذلك ، وإن يسمع لي
سأنتي بشرحه فليأمرني بسرعة شرحه ، ولقد أتممت في هذا الوقت
الكلام ، والآن جاء وقت العمل ، لأنني كثيراً ما أتكلم ، والسلام .

حاشية الكتاب (٤٤٢٤ - ٤٤٧٦)

لقد نثرت يا عطار نافحة المسك المليئة بالأسرار ، على هذا العالم
كل أوتة ، فامتألت أفاق الدماء بعطرك ، كما أراد اضطراب عشاق الدنيا
سيك ، فتكلم دنياً في العشق ، وردد دوماً أعاني العشاق ، فشعرك
يبد العشق بدخيرة على الدوام ، كما يتحده العشاق حنية على مر الأيام ،
وحتم عليك مطلق الطير بمقامات الطيور ، كما حتم على الشمس بالنور ،
وهذه نصمات طريق أي حائر ، كما أنها ديون أي مضطرب ، فتحل عن
اضطربك وحيرتك وتقدمه إلى هذا الديوان ، وحضر روحك ، وتقدم إلى

هذا الميدان ، وفي هذه الحالة لا تظهر الروح في ذلك الميدان ، من لا يظهر
الميدان نفسه ، وإن تنحس عن التقدم إليه مما لك من اضطراب ، فلن
تظهر لك منه درة من تراب وإد انطلقت عطية الأملك ، فتقدم. وإن عبط
فيه ، فحقى أملك . وطلك لا يصبح اليأس قوتك ، فكيف يستطيع
قبلك المهور العيش . وتحمل الآلام مدراؤك هو دأؤك ، ودأؤك في كلا
العين هو دواء روحك .

أيها السالك ، لا تنظر إلى كتابي على أنه شعرا أو أنه يتسم
بالقدير ، ولكن ينظر في دفنري من باب الآلام والاضطراب ، فلعنت
تصدق الماء واحداً من آلامي العديدة ، ويجعل كرة الحظ على الأعصاب
من ينظر إلى العمل من روية الآله والاضطراب . فتحل عن الزهد
والسداحة ، إذ لا بد من التردى في الألم

بهي . لتحرم كل من شغل بالآلام من كل دواء ، ولتحرم كل
راغب في الدواء من الروح . ولجعل لإسنان على الدوام ظلمات ،
جائماً ، ساهداً ، ولا ترصله إلى الماء أبداً ، فكل من يسم قولاً من هذا
الديوان دون أن يدرك شعرة من حريق العشاق ، ليس حليفاً لأفعال
الرحال أما من اطلع عليه فقد أصبح حليفاً بالأعمال ، ومن أدركه
تحققت سعادته .

أهل الصورة عرقى بحار كلامي ، وأهل المعنى رجال أسرارى ،
وهذا الكتاب حلية الأيام ، وفيه نصيب للحاضر ولعام ، ومن يشبه الثلج
ويطبع على هذا الكتاب ، يخرج كالنار متقدماً من حلف المحب وبظمي
يتسم بحيرة عجيبة ، إذ بولدي كل آفة معني جديدة ، فإذا تيسرت لك
مطالعتة أكثر من مرة ، فسيرداد ، بلا ريب ، حساً لديث في كل مرة ،
ولا يمكن أن ترتفع المحب عن هذه العروس المثلثة ، إلا بالندرج

وإلى يوم القيامة لن يكتب إسان فط كلاماً مثل كلامي أما الروحاني ،

فقد نثرت الدر من بحر الحقيقة ، كما ختم الكلام علي ، وهذه هي الوثيقة . . وإن أثن كثيراً على نفسي ، فمتى يستعذب شخص ذلك الشاء مني ؟ ولكن المصنف نفسه يعرف قدري ، لذا ملأ بختفي نور يدري ، ولقد أحسيت حالي ، ولم أقل إلا القليل ، حيث سينصفني ، بلا ريب ، كل عالم بفن القول . وإن لا أتق حتى يوم القيامة ، فقد بقيت بذلك الذي نثرته على مفرق السرية ، لذا سأذكر على لسان الصوم حتى يوم القيامة ، وكفاني هذه التذكرة ، وإن تخلصت من الوجود هذه الأسلاك النسمة ، لمن تصيح من هذه التذكرة أي نقطة ، وإن يوضح هذا الكتاب الطريق لأي شخص ، فإنه يرفع بعد ذلك الحجب من أمامه ، ومن يعمل إلى انطمائنة من هذه التذكرة ، فليدع ليحفظ الله فائلها .

نقد نثرت الورد من هذا البستان ، فتذكروني بالخير ، أيها الأصدقاء ، ولكل إنسان ما يواظبه في هذا الكتاب ، وقد بقي لحظة ، وولي مسرعاً ، ولا جرم أنسي كالمسالكين ، جلوت هائر الروح على المائمين . وإن كنت قد قصيت عمراً مبدأ في سيات ، فلعل قلبك يتنبه إلى الأسرار هذا الكلام ذات لحظة ، واعلم بلا ريب أن عملي سيحورز الوفيق ، ويتلاشى غمي وتشتد أحزائي . .

وما أكثر ما أحرلت نفسي كمصباح ، حتى أضأت الدنوب وكأني شمع ، وأصبحت رأسي كالمشكاة من الدخان ، فلألام يشعل شمع خلدي المصباح ؟ لقد ولي هار طعامي ، وانقصوليل نومي ، ونصب ماء كبدي من نار قسي ، وفلت لقلبي . أيها الثرثار ، لقد تكلمت كثيراً ، قصه ، وبحث عن الأسرار فقال : إنني غريق ناري ، فلا تلمي . إن أكف عن الكلام ، أحترق ، لقد ماتت مئات لاضطرابات في بحر روحي ، فكيف أكف عن الكلام ساعة ؟

لست فاحر أحداً بهذا ، وإنما أشغل نفسي بهذا ، وما أكثر ما أقول

مع أن القلب لا يحمل من آلام هذا ، إذ كيف لا أكون رجلاً هذا ؟ إن هذا كله حرافة باطلة ، لأن عمل الرجال متحرر من الآنية ، وأي قلب يشع بهذه الحرافة ، ماذا يصبر عنه ، إذا كان الحديث قد أصابه البلى ؟ ولكن يجب ترك الروح لتحدث مئات المرات لتطلب المغفرة عن المفاصل كلها ، وكم يلزم أن يظل بحر الروح في هباح وعديان ، كما يجب شر الروح ، والتسرع بالمست . .



حكاية (٤٤٨٨ - ٤٤٩٢)

أشرف أحد العلماء على لسرع الأخير ، فقال . ليتني كنت أعلم من قبل أن السماع له الشرف على القول ، وقد أملت عمري في الثروة والقول . وإذا كان الكلام كالذهب في حسه ، فإن الكلام الذي لم يُقل أفضل منه . لقد أصبح لعمل من نصيب الرجال ، ومحرور ألمي . ن نصيبا كان في الأقوال ، فإن أصابتك كالرجال الآلام من أجل الدين ، سيكون ما أقوله بك من باب اليقين ، أم إذا كان قلبك بعيداً عن المعرفة ، فكل ما أقوله يكون بالنسبة لك كالحرافة ، فارقد في النعيم مثل العصاة ، حتى أقول بك حرافة حميلة ، وقد أحاد لك العطار ، حتى ولو كان حديثه حرافة ، والرمم أفضل لك ، فارقد في عطة

ما أكثر ما سكبنا الدهن على الرمال ! وما أكثر ما علمنا الحواهر حول أعناق الخارير ! وما أكثر ما رينا هذا الخوان ! ولكن ما أكثر ما هبنا جائعين من عن هذا الخوان ! وما أكثر ما قلنا . ولكن النفس لم تطع ! وما أكثر ما صنعت للنفس من دواء ، ولكنه لم ينجع !

وما دمت لا أستطيع القيام بأي عمل ، فقد هضمت يدي من نصبي

وانتحيب جانباً لا بد من همة تطلب من السباقين ، لأنه ما بيدي لى
 يستقيم مطلقاً ، وإذا كانت النفس ترداد سمة في كل آونة ، فليس هذا
 سبباً يعني عما ها من مكانة ، إنها لم تسمع شيئاً ، لذا زادت سمة ، بل
 لقد سمعت كل شيء ، ومع ذلك لم يتحسن حالها وحتى لو أموت مثلاً
 مناورها ، فلي تمثل للنصح فالأمان يارب ، الأمان ..

حكاية (٤٤٩٣ - ٤٥١٥)

عندما مات الاسكندر في طريق الدين ، قال له ارسطاطاليس . يا
 سلطان الدين لقد كنت تنصح الناس في حياتك ، أما وقد مت لقد
 اكتملت اليوم هذه النصائح للحزن ! .

أيها القلب ، لتمثل للنصح ، فأنت دوامة الهلاك ، ولكن حين
 القلب ، فإن لموت في إثرك ؛ لقد قلت لك لغة انظر وكلامها كله ،
 فافهم أيها الحامل الأبله ، وبين اطيور تنفق بعض الطيور ، لذا فهي تطير
 من أقماسها قبل أن يدهنها الأجل ، ولهذا كله شرح وبين آخر ، وذلك
 لأن للطير لغة وسبباً آخر ، وذلك اشخص قد صبح إكسيراً أمام
 السبمريخ ؛ وذلك لأنه عرف لغة لطير كلها .

أتى لك أن تعرف عالم لروحانيين من بين حكمة اليونانيين ؟ وإن
 لم نستطع التحلي عن هذه الحكمة ، فكيف نستطيع أن تكون رحلاً ما في
 الدين من حكمة ، وكل من يتعلمها في طريق العشق ، فهو في محال الدين
 ليس حبيراً بالعشو وبحق المعرفة إنني أفضل في هذا المحال كاف الكفر
 على ماء الفلسفة ، وذلك إن تكشف الحجب عن الكفر ؛ فبئس يستطيع
 أن نحرر من الكفر ، ولكن إذا قطع علم الحذل الطريق فما أكثر ما يقطع

على العارفين الطريق - وإذا قدر وضاء قلب من تلك الحكمة فلم
أحرقها العاروق عمر كلها ؟ فممد أن أحرق شمع الدين حكمه اليونان ،
ما استطاع شمع الدين الاشتعال من هذا العلم - فبما رجل الدين حسبك
حكمة يثر ، ثم انثر التراب على اليونان من طريق الدين

يا عطار ، إلام تتكلم ، وأنت لست رجل هذا العصر لعظيم
لتظهر من وجودك ، ولنكن تراباً من اعدم مشور على وجه الأرض وما
دمت دليلاً لكل حقير ، من تكون تاحاً لمعرف أي شخص ، وليس نفسك
حتى تفصح جميع الطيور لك طريقاً لبقاء حتى اليونان - إن قولي مرشد
لكل شخص ، فليكن هذا القول مرشد طريقك وكفى ! ورواني لست
شيئاً بذكر بالسبه لطيور الطريق ، فيكميبي أسي قد ذكرتها ، وأحرأهل
يصيبي الدوار من هذه الغافلة ؟ وهل يكون نصيبي الأسم من هؤلاء
الكبير ؟

حكيه (٤٥٦ - ٤٥٥)

قال شيخ مسن لرجل صوبي : إلام تتحدث عن رجال الحق ؟

قال : إنه بطيب للساني على الدوام كل ما يقال عن هؤلاء الأقوام ،
وإن لم أكن مهم ، فكمانني أن أتحدث عنهم ، ويسعدني أن أقول هذا
يوحي من روعي ، فحيه لا يكون لي نصيب من السكر غير الاسم ، فهذا
أفضل بكثير من أن يكون في السم .

ديواني كله ضرب من جنون ، والعقل حد عريب عنه ، ولا أعظم
إلام أنكلم ويد للمعجب ! وإلام أبحث عن شيء لم يصح وبيا للمعجب ! من

الحياقة أسي قدت ترك الخط وقلت درس المتعطلين الغاعلين ، وإن يعموا ،
 ب يا من صلت الطريق اطلب لنفسك المعرفة من الذنوب ، فلا أعلم
 متى يستقيم هذا الأمر ، وهل أستطيع طلب المغفرة عن هذا العمر المديد ؟
 فإذا كان لي مقام في طريقه ، فإن شئ شعري قد أصبحت شئ شري على
 الدوام ، ولو شعلت بالسير في طريقه ، فكيف استعرق هكذا في الشعر ؟
 وقول لشعر حجة الإحفاق ، ورؤية النفس دليل الجهل ، ولقد أكثر
 من قول الشعر ، ما دمت لم أر في الدنيا إنساناً محرماً

١
 إن كنت من أهل الأسرار فداوم البحث ، وابدل الروح واسمك
 الدماء وبحث عن السر ، وما أنا قد شرت الدم مع الدمع ، وتحدثت
 بحديث دام ، فإن تنسم بحرى العميق ، فإنك تنسم رائحة الدم من
 كلامي ، وكل من أصير بسموم الدعة ، كانت هذه الكلمات العظيمة
 الترياق له ومع أسي عطار وصانع ترياق ، في كبد محترق كأي
 محزون .

الخلق كنهم بلا وفاء ، وعاية في الجهل ، لذا فقد تحمست الآلام
 وحدي ، وإذا أقمت ملئدة من حمر جاف الله بدموع عيني ، ثم أظهو
 طعمني عن نار قلبي ، وأحياناً أدعو حيريل ليكون صيبي ، وإذا كان
 روح القدس يدي ، فكيف أستطيع قصم خير أي خطي ؟ وأنا لا أرفض
 في حيز كل ذي طبع سيئ ، وبكمي ما عدي من حمر وإدام .

لقد أصبح غنى القلب هو سعادتني ، وأصبحت الحقيقة كنز
 الذي لا يمتنى ، وكل غنى يكون مثل هذا الكنز في حوزته ، كيف يذل
 نفسه لئلا من السفلة ، فشكراً لله أنني لم أتحا إلى قصر ، ولم أكن ذليلاً
 لأي حقير ولم أربط قلبي بأي شخص ، ولم أجعل أي حبيب سيداً ، ولم
 أطعم من حواد أي ظالم ، ولم أهد أي كتاب لأي شخص ، فمعدوحي
 هو أمة العالية فقط ، وقوة جسدي هي قوة روحي فقط . وقد استدعاني

الأخبار إلى صمهم ، فلم يكون اهتمامي بمن يعجبون بأنفسهم؟.

ما أن تخلصت من أمور الخلق ، حتى عمي السرور ولو أحطت
ببعض المصائب . لقد تخلصت من جميع الأشرار والأطهار ، سواء كنت
ممدوحاً لديهم أو مدموماً . وهكذا شعنت بالآمي ، وبفضت يدي من جميع
الاقوام . فإذا سمعت آلامي وأحراني ، فيستكون أكثر حيرة مني ، والآن
هرل الجسم ونصبت الروح ، وما عد لي نصيب من الروح والجسم سوى
الحسرة والألم

حكاية (٤٥٥١ - ٤٥٦٩)

قال أحد السالكين وقت حلول الأجل . إسي لا أملك زاد
الطريق ، لقد عجننت قصة من طين مللتها بمرق حجلي ، وصعنت منها
أجرة ، وفي حورتي رجاجة مليئة بالدمع ، وجهت كل ممزق من أجل
الكف ، ففسلونني بالدموع أولاً ، ثم ضغوا الأجرم تحت رأسي ثانية ، وقد
لوئت هذا الكف بالدمع ، فوا أسعاه عني كل ما كنت . وعندما تلبسو
جسدي هذا الكف الطاهر ؛ فسارعوا بمواراته التراب وإذا فعلتم هذا فليس
يسقط من العمام عني قبري غير السدم حتى يوم الخسر . وهل تعلم من أين
يتولد هذا السدم؟ إن العوضة لا تستطيع الحياة مع الرياح ، كما أن الطفل
يسحب دائماً من الرضال مع الشمس ، وما حظي به مطلقاً ، هي أعظم
عشق المحال ! ومع أن هذا يبدو غاية في المحال ، فلا عمل له إلا التفكير
في المحال . ولكن من يفكر في ذلك ؛ فإني أشج أفضل منه يستحق التفكير
فيه؟.

إن مشكلتي تزداد تعقيداً في كل لحظة ، فكيف يتخلص قلبي من

هذه المشكله ؟ فمن ذا ظل وحيداً فريداً مثي ؟ ومن ظل صادي الشفة وهو عريان في البحر ؟ فلا صدق لي قط ولا رفيق ، ولا قريب لي في الألام ، ولا محرم . وليس لي همة في الخنوح أو تمدح ، وليس لي من الظلمة حلوة مع الروح ، ولست معلقاً بقلب أحد ، ولا تعلني كذلك ، ولا أهتم بحسن أو قبح كذلك ، ولا أميل إلى لقمة أو إحسان من سلطان ، ولا إلى صمعة عن الفص من حاجب سلطان ! ولا أستطيع الصبر على الوحدة لخطه واحدة ، ولا أستطيع البعد عن الخلق بالقلب خطة واحدة ، وهذه حالي في سموها وحسنها ، وبمثل هذا حدثني الشيخ عن نفسه



حكيية (٤٥٧٠ - ٤٥٨١)

قال أحد الأظهر لقد قصيت ثلاثين عاماً ، وأسا في حالة وله دواماً ، وقد كنت كاسياً عين في عم حمي ، عندما هم أموه بدمحه ، فهل يوجد شخص يقضي عمراً مديداً كذلك اللحظة التي قصاها إسماعيل ؟ وهل يعلم أي شخص كيف أصي في هذا الحبس والألم لي ومهاري ؟ هي أحترق أحياناً كالشمعة من الانتظار ، وأبكي أحياناً كمسحوب الربيع فأنت ترى صياء الشمعة ، ولكك لا ترى النار تشعل في رأسها ، فمن ينظر إلى خارجي ، كيف يجد الطريق إلى داخلي ؟ إني ككرة مضطربة في رأس صولجان ، فلا أعلم فسمي من رأسي ، ولا رأسي من قدمي

إني لا أرى نصراً من وجودي ، لأن ما قلته ، وما فعلت ، صاع وتدد ، وأصفاه ليست لي بأحد صداقة ، وصباح عمري في بظالة ، وعندما كنت ودرأ ، كنت جاهلاً ، في الفائدة ، وعندما أدركت ، فقدت

المقدرة وفي هد الرمان حيث العجر والمسكنة ، لا أعرف لي حيلة سوى
الدله والعم

حكيه (٤٥٨٢ - ٤٥٩٩)

ما أن رحل الشئ عن هذه الدر خراب ، حتى رآه بعد ذلك في
مائه شب ، فقال له ماذا فعل خلق معث أيها الموفق ؟ قال حينما
اشتد معي في حبس ، ورأسي عدو يصي ، كما رأى عمري وصفي
ويأسي ، تنزيت رحمة علي أما المسكين ، وصنع عني مرة واحدة بعظيم
كرمه

يا حائقي ، إني دليل في الطريق بسبب ، وكالتلة المرجاء في قاع
النهر بسبك ، ولست عرف من أي صنف أكون ؟ وإن أير أسير ؟ ومن
أكون ؟ إنني صعب واهن مغمو ، كما أسي حزين لا أعرف الاستقرار
وكلي هموم ، وفي الأحرار قصيت كل عمري ، ولم أبل نصيباً من هذه
العمر ، فكل ما فعلته كان ذنباً وخطايا ، وما قد تراقصت روحي عن
شمني ، ووصل عمري إلى النهاية

لقد رى الدين من يدي ، كما صاعت متع الدنيا مي ، وبم تبو
الصورة يدي ، كما صاع المعنى مي . لم أعد مسلماً ، ولا كافر ، فقد
تملكتني الخيرة بين كلا الأمرين ، وحيث أنني لست مسلماً ولا كافراً ، فماذا
أفعل ؟ لقد تملكنتني الخيرة والاضطراب ، فماذا أفعل ؟ إنني أصبحت
أسير طريق الصيق ، وطل وجهي في الخائط وراودني ظن عميق ، ففتح
ألمي أما المسكين هذا الباب ، وأجل الطريق مما راودني فيه ، وإذا لم
يملك لحد راد الطريق مطلقاً ، بل يسريح من الدسوع والأهات

مطلقاً وأنت تستطيع إحراق الخطايا بأهائي ، وتستطيع أن تجعل هذا
الديون المسطر بدموعي ، فلتقل لكل من درف الدمع كالبحار ، أقبل ،
فهو جدير بهذه الديار ، رقل لمن سم بصص بالعموم والأحرار . امص ، فهو
عير حدير بالأعمال .

حكاية (٤٦٠٠ - ٤٦١١)

كان أحد المرشدين يسير في طريق ، فرأى جمعاً من الملائكة ، وكان
المال رائجاً بينهم ، وقد تحاططه الملائكة فيما بينهم ، فسأل الشيخ هؤلاء
القوم سؤالاً : ألا تقولون لي ما هذا المال ؟

فقال طائر روحهم يا شيخ ، طريق ، لقد مر مكلوم من هنا ،
ورمر رقرة من فيه الطاهر ومضى ، وأسقط دمة ساحرة على التراب ،
ومضى ونحن الآن نحمل تلك الدمة الساحرة ، والآلة الساردة ،
وشاقنها بيت في طريق الألم والغصة .

إلهي ، لقد تعددت دموعنا وأهانت ، أهلاً نحد مثل هذا الاهتمام
مطلقاً ؟ وإذا كانت السموع ولأهاب مقبولة هناك ، فبعدك يملك الكثير
من هذا المتاع هناك ، فلتظهر روحي بالآلة ، وتعمل نوحى بالدمة
نقد ظلمت مقيداً في الحبس والسجن ، فمن ذا يأخذ بيدي غيرك في مثل
هذا السجن ؟ لقد نلوث جسدي في السجن كما يلي قلبي بالكثير من
المحب ، فإذا كنت قد أعليت ملوثاً هكذا في الطريق هاهنا عني ، حيث
أقبت من الحبس والسجن .

حكاية (٤٦١٢ - ٤٦١٩)

قال العزيز : إن يسدوني ذو الجلال ، في العداة ببيلاء الحضر بهذا السؤال : ماذا أحضرت من الطريق أيها السوا من ؟ أبادر بالقول أي شيخ جدير بالإحصار من هذا السجن ؟ لقد جئت من السجن عربن إدباري ، جئت حائراً فاقداً رأسي وقدمي ، وليس بي يدي غير قبض الريح ، وليس إلا تراب عثتك ، وليس إلا عبداً سجيناً في عهسك ، وكم أمل الاتيمني ، وأن تملح عليّ حلعة من مصلك ، وأن تطهرني من كل هذا النس ، وأن تواديني التراب على الإسلام ، ون تصصح عن كل ما فعلته من خير وشر ، وعندما ينتهي جسدي بين التراب والأحر ، فكيف يكون حلتي هذا ثم عثاً ؟ ولكن ما أحمل أن تغفر لي عثتي ! .

حكاية (٤٦٢٠ - ٤٦٢٨)

عندما أصبح نظم الملك^(١) في السرع لأخير ، قال . يهي ، هكذا أرحل ، وما في كفي سوى قبض الريح ! .

يهي ، وحالقي ، كل ما قلته ، وما رأيتك كان من أفوالك . لقد اخترته من بين كل شيخ ، وصاحبه ولازمته وتعلمت منك من الشراء ،

(١) نظم الملك أعظم وزير في الدولة السلجوقية وما قبلها ورر لائب أرسلان وملكشاه من الفترة من ٤٥٥ إلى ٤٨٥ هـ وكان نظم الملك ذا هسل عظيم على الثقافة الإسلامية بإنشائه المدارس النظامية ، كما ألف كتاباً في سياسة الحكم هو (سياسة نامه) ومات ميلاً عن يدي الإسماعيلية في عام ٤٨٥ هـ . راجع ابن الأثير ، حوادث عام ٤٥٦ هـ - ٤٨٥ هـ

لدا، من أبعك يوماً وآخر مطلقاً ، وما أكثر ما شترت بك ، وسم أبعك مطلقاً ، كما يفعل كل شخص ، فهي لنهاية اشتري يا هي ، فأنت حليل من لا حليل له . فدعي يا إلهي ، وسعدي يدرب خطوة في تلك الأوبة ، إدا لا حاجة بي لأى شخص غيرك في هذه اللحظة . وعندما ينقصر أصليائي لمشيحون لأطهار أيديهم من ترابي . مد إلي يدك في تلك الساعة ، حتى أصارع بالتعلق بأذيال مصك .

حكاية (٤٦٢٩ - ٤٦٣٧)

على الرعم من عظمه سديان ، فقد وجه هذه المؤل إلى عمدة عرجاء بكل مسكة ، فقال نكلمي يا من أكثر عما مي ! أى طيبة قد عحت بمموم والأحرار أكثر من الكل ؟ قالت : بها الأجرة الأخيرة في المفسره الصيفة ، حيث أن الأجرة الأخيرة التي تلتصق بالأرض تقطع الصلة بكل أمل .


من يقع تحت التراب مثلي ، يا طاهر الدات ، يقطع الأمل من كل الكائنات وأخير تحمي الأخيرة وجهي ، فلا تبعد وجه الفصل عن وجهي ، فحيي بهال على التراب ، أكون في اضطراب ، فلا توجه نحو وجهي أى شيء من أى صوب . وكم أغسى ألا نواحيهي بأى شيء من خطابي العديده يا إلهي ، أنت كريم مطلق ، فاصمح عن كل ما انقضى وولي يا إلهي ! .

حكاية (٤٦٣٨ - ٤٦٤٧)

كان أبو سعيد مبهمة في حمام ، وكان القائم بالخدمة غير ذي تجربة ،
فمرك الأوساخ عن جسد الشيخ ، وجمعها كلها أمام الشيخ . ثم قال
خبرني يا طاهر الروح ، كيف تكون المروءة في الدنيا ؟

فقال الشيخ يجب إخفاء البنس ، وعدم إظهاره أمام أعين
الناس

كان اجزوات في محله ، فحر القائم بالعمل مساحداً أمام قدمه ،
وعندما أقر بجهله ، استحسن الشيخ ذلك منه ، وطلب المعرفة له

يا حاتفي المعصم ، ويا سلطاني اسدع المكرم ، إن مروءة حلو
العالم ما هي إلا قطرات من بحر فصلك . أنت قائم مطلق ، ولكن
بالدات ، ومن المروءة أنك لا تأتي في الصفات ، فاصفح عن وقاحتها
وجسارتها ، ولا توردد نسناً أمام أعيننا 



المراجع

أولاً : المراجع العربية .

- ١ - من الآثار . لكامل في التاريخ مطبعة الاستقامة بالقاهرة
- ٢ - ابن عربي : الفتوحات المكية . القاهرة ١٣٠٢ هـ .
- ٣ - ابن عربي : نصوص الحكم .
- ٤ - أبو العلا عميسي . التصوف . الشجرة الروحية في الإسلام الإسكندرية ١٩٦٣ م .
- ٥ - أبو العلا عميسي : الملامية والصوفية وأهل الفتوة القاهرة ١٩٤٥ م
- ٦ - أبو نصر السراج لطوفي : اللمع القاهرة ١٩٦٠ .
- ٧ - أبو نعيم الإصمعياني : حلية الأولياء .
- ٨ - التعالبي قصص الأنبياء المسمى بالعرائس .
- ٩ - السلمي : رسالة الملامية . بشر الدكتور أبي العلا عميسي ص ٥٥ كتابه المذكور رقم (٥)
- ١٠ - السهروردي : عوارف المعارف .
- ١١ - السيوطي : الجملع الصغير القاهرة ١٣٥٢ هـ
- ١٢ - الغرالي (أبو حامد) . الجواهر الغوالي من رسائل الإمام حمزة الإسلام الغرالي (رسالة الطير) باهتمام محي الدين صبري الكردي . القاهرة ١٩٣٤ م .
- ١٣ - القشيري (أبو القاسم عبد الكريم من هوار) الرسالة المشيرية . القاهرة ١٣١٩ هـ .

- ١٤ - الكلابادي : التعرف بذهب أهل التصوف القاهرة ١٩٦٠ م
- ١٥ - المعري (أبو العلاء) رساله العبران . القاهرة ١٩٢٣ م
- ١٦ - الهجويزي كشف المحجوب ج١ ترجمة . د إسعاد قنديل ، القاهرة ١٩٧٤ م.
- ١٧ - سراود (إدوارد) تاريخ الأدب في إيران من المردوسي إلى السعدي ، ترجمة د إبراهيم أمين الشواشي ، القاهرة ١٩٥٤ م
- ١٨ - حامي صحاح الأسس ، تعريب النقشبدي ، مخطوطه بدار الكتب المصرية ، تحت رقم : ح ٩٧٩٥ بتدريج ١٠٠٠ هـ .
- ١٩ - حافظ حمدي الدولة الخوارزمية والمحول . القاهرة ١٩٤٩ م
- ٢٠ - حامد عبد القادر قصص الأنبياء العدد الثالث من دراسات في الإسلام ، أبريل ١٩٦١ م.
- ٢١ - عبد الوهاب عزام التصوف وفريد الدين العطار ١٩٤٥ م بالقاهرة .
- ٢٢ - محمد بن المور أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ، ترجمة د. إسعاد قنديل ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢٣ - محمد علاب إنصوب المقارن .
- ٢٤ - محمد مصطفى حلمي احياء الروحانية في الإسلام ، القاهرة ١٩٤٥ م
- ٢٥ - نيكلسون في التصوف الإسلامي ، وتاريخه ترجمة الدكتور أبي العلا عميبي ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٦ - باقرت الحموي . معجم البندان ، القاهرة ١٩٦٦ م
- ثانياً . مراجع فارسية وتركيبية .
- ٢٧ - ابن سينا رسالة لطير ، إحدى رسائل ثلاث ترجمها السهروردي إلى الفارسية ، شونجارب ١٩٣٥ م

۲۸ - جامی نغمات الاندلس ، مصحیح مهدی توحیدی نور طهران ۱۳۳۷ هـ .

۲۹ - دولتشاه تذکرة الشعراء ، لیدن ۱۹۰۰ م .

۳۰ - ذبیح الله صفا (دکتور) تاریخ ادبیات در ایران ج ۲ طهران ۱۳۳۹ هـ . ش .

۳۱ - سائی . سیر العباد إلى المعاد . طهران ۱۳۱۶ هـ .

۳۲ - المعطار (فرید الدین) تذکرة الأولیاء . طهران ۱۳۲۱ هـ .

۳۳ - المعطار (فرید الدین) منطق الطیر . باريس ۱۸۵۷ م

۳۴ - المعطار (فرید الدین) منطق الطیر . اصفهان ۱۳۱۹ هـ .

۳۵ - المعطار (فرید الدین) منطق الطیر . اصفهان ۱۳۳۴ هـ .

۳۶ - المعطار (فرید الدین) منطق الطیر . طهران ۱۳۴۷ هـ . ش

۳۷ - المعطار (فرید الدین) منطق الطیر . ترجمة ترکیة قام بها جولسری
امطیبولی ۱۹۶۲ م

۳۸ - فروزانفر (بدیع الزمان) : شرح و نقد و تحلیل آثار شیخ فرید الدین
محمد عطار نیشابوری . طهران ۱۳۴۰ هـ . ش .

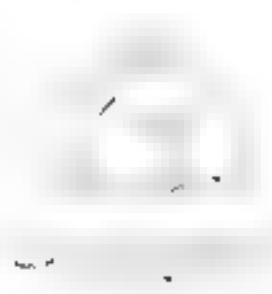
۳۹ - تمیزی (سعید) جشنجو در احوال و آثار فرید الدین عطار
نیشابوری . طهران ۱۳۲۰ هـ .

ثالثاً : مراجع اوریبۃ :

- Antonio Storia della letteratura persiana Milano 1960. — ۴
 Bertels Otscherck istori persidskoy literatury, leningrad — ۴۱
 1928
 Farid Attar Mantic uttair (Garcin de Tassy) Paris 1862 — ۴۲
 Farid Attar: Elahi Nameh, Trans. Rouhani Paris 1691. — ۴۳
 Jan Rypka Iranisch literature geschechte Leipzig 1969 — ۴۴
 Ritter (V H) Das Meer der seele mench wela und Got in — ۴۵
 den ges chichten deforidaddin Attar, Leiden, 1955
 Pezzi: Storia della Poesia Persiana, Torino 1894. — ۴۶

فهرس الأعلام (أعلام المتن)

اكتتبنا بذكر أعلام متن « مطر الطير » هو ذكر
أعلام القسم الأول الخاص بالدراسة ، كي لا يظنون
الفهرس ، ولينصرف القارئ على الأعلام التي خصها فريد
الدين المطار بالذكر مما قد يعيد في التعرف على بعض من
ثقافة المطار وسعه اطلاع .



أعلام متن منطق الطير

|

آدم (عليه السلام) : ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ٣٣٢ ، ٣٦٠ ، ٣٧٩ ،

٣٨٩ ، ٣٨٢

أحر : ٢٠٧ ، ٢٦٤ ، ٣٥٠

إبراهيم بن أدهم : ٣١٣ ، ٣١٤

إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ١٤٨ ، ١٨٩ ، ٣٧٤ ، ٣٨٩

إدريس : ٢٧١ ، ٣٦٠ ، ٣٦١

أبو بكر الصديق : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،

١٧٧ ، ١٧٩

أبو بكر البسابوري : ٣٣٤

أبو الحسين (ابن سالية) : ٣٥١

أبو سعيد بن أبي الخير : ٣٠٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٤٤٥

أبو علي (لا يعرف من هو علي وجه التحديد) : ٣٨٩

أبو علي الرودياري : ٣٤٥ - ٣٤٦

أبو علي الطوسي (الغرمذي) : ٣٥٥

أحمد بن حنبل : ٣١٦ ، ٣١٧

أرسطاطاليس : ٤٣٦

الإسكندر (المقدوني) : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٣٧١ ، ٤٢٤ ، ٤٣٦

إساعيل (عليه السلام) : ١٤٩ ، ٤٤٠

أفريلون (ملك إيراني إسطوري) : ٢٠٠

أثاف (ركن الدين) : ٣٠٥

الإنجيل : ١٥٩

أويس القرني - ١٧٣

إزار (غلام السطاط محمد العريوي) ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ ،

٣٩٢ - ٢٩١

أيوب (عليه السلام) ١٤٩

ب

بابريد البستاني : ٢٤٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥

بشر الحافي : ٣١٧

بغداد : ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٩٠

بقرط : ٢٩٦

بلا (مؤذن الرسول) - ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٦

السحاب : ٢٩٢

ت

الترمذي ٣٠٥

التوراة : ١٥٩

ج

جبريل (الروح الأمين - روح القدس) ١٦٠ ، ٢٥٨ ، ٣٣٧ ، ٣٧٤ ، ٣٩٦ ،

٤٣٨

حميد (ملك إيران سهوري) ٢٠٥

الحيد : ٢٧٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠١

ح

حيث العجمي : ٢٤٨ ، ٣٠٩

الحجر الأسود : ١٥٩

حذيفة الثاني : ١٧١

حسن البصري (شيخ البصرة) : ٢٧٨

الحلاج : ٢٨٩ ، ٤٢٢

حيرا (عائشة أم المؤمنين) : ١٩٠ ، ١٧٥

الحفانة (العمود الذي كان الرسول يرتكز عليه وهو يحطب في السجد) ١٦١

خ

خراسان ٣٢٣٠

الخرفاني : ٢٥٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩

الخضر : ١٨٣ ، ١٩١ ، ١٩٢

د

دلود (عليه السلام) ، ١٥٠ ، ١٨٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩

ذ

ذو القربى . ١٨٣

ذو النون ٣١٠

ر

رابعة (العددية) : ١٧٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧٨ ، ٣٤٨ ، ٣٦٥

الروم . ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨

ز

ذكرى (عبد السلام) . ١٥٠

زليخا ٣٥٣ ، ٣٥٤

س

السامري ٢٠٧٠

سأ . ١٨٠

سدة المتهى ١٨٢٠ ، ٢٥٨

سلمان (علي السلام) : ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٩٨ ، ٢١٢ ، ٢٤٦ ،

٤٤٤

سجدر (السلطان السلجوقي) ٣١٤٠ ، ٣١٥

سومنت (معبد لاهنام في الهند) : ٣٤٩ ، ٣٥٠

ش

الشيلي (أبو بكر) : ٢٦٤ ، ٢٨٦ ، ٣٦١ ، ٤٤١

شدآد : ٢٧٣

شرب (معشوقه خسرو پرويز الساماني) : ٤٢٧

ص

صالح (عليه السلام) : ١٨١
صنعان (الشيخ) : ٢١٨ - ٢٤٠
الصير : ١٦٥ ، ١٨٧ ، ٢٧٦

ط

طربس (شجرة باجنة) : ١٨٠ ، ١٨٢
طور (سيناء) : ١٨٠ ، ٣٣٧

ع

عائشة ، نظر حمدا
العجاسة : ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٩
عشاه بن عمان : ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٩
عمر القليل : ٢٨١ ، ٣٧٤
العزير : ٢٥٦ ، ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٣٤٢ ، ٤٤٣
العزيري : ٣٦٢
المطار (فريد الدين) : ٣٩٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨
عبي الرثقى (حيدر) : ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩
عمر الماروق : ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩
عمر بن عثمان بلخي : ٣٥٩
العميد (عميد الملك الكسري) : ٢٢٣
عيسى (عليه السلام) : ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٢٠ ،
٢٩٥ ، ٣٨١ ، ٤٠٨

غ

الغار (غار حراء) : ١٦٥ ، ١٧٧
غروب (غرفة) : ٣٥١
الغوري (أحمد) : ٣٩١

ف

فرعون : ١٥٠ ، ١٨٠ ، ٢٧٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨
فرهاد (معلم الجبل) : ٤٢٧

ق

قاف قوسين : ٣٩٦

قارون : ٢٦٠ ، ٢٧٣

قاف (اسم جبل) : ١٨٥ ، ٢٤١ ، ٢٥٧ ، ٣٢٨ ، ٤٢٤

القننرية (اسم حرة) : ٣٧٩ - ٣٨٢

ك

كاير ٣٢٤

الكمبة (الحرم) : ١٦٠ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٤٠٧

كربلاء : ٢٩٨

كج مله (اسم كتاب بمعنى : كتاب الكثر) : ٣٥٩

ل

اللات (اسم صنم) : ٣٥٠

لقيان السرحسي : ٣٩١

ليلة الحن : ١٥٨

ليل (العنصرية) : ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٤١٨

م

مالك بن دينار : ٦٧٢

المجون (قيس بن الملوخ) : ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٤١٨

محمد المصطفى (عليه السلام) : ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ - ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،

١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٢

عمود الغربي : ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٦ - ٢٤٨ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٣١٧ -

٣١٨ ، ٣٣٠ - ٣٣٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ - ٣٥٠ ، ٣٥١ - ٣٥٢ ، ٣٦٤ ،

٣٦٩ - ٣٧١ ، ٣٩٢ - ٣٩٤

مريم : ٣٧٩

مصر : ١٨٢ ، ٢٦٥ ، ٣٢٥ ، ٤١٩

معشوق الطوسي : ٤٠٥

منطق الطير (مقاصد الطيور) : ٤٣٢

مسكر ونكير : ٣٢٩

موسى الكليم (عليه السلام) : ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٨٠ ، ٢٦٠ ، ٣٣٥ ،

٣٨١ ، ٣٣٨ ، ٣٣٧

لمحمدى (حسن) : ٣٩٢ - ٣٩٤

ن

نصر لآمانى ٤٠٢

نظام الملك : ٤٤٣

الحرود : ١٨١ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣

نوح (عليه السلام) . ١٤٨ ، ٢٨١

النورى : ٤١٣

نيسابور : ٢٥٢

النيل : ١٦٦ ، ٤٠٩ ، ٤٢٧

هـ

هامان : ٣٣٨

هند : ٢٩٢

و

الواسطى . ٣٢٦ ، ٣٢٧

ي

يثرب : ٤٣٧

يحيى (عليه السلام) : ١٥٠

يعقوب (عليه السلام) . ١٤٩ ، ٢١٠ ، ٣٦٣

يحيى بن زكريا اعطى الحجر الأسود

يوسف (عليه السلام) . ١٤٩ ، ١٨٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٣١٢ ،

٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٥٣ - ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٣٨٢ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٩

- ٤٢٢ ، ٤٢٩

يوسف المحدثانى . ٣٦٢ ، ٣٨٢

اليونان : ٤٣٧

يونس (ذو النون عليه السلام) ١٤٩ ، ١٨٣

الفهرس العام

صفحة

٥

تقديم

دراسة حول العطار ومنظومته منطق الطير

٤٨ - ٩

الفصل الأول التعريف بفريد الدين العطار

| | |
|----|--------------------------------------|
| ٩ | أولاً : اسمه ولقبه وكنيته وأسرته |
| ١٣ | ثانياً : تاريخ ميلاده ، ومدة حياته |
| ٢١ | ثالثاً : دخوله في الطريق المصوفي |
| ٢٣ | رابعاً : شيوخ العطار |
| ٢٨ | خامساً : ثقافته |
| ٣٠ | سادساً : نظراته إلى الفلسفة والعلافة |
| ٣٢ | سابعاً : مذهبه |
| ٣٦ | ثامناً : بعض النكات في حياته |
| ٣٩ | تاسعاً : وفاته |
| ٤٤ | نصرة وفاة العطار |
| ٤٥ | قبر العطار |

٧٨ - ٤٩

الفصل الثاني : منظومة منطق الطير

| | |
|----|------------------------------|
| ٤٩ | تمهيد : مؤلفات العطار |
| ٥١ | نقد وتحليل منظومة منطق الطير |

| | |
|----|--|
| ٥٩ | أولاً : التعريف بالمنظومة |
| ٥٩ | ثانياً : بنية الكتاب |
| ٦٢ | ثالثاً : منطق الطير بين المخلوق والمخلوق |
| ٧١ | رابعاً : حكاية الشيخ صنعان |

٧٩ - ١٢٦ الفصل الثالث : آراء العطار في منطق الطير

| | |
|-----|---|
| ٧٩ | أولاً : المرشد والمريد |
| ٨٢ | ثانياً : الله والعالم |
| ٩٠ | ثالثاً : العشق الألفي |
| ٩٧ | رابعاً : الطريق الصوفي غايته الإدراك والاتحاد |
| ١٠٩ | خامساً : الفناء وصوره في منطق الطير |
| ١١٧ | سادساً : العطار والملازمة |
| ١٢٣ | سابعاً : رأي العطار في الشيطان |

١٢٧ - ١٣٢ خاتمة : مكانة العطار



القسم الثاني

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ١٣٥ | تهدية |
| ١٣٩ | بسم الله الرحمن الرحيم (تقديم) |
| ١٥٦ | في ثقت سيد المرسلين |
| ١٦٥ | في مناقب أمير المؤمنين أبي بكر الصديق |

| | |
|-----|---|
| ١٦٦ | في مناقب أمير المؤمنين عمر |
| ١٦٧ | في مناقب أمير المؤمنين عثمان |
| ١٦٩ | في مناقب أمير المؤمنين علي المرتضى |
| ١٧٠ | في نصب أهل السنة والشيعة |
| ١٧٤ | قول في شهادة المرتضى علي |
| ١٧٥ | حديث محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام |
| ١٧٨ | قول في شفاعة الرسول عليه السلام من أجل أمته |



| | |
|-----|--|
| ١٨٠ | المقالة الأولى : في اجتماع الطير |
| | المقالة الثانية : حديث الهدد مع الطير في طلب السيمرغ |
| ١٨٤ | ابتداء أمر السيمرغ |
| ١٨٨ | المقالة الثالثة : عذر البلبل |
| ١٩١ | المقالة الرابعة : عذر البيغاء |
| ١٩٣ | المقالة الخامسة : عذر الطاووس |
| ١٩٥ | المقالة السادسة : عذر البطة |
| ١٩٧ | المقالة السابعة : عذر الحجلة |
| ٢٠٠ | المقالة الثامنة : عذر الهما |
| ٢٠٣ | المقالة التاسعة : عذر الصقر |
| ٢٠٥ | المقالة العشرة : عذر مالك الحزين |
| ٢٠٧ | المقالة الحادية عشرة : عذر البومة |
| ٢٠٩ | المقالة الثانية عشرة : عذر الصعرة |
| ٢١١ | المقالة الثالثة عشرة : ذكر الطير جميعاً |
| | المقالة الرابعة عشرة : سؤال الطير للهدد |
| ٢١٧ | في قطع الطيرين |

« حكاية الشيخ صنعان وعقده الزنار لعشقه »

| | |
|-----|---|
| ٢١٨ | الفتاة المسيحية : |
| | المقالة الخامسة عشرة : اتفاق الطير على |
| ٢١٩ | السير إلى السمرغ |
| ٢٢٤ | المقالة السادسة عشرة : في قطع الطير للطيرين |
| ٢٢٦ | المقالة السابعة عشرة : اعتذار طائر |
| ٢٥١ | المقالة الثامنة عشرة : عذر طائر آخر |
| ٢٥٧ | المقالة التاسعة عشرة : عذر طائر آخر |
| ٢٦٣ | المقالة العشرون : عذر طائر آخر |
| ٢٦٧ | المقالة الحادية والعشرون : عذر طائر آخر |
| ٢٧١ | المقالة الثانية والعشرون : عذر طائر آخر |
| ٢٧٥ | المقالة الثالثة والعشرون : عذر طائر آخر |
| ٢٨٠ | المقالة الرابعة والعشرون : عذر طائر آخر |
| ٢٨٥ | المقالة الخامسة والعشرون : عذر طائر آخر |
| ٢٩١ | المقالة السادسة والعشرون : عذر طائر آخر |
| ٢٩٧ | المقالة السابعة والعشرون : عذر طائر آخر |
| ٣٠٣ | المقالة الثامنة والعشرون : عذر طائر آخر |
| ٣٠٨ | المقالة التاسعة والعشرون : عذر طائر آخر |
| ٣١٢ | المقالة الثلاثون : سؤال طائر آخر |
| ٣١٦ | المقالة الحادية والثلاثون : سؤال طائر آخر |
| ٣٢٢ | المقالة الثانية والثلاثون : سؤال طائر آخر |
| ٣٢٨ | المقالة الثالثة والثلاثون : سؤال طائر آخر |
| ٣٣٣ | المقالة الرابعة والثلاثون : سؤال طائر آخر |
| ٣٤٠ | المقالة الخامسة والثلاثون : سؤال طائر آخر |
| ٣٤٥ | المقالة السادسة والثلاثون : سؤال طائر آخر |

| | |
|-----|---|
| ٣٥٣ | المقالة السابعة والثلاثون : سؤال طائر آخر |
| ٣٥٨ | المقالة الثامنة والثلاثون : مزال طائر آخر |
| ٣٥٨ | بيان الوادي الأول : وادي الطلب |
| | المقالة التاسعة والثلاثون : في وصف |
| ٣٦٦ | وادي العشق |
| ٣٧٥ | المقالة الأربعون : بيان وادي المعرفة |
| ٣٨١ | المقالة الحادية والأربعون : في وصف وادي الاستغناء |
| ٣٨٨ | المقالة الثانية والأربعون : في وصف وادي التوحيد |
| ٣٩٥ | المقالة الثالثة والأربعون : في وصف وادي الخيرة |
| | المقالة الرابعة والأربعون : في صفة وادي |
| ٤٠٤ | الفقر والغناء |
| | المقالة الخامسة والأربعون : في سلوك الطير |
| ٤١٥ | صوب السمرغ |
| ٤٢٢ | خاتمة الكتاب |
| ٤٤٧ | المراجع |
| ٤٥١ | فهرس الأعلام |



مركز بحوث و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران